
كلمات
الجزء 3
"حين التقيتك عاد قلبي نابضًا
وجرى هواكَ بداخلي مجرى دمي"
الشيماء محمد أحمد
" شيموووو"
إبهار
للنشر و التوزيع
ساحر الكتب

كلمات | الجزء الثالث

الشيماء محمد أحمد

رواية

مراجعة لغوية: فريق إبهار

إخراج داخلي: يوسف الفرماوي

تصميم الغلاف: منى وجيه

الطبعة الأولى 2025

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي (ISBN):

+20 109 919 7450

Info@ebharbook.com
www.Ebharbook.com

Strand block - Abdein square
down town - Cairo - Egypt.

حين التقيتك عاد قلبي نابضاً

وجرى هواكَ بداخلي مجرى دمي

وشعرث حضنك دافئاً ورأيتني

رغم الحياء أذوب فيه وأرتمي

قل لي أيا رجلاً لأي قبيلةٍ

ولأي عصرٍ أو لجنسٍ تنتمي

ولمن تعود أصول عينيك التي

أضحت قناديل الضياء بعالمي

1

استيقظت حنين من نوم متقطع لتجد نفسها بمفردها في غرفتها الجديدة. تأملت الغرفة بعينين دامعتين، فللمرة الثانية تقضي ليلة زفافها ودموعها تنهمر على وجنتيها. للمرة الثانية تبكي حالها بمفردها.

انتبهت على طرقة خفيفة على الباب، فمسحت دموعها تمامًا، تبعها دخول إيهاب يحمل بيده صينية، ليضعها على الطاولة وينظر لها مبتسمًا:

"صحي النوم يا قمر، عدينا الظهر من بدري. قولت أكيد جوعتي. تعالي افطري يلا ولا أجيبه عندك في السرير؟"

اعتدلت في جلستها وابتسمت:

"هتفطرني في السرير بجد؟"

نظر تجاهها مبتسمًا:

"وهو اللي بيفطروا في السرير أحسن مننا في إيه يعني؟"

حمل الصينية ليضعها على السرير:

"يبقى نفطر في السرير."

نظرت له متعجبة من ابتسامته. تخيلته غاضبًا مما حدث بينهما بالأمس. تخيلت نفوره منها وابتعاده عنها. راقبته وهو يقشر تلك البيضة بيده ويضعها أمامها:

"لو في حاجة غير كده تحبي تفطري بيها قولي لي؟"

رفع عينيه ليتفاجأ من نظراتها المتعجبة:

"مالك؟ في حاجة؟"

علقت بحيرة:

"تخيلت إنك هتزعل مني."

استغرب وردد:

"أزعل منك ليه؟"

نكست رأسها بخجل:

"علشان امبارح و..."

قاطعها وهو يرفع رأسها برقة:

"حنين، لو حد غلطان امبارح فهو أنا. إحنا بينا اتفاق، وانتِ وضحتي ألف مرة إننا أصحاب مش أكتر. بس معرفش أول ما دخلنا وشوفتك بفستان الفرح..." (صمت قليلًا فقلبه يئن لتلك اللحظات ويشتاق إليها) "...المهم لو حد غلطان فأنا، فاعذريني."

أسرعت تعتذر:

"انت مش غلطان، لا يا إيهاب."

نظر للأرض بحزن:

"ده كان اتفاقنا، ما ألمسكش. أيوه، عمري ما تخيلت إنه هيبقى صعب للدرجة دي، بس اتفاق."

سألته بفضول وهي تتمنى الاقتراب أكثر منه:

"ليه صعب؟"

نظر لعينيها بتيه:

"وإزاي مش صعب؟ إزاي أكون قدام أجمل وأرق بنت في الكون وقلبي ما يحتجش ويصرخ ويلومني على البعد عنها؟ انتِ ما تتخيليش الحرب اللي جوايا دلوقتي شكلها إيه." (لاحظ نظرات الحزن تغزو عينيها فغيّر الموضوع) "نفطر بقى. ما قولتيش، في حاجة عايزاها غير كده؟"

نظرت للصينية أمامها وتقبلت تغييره للموضوع ليتناولا إفطارهما الأول سويًا بجو مرح وهادئ.

***

آخر النهار، راقبت صابرين زوجها يستعد للخروج، فسألته بفضول:

"رايح فين كده؟"

أجابها دون النظر إليها:

"رايح لحنين أطمن عليها."

علقت بتهكم:

"وهو في حد يروح..."

قاطعها بحدة:

"آه، في. ما تدخليش لو سمحتي."

رفعت يديها باستسلام وأكملت قراءة المجلة بيدها.

وصل عبد القادر واتصل بابنته. بعد السلام قال:

"حنين، أنا تحت. انزلي يا قلبي."

تعجبت وسألته:

"تحت؟ تحت فين؟"

نظر إيهاب إليها متعجبًا بينما ردت هي:

"طيب اطلع يا بابا؟"

همس إيهاب:

"انزل أجيبه؟"

سألت والدها:

"إيهاب هينزل يا بابا، اطلع معاه."

رد عبد القادر بصرامة:

"حنين، يا قلبي، لو عايز أطلع كنت طلعت على طول، لكن بقولك انزلي. ولو هو مش راضي هطلع آخدك و..."

قاطعته بسرعة:

"لا لا، هو ما اعترضش يا بابا. أنا اللي مستغربة إصرارك. حاضر، هنزل لحظة."

تراجع إيهاب خطوة وهو يراقبها تنظر للمرآة تعدل من نفسها:

"إيهاب، هنزل لبابا. معرفش ماله بس مصر إني أنزل."

علق بضيق:

"هو عايز يطمن عليكِ لوحدك."

نظرت تجاهه ولاحظت ضيقه، فاقتربت منه:

"ليه بتقول كده؟"

رفع رأسه ينظر إليها:

"أنا مش عارف إنتِ إزاي أقنعتيه يوافق على جوازنا. بس الظاهر إنه مش مقتنع أوي وخايف عليكِ، ومعندوش لسه ثقة فيا. انزلي وطمنيه..." (صمت لحظة وأكمل بمغزى) "...أو شوفي هتقوليله إيه."

سألته بحيرة وهي تمسك ذراعه ليواجهها:

"قصدك إيه؟"

تنهد بتعب:

"ما قصديش. انزلي لأبوكِ بدل ما يفتكر إني مانعك ويطلع ويعمل مشكلة. نتكلم بعدين. تحبي أنزل أوصلك؟"

أومأت بموافقة، فخرجا سويًا. سألتهم قدرية بفضول:

"على فين كده يا إيهاب؟ هو في عروسة بتخرج أول يوم؟ الناس تاكل وشنا يا حبيبي."

نظرت حنين لإيهاب بحيرة، فسألته بحيرة:

"هو ممنوع العروسة تخرج؟ طيب ليه؟"

أجابها بابتسامة:

"لا، مش ممنوع." (نظر لوالدته) "هنتمشى شوية يا أماه. مفيهاش حاجة يعني؟"

وقفت باعتراض:

"يعني إيه مفيهاش؟ الناس تقول رايحين فين كده؟ واخدها وماشي؟" (تراجعت وهي تمصمص شفتيها بسخرية) "نسيت إنها مش بنت بنوت. الحق عليا."

صُدم إيهاب من تصريح والدته:

"ولازمته إيه بقى البوق الحمضان ده؟ ما كل واحد يخليه في حاله؟ بعد إذنك يا أمه."

أخذها وخرج بها. لتسأله بحيرة:

"هو يفرق إيه بنت أو مش بنت في الخروج؟ يعني مفهمتش. ده إيه علاقته بده؟"

نظر إليها:

"مفيش فرق. ما تشغليش بالك بأمي وأفكارها القديمة. أبوكِ فين؟ شوفيه؟"

اتصلت بوالدها وعرفت أنه ينتظرها خارج المنطقة كي لا يأخذها من أمام بيتها وتحت أنظار الجيران. وصلت لوالدها الذي خرج لاستقبالها. تضايق حين وجد إيهاب برفقتها، وتساءل: هل منعها مثلًا من الخروج بمفردها؟ هل تضايق لخروجها وأتى كي يخبر والدها أنه

هو المسيطر؟ آلاف الأسئلة بزغت أمامه.

ألقت حنين نفسها بين ذراعي والدها ليضمها باشتياق واضح ويسألها بلهفة:

"طمنيني عليكِ. كويسة؟ أكلتي كويس؟ عرفتي تنامي؟ انطقي يا حنين."

تعجب إيهاب من أسئلته، فهل يظن مثلًا أنها ستجوع في بيته؟ ما سر ذلك الرعب الذي يراه بعينيه؟ انتبه لحنين وهي تجيب والدها:

"بابا، أنا كويسة وبخير."

ابتسم والدها:

"يارب دايمًا."

سلم على إيهاب ثم استأذنه:

"كنت عايز أتكلم معاها لوحدنا شوية، ده بعد إذنك يعني."

تراجع إيهاب خطوة:

"أكيد براحتك طبعًا يا عمي." (نظر تجاه حنين) "هنتظركم هنا."

رد والدها:

"ليه تنتظرها هنا؟ اطلع، وأنا هجيبها لحد البيت بنفسي."

نظر تجاهه محافظًا على ابتسامته المصطنعة:

"ولما حد يسألني مراتك خرجت ليه من أول يوم مع أبوها أقولهم إيه؟"

رد دون تفكير:

"محدش له دعوة."

رفع عينيه يواجهه:

"حضرتك مالكش دعوة، لكن أنا عايش وسطهم، فآراءهم تهمني. أيوه مش دايمًا، بس في وضع زي ده الكل هيتكلم."

قطعت حنين ذلك الحوار:

"خلاص يا إيهاب، انتظرني. بابا، عايز تقولي إيه؟ اتفضل يلا."

دخلت سيارة والدها وتحرك بها تحت أنظار إيهاب، الذي أحس للمرة الألف أنه أخطأ حين قبل بذلك الاتفاق.

وقف عبد القادر أمام كافيه صغير:

"تعالي نشرب قهوتنا مع بعض أنا وأنتِ."

جلسا سويًا، وبعد فترة من الصمت، سألها والدها بشكل مباشر:

"عاملة إيه مع إيهاب؟"

نظرت لوالدها بحيرة، فهي لا تعرف كيف تجيب على سؤاله.

كرر سؤاله بصيغة أخرى:

"طيب، بلاش. هل هو زي أمجد ولا مختلف؟"

رفعت رأسها ونظرت بحدة لوالدها:

"زي أمجد في إيه؟ إيهاب مختلف تمامًا عن أمجد، وانت عارف ده

كويس."

ارتشف والدها قهوته مفكرًا كيف يصيغ سؤاله بطريقة تفهمها ابنته دون أن يجرحها أو يخدش حياءها:

"عارف يا حنين إن إيهاب مختلف."

سألته بحيرة:

"أمال بتسأل عن إيه طيب؟ أنا كويسة الحمد لله وبخير. وأموري تمام. غير كده، أنا يدوب قضيت كام ساعة في بيته، لسه مفيش أي أحداث في حياتنا تُذكر.

نظر والدها وعلق:

"الكام ساعة دول كان ممكن يكون فيهم أحداث كتيرة جدًا. الكام ساعة كفيلين يا حنين يحيوا بني آدم أو يدمروه. بس طالما قولتي مفيش أحداث، فاعتقد كده وصلتني إجابة سؤالي."

علقت حنين بدورها:

"بابا، أنا مش فاهمة حضرتك، وحساك بتتكلم بالألغاز."

نظر لعينيها مباشرةً وقال:

"والدتك قالت لي إنك اعتبرتي علاقتك بأمجد اغتصاب وبس، ومقدرتيش تشوفيها بأي شكل تاني."

طأطأت حنين رأسها بخجل وهي تتذكر تلك الأيام المؤلمة. فهل آن أوان فضحها وكشف المستور؟

سمعت والدها يقول:

"حبيبتي، معرفش والدتك قالت لك إيه ساعتها، بس ما علينا. مش هنفتح دفاتر حرقناها. خلينا في المستقبل واللي جاي. إيهاب؟"

لم تجبه، بل لم ترفع رأسها مجددًا، فأومأ هو بتفهم متمتمًا:

"بما إنك ما بتجاوبيش، وقلتي مفيش أحداث، فده معناه واضح: معطيتهوش فرصة أصلًا."

لمعت دموعها ورفعت رأسها ونطقت كلمة واحدة فقط:

"مقدرتش."

ابتسم والدها بتفهم وربت على يدها:

"براحتك. خدي وقتك واعرفي جوزك كويس، وقربي منه شوية. بس يا حنين افتحي قلبك للحياة من تاني." (أمسك يدها مؤكدًا) "ولو - وهكررها ألف مرة - لو حسيتي في أي وقت إنك اتسرعتي، أو مقدرتيش تكملي مع إيهاب، أو فضل إحساس الاغتصاب ده ملازمك، عرفيني وهبعدك. بدون تفكير وبدون تردد، خدي قرارك وبلغيني بيه، وأنا كفيل بالباقي، يا قلبي."

ردت حنين بوجع:

"وأطلق تاني يا بابا؟"

ابتسم بحزن:

"المهم سعادتك وبس. تطلقي تاني؟ عادي بالنسبالي. كل اللي يهمني إنك تلاقي سعادتك وبس يا حنين."

ابتسمت حين أحست بحزنه:

"بابا، أنا كويسة بجد، وإيهاب قلبه طيب. تخيل النهاردة جاب لي الفطار في السرير؟ ويقول لي: اللي بيفطروا في السرير أحسن منك في إيه أصلًا."

علق والدها مبتسمًا:

"فرحة البدايات. ما تتعوديش."

اعترضت بسرعة:

"أمجد دمرني من أول ليلة. مكنش معاه فرحة بدايات ولا أي فرحة."

ضغط على يدها:

"انسيه لو سمحتي، وكفاية تفكير فيه. وياريت ما تقارنيش إيهاب به. للأسف، كفاية إحنا بنقارنه، بس انتِ بالذات بلاش."

عادت حنين لتجد إيهاب على ذلك المقعد منتظرًا إياها يحمل دفتره ويرسم به. علقت حنين لوالدها:

"نفسي أشوف دفتر الرسم بتاعه ده."

ابتسم والدها لفضولها:

"اطلبي منه يوريهولك. ما أعتقدش هيقول لك لأ."

ابتسمت بتأكيد:

"قال لي لأ. قال لي لما نتجوز. معرفش دلوقتي هيوافق يوريهولي

ولا إيه؟"

علق والدها:

"أعتقد دفتره ده هيكون زي المذكرات كده. في ناس بتحب تكتب، وناس بتعمل خواطر، وفي زي إيهاب بيرسم خواطره، أفكاره، وجعه، أحلامه. ما تضغطيش عليه، وهو لما يكون مستعد هيوريهولك لوحده." (نظر لها بمغزى) "أو لما يحس إن الثقة ما بينكم متبادلة." (سألها) "أنزل معاكي؟"

أومأت برفض:

"لا، هنزله أنا."

راقبها وهي تقترب منه وتقف خلفه. فابتسم وتحرك في سبيله بعد أن اطمأن عليها.

وقفت حنين خلفه تراقبه يكمل تلك الرسمة التي سبق ورأته يرسمها. قد ظهرت معظم ملامحها، فهي لفتاة تقف على سور شرفة وشعرها يتطاير خلفها. اقتربت أكثر، فأحس بها وابتسم دون أن يتحرك، منتظرًا إياها أن تعلن عن وجودها. وحين طال انتظاره، قال:

"هتفضلي واقفة كده كتير؟"

ضحكت وجلست بجانبه:

"شوفتني إزاي؟"

نظر لعينيها:

"ما شوفتكيش. حسيت بيكي."

هربت من حصار عينيه ونظرت للدفتر:

"مش هتفرجني عليه؟"

ابتسم وأغلق الدفتر ووضع قلمه في مكانه:

"مش دلوقتي."

سألته بحيرة:

"إمتى؟"

تمنى لو يقتحم أسوار عقلها العالية، فنظر لعينيها وردد:

"إمتى؟ مش عارف. محدش شاف الرسومات اللي في الدفتر ده قبل كده." (نظر للدفتر بيده مبتسمًا بحزن) "حياتي كلها فيه: أفكاري، أحلامي، جنوني." (ابتسم ونظر لعينيها) "يمكن إحنا الاتنين محتاجين لفترة نقرب من بعض أكتر ونفهم بعض أكتر قبل ما نثق في بعض."

علقت بتلقائية:

"أنا بثق فيك."

نظر أمامه بعيدًا عن عينيها:

"لا يا حنين. لو بتثقي فيا مكنش رد فعلك امبارح هيكون بالشكل ده." (حاولت الاعتراض أو الاعتذار ولكن لم يعطها فرصة) "آه، هترفضي. بس مش بالأسلوب ده، ولا الطريقة دي، ولا الانهيار ده."

وقف ومد يده لها:

"تحبي نروح مكان ولا نروح؟"

نظرت ليده، ثم وضعت يدها بيده ووقفت أمامه وكررت:

"أنا بثق فيك أكتر مما تتخيل. بس يمكن أكون ما بثقش في نفسي. بس زي ما قلت، يمكن نكون فعلًا محتاجين لوقت نفهم فيه بعض أكتر، مش نثق في بعض. لأن أوريدي الثقة موجودة. بدليل إننا اتجوزنا."

مر يومان على نفس الحالة. يقضيان معظم يومهما في البيت، يتمشيان قليلًا بالخارج، ويتعاملان بحذر شديد.

اتصلت هايدي بها تطمئن عليها. وبعد أن قضتا وقتًا طويلًا في الكلام بلا معنى أو هدف، سألتها هايدي بجدية:

"أخبارك إيه يا حنين؟" (مازحتها) "لسه على الاتفاق ولا رميتوه عرض الحائط؟"

تنهدت حنين وزفرت أنفاسها الحارة:

"أنا وهو ماشيين على قشر بيض يا هايدي. شبه مش بنتنفس مع بعض. مجرد ما بندخل أوضتنا بحس بارتباك وذبذبات غريبة. ولا هو بيعرف يتكلم ولا أنا، فبيقولي تصبحي على خير ونسكت. وساعات بيسيبني ويخرج. معرفش بيروح فين، بيسهر ساعتين تلاتة ويرجع."

سألتها هايدي بذهول:

"وما سألتيهوش بيروح فين؟"

ردت بإحباط:

"لا، مش بسأله. وبعدين أسأله ليه؟ مش أنا زي الغبية اتفقت معاه محدش يتدخل في خصوصيات التاني؟ بعدين بيرجع ريحته ألوان، فتقريبًا بيرسم، أو بيقابل صاحبه خالد يقعد معاه شوية ويرجع. أووف يا هايدي، بحس بملل فظيع وهو مش موجود، وبحس بارتباك أفظع وهو موجود. مبقتش فاهمة أنا عايزة إيه أصلًا ولا بفكر إزاي، بس اللي عرفاه إني عايزاه موجود طول الوقت."

سألتها بفضول:

"هو فين دلوقتي؟"

علقت بضيق:

"الأسطى طلعت كلمه وقاله يقابله على القهوة شوية، فنزل."

نصحتها هايدي:

"حنين، إلغي الاتفاق ده وعيشي معاه كزوجة. الذبذبات والارتباك ده هينتهي بمجرد ما تبقوا زوجين طبيعيين."

همت حنين بالرد ولكن أغلقت فمها بسرعة. فكيف ستخبرها عن فشلها في العلاقة مع أمجد واتهامه لها بالبرود؟ وكيف ستخبرها عن رعبها من لحظة اكتشاف إيهاب لحقيقتها؟ تنهدت بصمت ثم غيرت الموضوع تمامًا:

"كلميني عن علاء، أخباركم إيه مع بعض؟ حاسة إيه ناحيته؟ كويس ولا؟"

ابتسمت هايدي وانطلقت تشرح بحماس عن علاء خطيبها.

عاد مازن من الخارج ليجد والدته تقف أمام غرفة حنين. وحين تكلم قفزت فزعًا فضربته على كتفه ثم أدخلته غرفته وأغلقت الباب:

"يا باردا"

ضحك مازن:

"بتعملي إيه يا أمه؟ بتتسمعي عليهم؟ بيعملوا إيه ها؟"

عقدت حاجبيها ونهرته:

"اخرس يا غبي. أخوك مش جوه أصلًا، وهي بتكلم صاحبتها. ساعة بيرغوا. بيتكلموا عن حد اسمه علاء، تقريبًا خطيب صاحبتها. البت دي في حاجة وراها مخبياها."

سألها بفضول:

"بت مين؟ صحبتها يعني؟ وانتِ مالك بيها؟"

ضربته مجددًا في كتفه:

"وأنا مالي ومال صحبتها يا غبي. أقصد مرات أخوك."

اقترب بفضول:

"مالها؟"

علقت بحيرة وهي تحك ذقنها بتفكير:

"البت طول الوقت في أوضتها. وغير كده، بتتعامل مع أخوك بحزازية. الاتنين بيتعاملوا بشكل غريب، مش واحد ومراته، لا لا.

بعدين أخوك بيخبط عليها قبل ما يدخل عندها. متخيل؟"

ابتسم لمراقبتها لهما:

"يا أمه، عادي. وبعدين عايزاهم يتعاملوا إزاي قدامك يعني؟ ده طبيعي."

نفت بتأكيد:

"إيش فهمك انت؟ دول بيتكسفوا من بعض. لو لمسها بيعتذر، وهي كمان. بيتعاملوا زي ما يكونوا أغراب. كل واحد خايف يلمس التاني."

استغرب مازن ما يسمعه:

"تلاقيكِ بيتهيألك بس. لا لا، مش معقولة. دول بقالهم كذا يوم، وهي مش بنت. هتخاف مثلًا؟"

اقتربت والدته منه وكأنها تخشى أن يسمعها أحد:

"يا خوفي لتكون حامل من راجل تاني وأخوك الأهبل يلبسها."

نفى مازن بسرعة:

"إيه يا أمّه، الأفلام العربي الهبطانة دي؟ وبعدين لو زي ما بتقولي، كانت هتخليه يلمسها علشان تضحك عليه وتقوله ابنه. مع إن حتى دي مش بسيطة ولا سهلة وهيتعرف بمجرد ما تولد بدري. بلاش تأليف بقى."

أمسكت ذراعه مجددًا وجذبته:

"يا واد، مش قصدي تضحك عليه. لا، بالاتفاق معاه. هو عارف

وموافق يشيل شيلة غيره. أمال يعني هتتجوزه ليه؟ ها؟ وأبوها يوافق ليه غير علشان عارفين؟ ده جوزها في أوضة، أوضة. أمها بس عملت الحبتين بتوعها قدامنا علشان قال يعني تسبكها علينا. بس على مين؟"

حرك مازن رأسه نافيًا، ولكن بداخله شك صغير. فأخيه بالفعل تلك شخصيته، ومن الممكن أن يوافق على اتفاق كهذا لأجل مساعدتها. انتبه على والدته تقول:

"ابقى شوفهم كده بيتعاملوا إزاي؟ هتلاقيهم بيحسسوا على بعض من بعيد لبعيد، مش اتنين متجوزين واخدين على بعض. واقطع دراعي من هنا إن كان لمس شعرة واحدة منها. واحد غيره مكنش طلع من أوضته، ولو طلع، هيطلع للحمام. لكن ده عادي خالص هو وهي."

علق مازن بشرود:

"مش عارف يا أمه. مش عارف."

قابل إيهاب صديقه على ذلك المقهى. وبعد قليل، انضم إليهما الأسطى طلعت الذي بارك له أولًا ثم بحرج قال:

"بقولك يا إيهاب، عندي شغلانة سريعة و..."

قاطعه خالد باعتراض:

"شغلانة إيه يا أسطى؟ ده عريس. خليه ياخد حتى أسبوع مع عروسته."

ابتسم إيهاب لصديقه:

"اصبر يا خالد، وسيب الأسطى يكمل كلامه. كمل يا أسطى."

ابتسم طلعت بتقدير، فهو يحب إيهاب للغاية ويحترمه:

"قبل ما أكمل، براحتك. ترفض أو تقبل، عادي يعني." (ربت إيهاب على صدره بتقدير وشكر فأكمل طلعت) "رسمة واحدة هتعملها لواحد، وهيطلع منها قرشين حلوين. هو عايز يهاديها لحد في عيد ميلاد، فعلشان كده عايزها خلال اليومين دول، بكرة وبعده بالكتير، وهيطلع لك قرش حلو. أنا اترددت أرفض وأسيبك، ولا أوافق. وأهو القرشين ينفعوك؟ فقولت ما بدهاش. أنا أقولك وانت براحتك، المناسب ليك أعمله."

رد خالد عن صديقه:

"هيرفض طبعًا. دول عرسان يا أسطى. خليه براحته."

اعترض طلعت:

"يا ابني، وهو أنا ماسكه علشان أسيبه؟ هو براحته. موافق يجي، مش موافق اللي يريحه. أنا مرضيتش أدي الراجل كلمة وقلت له إنه عريس ومش هينزل. فعلشان كده قال هيدفع الضعف. بصراحة، استحرمت أرفض من غير ما أقوله."

قبل أن يعترض خالد مجددًا، قاطعه إيهاب:

"ماشي، هاجي الصبح، هروح بإذن الله." (نظر له خالد بذهول فعلق) "أنا محتاج الفلوس دي. أنا طالع من الفرح منفض، فأكيد مش

هرفض قرش حلو زي كده."

ابتسم طلعت وربت على كتفه:

"لو مش عايز تنزل، خد الفلوس اللي..."

قاطعه إيهاب بعرفان:

"لا لا يا أسطى، تسلم. ما اتحرمش منك يا رب."

عرض خالد بجدية:

"لو محتاج فلوس، قول أيوه. وما تزعلش عروستك وتسيبها من أول يومين."

ابتسم إيهاب:

"سداد يا باشا. بس عقبال ما حنين تصحى وتفوق، هكون رجعت. فالموضوع مش هيفرق معاها نزولي بدري. بعدين أكيد لو احتجت، هعرفكم. أنا ليا مين غيركم يعني!"

انتظرت حنين عودته بفارغ الصبر، لدرجة أنها حين سمعت جرس الباب أسرعت للخارج تراقب من الآتي، وأحست بالإحباط حين رأت هبة تدخل وهي تحمل عدة مشتريات لوالدتها.

عادت لغرفتها وفتحت التلفاز بملل. أخيرًا، سمعت طرقة خفيفة على باب غرفتها، فانتبهت بحماس، فتلك هي طريقته في الاستئذان قبل الدخول.

استقبلته بابتسامة واسعة:

"اتأخرت! انت قولت..."

قاطعها وهو ينظر لساعته:

"قولت ساعة أو ساعة ونص بالكتير، ومعداش ساعة ونص أهو."

عقدت حاجبيها باستغراب:

"أمال ليه حاسة إنه عدى عشر ساعات بحالهم؟"

ابتسم ودق قلبه؛ فهل وجوده معها يفرق لهذا الحد؟ هل يغزو ذلك الاشتياق قلبها كما يغزو قلبه كلما ابتعدت عن عينيه؟

نظر للتلفاز:

"بتتفرجي على إيه؟"

رفعت كتفها بملل:

"ولا حاجة. فتحته يعمل دوشة وخلاص. الأسطى طلعت كان عايز إيه منك؟"

نظر تجاهها بجدية وبتردد:

"عايزني أنزل شغل بكرة."

اتسعت عيناها من الدهشة ونطقت بتلقائية:

"رفضت طبعًا؟"

اقترب منها بحيرة، فهو لم يعد يفهمها مطلقًا:

"أرفض ليه؟ حنين، انتِ قولتي بنفسك بكرة نرجع الشغل وما

نضطرش نحتك ببعض كتير، وطول اليوم بحسك متكلفة في التعامل معايا. فقولت فرصة أسيبك تاخدي راحتك. مش ده أفضل كده؟"

أشاحت بوجهها بعيدًا عنه، فقلبها يصرخ ويحتج ويثور عليها غاضبًا. لقد مرت الساعة التي غابها كساعات طوال، فكيف تقضي اليوم بدونه؟ كيف طاوعه قلبه أن يأخذ مثل هذا القرار بمفرده؟

اقترب منها أكثر متسائلًا:

"ردي عليا. مش ده الاتفاق ودي شروطه؟ كل واحد يبعد عن التاني وكل واحد حر؟ ليه بتبصيلي دلوقتي بالشكل ده وكأني ارتكبت جريمة في موافقتي أنزل شغل؟"

نزلت من فوق سريرها وتحركت مبتعدة، فأمسك ذراعها يمنعها:

"رايحة فين؟ بكلمك!"

جذبت ذراعها بعنف ونظرت لعينيه:

"طالعة البلكونة. ولا عند سيادتك مانع؟"

ترك ذراعها، فخرجت من الغرفة. وقفت على سور الشرفة ترفع رأسها للسماء، تتمنى وجوده بجانبها، وحين يقترب ترفض قربه.

وقف إيهاب محتارًا في رد فعلها، غير قادر على التفكير؛ فهل تطلب قربه أم بعده؟ هل تحبه أم تكرهه؟

أخيرًا، ترك الغرفة وتوجه للخارج لتوقفه والدته:

"رايح فين تاني؟ ده انت يدوب رجعت!"

زفر بضيق، فهو في غنى الآن عن استجواب والدته:

"هجهز شوية ألوان وبويات علشان نازل الشغل بكرة."

شهقت مصدومة:

"الشغل؟ انت لحقت؟ انت إيه حكايتك يا إيهاب؟"

نظر إليها متعبًا:

"حكاية إيه يا أمه؟ الأسطى استقصدني في شغلانة سريعة ضرورية واترجاني. أكيد مش هقوله لأ."

سخرت بحركة من شفتيها ورددت بتهكم:

"الأسطى قولتلي؟ ماشي يا إيهاب."

تركها وصعد للسطح هربًا من الجميع. نظر للنجوم في السماء تلمع حرة وبعيدة وجميلة. زفر أنفاسه بضيق متسائلًا: هل أخطأ حين وافق على قبول طلب الأسطى ونزوله للعمل؟ ولكن ما فائدة المكوث بالبيت وهي تهرب منه طوال الوقت؟

انتظرت حنين عودته وهي تلعن ذلك الحظ العاثر. فهي غير قادرة على الاقتراب أو الابتعاد. سمعت طرقته الخفيفة فأغمضت عينيها كي توهمه بنومها.

دخل إيهاب الغرفة بهدوء وتفاجأ حين وجدها نائمة. ظل واقفًا فوق رأسها يفكر: هل هي غاضبة منه؟ أهي لا تبالي أصلًا بخروجه؟ هل انتظرته كثيرًا فغلبها النوم؟ آلاف الأسئلة تدور وتدور برأسه دون إجابات منطقية.

ابتعد عنها ليجلس على أريكته وهو ينظر تجاهها، يتمنى لو يملك الجرأة ليقترب منها ويضمها لقلبه الملتاع.

أحست حنين بالتوتر لذلك الحصار، فهي تحس بوقوفه فوقها، والآن تحس بنظراته.

لمَ أغلقت عينيها؟ لمَ أوهمته بنومها؟ فلربما سهرت الليلة برفقته؟

أطفأ النور ليسترخي بمكانه بعد أن أحكم إغلاق الباب. جافاه النوم ومهما حاول لكنه دون جدوى.

حاولت حنين النوم حقًا، ولكنها استيقظت في وقت متأخر. كذلك هي تشعر به يتقلب يمينًا ويسارًا فجافاها النوم هي الأخرى.

أخيرًا، لم تعد تتحمل المزيد، فنزلت من سريرها وتوجهت للشرفة، فتحتها تستنشق نسمات الليل الهادئة.

تحرك إيهاب خلفها وهمس:

"قلقانة ليه؟"

نظرت له من فوق كتفها وأعادت النظر للشارع الصامت تقريبًا أمامها وتمتمت بهدوء:

"مش عارفة بس مش عارفة أنام."

اقترب منها ووقف بجانبها:

"جعانة؟ أجيبلك حاجة تاكليها؟"

نظرت له بحدة وهي تفكر بالانفجار فيه لأنه قبل أن ينزل

عمله بالغد، ولكنها تراجعت وأغلقت فمها ونظرت أمامها وشكرته باقتضاب.

لاحظ إيهاب حركتها تلك، استعدادها للانفجار وتراجعها، فسألها بحيرة:

"ياه، لو تفكري بصوت عالي يا حنين؟ لو تخليني أفهمك؟ لو أفهم عايزة إيه؟ هنرتاح أنا وانتِ."

لم يضف المزيد، بل تركها وعاد للغرفة وجلس على أريكته. لحظات وتبعته للداخل. وقفت أمامه تضع يديها بخصرها، فرفع عينيه:

"نعم؟ قولي."

صرخت به:

"زهقانة!"

تنهد ووقف أمامها:

"عايزة تعملي إيه؟"

حركت رأسها بحيرة وصاحت بعصبية:

"معرفش. بس اللي عرفاه إني مش عايزاك تنزل الشغل بكرة. اتفقنا أسبوع، ما ترجعش في كلامك بقى."

اقترب منها أكثر:

"ولو ما نزلتش الشغل إيه هيتغير؟ هنعمل إيه النهار كله؟"

تراجعت للخلف:

"مش هنعمل حاجة، بس منظرنا قدام..."

قاطعها محبطًا:

"ما تخافيش على منظرنا. الشغلانة دي الأسطى قال طالع منها قرشين كويسين، والراجل مزنوق في الوقت، فمنظرنا محفوظ لو ده اللي قلقانة عليه."

أومأت برأسها:

"تمام، طيب."

انتظرها أن تضيف المزيد، ولكن حين طال صمتها رجع لمكانه:

"تصبحي على خير."

استيقظ إيهاب من نوم مزعج على اهتزاز هاتفه بجانبه. فتح عينيه وتحرك من مكانه، فقد تأخر على موعده. بدّل ثيابه وخرج من الغرفة بهدوء تام وأغلق الباب خلفه بخفة كي لا يوقظها.

هتفت هبة بتعجب:

"صاحي بدري يا هوبا؟"

ابتسم لأخته:

"نازل شغلانة سريعة كده."

شهقت أخته باعتراض بينما علق أخيه بتهكم:

"هو إيه العبارة؟ بتهرب من حضنها ليه، ولا حضنها مش عاجبك؟"

نظر إيهاب لأخيه يواجهه وبكل هدوء:

"خليك في حالك وما تشغلش نفسك بيا."

خرجت قدرية من المطبخ وهي تحمل باقي أطباق الطعام:

"اقعد افطر يا إيهاب."

شكرها وتحرك لعمله بعد أن طلب من أخته أن تظل برفقة زوجته.

استيقظت حنين بعد فترة مفزوعة وتلفتت حولها لتجد نفسها وحيدة بغرفتها. نادته عدة مرات بصوتها. سمعت طرقة خفيفة على الباب فابتسمت، لكن اختفت ابتسامتها حين دخلت هبة أخته:

"صباح الخير يا حنون. هوبا نزل الشغل من بدري، بس وصاني وقال لي لما تصحي أفطرك. تحبي تفطري إيه يا ستي؟ شاوري."

ابتسمت حنين وشكرت هبة التي أصرت على إعداد الطعام لها وظلت برفقتها طوال الوقت، فرفقتها خفيفة ولطيفة.

***

عاد إيهاب من عمله متأخرًا عن عادته. تفاجأ بزوجته تجلس مع والدته وأخته أمام التلفاز في الصالة. وقفت لاستقباله ودققت النظر إليه حين دخل، ولاحظت كمية الألوان العالقة بوجهه وملابسه.

لاحظ إيهاب نظراتها فهرب سريعًا معتذرًا:

"زي ما أنتو. هاخد شاور الأول أنضف الألوان دي علشان أعرف أتعامل معاكم."

هرب من أمامها سريعًا للحمام. بينما جلست حنين مكانها،

فاعترضت قدرية:

"جوزك جه. ما تقومي يا حنين تجهزي هدومه اللي هيلبسها ولا شوفيه؟ ولا انتِ أمك مش بتستقبل أبوكِ لما يرجع من شغله؟" (شهقت بسخرية) "يووه، نسيت، أمك أصلًا بتشتغل. امممم."

وقفت حنين:

"أنا بس قولت علشان ياخد راحته بعد ما يخرج من الحمام."

مصمصت شفتيها باعتراض:

"ياخد راحته؟ وهو راحته دي مش معاكِ ولا إيه؟ عشنا وشوفنا المرأة العاملة. قال ياخد راحته قال."

علقت هبة ناهرة والدتها:

"ما تسيبيها براحتها يا ماما، الله. حنين براحتك تدخلي وبراحتك تفضلي معانا."

ابتسمت وشكرتها قبل أن تدخل غرفتها هربًا من المزيد من اللوم والعتاب من والدته.

***

فتح الباب فجأة ليصدم كليهما، فهو ظن أنها بالخارج وهي تفاجأت من طريقة فتحه للباب بعنف. وتفاجأت أكثر حين استوعبت أنه بدون ملابسه، فهو يلف فقط منشفة على خصره.

فكر بالرجوع ثانية للحمام بعد أن يأخذ ملابسه، لكنه سمع صوت والدته خلفه:

"واقف كده ليه يا إيهاب؟ تاخد برد؟ ما تدخل أوضتك."

ابتسم لها قبل أن يحكم غلق الباب خلفه وهو يعتذر لها:

"سوري، بس افتكرت إنك بره لسه."

بررت بتوتر:

"مامتك قالت لي أدخل أجهز هدومك، فجهزت دول تلبسهم."

نظر لمكان إشارتها ليجدها أعدت ما يرتديه، فتوجه مباشرة نحوه. بينما علقت حنين بتوتر وهي تبتلع لعابها بصعوبة:

"تحب أطلع بره لحد ما تلبس؟"

نفى بسرعة:

"لا، تطلعي فين بس؟ خليكِ مكانك."

طأطأت رأسها بخجل لكنها استرقت نظرات لجسده العاري. ورغمًا عنها قارنته بأمجد، فذلك الآخر لم يملك هذا الجسد ولا تلك العضلات. تساءلت: هل يمارس رياضة ما؟ أم ما سر رشاقته تلك؟

راقبته بإعجاب وهي تختلس نظرة من آن لآخر، وتمنت لو لم تعقد ذلك الاتفاق الذي يقض مضجعها ويسرق النوم من عينيها.

انتبهت من شرودها على صوته يخبرها شيئًا ما لم تسمعه. فعلقت بانتباه:

"قولت إيه؟ معلش سرحت شوية."

علق بابتسامة حزينة:

"بقولك اللي واخد عقلك!"

ابتسمت وتنهدت بحزن مماثل:

"مفيش حاجة تستاهل واخدة عقلي." (نظرت له) "ما تشغلش بالك."

اقترب وجلس أمامها:

"إزاي ما أشغلش بالي؟"

هربت من حصار عينيه، استنشقت عطر ما بعد الحلاقة، وانتبهت أنه ازداد وسامة بعد حلاقته لذقنه. تمنت لو تمد يدها وتتلمس نعومتها، لكنها نفضت تلك الأفكار وعقدت حاجبيها. فعلق وهو يراقب انفعالاتها:

"أدفع عمري كله وأدخل جوه دماغك أعرف بتفكري في إيه؟ بتبتسمي وتكشري وتسرحي وتنتبهي. ما تشاركيني أفكارك يا حنين؟"

تنهدت وزفرت بضيق:

"مش كفاية عليك شاركتك حياتي؟ أفكاري سوداوية وهتضايقك."

اقترب أكثر منها، ليدق ناقوس الخطر:

"قولي أفكارك السوداوية، مش يمكن أقدر أغيرها؟"

تراجعت بعيدًا عنه كي تستطيع التقاط أنفاسها وغيرت الموضوع:

"يومك كان متعب ولا إيه؟ كانت إيه الرسمة اللي الراجل عايزك

ترسمها؟"

تقبل على مضض تغييرها لمجرى الحديث، وحكى لها عن يومه وهي تسمعه بانتباه إلى أن انتهى. فسألته بفضول:

"هتروح بكرة لسه؟"

نظر لعينيها يحاول جاهدًا فهمها:

"آه، أكيد، علشان أكمل."

لاحظ نظرة الإحباط في عينيها، وقبل أن يسألها قاطعهما طرقة خفيفة على الباب، تبعتها دخول قدرية مباشرةً:

"إيهاب؟"

ابتعدا عن بعضهما بتوتر لاحظته قدرية، التي علقت:

"مش هتتغدى يا حبيبي؟ انتظرت مراتك تطلع وتحط الأكل، بس لقيتها طنشت. فقولت أقوم أنا."

استغرب إيهاب اهتمام والدته، فهو غير معتاد منها على ذلك الاهتمام. ولكن حين أضافت جملتها الأخيرة فهم سر اهتمامها. فعلق بضيق:

"مراتي مش مطنشة ولا حاجة يا أمي. بنتكلم بس شوية. لاحظي إني النهار كله وأنا بره البيت، فأكيد أول ما أرجع مش هيكون تفكيري في الأكل."

علقت قدرية بتهكم واضح:

"أمال تفكيرك في إيه؟ في الرغي؟ آه، عشنا وشوفنا. على العموم براحتكم."

أغلقت الباب خلفها بعنف نوعًا ما. علقت حنين بعدها:

"مامتك مش طيقاني."

نظر لها ينفي:

"لا طبعًا. بتقولي إيه؟ هي بس شاكة إن في حاجة بينا ومش عارفة تفهمها."

حاجة زي إيه؟ قصدك إيه؟

"قصدي الاتفاق اللي بينا. هي عارفة وحاسة إن في حاجة مش طبيعية، بس هي إيه؟ ده اللي محيرها."

***

ثلاثة أيام كاملة قضتها حنين دون إيهاب.

فهو يخرج مبكرًا قبل أن تستيقظ من نومها، ويعود متعبًا آخر النهار، فيتعشيا سويًا ويسهرا قليلًا برفقة عائلته قبل أن يدخلا غرفتهما. يمر الوقت ثقيلًا وبطيئًا.

"تحبي تعملي إيه بكرة؟"

"انت خلصت خلاص؟ يعني انت أجازة بكرة؟"

لاحظ فرحتها وحماسها:

"أيوه، أجازة بكرة. قوليلي تحبي تعملي إيه؟ أو تقضي اليوم

إزاي؟"

فكرت لحظات:

"تعال نخرج، نقضيه كله بره؟ إيه رأيك؟"

وافقها بابتسامة:

"ماشي. برضه فين؟"

فكرت وفكرت قبل أن تجيبه بإحباط:

"مش عارفة. انت قول نروح فين؟ أنا مش عارفة أماكن يا إيهاب."

ابتسم ومد يده ليعيد خصلة من شعرها لمكانها:

"المكان نفسه مش هيفرق طالما مع بعض."

نبضات قلبها المضطربة لجملته البسيطة أربكتها، فابتعدت عنه بتوتر واضح. أما هو فتراجع، فهي تبتعد من أبسط لمسة. ابتعدت لمجرد أنه تجرأ ليعيد تلك الخصلة لمكانها.

"آه يا حنين، يا وجع القلب. فابتعادك وجع، وقربك وجع أكبر."

ساد الصمت لفترة مزعجة. هي تتمنى وصاله ولكن غير قادرة على الاقتراب منه. وهو يتمنى قربها ولكنها تنفر منه. أو ربما تصون عهدًا قطعته مع زوجها الأسبق.

حين تصل أفكاره لهذا الحد، يحس بالوجع ينخر في قلبه، فيبتعد بصمت عنها. فهي أبدًا لم تعده بالحب. بل كان اتفاقًا لعينًا هو وافق عليه.

لاحظت ابتعاده، فهمست تسأله:

"رايح فين؟"

نظر لعينيها بصدق:

"بحس إن وجودي بيوترك. بيضايقك؟ مش بتبقي براحتك يا حنين، وده بيضايقني، فبسيبك براحتك. خدي راحتك. ده بيتك ودي أوضتك. بعد إذنك. آه، لما تقرري المكان اللي حابه تروحيه بلغيني."

تمنت لو توقفه، تطلب منه أن يظل برفقتها، تنفي ما قاله عن أن وجوده يزعجها. لكنها لم تنبس ببنت شفة.

صعد إيهاب إلى السطح، مكانه المفضل.

جلس شاردًا يفكر في الغد وما يحمله. رن هاتفه، فرد على صديقه الوحيد خالد، الذي بدأ في الثرثرة عن نزولهم لفيلا جديدة غدًا وعن تعسف الأسطى طلعت معهم.

أغلق الهاتف بعد مدة من الثرثرة، ثم اتصل بالأسطى طلعت.

"خالد قال لي إنكم طالعين بكرة ڤيلا جديدة؟"

"أيوه يا إيهاب، طالعين. الراجل عايز يستلمها بسرعة، وكان عايزك، بس رفضت و..."

قاطعه إيهاب:

"ليه رفضت؟ أنا هنزل معاك بإذن الله."

استغرب طلعت:

"تنزل؟ يا ابني، مش كنت طالب أجازة؟ خُدلك أسبوع راحة، الشغل مش هيطير. ولو على الفلوس، أنا..."

قاطعه إيهاب:

"يا أسطى، صدقني لو محتاج فلوس هبلغك أكيد. بس أنا حابب أرجع شغلي. وقت ما أحتاج أجازة هبلغك. لكن دلوقتي أنا محتاج الشغل أكتر."

سأله بحيرة:

"طيب ليه؟ فهمني. انت متخانق مع مراتك؟ بتهرب منها؟ حاسس إنك اتسرعت؟ مش طايقها؟ فهمني يا ابني، مالك؟ ولو في مشكلة نحلها."

زفر إيهاب بضيق. فماذا يخبره؟

أيخبره أن زواجه أكذوبة كبيرة؟ أم يخبره أن زوجته لا تطيق تواجده في نفس المكان؟ أم يخبره أنه لم يعد يتحمل تواجده معها دون أن يقترب منها؟ أم يخبره أنها وجع كبير لقلبه الملتاع، وأنه يحاول الهرب من ذلك الوجع بعمله؟

انتبه من أفكاره على صوت طلعت:

"يا إيهاب، بكلمك. في إيه؟ قلقتني يا ابني."

ابتسم محاولًا أن يخرج صوته طبيعيًا قدر الإمكان:

"مفيش يا أسطى. بس الدراسة هتبدأ، وأخواتي مصاريفهم كتير. ودلوقتي بقى في حنين كمان. فلو كنت بشتغل قيراط، مطلوب

أشتغل 24 قيراط. مش عايز أحسس حنين إني مش قادر أصرف عليها أو على البيت. فاهمني يا أسطى؟"

استمع لتنهيدته قبل أن يجيبه:

"فاهمك يا ابني، وربنا يعينك. براحتك يا إيهاب. بس خليك عارف، لو محتاج تكون في البيت ويوميتك توصل، معنديش مانع والله يا ابني."

ابتسم إيهاب بعرفان:

"عارف والله يا أسطى. ربنا ما يحرمني منك أبدًا. بس هنزل معاكم بكرة إن شاء الله."

أغلق الهاتف. وبعد حيرة شديدة أرسل رسالة لحنين:

(نازل الشغل بكرة. معلش بقى، هنضطر نأجل الخروجة ليوم تاني. واهو فكري من دلوقتي تحبي تروحي فين؟)

وصلتها الرسالة لتفتحها بسرعة. لكنها صُدمت حين قرأتها: *(نازل بكرة؟ قولي إنك بتهزر؟)*

استغرب ردها:

(للأسف مش بهزر. نازل شغلانة جديدة، أو بمعنى تاني رجعت الشغل خلاص.)

قرأت حنين رسالته عدة مرات. لقد أنهى إجازته. لمعت دموعها وفكرت في ألف رد، لكنها لم تجرؤ على كتابة أي منهم. أغلقت الهاتف ودفنت نفسها في سريرها تبكي صمتها.

انتظر إيهاب أي رد منها، لكن نبهه الهاتف أنها لم تعد متصلة بالإنترنت.

أغلق هاتفه بدوره. فهي غير مهتمة أصلًا. أمسك قلمه وحاول أن يكمل تلك اللوحة دون جدوى، فأفكاره كلها منحصرة في حنين فقط. ذلك الوجع بقلبه يزداد بشاعة.

انتبه على أذان الفجر، ليتعجب أنه ظل الليلة بأكملها شاردًا أمام تلك اللوحة. قام مسرعًا للأسفل، دخل غرفته بهدوء كعادته. وجد حنين في سريرها نائمة. بدل ملابسه ونزل للصلاة.

بعد أن أغلق الباب، جلست حنين ومسحت دموعها. فهو لم يهتم حتى أن يتأكد إن كانت مستيقظة أم نائمة.

مر أسبوع آخر.

يتأخر فيه إيهاب يوميًا. وطوال ذلك الأسبوع، لم تسأله حنين ولو مرة واحدة عن سبب تأخيره. هو لا يريد وجودها ولا يريد الاحتكاك بها، وهي ستحترم رغبته. ألم تكن هي من طلبت منه ألا يتدخل أحدهما في خصوصيات الآخر؟

طلب منها والدها أن تأتي لزيارته يوم الجمعة، فهي إجازة للجميع.

وافقت حنين دون تفكير، فهي لم تعد قادرة على أن تظل حبيسة غرفتها النهار بأكمله دون زوجها. ولم تفكر أن الجمعة هي أيضًا إجازته.

في الليل، وقبل أن يخرج هو من الغرفة، أوقفته:

"بكرة الصبح هروح عند بابا أتغدى معاهم."

نغزة أصابت قلبه حين سمعها. التفت إليها بهدوء:

"ده سؤال ولا معلومة؟"

نظرت لعينيه وتمنت لو يرفض خروجها ويخبرها أنه سيظل معها النهار بأكمله. تمتمت:

"سؤال أو معلومة، هتفرق؟ عندك مانع إني أروح عند بابا؟"

تمنى لو يخبرها أنه يمانع ويمانع ويمانع، ولكنه ابتسم بمجاملة:

"براحتك طبعًا. أنا مين علشان أمانع؟ بعد إذنك."

أوقفته بعصبية:

"انت رايح فين؟ انت بتروح فين أصلًا؟ بترجع تاخد شاور وتخرج تسهر للفجر. بتروح فين؟ للدرجة دي مش طايقني؟ مش قادر حتى تقعد نتكلم كلمتين زي البني آدمين؟"

تعجب من هجومها. فهي من تبتعد كلما حاول الاقتراب منها. اقترب منها ووقف أمامها، لتتوه في عينيه:

"أنا معاكِ أهو وقدامك. اتكلمي معايا. قولي عايزة تقولي إيه؟ خلينا نتكلم زي البني آدمين." (انتظرها أن تنطق ولو حرفًا، ولكن نظراتها تقتله فعلق) "معندكيش حاجة تقوليها؟ تحبي أفضل معاكِ هنا في الأوضة؟ تحبي نسهر مع بعض؟ نخرج؟ نعمل أي حاجة؟"

صمت تام، ودموعها تلمع في عينيها. أغمض هو عينيه بوجع ثم نظر لها:

"عرفتي ليه بسهر بعيد؟ مش عارف أفهمك، ولا عارف انتِ عايزة إيه مني؟ ولا فاهم أي حاجة. بس اللي فاهمه إن وجودي بيضايقك. فببعد، وبحاول أخليكِ ما تحسيش إنك مترابطة في بيتك. لو في حاجة تانية في إيدي أعملها، قوليلي عليها. أنا هطلع، ولو أي حاجة عايزاها، ابعتيلي رسالة. بعد إذنك."

تركها لأحزانها ووجعها ودموعها، فقررت أن تذهب إلى بيت والدها من الآن ولن تنتظر الصباح.

بدلت ثيابها وأرسلت له رسالة:

(هروح عند بابا دلوقتي مش الصبح. مش حابة أصحى بدري، فهروح من دلوقتي.)

وصلته رسالتها ليُصدم حين قرأها. نزل مسرعًا إلى غرفته ليجدها قد استعدت بالكامل. فهي بالفعل تخبره من باب العلم بالشيء لا أكثر.

انتظرت اعتراضه، صراخه، منعه لها من الخروج في الليل. ولكن صدمته ألجمته، فنطق بفتور:

"هغير هدومي وأوصلك."

أوجعتها لامبالاته، فردت بفتور مماثل:

"طلبت أوبر. مش عايزاك توصلني."

تمنى لو يصرخ بها، لكنه تكلم بهدوء:

"طلبتِ أوبر؟ مش يمكن كنت أرفض خروجك بالليل؟"

نظرت لعينيه:

"ترفض ليه؟ هتمنعني أزور بيت بابا؟ انت ناسي الاتفاق بيننا؟ محدش يتدخل في خصوصيات التاني."

زفر بضيق، فهو يلعن ذلك الاتفاق كل يوم ألف مرة. وردد بضيق:

"مش ناسي الاتفاق الملعون ده، مش ناسيه يا حنين. اتفضلي طيب، هنزل معاكي لتحت لحد ما يوصل."

خرجا سويًا، فسألته والدته:

"على فين؟ وهي لابسة ليه وانت مش لابس؟"

أجابها ابنها:

"ما تشغليش بالك يا أمه."

لم يعطها فرصة لمزيد من الأسئلة وأغلق الباب خلفه. وقفا بصمت لحين وصول السيارة. اقترب إيهاب ليتأكد منها، ثم راقب زوجته وهي تبتعد بها.

نظرت حنين خلفها لتجده واقفًا مكانه.

فكرت لو توقف السيارة وتركض لتلقي نفسها بين ذراعيه. لكن قبل أن تتخذ ذلك القرار، أخذت السيارة منحنى ليختفي إيهاب من أمام عينيها.

استغرب والدها وصولها ليلًا، لكنه استقبلها بفرحة هو وحور، ورحبا بها كثيرًا. سلمت صابرين عليها وسألتها:

"جوزك فين؟ مجاش معاكي يعني؟ ولا مزعلك؟"

ردت بضيق:

"إيهاب مش مزعلني. بابا طلب مني أجي، وهو ما اعترضش."

"وهو ده بقى الحلو عندك؟ لا يقولك رايحة فين ولا جاية منين؟ صح كده؟ أمجد كان وحش علشان بيحبك وبغير عليكِ. لكن ده حلو علشان مش فارقة معاه؟ ده اللي عاجبك؟"

رد عبد القادر عن ابنته:

"وهو ده يتقارن بده برضه؟ وبعدين، هو علشان سمحلها تيجي عند بيت أبوها تبقى مش فارقة معاه؟ اسكتي يا صابرين وما تتكلميش، يا ريت." (نظر لابنته بتحذير) "لو منعك مرة واحدة تيجي لعندي، هطلقك منه."

علقت حور باستغراب:

"ليه يعني يا بابا؟"

"ليه؟ انتِ بتسأليني بجد ليه؟ علشان المفروض إن بيت الأب والأم خط أحمر، ما يتقالهمش لأ أبدًا."

دخلت حنين غرفتها باشتياق.

ولكن بمجرد ما استقرت بها، نظرت لتوقيعه على الحائط ورسمته، وتمنت لو رفض خروجها.

قضت ليلة متوترة، وفي الصباح تناولت الإفطار في رفقة ممتعة مع والدها وأختها.

أمسكت هاتفها تتفقد رسائلها، علها تجد رسالة منه. دق قلبها حين وجدت اسمه. فتحت الرسالة بسرعة لتقرأ:

(كم مؤلم ذلك الفراغ الذي يتركه البعض خلفهم.)

قرأتها عدة مرات. فهي لا تفهمه. هل يقصدها هي؟ أم يقصد نفسه، فهو من يتركها يوميًا نهارها بأكمله وكذلك الليل؟

أخيرًا، بعد أن فشلت في فهمها، أرسلت:

(أي فراغ تقصد؟)

حين وصلت رسالتها، فتحها بلهفة. بعدها صور غرفتهما الفارغة وأرسلها.

نظرت للصورة طويلًا ثم كتبت بتهكم:

(آه، قصدك الفراغ اللي انت بتسيبني فيه كل يوم؟)

قرأ رسالتها عدة مرات؛ أهي تشعر بالفراغ دونه؟ قلبه وعقله يصرخان من الحيرة. أحس بالغضب داخله، فهي تتهمه حين يبتعد وتتهمه حين يقترب. كتب بسرعة:

(أي فراغ بتتكلمي عنه؟ ها؟)

ردت بضيق هي الأخرى:

(سيادتك بتسيبني كل يوم وتنزل.)

كتب:

(سيادتي بنزل شغلي. معنديش رفاهية إني أقعد كتير بالبيت،

وخصوصًا من غير سبب.)

تضايقت حنين من جملته:

(من غير سبب؟ انت مش شايف إن في سبب تفضل في البيت علشانه؟)

(لا مش شايف يا حنين. بدليل إن يوم أجازتي الوحيد اللي هقعده في البيت، هربتي فيه لبيت أبوكِ.)

حين قرأت رسالته، اتسعت عيناها وكررت تلك الكلمة:

"أجازته الوحيدة؟"

لمَ لم يخبرها أن اليوم إجازته؟ كتبت بضيق:

(والمفروض إني أضرب الودع وأعرف إن النهارده إجازتك، صح؟)

هنا كان دوره في الصدمة، هل فعلًا لم تكن تعلم أن اليوم إجازته؟

كتب بسرعة:

(النهاردة الجمعة.)

كتبت بسرعة أكبر:

(كنت بتيجي الجمعة عندنا البيت ولا نسيت؟)

تذكر فعلًا أنه سبق وصلى الجمعة برفقة والدها. فكر مطولًا في رد، ولكنه لم يجد ما يكتبه، فكتب:

(وبعدين؟)

كتبت:

(معرفش وبعدين، دي عندك.)

فكر كثيرًا قبل أن يكتب:

(آجي أخدك؟)

فكرت في الموافقة، لكنها تساءلت بم ستخبر والدها؟

(بابا منتظرني أتغدى معاه، ومش عايزة أزعله.)

كتب:

(مش عايزة تزعليه هو، لكن أنا عادي.)

تراجع قبل أن يرسلها ومسحها، ثم كتب:

(وقت ما تبقي عايزاني آجي أخدك، بلغيني. ده اللي أقدر أقوله.)

قبل أن تكتب الرد، طرقة خفيفة على غرفتها تبعها دخول والدها مبتسمًا:

"مش هنتغدى يا حنون ولا إيه يا بابا؟"

ابتسمت بسرعة وهي تضع الهاتف من يدها:

"نتغدى طبعًا، يلا بينا."

وضع ذراعه حولها باشتياق:

"مش كنتِ وافقتِ أكلم إيهاب يتغدى معانا؟"

ندمت حين رفضت طلب والدها، لكنها علقت بابتسامة:

"المرة الجاية إن شاء الله." (أضافت كذبًا) "بعدين هو في الشغل، بس قال هيخلص بدري ويجي ياخدني."

علق والدها بفضول:

"هو نزل الشغل من إمتى؟ مش قال واخد أجازة؟"

علقت بمرح:

"أخد أجازة بس مش كتير. بيقولي..." (حاولت تقليده بمرح) "أنا مش حمل رفاهية الأجازة يا حنين."

ضحك والدها لتقليدها إياه:

"ربنا يخليكم لبعض. المهم، الأمور ما بينكم تمام؟"

شردت قليلًا قبل أن تجيبه:

"الحمد لله."

لاحظ والدها شرودها، فأوقفها:

"حنين، انتِ لسه واخدة جنب منه؟ لسه عايشين كاتنين أصحاب؟ ولا زمايل؟ ولا مش عارف عايشين مع بعض إزاي؟"

حاولت طمأنة والدها دون جدوى، فعيناها فضحتها أمامه، ومهما أخبرته إلا أنه واثق تمام الثقة أن الأمور بينهما ما زالت معقدة.

بعد الغداء، جلست مع والدها بناءً على طلبه.

"حنين، تحبي تروحي لدكتور نفسي؟"

نظرت له بصدمة ورددت:

"دكتور نفسي؟ ليه؟ حضرتك شايفني مجنونة؟"

استغرب والدها:

"وهو الدكتور النفسي للمجانين بس يا حنين؟ انتِ مريتي بتجربة سيئة ومحتاجة تتكلمي عنها. وطالما مش هتتكلمي معايا ولا مع إيهاب، فاتكلمي مع دكتور نفسي يخرجك من..."

قاطعته بضيق:

"يخرجني من إيه؟"

أجابها:

"من الأسوار اللي بنيتيها حواليكِ ورافضة حد يقتحمها. ليه ما سمحتيش لجوزك يقرب منك لحد النهاردة؟"

علقت باندفاع:

"مش يمكن هو اللي مش عايز يقرب؟ ليه افترضت إنه أنا؟"

أجابها:

"علشان واضح إنه بيحبك يا حنين. وعلشان كده عمره ما هيقرب بدون إذن منك."

هربت حنين من الحوار:

"أنا هروح بقى يا بابا. إيهاب على وصول، ويدوب أستعد. بعد إذنك."

تركت الغرفة وأرسلت رسالة لزوجها:

(تعال خدني بقى.)

قرأت الرد سريعًا:

(انزلي، أنا تحت منتظرك.)

استغربت وكتبت بحيرة:

(تحت؟ إزاي؟)

زفر وهو يقف مستندًا على دراجته، فهو لم يستطع الانتظار في البيت بعدما أخبرته أنها لم تعلم أن اليوم إجازته:

(تحت، لسه واصل. انزلي. مش اتغديتي ولا لسه؟ والدك بيتغدى بدري علشان أدويته، صح؟ ولا ذاكرتي خانتني؟)

ابتسمت وكتبت:

(لا، ذاكرتك مخانتكش. اديني خمسة ونازلة.)

ارتدت ملابسها بسرعة وعدلت حالها أمام المرآة.

قاطعها دخول حور:

"ما تيجي يا حنين نطلع نتمشى شوية؟"

علقت حنين وهي تضع أحمر الشفاه:

"إيهاب وصل خلاص. وقت تاني يا حور."

علقت بضيق:

"يوووه. قوليله يمشي وخليكِ معانا النهاردة. بلاش تخليه هو

يمشي كلامه و..."

قاطعتها حنين وهي تنظر إليها:

"إيهاب النهاردة إجازته، وأنا سيباه من امبارح. فكفاية كده، ولا إيه؟ إيهاب مش بيمشي كلامه. إيهاب بيشوف أنا عايزة إيه ومحتاجة إيه وبيعمله بحب وبطيب خاطر. بعدين، تعالي عندي ونخرج نتمشى. لسه فاضلي أسبوع في إجازتي. خلصي شغل وتعالي عندي."

علقت حور:

"ماما رفضت آجي عندك، وقالتلي علشان أهله وكده."

تضايقت حنين من والدتها. اقتربت من أختها:

"تعالي في أي وقت يا حور. محدش بيتكلم، ولا حد يقدر يتكلم أصلًا. سيبك من كلام أمك. يلا أنا هنزل علشان إيهاب. سلام."

ودعت أهل البيت ونزلت مسرعة لتجده بانتظارها.

فكرت في إلقاء نفسها بين ذراعيه، فلقد اشتاقت له. اقتربت منه، ليقف هو معتدلًا حين اقتربت.

وقفت أمامه بحيرة، كيف تسلم عليه؟ فاقترب هو مقبلًا وجنتها بهدوء، وهمس في أذنها:

"وحشتيني."

نظرت لعينيه لتجد ذلك الحب الذي تتمناه:

"ولما وحشتك، نزلت شغل وسيبتني طول الوقت لوحدي ليه؟ إيهاب، انت ليه بجد بتسيبني؟"

نظر لعينيها مسلوب الإرادة:

"علشان..." (أمسك ذراعيها وحرك يديه بطولهما) "علشان قربك نار بتحرق، وبعدك نار. وبقيت تايه في النص يا حنين. عرفيني، انتِ أقرب ولا أبعد؟"

راقبهما عبد القادر من الأعلى، وابتسم حين لاحظ ذلك الحب بينهما.

وتمنى أن تسمح ابنته لزوجها بتخطي الأسوار العالية التي شيدتها حول قلبها.

ركبت حنين خلفه لأول مرة بعد زواجهما.

تمسكت به، وبعد ما تحرك، لفت ذراعيها حوله وأغمضت عينيها، فلقد اشتاقت فعلًا لقربه منها.

انتبهت على وقوفه أمام مقهى صغير:

"تحبي نشرب حاجة؟"

تلفتت حولها ووافقت. دخلا سويًا، وبهدوء أمسك يدها وضمها بيده. فأغمضت عينيها باشتياق لضمة قلبه، لا يده.

آخر النهار وصلا بيتهما لتستقبلهما قدرية قائلة بسخرية:

"يا أهلًا بالعروسة اللي طالعة تبات بره بيتها."

نظرت حنين إلى زوجها، الذي أجاب عنها بهدوء:

"راحت بيت أبوها، ما راحتش أي مكان. وبعدين يا أمه، براحتها."

اعترضت والدته بحدة:

"يعني إيه براحتها دي؟ متجوزاك علشان تبقى براحتها يعني ولا إيه؟"

وقف إيهاب في وجه والدته بصرامة:

"براحتها يعني براحتها. مش هنرغي كتير. هي حرة، مش متجوزها علشان أحبسها ولا أمنعها تزور أهلها. فـوقت ما تحب تزور أبوها، مش هقولها لأ. أعتقد كلامي واضح؟"

أمسك يد زوجته ودخل بها إلى غرفتهما وأغلق الباب خلفهما. علقت بقلق:

"مش عايزة أعملك مشاكل مع والدتك وتتخانقوا بسببي."

رفع ذقنها برفق وقال:

"ما تشغليش بالك بأمي. ده الطبيعي بتاعنا أنا وهي، بسبب وبدون سبب. أصلًا بستغرب لو ما اتخانقتش معايا."

همّ بالخروج من الغرفة، ولكن أمسكت ذراعه:

"رايح فين تاني؟"

ابتسم بحرج:

"هسيبك تغيري هدومك براحتك."

تراجعت بسرعة محرجة. علق بابتسامة مطمئنة:

"طيب، هطلع البلكونة لحد ما تغيري براحتك."

غيرت ملابسها بسرعة وخرجت لتقف بجانبه تراقب الشارع. قالت بمرح:

"تعرف، حفظت الناس دي كلها."

ابتسم وأدار ظهره للشارع مستندًا إلى السور:

"حفظتيهم إزاي؟"

أشارت إلى السوبر ماركت وقالت:

"صاحب السوبر ماركت ده بيفتح الساعة 8 الصبح، ولازم يرش مية قدام المحل. بعدها يحط كرسيه ويمسك جرنان يقلب فيه كل يوم. هو بيجيب الجرايد دي منين؟"

ضحك إيهاب:

"لسه يا بنتي بتتوزع. مش كل الناس بتمسك فون. لسه في ناس قديمة بتحب تقرأ الجرايد. عرفتي مين تاني؟"

أشارت إلى منزل مجاور وقالت بمرح:

"البيت ده فيه بنوتة بتطلع كل شوية تنشر غسيل، تلم غسيل، المهم تعمل أي حاجة. وبالمتابعة والتفحيص والتمحيص، تبين إنها معجبة بشاب في البيت اللي في وشها. بتخترع حجج كتير علشان تطلع وتشوفه. وهو شكله بيحب نفسه بالفنلات أوي. دايمًا يطلع بفانلة، ما تفهمش ليه؟ هل المفروض بيغريها؟ كنت عايزة أقوله: يا

أهبل، شكلك أهبل بالفانلة."

ضحك مجددًا وهو يزيحها للداخل:

"شكلي هقفل البلكونة دي بالضبة والمفتاح، طالما وصلت للفانلات."

صمتت حنين فجأة، وتذكرت ذلك اليوم حين رجع أمجد من الخارج.

كانت تنشر الغسيل بالشرفة وهي بانتظاره، وحين دخل، شرع في ضربها حتى غابت عن الوعي.

تغير لونها وابتعدت عن إيهاب، الذي لاحظ تغيرها وسألها بقلق:

"مالك يا حنين؟"

نفت بسرعة:

"مفيش، عادي."

تذكرت إغلاق أمجد لكل الشبابيك والأبواب وحبسها وتقييدها. أحست بالهواء ينقص في رئتيها واضطرب تنفسها. وضعت يدها على رقبتها وهي تتنفس بصعوبة. اقترب منها وقال:

"حنين، مالك؟"

حين لمسها، أزاحت يده بعنف وقالت:

"ما تلمسنيش لو سمحت. وافتح باب البلكونة دي، علشان هتخنق."

فتح الباب بسرعة وأزاح الستائر ليدخل الهواء نسيمًا. جلست على

الأرض أمام الباب، وجلس هو على الأريكة بعيدًا عنها يراقبها بصمت.

أحس أنه يحارب في معركة خاسرة.

فهو يحارب شبحًا لا يراه. هي تعاني وتتألم بصمت، وهو يراقبها بوجع لا تشعر به. إلى متى سيظلان في تلك الدوامة؟

بتردد، وقف ثم حسم أمره.

اقترب منها وجلس خلفها على الأرض. وضع ذراعيه حولها، وحين حاولت مقاومته، أمسك يدها ورفعها أمام وجهها، مذكرًا إياها بما كتباه على خاتم الزواج:

"دمتِ لي سندًا."

قال بهدوء:

"جميلًا أي سند اللي هيقف يتفرج عليكِ بالشكل ده؟ اسمحيلي أكون السند ده."

لم تقاومه، بل استكانت بين ذراعيه.

وضعت رأسها على صدره واسترخت تمامًا، وهي تحاول غلق باب الذكريات الأليمة.

استنشقت عطره الرجولي والتفتت قليلًا كي تخبئ نفسها بين ذراعيه وتضيع في حضنه للأبد.

ضمها هو أكثر وأكثر، وتمنى لو يدخلها داخل ضلوعه. استمتع بقربها وتمنى لو تظل هكذا أبد الدهر بين ذراعيه.

رفعت رأسها قليلًا كي ترى عينيه. تقابلت نظراتهما، وتمنت لو يقبلها مجددًا كما قبلها ليلة زفافهما.

اقترب هو منها، وعقله يذكره برد فعلها تلك الليلة. لكنها أمامه الآن. "فليغتنم الفرصة"، فكّر.

حين لمس شفتيها، طرقة على الباب أعادتهما للواقع.

ابتعد عن شفتيها، يلعن حظه، بينما سمح للطارق بالدخول.

دخلت هبة أخته لتجدهما على الأرض وعلقت مبتسمة:

"العشا جاهز يا هوبا. يلا يا حنون. ولا تحبوا أجيب العشا هنا؟"

وقفت حنين بسرعة:

"لا يا حبيبتي، هنخرج."

تركتهما هبة، بينما وقف إيهاب ينظر إلى حنين.

ارتبكت واعتذرت:

"آسفة على اللي حصل من شوية، بس..."

قاطعها:

"بتعتذري على إيه بالظبط؟ مش عايز اعتذار لو سمحتي. يلا نتعشى."

قبل أن يخرجا، أمسكت يده وقالت بتوتر:

"كنت هعتذر على رد فعلي، بس عايزاك تعرف... الولد ده عيل ممكن يكون في ثانوي."

احتار إيهاب عن أي ولد تتحدث:

"ولد إيه؟ بتتكلمي عن إيه؟"

علقت حنين بتوتر:

"الولد أبو فانلة اللي قولت هتقفل باب البلكونة علشانه. ده مجرد عيل، وأنا مش ببصله ولا..."

قاطعها مذهولًا:

"بتتكلمي في إيه يا حنين؟ أنا كنت بهزر مش أكتر. بعدين، أنا عارف كل الجيران حواليا. الولد ده عيل في ثانوي فعلًا. وبعدين، أنا ما بشكش فيكِ علشان تبرري. آه، بغير إنك تشوفي حد بفانلة، حتى لو عيل، بس ما بشكش فيكِ. يلا نتعشى وبلاش الهبل اللي بتقوليه ده."

تعشيا سويًا وهي تفكر في الفرق بين غيرته وغيرة أمجد.

انتبهت له يسألها:

"حننوووون؟"

نظرت إليه بدهشة لتلاحظ أنهما بمفردهما:

"نعم؟"

"بقولك شبعتي، ولا هنفضل قاعدين نبص للأكل كتير؟ الكل قام وسابونا لوحدنا."

وقفت تجمع الأطباق:

"الحمد لله أكلت."

وقف يساعدها، فحاولت منعه ولكنه أمسك يدها وقال:

"سيادتك مش مطلوب منك تشيلي الأكل أصلًا."

في المطبخ، بعد تنظيف السفرة، كانت حنين ترتب الأطباق وتغسلها.

حاولت وضع طبق في مكانه، ولكن الرف كان عاليًا، فأخذه إيهاب من يدها ووضعه مكانه بسهولة، وهو يقف خلفها.

نظرت لعينيه، فاقترب منها ووضع يديه حول خصرها. مالت عليه، فقبّل وجنتها برقة. لم تعترض، بل لفت وجهها أكثر لتسمح له بتقبيل شفتيها.

اقترب منها أكثر، ورفعت يدها إلى وجهه لتعلمه أنها توافق. لمس شفتيها برقة، وقبل أن يتعمق في قبلتهما، دخلت والدته تهتف:

"إيهاب!"

ابتعدا عن بعضهما بسرعة. نظر إيهاب لوالدته، التي علقت:

"عايزة أشرب شاي... ولا ممنوع؟"

جلى إيهاب حنجرته وقال:

"ما تشربي يا أمه، هو حد منعك؟"

ردت بتهكم:

"ماهو سيادتك في المطبخ وفاكره أوضة النوم."

طأطأت حنين رأسها بخجل واختبأت خلفه، بينما علق هو:

"عايزة إيه يا أمه؟ الشاي؟ حاضر هعملهولك. عايزة حاجة تانية؟"

نظرت والدته لحنين خلفه وقالت:

"آه. تفتكر إن أختك في البيت وأخوك مش لوحدك هنا، علشان تاخد راحتك أوي."

رد إيهاب بتهكم:

"وده غلط مين، هاه؟"

خرجت والدته هاربة:

"لا، أنا مش حمل مناهدة ودماغي مصدعة."

بعد خروجها، سألت حنين بصوت متحشرج:

"أمك بتحب الشاي إزاي؟"

أمسك إيهاب بيديها وقال:

"ينفع تدخلي انتِ أوضتك بقى ترتاحي، وأنا هعملها الشاي."

حاولت الاعتراض، لكنه أصر عليها. دخلت إلى الغرفة تنتظره، وطال انتظارها حتى غفت تمامًا.

عاد إيهاب إلى غرفته بعد فترة طويلة، فوجدها غارقة في النوم. والدته كانت قد طلبت منه شراء بعض الأدوية للصداع والضغط المرتفع، وأصرت أنها متعبة. أخبره مازن أن ضغطها مرتفع فعلًا وتحتاج أدويتها بسرعة.

في مكان آخر، كان زهير وسارة يقضيان سهرة رومانسية.

ازداد تعلق سارة بزهير يومًا بعد يوم. ترجتها أمها أن تخبره عن هشام وعلاقتهما، لكنها رفضت تمامًا.

في إحدى السهرات، أخذها زهير إلى مطعم راقٍ جدًا. تناولا العشاء على ضوء الشموع، ثم رقصا سويًا على أنغام موسيقى ناعمة.

بعد انتهاء الرقصة وعودتهما إلى الطاولة، أخرج زهير علبة صغيرة وقال:

"سارة..."

لمحت العلبة، فانتفض قلبها يدق بعنف، وخصوصًا حين لمع ذلك الفص الألماس. نظرت لزهير بذهول، غير قادرة على النطق.

همس بحب:

"ينفع تسمحيلي أحط الخاتم ده في إيدك؟ عدتك قربت تخلص، وناوي نتجوز أول ما تخلص، بإذن الله. قولتي إيه؟"

لم تستطع النطق، فأشارت برأسها موافقة ومدت يدها له. أخرج الخاتم من مكانه ليزين إصبعها.

نظرت للخاتم بذهول، ثم ألقت نفسها بين ذراعيه، ليضمها وهو يضحك لجنونها.

بعد لحظات، نظرت سارة للخاتم بإعجاب واضح. علق زهير مبتسمًا:

"عجبك الخاتم؟"

هتفت بحماس:

"طبعًا عجبني! أنا مش عارفة أصلًا أقول إيه؟ زهير، أنا... أنا مش لاقية كلام أقوله."

ابتسم وأمسك يدها وقبّلها برقة متناهية:

"قولي بس إنك بتحبيني. مش عايز أسمع غيرها."

هتفت بسرعة:

"بحبك بس؟ أنا بعشقك وبموت فيك وبحبك، وكل حاجة ممكن تتقال هقولها يا حبيبي."

هتف بحب:

"بجد؟ حبيبك؟"

اقتربت منه وقالت:

"حبيبي وروحي وقلبي ودنيتي كلها. زهير، أنت النور اللي دخل حياتي، نورها وبدد الضلمة اللي فيها. أنت طاقة النور اللي نورت دنيتي. أنت لا يمكن تتخيل بحبك قد إيه."

ابتسم وقبّل يديها الاثنتين:

"وأنتِ اللي لا يمكن تتخيلي بحبك قد إيه."

في نهاية السهرة، رافقها زهير إلى بيتها.

قبل أن تدخل، أمسك يدها وقبّل وجنتها وقال:

"بعد الأيام لحد ما تنتهي العدة دي وتدخلي بيتي."

ابتسمت وقالت:

"وأنا كمان. ربنا يسامح أبويا، لو مكنش غصبني على الجوازة الزفت دي، كنت هتبقى أول راجل..."

قاطعها واضعًا أصبعه على شفتيها:

"هعتبر نفسي أول راجل في حياتك، والزفت ده مجرد كابوس. كابوس مزعج، ويكفيني إني أول حب في حياتك."

في مكان آخر، كانت هايدي تقضي السهرة برفقة علاء وبعض أصدقائه.

بعد انتهاء السهرة، تنفست الصعداء حين وصلت إلى بيتها. خرجت من سيارته وتحركت لتعبر الطريق، بعد أن أصرت أن يكمل طريقه دون أن يوقفها أمام بيتها مباشرة.

بينما هي تعبر الطريق، لاحظ علاء سيارة مسرعة تترنح في مشيتها. خرج بسرعة وركض نحوها، يصرخ باسمها ويزيحها عن الطريق وهو يضمها بين ذراعيه، مستديرًا بجسده ليحميها.

مرت السيارة بجانبهما بسرعة دون أن تتوقف. كانت هايدي لا تزال مصدومة مما حدث.

اقترب علاء ودلّك ذراعيها بلطف، قائلاً بلهفة:

"هايدي، أنتِ كويسة؟ ردي عليا!"

كررها عدة مرات. وما هي إلا لحظات، حتى خرج والدها مرعوبًا،

يصرخ باسمها:

"هايدي؟"

نظرت هايدي لوالدها وألقت نفسها بين ذراعيه، لتجهش في البكاء. ربت عليها برفق، ثم نظر إلى علاء وسأله:

"إيه اللي حصل؟ أنا سمعت صوت العربية، وسمعتك بتصرخ باسمها."

خرجت داليا هي الأخرى، وقدماها بالكاد تحملانها. حين رأت ابنتها واقفة على قدميها، جلست على الأرض تبكي. توجه علاء نحوها ليساعدها على الوقوف، وقال:

"هايدي بخير يا ست الكل. قومي من الأرض." (نظر تجاه هايدي ووالدها وأضاف) "يا جماعة، الحمد لله، عدت على خير."

صعد الجميع إلى الأعلى، وساعد علاء داليا لتسترخي.

حضر كوبًا من الماء لتهدئتها، بينما راقبته هايدي وقد تغيرت نظرتها له كليًا. لأول مرة، رأته بعين المحب. فلقد كان مستعدًا للتضحية بحياته لأجلها.

لاحظ محمود نظرات ابنته وسألها:

"إيه اللي حصل يا هايدي؟"

أجابت والدها:

"معرفش. أنا نزلت من العربية ومعتمدة إن الوقت متأخر ومفيش عربيات، فعديت من غير ما أبص حواليا. ما شوفتش العربية دي

أصلًا، بس سمعت علاء بينادي اسمي ويحذرني. مش فاهمة من إيه؟" (نظرت تجاه علاء) "أنت كان ممكن العربية تخبطك. اللي سايق مكنش طبيعي أبدًا. إزاي تخاطر بحياتك بالشكل ده؟"

نظر لوالديها بحرج ثم لها:

"حياتي إيه وحياتك إيه يا هايدي؟ انتِ هتبقي مراتي."

لم تفهم مقصده من تلك العبارة، فما بال الزواج بتضحيته بحياته؟ سألته بحيرة:

"يعني إيه هبقى مراتك؟"

نظر لوالدها مجددًا بحرج، فهي تصر أن يفصح عن مشاعره أمام والديها:

"هايدي هتبقي مراتي يعني هسلمك روحي ونفسي واسمي وكل حاجة، وانتِ كمان بتسلميني روحك. فلو مش هقدر أحافظ عليها أو أفديها بروحي لو تطلب الأمر يبقى في حاجة غلط."

تفتحت براعم الورود بقلبها وبدأت تزدهر، وأحست بتلك القشعريرة اللذيذة تغزو جسدها. انتبهت على والدتها التي تقف:

"أنا محتاجة أرتاح شوية، بعد إذنك يا علاء."

وقف علاء بدوره:

"أنا هروح أصلًا، الوقت متأخر وكلكم محتاجين ترتاحوا."

تضايقت داليا، فهي وقفت كي تتيح له التحدث بحرية مع ابنتها، فهي بحاجة أن تثق فيه أكثر وتفتح قلبها له أكثر. وقف محمود هو

الآخر يودعه، ولكن أمسكت زوجته بذراعه:

"ساعدني أدخل أوضتي يا محمود، وهايدي هي هتوصل علاء للباب وتسلم عليه قبل ما يمشي."

استأذن محمود منه، وقد فهم غرض زوجته.

اقترب علاء من هايدي، أمسك يدها وقبّلها برفق:

"بتسأليني يعني إيه مراتك قدام أبوكي؟ مش عارفة يعني إيه مراتي؟"

همست بتيه وهي تهيم عشقًا جديدًا يغزوها:

"يعني إيه؟ طيب فهمني."

همس بحب واضح في عينيه:

"يعني حتة من قلبي يا هايدي. معرفش إزاي وإمتى حبيتك للدرجة دي، بس انتِ بقيتي روحي اللي عايش بيها. بتقوليلي إزاي بقف قدام العربية؟ بقف لأن روحي كان ممكن تروح مني، فحياتي ملهاش قيمة لو مش هي معايا. فلو عمرنا انتهى يبقى ينتهي مع بعض."

حركت رأسها برفض:

"انت بتقول إيه؟ طبعًا لأ، وبعدين..."

وضع يده على فمها:

"بعدين إيه؟ أنا بحبك يا مجنونة، بحبك، مستوعبة يعني إيه

بحبك؟ يعني..." (أمسك يدها بعنف ووضعها فوق قلبه النابض) "قلبي ده بقى بينبض باسمك انتِ، وعلشانك انتِ، وليكِ انتِ وبس. بحبك."

أغمضت عينيها وهي تتذكر حديث صديقتها دعاء حين أخبرتها أنه بموقف ما تعلمين أن هذا هو الشخص المنتظر. بالفعل، علاء هو من انتظرته طوال السنوات الماضية.

فتحت عينيها تنظر له، وتتعجب من ذلك الحب الذي يغزو القلب فجأة دون استئذان. تذكرت حنين صديقتها وحبها لإيهاب واتفاقها السخيف معه، كيف تقضي أيامها ولياليها وهو أمام عينيها زوجًا دون أن يكون لها حق الاقتراب منه؟

رفعت يدًا مرتعشة وضعتها على وجهه وابتسمت:

"انت نعمة جميلة أوي ربنا أنعم عليا بيها."

ابتسم وأمسك يدها وقبّلها، ثم همس:

"انتِ اللي أجمل نعمة في حياتي يا هايدي. سنين وأمي بتطلب مني أتجوز، وكل ما أشوف واحدة ألاقيني بنفر منها، ومش عارف أنا عايز إيه أو منتظر إيه. وأمي تسألني: طيب مواصفتها إيه؟ طيب منتظر إيه؟ مكنتش عارف إني منتظرك انتِ. اللحظة اللي عيني وقعت عليكي، قلبي دق وقالي هي دي اللي انت منتظرها."

ابتسمت ولمعت عينيها بدموع الفرحة:

"أنا كمان كنت منتظراك. كذا سنة مش قادرة أتقبل أي حد، ولا أوافق على أي حد. وبابا وماما بيسألوني: طيب بترفضي ليه؟ عايزة

إيه؟ مكنتش بلاقي إجابة، بس دلوقتي عرفت كنت برفض ليه وعرفت عايزة إيه."

همس يسألها:

"عايزة إيه؟"

ابتسمت وهي تقترب ليضمها:

"عايزاك انت."

ضمها بحب لقلبه وهمس في أذنها:

"وأنا عايزك انتِ."

رفعت رأسها:

"قولي إنك بتحبني تاني."

ابتسم وهمس في أذنها:

"بحبك بحبك بحبك. هفضل أقولها لحد ما تقوليلي خلاص زهقت منها."

ضحكت:

"لا يمكن أزهق من الكلمة دي أبدًا."

قاطعهما صوت مفتاح في الباب، فابتعدا عن بعضهما، ليدخل بعدها معتز، فيرحب بعلاء ويستغرب أنهما بمفردهما:

"فين بابا وماما؟"

ردت هايدي:

"لسه داخلين يدوب."

توجه علاء للباب:

"طيب هشوفك بعدين يا هايدي. يلا، تصبحي على خير."

علق معتز مازحًا:

"انت ماشي علشان أنا رجعت ولا إيه؟"

ابتسم علاء:

"لا، ليه يعني؟ بس الوقت اتأخر، وأنا طلعت أوصلها بس. تصبحوا على خير."

خرجت هايدي معه للباب وهمست:

"سوق على مهلك يا علاء، علشان خاطري."

ابتسم وهو يشعر بالحب يرفرف فوقهما:

"حاضر يا قلب علاء وروحه."

قبّل يدها مجددًا قبل أن يتركها ويرحل. دخلت في حالة هيام ليوقظها أخوها:

"إيه يا بت؟ عاملة كده ليه؟ فرق إيه علاء عن غيره يعني؟ ما هو كان عادي. اشمعنى النهاردة شايف فراشات وقلوب فوق راسك بتحوم؟"

ابتسمت هايدي:

"تصبح على خير يا معتز."

استغرب موقفها ودخل خلفها:

"بت، فهميني."

خرجت داليا على صوته:

"انت رجعت يا معتز؟ علاء روح؟"

أجاب والدته، ثم سألها:

"البت دي عاملة كده ليه؟"

قصت له والدته ما حدث منذ قليل، فزادته حيرة، فهو لم يفهم ما علاقة الحادث بحالة الحب التي أصابت أخته.

دخل لإخته يطمئن عليها، ثم سألها بفضول:

"هايدي، ليه؟"

نظرت باستغراب:

"ليه إيه؟"

اقترب منها:

"ليه حاسس إنك أول مرة تحبي علاء النهاردة؟"

ابتسمت وعلقت بتفكير:

"حاسة إني بحبه من سنين، مش النهاردة بس. قبل كده سألنا دعاء صحبتنا: إزاي بتعرفي إن الشخص ده هو المناسب؟ قالتلنا:

في موقف معين بيحصل بيعرفك إن هو ده الإنسان اللي مستعدة تعيشي وتموتي معاه. مفهمناش وقتها قصدها، بس النهاردة لما شفت علاء مستعد يموت حرفيًا علشاني، قلبي نبض وصرخ وقالي: هو ده الشخص اللي نعيش ونموت معاه. الشخص اللي حياتك بالنسبة له أهم من أي حاجة، حتى منه هو شخصيًا. مش عارفة إزاي أفهمك، بس النهاردة اكتشفت إني كل السنين اللي فاتت كنت منتظراه هو."

علق هو بحيرة:

"يعني الواحد يوريها إنه مستعد يموت علشانها، فهي تحبه؟ أووف، إيه الموضوع الرخم ده؟"

نظرت هايدي لأخيها بحيرة:

"انت بتقول إيه؟ توري مين؟"

وقف مبتعدًا:

"حمد الله على السلامة. تصبحي على خير. نامي شوية."

تركها متوجهًا إلى غرفته، وهو يفكر بحور وكيف يقنعها باستعداده للتضحية بحياته في سبيلها. ولكن، هل هو حقًا مستعد للتضحية بحياته لأجلها؟

2

استيقظت حنين من نومها فجأة وهي متعجبة كيف غرقت في النوم، فهي كانت بانتظار عودة زوجها. تلفتت حولها لتتفاجأ بالشمس ساطعة. نظرت إلى ساعة هاتفها بإحباط؛ فالوقت تأخر، وزوجها قد توجه إلى عمله منذ وقت طويل. أحست بملل رهيب وفكرت بالاتصال به. أمسكت هاتفها، وقبل أن تتصل، رن هاتفها لتجد صديقتها تهتف بحماس وتسلم عليها، ثم انطلقت تقص عليها ما حدث بالأمس وكيف دق قلبها لأول مرة. استمعت حنين بهدوء وابتسامة تزين وجهها، فهي تعلم ذلك الشعور جيدًا.

انتبهت على سؤالها:

حنين، انتِ عاملة إيه مع إيهاب؟ لسه بعيدة عنه؟ لسه على الاتفاق الغبي؟

تنهدت بألم:

مش عارفة يا هايدي أتخطى الاتفاق ده. كل ما آجي أنطق ألاقي نفسي اتخرست. مش عارفة في إيه؟ إزاي أقرب منه؟ مش عارفة.

صاحت هايدي:

يا ستي، ما تقربيش انتِ. اسمحيله هو بس يقرب. لو عطيتيه ضوء أخضر هيقرب.

حركت حنين رأسها بأسف:

مش هيقرب بضوء أخضر. هو محتاج أكتر من الضوء.

فكرت هايدي:

طيب شوفي طريقة. المفروض إنك بدأتي تفهميه وتعرفيه. شوفي دخلته إزاي يا حنين؟

أنهت حنين المكالمة بعد أكثر من ساعة لتتفاجأ بعدها بمكالمات فائتة من إيهاب. ضمت حاجبيها بضيق، فهي تريد محادثته. أخيرًا، اتصلت هي به ليرد بسرعة معاتبًا:

ساعة مشغولة يا حنين؟ يا بخته اللي بتكلميه بالساعة ده!

ابتسمت ووضحت:

دي هايدي.

علق بمزاح:

يا ريتني أبقى هايدي.

ضحكت هي ليبتسم ويعلق:

اعتبريني هايدي وكلمي رغي يلا معايا.

سألته بحيرة:

وشغلك؟ هتسيب شغلك وتقعد ترغي معايا؟

يا ستي راحة، راحة الغدا. المهم قبل ما تطيري، عايزة حاجة وأنا جاي؟

سألته بلهفة:

هتيجي إمتى؟ بدري، يا ريت يا إيهاب.

تعجب من لهفتها وتمهل قبل أن يفسرها قلبه:

بدري ليه يا حنين؟

تنهدت بوجع:

من غير ليه، تعال وخلاص. ينفع؟ مش بحب أقعد في مكان انت مش فيه.

سمع تلك الجملة فوضع يده على قلبه محاولًا تهدئته وسألها بصوت أقرب للهمس:

طيب ليه وأنا قدامك بحس بعكس ده؟ ليه دايمًا حاسس إنك عايزة تهربي ومش عارفة إزاي؟

بيتهيألك مش أكتر، إيهاب. أنا عمري ما فكرت أهرب منك. (أضافت بهمس) أنا هربت ليك، مش منك.

ساد الصمت لحظات، وهو غير قادر على الرد فمشاعره ثائرة ومحتجة. فكر في الرجوع لبيته الآن، لكنه انتبه على نداء صاحب المكان فاضطر لإنهاء المكالمة بسرعة.

أغلقت الهاتف وهي تتمنى عودته بفارغ الصبر. ساعدت هبة وقدرية في إعداد الغداء لتشغل وقتها، وتحملت تعليقات قدرية اللاذعة من وقت لآخر. تذكرت حين كان يقف خلفها ووضع يديه حولها واقترب بل لمس شفاهها، فابتسمت للذكرى وتمنت لو تملك العديد من الذكريات.

أخيرًا، سمعت صوت المفتاح فتحركت بسرعة تستقبله وتفتح هي

الباب، وهو يحاول فتحه من الخارج فيتفاجأ بها أمامه تهتف بعتاب:

هو ده اللي بدري؟

قلبه يكاد يخرج من مكانه، فهي تنتظره على الباب. هو لا يحلم أو ربما يحلم. مد يده يلمس جبهتها لتتفاجأ من تصرفه:

بتعمل إيه؟

ابتسم:

بتأكد إنك حقيقة وواقفة قدامي بجد، مش بيتهيألي. انتِ بجد منتظراني؟

وضعت يديها بخصرها:

لا، منتظرة أبويا. هتدخل ولا هتفضل على الباب؟

قبل أن يجيبها أو يتحرك، ردت قدرية من الداخل بتهكم:

هيفضل على الباب علشان مش كفاية أهل البيت مش مراعيهم، لا بالمرة الجيران يتفرجوا عليكم.

دخل إيهاب وأغلق الباب خلفه ونظر تجاه والدته:

جيران إيه ويتفرجوا على إيه؟ شايفاني بعمل إيه فرجة، هاه؟

قبل أن تجيبه تدخلت هبة أخته:

هوبا، الغداء جاهز وميتين من الجوع، ومراتك منتظراك مرضيتش تاكل حاجة من غيرك.

نظر لحنين معاتبًا:

ما أكلتيش بجد؟

أخذت منه حقيبته تحملها عنه:

اتفضل يلا خد شاور بسرعة علشان ناكل مع بعض.

أمسك حقيبته:

طيب، بس سيبي الشنطة. أنا هاخدها في إيدي.

أمسكاها من طرفيها، وحنين علقت:

سيبها، في إيه؟

رفض:

سيبيها انتِ. أنا هاخدها في إيدي.

قاطعتهما قدرية بصياح:

يا رب صبرني!

أخذ إيهاب حقيبته مبتسمًا ودخل غرفته، تتبعه حنين وأغلقت الباب خلفها مبتسمة:

مامتك مالها؟ متضايقة ليه؟

ابتسم وهو ينظر ناحيتها:

بعيد عنك، ما بتحبش تشوف حد مبسوط.

اقتربت منه ووقفت أمامه:

انت مبسوط؟

نظر لعينيها:

طول ما في ابتسامة على وشك، أنا مبسوط.

نكست رأسها بخجل، ثم غيرت الموضوع:

جهزت هدومك، ادخل خد شاور. أختك جعانة، ومش هي لوحدها.

قبل أن تبتعد، أمسك ذراعها:

ما تقعديش من غير أكل تاني، فاهمة؟

تجرأت ووضعت ذراعيها حول رقبته:

ما تنزلش من غير ما تصحيني الصبح نفطر مع بعض، طالما مش عايزني أقعد من غير أكل.

نظر لعينيها وهو يصرخ بداخله ويسألها: أتعلمين ماذا تفعل حركاتك العفوية بقلبي؟ أتملكين أدنى فكرة عن مدى عذابي من اقترابك وابتعادك عني؟

قبل أن ينطق، ابتعدت وقالت:

يلا، هنجهز السفرة تكون خرجت.

تركته يلملم مشاعره وأغلقت الباب خلفها، ثم وضعت يدها على قلبها وهمست لنفسها:

اهدي وسيطري على أعصابك ونفسك، بتحطي إيديك حوالين رقبته؟ كان ناقص ترمي نفسك في حضنه!

على السفرة، علق مازن:

الدراسة خلاص هتبدأ.

قدرية:

كل سنة وانتو طيبين. إمتى السنة دي تفوت وتخلص؟ خلينا نفوق بقى.

سأل مازن:

كنتِ بتحبي الدراسة يا حنين؟

انتبهت حنين له:

آه، كنت بحبها.

علق مازن:

إيهاب برضه كان بيحبها، بس للأسف مكملش جامعته.

تجاهل الكل تعليقه، بينما وقف إيهاب وقال:

الحمد لله، بعد إذنك.

استغربت حنين رد فعله ووقفت تتبعه:

الحمد لله، أنا كمان، بعد إذنكم.

أوقفتها قدرية:

اعملي الشاي يا حنين.

عقدت حاجبيها، ولكن ابتسمت حين التفتت لها:

شاي لمين؟

علقت قدرية بلهجة حاولت أن تظهر بها اللامبالاة:

لينا كلنا. إيهاب نفسه بيشرب شاي بعد الأكل.

علق إيهاب رافضًا:

لا، معلش، مش عايز شاي دلوقتي. (نظر لزوجته) اقعدي يا حنين كملي أكلك وأنا هعمل الشاي.

قبل أن تعترض، وقفت هبة:

ولا انت ولا هي. أنا هعمل الشاي. روح يا إيهاب ارتاح، ووقت ما تحب تشرب الشاي قولي بس.

دخل إيهاب لغرفته، تتبعه حنين وأغلقت الباب خلفها، وسألته بحيرة:

هتنام ولا هتفضل صاحي ولا هتخرج؟

استغرب سؤالها:

ليه كل ده؟ انتِ عايزانا نعمل إيه؟ كلي آذان صاغية: لا هنام ولا هخرج.

اقتربت وعبرت بحرج:

كنت سبق ووعدتني إنك ترسمني. (نظرت لعينيه) ولا غيرت رأيك؟

تقابلت نظراتهما في نظرة طويلة، قبل أن يهمس بدوره:

لا طبعًا مغيرتش رأيي. تحبي أرسمك دلوقتي؟

دقات قلبها تعلو من التوتر وسألته:

ألبس إيه طيب؟

تذكر ذلك المشهد من فيلم "تايتنك" حين طلب البطل من البطلة أن يرسمها وهي ترتدي تلك القلادة فقط، فهل يجرؤ أن يطلب منها مثل ذلك الطلب؟

انتبه على صوتها:

هاه؟

ابتسم بحرج من أفكاره:

اللي تحبيه، براحتك. (تحرك من مكانه) هروح أجيب لوحة وأدوات الرسم، وانتِ غيري هدومك براحتك.

وقفت حنين أمام خزانتها في حيرة تامة: ماذا ترتدي؟ أخرجت فستانًا قصيرًا، ولكن سرعان ما أدخلته فهو غير مناسب أبدًا. فكرت في ارتداء أي قميص مغرٍ، ولكن صرفت الفكرة فهي دعوة رخيصة. فكرت أيضًا في صرف تلك الفكرة تمامًا، ولكنها تحتاج إليه. أخيرًا، استقرت أن ترتدي شورتًا من الجينز قصيرًا جدًا لدرجة أن طوله يصل تقريبًا إلى عدة سنتيمترات، وارتدت فوقه غلالة رقيقة بحمالات رقيقة للغاية وقصيرة بدورها، فتظهر خصرها.

وقفت أمام المرآة، ثم حركت رأسها برفض لما ترتديه. فجسدها معظمه عارٍ. هي أبدًا لم ترتدِ ملابس بذلك العري من قبل، فكيف ترتديها الآن؟ فكرت في تغيير ملابسها، ولكن تذكرت اتهام أمجد لها بأن جسدها خالٍ تمامًا من معالم الأنوثة وغير مغرٍ بالمرة. فهل إيهاب

سيكون رأيه مماثلًا؟

أسدلت شعرها وحررته من رباطه، وحركت رأسها تراقب تراقص خصلاتها. طوال حياتها كانت ترى نفسها فتاة جميلة، فكيف فقدت ثقتها بنفسها؟ كيف استطاع أمجد تدمير صورتها حتى أمام نفسها؟ هي تنظر للمرآة وتجد فتاة هزيلة فاقدة للثقة، فاقدة للشغف وللحياة.

تنهدت بتعب وتحركت لتبدل ملابسها وتصرف تلك الفكرة المجنونة. أمسكت طرف القطعة العلوية لتخلعها، ولكن أوقفها طرقة خفيفة تبعها دخول إيهاب وهو يحمل لوحته وحقيبة صغيرة.

وضع ما يحمله أرضًا ورفع رأسه ينظر إليها ليُصدم مما رآه. أحقًا تقف أمامه، أم هي في مخيلته فقط؟ نظر لقدمها الحافية ورفع نظره قليلًا ليلاحظ مدى قصر الشورت الذي ترتديه. وصل بنظره لخصرها وتمنى لو يستطيع الاقتراب منها. لاحظ صدرها يعلو ويهبط فهي متوترة مثله. جلى حنجرته وحاول أن ينطق بشكل طبيعي:

هجهز اللوحة.

بيد مرتعشة ومضطربة، وضع اللوحة في مكانها وفتح حقيبته وبدأ في إخراج ألوانه وأدواته تحت أنظار حنين التي لاحظت رعشة يده واضطرابه، فمعظم ما يمسكه يقع من يده.

انتظرت حنين نقده أو نفوره من جسدها الخالي من معالم الأنوثة، ولكنها لاحظت توتره وارتباكه. تعجبت منه: هل يراها جميلة؟ هل تثيره بتلك الملابس القصيرة؟ هل سيتغزل بها؟ لمَ شعرت أنه مرتبك

للغاية؟ لمَ يقع كل ما يمسكه بيده؟

أخيرًا، سمعته ينطق ويسألها بصوت مبحوح:

هتقفي إزاي أو فين؟

رفعت كتفيها بحيرة:

معرفش، انت الخبير.

رفع حاجبه بتعجب:

أنا خبير؟ ليه حد قالك إني برسم ناس كل يوم أو رسمت حد قبل كده؟

اقتربت خطوة تجاهه:

بجد أنا أول حد ترسمه؟

استغرب سؤالها:

أكيد طبعًا، يا حنين. متخيلة إيه؟

تقابلت نظراتهما المتوترة وعبرت بتوتر:

تخيلت إنك رسمت ناس كتير قبل كده.

حرك رأسه ببطء:

انتِ أول حد يقف قدامي كده، مفيش غيرك.

رفعت عينيها لعينيه وتمنت لو تملك الشجاعة لتخبره أنها تريد إنهاء اتفاقهما.

حين طال صمتهما، تراجعت خطوة إلى الوراء مبتسمة ورفعت يديها تمسك شعرها وترفعه بإغراء:

ترسمني كده؟ إيه رأيك؟

ابتسم وهو ينكس رأسه بهدوء؛ أتسأله حقًا عن رأيه؟

رفع رأسه وتمنى لو يخبرها حقيقة رأيه، ولكنه علق بهدوء:

حنين، انتِ أكيد عارفة إني مش هرسمك في دقيقة ولا خمسة، صح؟

تعجبت من جملته:

قصدك إيه؟

نظر لعينيها:

قصدي إن إيديكي هتتعبك بعد خمس دقايق بالظبط. حاولي تختاري وضع تكوني مرتاحة فيه.

وقفت بحيرة ثم استسلمت:

انت قولي أعمل إيه؟

اقترب بخطوات بطيئة، وآلاف الأفكار تثور داخله. أمسك ذراعها، فنظرت ليده واستغربت كيف يحرك كل أحاسيسها بلمسة بسيطة من يده؟

بهدوء أجلسها على الأريكة خلفها وهمس بصوت مبحوح:

استرخي.

كيف يطلب منها الاسترخاء وهو بهذا القرب منها؟

نظرت لعينيه وهمست:

استرخي إزاي؟

رفع يده ببطء من ذراعها وأعادها للخلف. استسلمت لحركات يده على جسدها وهو يحاول اختيار وضعية مناسبة للصورة.

وضعت يديها خلف شعرها ترفعه للأعلى قليلًا وهي تستند وتسترخي على الأريكة. تراجع خطوة للخلف ينظر إليها، وقلبه يصرخ بداخله ويترجاه كي يقترب منها ويطفئ تلك النيران التي أشعلتها داخله.

راقبته حنين وهي تتمنى أن يفهم نظراتها ويقترب.

وقف أمام اللوحة وأمسك قلمه. حاول أن يرسم ويخط بقلمه، ولكن أبى عقله أن يرسم ولو خطًا واحدًا في تلك اللوحة. ينظر إليها ويحاول رسمها، ولكنه لا يرى اللوحة ولا يشعر بالكون حوله، فعقله وجوارحه وقلبه معها.

وصل إلى قمة تحمله، فتراجع خطوة للوراء وهو يتصبب عرقًا. وضع القلم من يده ورفع نظره لها، فسألته بحيرة:

مالك؟ في حاجة غلط؟

تمنى لو يصرخ بها أن كل ما حولهما خاطئ، فمن المفترض أن تكون بين ذراعيه وفي أحضانه، ولكنها أمامه ترفع ألف سور بوجهه. اعتذر منها:

سوري يا حنين، بس مش هقدر أرسمك. بعد إذنك.

تحرك ليترك الغرفة، لكنها كانت أسرع منه، فأمسكت ذراعه تمنعه:

إياك تسيبني الليل كله لوحدي وتخرج.

نظر ليدها ثم لعينيها:

ارحميني يا حنين، أنا بشر.

حركت رأسها برفض:

ما تسيبنيش وتخرج.

نظر لعينيها، ثم ركز نظراته على شفتيها:

لو فضلت، مش هقدر أحافظ على وعدي ليكِ، ولا أحافظ على الاتفاق اللي بيننا، وهخلف الوعد اللي وعدتهولك يوم فرحنا.

همست وهي تقترب منه:

وعد إيه اللي وعدتهولي؟

راقب شفتيها ورفع يده يلمس وجهها:

وعدتك نفضل أصحاب وأحافظ عليكِ حتى من نفسي.

همست:

ووعدت تفضل جنبي، ووعدت تسعدني. أكيد مش ببقى مبسوطة وأنا لوحدي.

داعب شفتيها بأصابعه:

لو فضلت هنا...

لم يكمل جملته، ولكن نظراته لشفتيها وضحت ما يقصده. طال التقاء نظراتهما، فاستجمعت شجاعتها وهمست وعينيها متعلقة بعينيه:

المفروض إن الفنان يكون لمّاح، فانت ليه مش لمّاح؟

اقترب أكثر منها ورفع ذقنها برقة:

لا يا حنين، مش هينفع أكون لمّاح أبدًا بعد رد فعلك أول مرة. ما ينفعش أقرب بدون إذن صريح منك إني...

همست:

إني إيه؟

حرك أصابعه فوق شفتيها:

إني ألمسهم من تاني.

سيطر التوتر والارتباك على كليهما. اختفى العالم من حولهما، فهو لا يرى سواها ولا يريد سواها، وكذلك هي.

رفعت ذراعيها بتردد ووضعتهما حول رقبته وهمست:

كده عطيتك الإذن، ولا...

لم ينتظر باقي سؤالها. كان في حرب منذ دخوله الغرفة يحاول منع نفسه، لكنه استسلم وأخذ شفتيها بعنف، وكأنه يخاف أن تهرب من بين يديه مجددًا. أمسك وجهها بيديه وابتعد قليلًا كي يعطيها

فرصة لتتنفس.

تقابلت نظراتهما المتعطشة للمزيد، ورأى في عينيها الرغبة، وخصوصًا حين خفضت رأسها تنظر لشفتيه. اقترب هذه المرة برقة.

استمرت قبلاتهما، يحاول أن يُرضي قلبه المشتاق ويرسم بداخله آلاف الذكريات.

ذابت حنين بين يديه، فهو يعيد الحياة لقلبها من جديد، يعيد أحلامها، يعيد رغباتها للحياة.

تذكرت آلاف المشاهد التي رأتها أو قرأت عنها حين يقبّل البطل حبيبته. هي الآن تعيش تلك اللحظات. هي الآن بطلة الرواية ويقبلها بطل روايتها. تمنت لو تدوم قبلته للأبد.

ابتعد قليلًا كي يرى عينيها وتلك الرغبة المشتعلة فيهما. وضع يديه على خصرها وحركها برقة، ليزيد من النيران المشتعلة في جسدها.

حرك يديه للأعلى بطول ذراعيها ورقبتها، ثم وجهها، وهمس ببحة زادت من رغبتها فيه:

لو عيزاني أبعد، قولي دلوقتي يا حنين، لأني بدأت أفقد كل سيطرتي على نفسي. وأكتر من كده... (نظر لشفتيها وأكمل) هتبقي مراتي بجد؟

رفعت رأسها قليلًا وكأنها تخبره بصمت أنها ملك يديه وأغمضت عينيها. اقترب من شفتيها ملبيًا نداءها.

***

ذابت حنين بين يدي إيهاب، تستمتع بكل الأحاسيس الجديدة التي تعيشها، إلى أن وصلت إلى النهاية، وتفاجأت بجسدها بأكمله ينتفض وهي تئن من النشوة.

أمسك إيهاب وجهها بين يديه، فهو يريد أن يرى الحب في عينيها. تقابلت نظراتهما في نظرة طويلة، أنفاسه تهدأ وجسده يهدأ بعد تلك الانتفاضة. تمنى لو يصرخ بحبه ويقبّل وجهها ألف مرة، ويخبرها أنه يعشقها حد النخاع. نظر لعينيها محاولًا أن ينطق، تمنى لو يسمع اسمه من شفتيها الآن، وترجاها بعينيه أن تنطق اسمه.

أنفاس مضطربة تهدأ، وقلوب تتعلق ببعضها، وجسدين التصقا كجسد واحد لا فاصل بينهما.

تمنت حنين في تلك اللحظة أن تصرخ للعالم كله أن الحب موجود، هي أبدًا لم تكن واهمة. تمنت لو ترى والدتها الآن كي تخبرها أنها مخطئة؛ فالعلاقة الزوجية ليست مجرد وظيفة خالية من المتعة كما سبق وحاولت إقناعها. تمنت لو تخبر إيهاب بكل ما مرت به وعاشته يومًا قبله.

تجمعت الدموع في عينيها، فلأول مرة تشعر بنشوة ولذة الحب. أمسك إيهاب وجهها بيده متعجبًا من الدموع في عينيها.

فتحت حنين فمها لتتحدث وتخبره عن أمجد واغتصابه لها في أول مرة. همست من بين دموعها:

أمجد كان...

اتسعت عينا إيهاب حين سمع اسم زوجها السابق. انتفض بعيدًا

عنها، تلفت حوله يبحث عن ملابسه. أذلك ما تفكر فيه؟ زوجها السابق؟ ألا تراه هو أمامها؟

ضدمت حنين من رد فعله، أمسكت الغطاء فوقها وهمست تترجاه:

إيهاب، أرجوك اسمعني. اديني فرصة أشرح لك وأفهمك.

أكمل ارتداء ملابسه، ثم نظر إليها:

مش عايز أسمعك، مبقتش عايز أسمع حاجة منك. قولتي لي كام مرة "خلينا أصحاب"، بس أنا متخلف، مكنتش فاهم اللي فيها. حقك عليا يا ستي، ملحوقة.

انهمرت دموعها:

إيهاب، متبقاش كده. غصب عني، أرجوك، طيب حاول...

التفت بحدة ناحيتها ورفع يديه يترجاها:

أرجوكِ انتِ، كفاية. أنا إيه بس اللي رماني عليكِ؟ من النهاردة كل واحد فينا في حاله، انتِ فاهمة؟ لا ليكي دعوة بيا، ولا ليا دعوة بيكي. إحنا متجوزين قدام الناس وعلى الورق بس، لكن بيني وبينك لأ. من النهاردة أنا وانتِ... (سكت قليلًا) أو أصلًا مفيش أنا وانتِ دي تاني. بعد إذنك.

أغمضت عينيها، تترك لدموعها العنان، وخصوصًا حين سمعت صوت إغلاق الباب خلفه بعنف.

صعد إيهاب إلى مكانه المعتاد فوق السطوح، وهو يلعن غباءه ونفسه. نظر إلى السماء وتمنى لو يصرخ بعلو صوته من ذلك الوجع

الذي يغزو ويستولي على قلبه. هي بين ذراعيه وفي أحضانه، وتفكر بزوجها السابق؟ أي خيانة ترتكبها بحقه؟

أغمض عينيه، فأعاد عقله كل اللحظات السابقة: قبلاتهما، نظراتهما، تعلقها برقبته، مبادلتها لقبلاته. يقسم أنها اندمجت معه، هو لم يفرض نفسه عليها ولو للحظة.

لمَ الدموع؟ لمَ تفكر بزوجها السابق الآن؟ كيف أخطأ هو؟

هل من الممكن أنه لم يستطع إرضاءها كرجل؟ لقد سمع من العديد أن هناك رجالًا لا يستطيعون إسعاد وإشباع زوجاتهم. أهو منهم؟

نفض رأسه برفض. فهي وصلت إلى متعتها، وأحس بجسدها يرتعش بين يديه. فأين أخطأ؟

لقد كانت تستمتع بكل لمساته وقبلاته، نعم كانت تغمض عينيها باستمتاع. فأين الخطأ؟ لمَ الدموع؟

فجأة، ضربته حقيقة بسيطة. هي أغمضت عينيها كي تتخيله زوجها السابق. لم تراه هو، بل رأت أمجد، حبيبها. وحين فتحت عينيها، اصطدمت به أمامها، لا زوجها. تلك الحقيقة البسيطة الواضحة.

رفع رأسه إلى السماء موجوعًا. فآخر ما ينقصه هو وجع الحب. لقد عانى الكثير طوال حياته، وتخيل أن حضنها سيكون دواء لأوجاعه، لا وجعًا جديدًا يقاسيه.

ظلت حنين مكانها تنظر إلى الباب خلفه، متسائلة: لماذا لم يعطها فرصة لتشرح له معاناتها مع أمجد؟ لماذا تركها بتلك القسوة؟ لماذا

أحست بالندم في صوته لأنه اقترب منها؟

أمن المعقول أن أمجد محق، وهي لا تستطيع إسعاد أي رجل؟ لقد أخبرها مرارًا أنها باردة المشاعر، بل حاول علاجها دون جدوى. أخبرها أن تحمد الله أنه يتقبلها بعيبها وبرودها، فلا رجل آخر يقبل بها بعيبها. فهل كان محقًا؟

هل لاحظ إيهاب برودها أم نفر من جسدها الخالي من الأنوثة؟ لمَ ابتعد بتلك الطريقة عنها؟ لمَ أخبرها أن ما بينهما انتهى قبل أن يبدأ؟

كيف يرفعها للسماء ثم يتركها تقع بتلك القسوة، فيحطمها ويكسرها بتلك الطريقة؟ كيف يُحيي آمالها وأحلامها، ثم يقتلها بلا هوادة؟

صدح صوت آذان الفجر، فوقف إيهاب بتعب وإرهاق، ونزل للأسفل ليستعد للصلاة.

حين دخل غرفته، وجدها تجلس مكانها كما تركها، حتى إنها لم ترتدِ ثيابها.

أخذ ملابسه وحقيبته وكل ما يلزمه ليذهب إلى عمله بعد الصلاة.

خرج دون أن ينطق حرفًا وأغلق الباب خلفه.

نظرت حنين إلى الباب مجددًا، ثم أحكمت الغطاء حولها وأغمضت عينيها، علها تنام بلا استيقاظ.

طوال النهار، وإيهاب صامت تمامًا. تعجب طلعت من حاله ورأف به؛ فأوجاعه وهمومه دائمًا ما تكون أكبر منه. اقترب منه وقال:

إيهاب، يا ابني.

نظر باتجاهه، فأكمل طلعت:

مالك؟ فيك إيه؟

ابتسم إيهاب ليطمئنه:

مفيش يا أسطى، مفيش.

أمسك طلعت ذراعه قبل أن يبتعد:

أنا زي أبوك. قولي، فيك إيه؟ أساعدك إزاي؟

نكس إيهاب رأسه. كيف يخبره أن حبيبته وزوجته لا تراه كرجل؟ كيف يخبره أنه فشل في علاقتهما الزوجية، فهي في حضنه وبين ذراعيه وتذكر زوجها السابق؟

أحس بضغطة يده على ذراعه فانتبه ورفع رأسه:

صدقني يا أسطى، لو في حاجة تقدر تعملها، كنت قلت لك. لكن مفيش. دي مجرد حياتي العادية، والوجع ملازمها، الطبيعي يعني. ما تقلقش عليا، أنا بخير بجد.

المشهد مع علاء وهايدي:

اتصل علاء بهايدي، فأجابت هاتفها بسرعة:

علاء، إزيك؟

ابتسم وهو يجيبها:

الحمد لله، يا قلب علاء. انتِ لسه في البنك، صح؟

تعجبت:

آه، بس خارجة أهو مروحة. ليه؟

ما تيجي نتغدى سوا، إيه رأيك؟

مقولتش لبابا ولا...

قاطعها بسرعة:

اتصلت استأذنته قبل ما أكلمك. قلتي إيه؟

شعرت بالسعادة لمحاصرته:

انت بتقفل عليا يعني كل السكك ولا إيه؟

أحست أنه يبتسم:

لا، يا ستي. وأقفل ليه؟ عايزة ترفضي أو مالكيش مزاج؟ براحتك. هكتفي بتوصيلك للبيت.

تعجبت واتسعت عيناها:

انت بره يا علاء؟

حمحم بحرج:

قدام الباب، أيوه منتظرك.

ضحكت:

انت بجد بقى بتحاصرني؟ طيب نفترض إني كنت مشيت؟

تنهد بهيام:

حبيبتي، انتِ قولتي بتخرجي عمومًا على 5، وأنا هنا من خمسة إلا ثلث، واتصلت بوالدك استأذنته، فانتِ لسه ما روحتيش. المهم يا هايدي، حابة تطلعي نتغدى مع بعض، ولا حابة تروحي ونتقابل يوم تاني، ولا حابة أمشي وأسيبك؟ براحتك.

قبل أن تجيبه، سمع طرقات خفيفة على نافذته ليتفاجأ بها أمامه. ابتسم وبسرعة ترجل من سيارته ليقف أمامها مبتسمًا، بينما رددت هي:

بقى هتمشي من غير ما أشوفك حتى؟ هممم.

ابتسم بحرج:

مش انتِ اللي بتقولي بحاصرك؟ قولت أخفف حصاري شوية، وبعدين ليكِ عليا يا ستي، مش هحاصرك كده تاني، ولا...

قاطعته:

أوعى تبطل تحاصرني، فاهم؟

تقابلت نظراتهما بسعادة، بينما تحرك هو وقال:

طيب، هتركبي ولا هتعملي إيه؟

تحركت معه ليفتح باب سيارته لها، واستقر هو مكانه، ثم نظر إليها:

تحبي تروحي فين؟ هتروحي ولا هتعملي إيه؟

عقدت حاجبيها:

انت يا ابني مش قولت هتغديني؟ ولا كانت عزومة مراكبية ولا إيه؟

ضحك وهو يدير سيارته ويتحرك:

يا سبحان الله! آخد القرار وأقولك نتغدى، تقولي بقفل عليكِ، أنتظرك قدام الباب، تقولي بحاصرك، أسألك أخيرك، أبقى بعزم عزومة مراكبية؟ ارسى على برّ، هتجننيني معاكِ ولا إيه؟

ضحكت لأسلوبه:

آه، هجننك، عندك مانع؟

نظر تجاهها وأمسك يدها وقبّلها:

جنني براحتك، كلي ملكك.

سحبت يدها بهدوء وهي محرجة، ثم غيرت الحديث:

هتغديني فين؟

بجد مش عارف آخد قرار ونطلع على المكان اللي في بالي، ولا آخد رأيك الأول؟ رسيني على برّ، أتعامل معاكِ إزاي؟

نظرت تجاهه بحب:

عاملني بحب وبس، الباقي شكليات.

لم يتوقع إجابتها، فارتبك للحظة ثم التفت تجاهها:

طالما هعاملك بحب وبس، يبقى لما أمسك إيدك ما تسحبيهاش من إيدي بالشكل اللي عملتيه من لحظة ده.

قطعت اتصال نظراتهما واعتدلت في جلستها تنظر للأمام وقلبها يرقص من السعادة.

رن هاتفها فأخرجته وعلقت:

دي حنين، لحظة أرد عليها.

أيوه يا حنين، عاملة إيه يا قلبي؟ وحشاني كتير.

أنا كويسة، انتِ فين كده يا هايدي؟ روحتي ولا لسه؟

أنا مع علاء، هنتغدى مع بعض وبعدها أروح. في حاجة ولا أكلمك أول ما أروح؟

لا مفيش، سلمي عليه كتير، يلا باي، نتكلم بعدين يا قلبي.

أغلقت الهاتف ووضعته في حقيبتها، ثم بهدوء مدت يدها لتمسك يده الموضوعة على غيار السيارة. ابتسم هو وضغط على يدها بحب، ثم رفعها لشفتيه وقبّلها مجددًا.

أغلقت حنين الهاتف ودعت لصديقتها أن يرزقها السعادة. فكرت أن تتصل بإيهاب، وكل مرة تتراجع.

أخيرًا قررت الاتصال، فما الذي قد يحدث أسوأ مما تعيشه الآن؟

رن هاتف إيهاب عدة مرات وهو مندمج في رسم حائط أمامه، ثم انتبه لصديقه يناديه:

موبيلك بيرن، حنين.

تعجب إيهاب لاتصالها وتحرك ناحية صديقه، أخذ الهاتف من يده

وأجاب بسرعة:

أيوه يا حنين؟

ابتعد صديقه كي يعطيه حرية في الحديث معها.

صمتت حنين، فهي لا تعلم لماذا اتصلت به أو ما الذي تريد قوله؟

انتبهت له يسألها:

عايزة حاجة يا حنين؟

أجلت حنجرتها قبل أن تتحدث:

لا، مش عايزة، بس كنت عايزة أتكلم معاك.

أحس بالضيق والاختناق، فهو كان يتمنى ولو كلمة منها، ولكن الآن لم يعد يريد سماعها. هل ستبرر له حبها لزوجها السابق وكيف أنها لا تستطيع نسيانه؟ أم هل ستعتذر لخيانتها له بأفكارها؟

سمعها تناديه:

إيهاب، اديني فرصة واسمعني.

تحدث بإصرار واضح:

أعتقد إن الأمور كلها واضحة ومالوش لازمة أي كلام. أو بالنسبة لي أنا على الأقل الصورة بقت واضحة قدامي. مش عايز أسمع منك أي مبررات، ولا عايز أسمعك. وعدتك وعد، وهنفذهولك للنهاية. (أضاف بتهكم) أو على الأقل لحد ما تحبي أو تكتفي من القعدة في بيتي. فهسألك تاني: عايزة حاجة مني أجيبها وأنا جاي؟ محتاجة

حاجة في البيت؟ في حاجة نقصاكي؟ دي الأسئلة اللي مستعد أسمع إجاباتها منك.

ردت بيأس:

لا شكرًا، مش محتاجة حاجة منك.

أغلقت الهاتف وتركت لدموعها العنان. فلقد حكم عليها القدر بقسوة، أعطاها لمحة عن الحب وتيقنت أن ما حلمت به يومًا ليس وهمًا، بل حقيقة. ثم عادت إلى أرض الواقع بعنف، تُعاقب على ذنب لم ترتكبه.

وصلت هايدي أمام المطعم وعلقت:

شكله حلو من بره.

ابتسم وهو يؤكد:

وهيعجبك من جوه برضه، تعالي.

دخلا سويًا لتنبهر من ديكوراته البسيطة ولكنها مرتبة بشكل جديد. استقبلهم النادل ووجههم إلى طاولة سبق وحجزها علاء، بجانبها نافورة صغيرة للغاية ولكن شكل المياه وهي تتراقص بداخلها ممتع جدًا. الخضرة تغلب على المكان بأكمله، والورود منتشرة بكثرة. جلست هايدي في مكانها وهي مبهورة بكل ما حولها، ثم نظرت إليه لتجده يراقبها بابتسامة عريضة:

بتبصلي كده ليه؟

هرب من عينيها بحرج:

عادي، بس النظرة لعينيكِ وانتِ مبسوطة كده بالدنيا وما فيها. خليكِ مبتسمة على طول.

ابتسمت بحرج وعلقت:

خليني انت مبتسمة على طول.

لو بإيدي مش هتأخر أبدًا. تحبي تاكلي إيه بقى؟

علقت بضحك:

تخيلت إنك هتكون مختار أوردي الأكل اللي هناكلُه؟

ضحك مثلها:

لا، مش للدرجة دي. كده هبقى أوفر فعلًا وبفرض رأيي عليكِ.

تهكمت بمزاح:

على أساس إن كل اللي فات ده مش أوفر؟ ماشي يا سيدي. (نظرت له بفضول) لنفترض إني كان عندي ترتيبات تانية؟ أو خارجة مثلًا مع حد من أصحابي أو مش في مود للخروج حتى؟ كنت هتعمل إيه؟

سند كلتا يديه على الطاولة ليقترب منها:

كنت هأجل كل ده لبكرة أو بعده أو وقت ما تحبي. الأمور بسيطة يا قلبي.

تعجبت من بساطته فعلًا وتذكرت أمجد وتعقيداته، فلقد أثر عليها هي الأخرى مثل صديقتها، أو ربما عقدها من كل الرجال. ولكن علاء

مختلف تمامًا.

انتبهت عليه يسألها:

أدفع نص عمري وأعرف لما بتسرحي بالشكل ده بتفكري في إيه؟

ابتسمت بحزن:

بفكر في طليق حنين، أمجد.

تنهدت بحزن ليسألها بفضول:

كان ماله؟ وحنين نفسها مش اتجوزت خلاص؟ يعني المفروض تخطت طليقها ولا إيه؟

بعد صمت للحظات:

تأثيره كان صعب أي حد يتخطاه. أمجد كان شخصية مريضة جدًا، كرهنا أنا وهي في صنف الرجالة كلها. كان معقد مش طبيعي. المهم فكنا منه ومن سيرته، والحمد لله إنها تخلصت منه.

سألها بفضول:

طيب مش ناوية تعرفيني على جوزها؟ يعني بما إنها صحبتك الانتيم؟

ابتسمت بحرج:

لما هي تكون مستعدة لده هعرفك عليه بإذن الله، بس مش دلوقتي. المهم هتغديني إيه؟

تقبل تغييرها للحديث وأشار للنادل يحضر قائمة الطعام.

عاد إيهاب آخر النهار لبيته، توجه للحمام مباشرة لينظف عنه آثار يومه المتعب ويبدل ثيابه. خرج من الحمام وتوجه للخارج مباشرة، ولكن أوقفته أخته:

إيهاب، انتظر لحظة.

نظر إليها:

خير يا هبة؟

سألته:

مش هتتغدى؟ إحنا منتظرينك؟

ابتسم باعتذار:

سبقتكم يا هبة وأكلت مع زمايلي. كُلوا انتو بالهنا يا روحي.

قبل أن يخرج أمسكت ذراعه ليتعجب من تصرفها فعلقت بهمس:

مراتك ما خرجتش من الأوضة النهار كله وما داقتش الأكل. فقولت أكيد منتظراك. وشيفاَك ما دخلتش حتى الأوضة عندها. انتو متخانقين؟

تنهد بتعب وربت على يد أخته:

معلش يا هبة يا روحي، بس علاقتي بحنين أرجوكِ ما تدخليش فيها.

لم تترك يده:

مش هتدخل يا إيهاب وبراحتكم تتخانقوا أو تتصالحوا، بس

بقولك ما أكلتش النهار كله. ولّا في أكل في الأوضة جوه؟ لو في خلاص اخرج وسيبها.

علق بضيق:

هي مش صغيرة محتاجة حد ياخد باله من أكلها يا هبة. وقت ما هتجوع هتخرج. أنا مش مسؤول حتى عن أكلها.

علقت بذهول:

لا طبعًا مسؤول. انت بتقول إيه يا إيهاب؟ مش جبتها من بيت أبوها علشان تعيش معاك؟ تبقى مسؤول حتى عن النفس اللي بتتنفسه. ما تخيلتش أبدًا إنك هتكون من نوعية الرجالة دي.

نظر لإخته بذهول:

أي نوع رجالة؟ هبة، انتِ مش فاهمة أي حاجة فما تدخليش في حاجة مش فهماها. بعد إذنك.

تركها ليغلق الباب خلفه بعنف نوعًا ما، فتخرج قدرية على غلقه للباب:

مين يا بت اللي رزع الباب كده؟

أجابتها بضيق:

ده إيهاب، خد دش وغير هدومه وخرج.

مش هيتغدى يا بت؟ ما قولتيلوش يقعد يتغدى الأول معانا ليه؟ مش مذنبانا كلنا ننتظره؟

قولتله، وقال إنه أكل مع زمايله.

مصمصت شفتيها بتهكم:

أكل؟ تلاقيه متخانق مع السنيورة اللي مورتناش وشها من الصبح؟ ادخلي يا بت حطي الطفح. الواحد هيقع من طوله، وإياكِ تقولي نستناه تاني. هم يتخانقوا واحنا نتذنب جنبهم.

حضرت هبة الطعام على الطاولة، ودخلت لحنين توقظها:

حنين، تعالي علشان تتغدي معانا. يلا يا قلبي.

نظرت تجاهها بعينين لم تحدد إذا كان ما بهما أثر النعاس أم استيقاظها من النوم:

إيهاب فين؟ رجع؟

تنهدت هبة وفكرت في الكذب عليها، ولكن تراجعت فهي لن تتدخل كما طلب أخيها:

إيهاب خرج. أخد دش وغير هدومه ونزل، وقال إنه أكل مع زمايله في الشغل.

ابتسمت حنين لتداري وجعها:

طيب، روحي اتغدي انتِ مع عيلتك، وأنا لما أجوع هبقى أطلع آكل.

أمسكت هبة ذراعها:

قومي يا حنين، كلي معانا لو سمحتي. يعني حتى لو زعلانين.

قاطعتها حنين:

مش زعلانين يا قلبي، بس مش جعانة دلوقتي. روحي اتغدي انتِ.

لم تضغط عليها هبة، وخصوصًا أنها لاحظت دموع حنين التي تتجمع في عينيها وهي تريد التماسك أمامها. فخرجت بسرعة وتركتها.

أغمضت حنين عينيها لتترك دموعها المحبوسة تغرق وجهها، فهو سيحرمها حتى من رؤيته.

سمعت هبة صوت بكائها وفكرت في الدخول مجددًا، ولكنها تراجعت وخرجت لتجد والدتها ومازن قد بدآ في تناول الطعام. جلست معهما ليسألها مازن:

ناديتي حنين؟

علقت باستغراب:

مش هتاكل.

نظرت قدرية لابنها بتحذير، ولكنه لم يهتم ووقف. لتمسك قدرية ذراعه:

رايح فين؟

أجابها وهو يبعد يدها:

هشوف حنين، ما خرجتش النهار كله من الأوضة، مش لازم نهتم بيها؟

علقت بتهكم:

عندها جوزها يهتم، مش انت يا حنيين.

عقد حاجبيه:

برضه هناديها طالما هو ما اهتمش، إحنا نهتم.

أوقفته هبة:

ما تدخلش طيب يا مازن، ناديها من بره علشان بس كانت قاعدة براحتها.

عقد حاجبيه بضيق أكثر من أخته، طرق باب الغرفة وناداها بصوته العالي:

حنووون.

مسحت حنين دموعها بسرعة ووقفت خلف الباب:

أيوه يا مازن، خير؟

حاول فتح الباب لكنها أمسكته بيدها:

ما تدخلش لو سمحت.

تراجع مازن بضيق:

طيب، يلا تعالي اتغدي معانا، انتِ ما أكلتيش من الصبح.

معلش يا مازن، اتغدوا انتو، لما أجوع هاكل. لو سمحت سيبني براحتي.

خرج إيهاب وتوجه للسطح ليقطعه ذهابًا وإيابًا عدة مرات بضيق.

لم ألقت أخته فوق رأسه مسؤولية أكلها؟ هو غير مسؤول عن أكلها. لمَ حملته ذلك الذنب؟ وفوق كل هذا، لم يعاتبه قلبه الآن على تركها؟

رن هاتفه ليجد أخته فيجيبها:

أيوه يا هبة؟

حاولت أخلي حنين تطلع تاكل، بس رفضت لما عرفت إنك جيت ونزلت و...

قاطعها:

وبعدين معاكِ يا هبة؟

عاتبته:

وبعدين معايا أنا ولا انت؟ البنت كانت بتعيط وحاولت تتكلم قدامي عادي، بس شوفت دموعها يا إيهاب، وبعد ما خرجت من عندها سمعت عياطها. أنا مش عارفة هي ممكن تكون عملتلك إيه لدرجة تسيبها كده؟ انت عمرك ما كنت قاسي كده؟ أمي بالرغم من كل اللي بتعمله معاك، لكن عمرك ما قسيت معاها كده ولا عمرها هانت عليك. تقوم تقسى على الغلبانة دي؟ أنا بلغتك علشان بس أريح ضميري وأسيبك لضميرك. هي ما أكلتش طول النهار، ومن منظر عنيها فهي ما بطلتش عياط برضه.

أغلقت الهاتف دون أن تنتظر رده عليها.

وضع الهاتف في جيبه ليزداد سخطًا وغضبًا. كل خلافاته مع

والدته مادية، والمادة هي آخر اهتماماته. أما الحب والاهتمام، فهو يعلم جيدًا أنها لم تعد تنظر له كابن، وتقبل ذلك منها. ولكن حنين... لقد دق القلب لها، وأشعلت نيران العشق في قلبه. لقد ذاق طعم الجنة بين ذراعيها، وارتشف من رحيقها، ثم ألقته بعنف لنيران الغيرة والخيانة.

كيف يخبر أخته أنها أهانت رجولته وطعنت كبرياءه كرجل؟ أم يخبرها أن زواجهما مجرد كذبة كبيرة كان من الغباء أن يصدقها؟ وهي لم تعتبره أبدًا زوجًا لها.

أخيرًا، لم يستطع مواجهة قلبه وضميره، فنزل للأسفل ودخل ليجد أخته وأمه على الطاولة، ولاحظ غياب مازن. ابتسمت هبة حين رأت أخيها، بينما ألقى هو السلام، وقبل أن يدخل أوقفته أمه:

هنفضل الليل كله نستنى الهانم تطلع؟ شوية هبة وشوية مازن ودلوقتي انت؟

تعجب من اهتمام مازن بأحد غير نفسه وتوجه للداخل دون أن يعلق أو يرد على والدته، ليجد أخيه يقف أمام الباب ويترجاها:

حنووون، اطلعي بقى، خلينا نتغدى، الواحد هيموت من الجوع.

لاحظ مازن اقتراب أخيه، فابتعد عن الباب:

انت مزعلها؟

وقف إيهاب أمامه:

أعتقد ده شيء ما يخصكش، ولا إيه؟ روح كُل، أمك وأختك

منتظرينك، اتفضل.

راقبه يبتعد، بينما تحرك هو لغرفته ليطرق طرقة خفيفة ثم حاول فتح الباب، ولكنه تفاجأ به مغلقًا من الداخل ليهتف:

افتحي يا حنين.

تعجبت حنين بالداخل، هل سمعت صوته حقًا أم تخيلته عاد لأجلها؟

اقتربت من الباب وسألت للتأكد:

مين؟

استغرب وأجابها:

إيهاب، افتحي.

فتحت بسرعة وابتعدت عن الباب، بينما دخل وأغلق خلفه الباب، وراقبها وهو يضع يديه على خصره:

سيادتك ما أكلتيش ليه من الصبح؟

التفتت ناحيته لتلاحظ قساوة تعبيراته وتهكمه الواضح، فحاولت أن تظهر قوية:

أعتقد ده شيء ما يخصكش. ما تشغلش بالك بيا وروح كمل قعدتك مع أصحابك.

عن أي أصحاب تتحدث؟ ألم تعلم أنه لا أصدقاء له، أم تقصد خالد؟ نعم، هو صديقه، ولكنه ليس من النوع الذي يتحدث عن خصوصياته

مع أي شخص كان.

اقترب منها ليلاحظ انتفاخ عينيها من أثر البكاء، فيزداد استغرابه. لمَ البكاء؟ تراجع خطوة، فربما تشعر مثله بالخيانة، ولكن لزوجها السابق.

أحس بالغضب يتصاعد بداخله، وتمنى لو يصرخ بها أو يخنقها بيديه كي يريح قلبه من عذابه.

أشاحت حنين وجهها عنه، فهي لا تريد رؤية ملامحه الصارمة كي لا تنطبع في مخيلتها، ولتكفيها ذكرى ليلة الأمس.

سمعته يتكلم بصرامة وبلهجة آمرة:

اطلعي اتغدي معاهم.

مش هتغدى، ولا هتجبرني؟ (تذكرت أمجد حين كان يضع الأكل في فمها غصبًا وقهرًا، فأضافت بتهكم) ولا أقولك، أكلني غصب عني، احشر الأكل في زوري.

تراجع متعجبًا مما تقوله:

انتِ بتقولي إيه؟

علقت:

مش بتأمرني أطلع آكل؟

صرخ بها:

أنا ما بأمرش، لا عمري أمرت حد ولا عمري هأمر حد. بس سيادتك

هنا مسؤولة مني، وأي حاجة تحصل لكِ هلاقي محكمة اتنصبت قدامي، من أبوكِ لاختك لأمك. فاطلعي كُلي، ولا عايزاهم ييجوا يلاقوكِ بالمنظر ده، ويقولوا إني مجوعك؟ ولا عايزة أبوكِ يحبسني زي ما دايمًا يهددني "هحبسك، هحبسك زي ما حبست جوزها الأولاني"؟

لمعت دموعها التي كانت تجاهد في السيطرة عليها، فتركت لها العنان ونظرت تجاهه وهي موجوعة منه، فكل همه أن يحفظ صورته أمام عائلتها، وهمست ببكاء:

اطلع بره يا إيهاب، وما تخافش من أبويا. مش هسمح له يحبسك، ولو حد جه هداري كل ده بشوية ميكب. عملتها كتير قبل كده، واخدوا سنة لحد ما حد فيهم لاحظ، فما تخافش على منظرك قدامهم.

جلست على طرف السرير وهي تحاول كبت دموعها أو مسحها بعنف بينما يقف هو خلفها يتمزق ألمًا لأجلها ويحارب كي لا يضمها بين ذراعيه، حاول أن ينطق أو يعترض أو ربما يخبرها أنه لا يهتم بأحد سواها ولكن أبت كرامته أن تنطق حرفًا.

انتبهت حنين على غلقه الباب خلفه بعنف وتوجه للخارج نظر لعائلته: كلوا انتو هي مش هتاكل ولما تجوع تاكل براحتها.

أوقفته قدرية: طيب اقعد انت كل معانا؟

شكرها وخرج ليقضي ليلته فوق السطوح وينزل فجرًا يستعد للصلاة ويخرج بصمت دون أن ينطق حرفًا بالرغم من ثقته انها

مستيقظة مع انها تظاهرت بعكس ذلك.

جهزت هبة الفطور على صينية ودخلت لحنين لتجدها مستيقظة فوضعت الصينية على الطاولة أمام الكنبة وجلست بجانبها: تعالي نفطر انا وانتِ مع بعض ونشرب كوبايتين النسكافيه دول يلا.

حاولت حنين الاعتراض أو الرفض ولكن لم تسمح هبة لها أبدًا واخيرًا هددتها: هتصل بأبوكِ هو يشوف حل معاكِ واقوله إن سيادتك بقالك يومين مش بتاكلي طالما لا بتسمعي كلامي ولا كلام إيهاب يبقى أبوكِ هو الحل.

امسكت حنين ذراعها بسرعة: انتِ معاكي رقم بابا منين؟

ابتسمت هبة: ابوكِ عطاهولي قالي لو في أي يوم احتجت له أو احتجت حاجة أو حتى عايزة اشتكي منك فاكلمه.

ابتسمت حنين فأبيها قد أخذ احتياطاته كلها و نظرت لهبة التي اصرت أن تشاركها الطعام، جلست برفقتها وأكلت قدر استطاعتها معها.

اتصلت هايدي وقت الاستراحة بحنين وانطلقت بحماس تقص لها عن روعة الغذاء برفقة علاء وعن حبها الوليد، قصت كل التفاصيل الممتعة وبعد ان انتهت: يلا دورك انتِ، احكيلي اخبارك ايه انتِ وايهاب؟ لسه ماشيين على قشر البيض ولا كسرتوه؟

ابتسمت حنين بحزن: لا زي ما احنا

انهت معها المكالمة فهي لن تخبر صديقتها عن تعاستها وهي بتلك السعادة فلقد شاركتها السنوات الماضية تعاستها وتحملت لأجلها

الكثير.

خرجت سارة برفقة زهير وفاجأها بمحل لفساتين الزفاف لتقفز من السعادة.

ابتسم بفرحة: ادخلي اختاري الفستان اللي يعجبك مهما يكون سعره.

اتسعت عيناها من الفرحة: انت بتتكلم بجد؟ مش بتهزر صح؟

اشار للمحل أمامه: يلا ادخلي وشوفي بنفسك بهزر ولا بجد.

دخلت معه لتصاب بالذهول لاسعار الفساتين المبالغ فيها، علقت بهمس: ايه الاسعار دي يا زهير؟ ما تخيلتش الاصفار دي كلها والمبالغ دي.

همس بدوره: ما تركزي في الشكل وتسيبك من السعر وما تشغليش بالك بيه، اختاري يا روح قلبي اللي يعجبك.

نظرت له سارة وهي تعجز عن الكلام، هل ستمنحها الحياة فرصة حقيقية للسعادة؟

اقتربت منه وقبلت وجنته قبلة طويلة ثم نظرت لعينيه: شكرًا لانك في حياتي.

ابتسم بصدق وعلق: وشكرًا لانك انتِ في حياتي، يلا نختار فستانك يا قمر.

اختارت سارة فستان أحلامها وحين وصلت بيتها وقفت معه على مدخل الباب ليهمس بحب: بعد الايام والساعات علشان تيجي بيتي.

ابتسمت بحرج: ماهو أنا دلوقتي في بيتك برضه.

رفع حاجبه وعلق: هنستعبط؟ ماشي يا ستي نعدل الجملة بعد الساعات علشان تيجي حضني، هتقولي ايه بقى؟

رفعت عينين محملتين بالحب والاحلام الوردية: هقول وأنا كمان زيك، انت ما تتخيلش أنا بحبك قد ايه.

اقترب منها وأمسك يديها: قوليلي طيب بتحبيني قد ايه؟

حاولت التراجع ولكن أحكم قبضته على يدها: قولي

نظرت لعينيه: انت عارف

جذبها تجاهه: ماحدش قالك قبل كده إن كلام الحب الكل بيحب يسمعه؟ ولو ألف مرة قولتي بحبك هقولك قوليها ألف و واحد.

اقتربت من اذنه وهمست: بحبك

تحركت لاذنه الاخرى وهمست: بحبك.

ثم رفعت عينيها له: بحبك، اقولها تاني ازاي؟

تنهد بحب وهو يجذبها لقلبه ويضمها بحب: أنا اللي هقولها بحبك يا سارة بحبك.

ابتعد عنها وهو يداعب وجهها: همشي بقى بدال ما نتهور مش باقي كتير يا قلبي.

اغلقت الباب خلفه لتجد والدتها بانتظارها وحين لاحظت نظراتها: مالك يا ماما بتبصيلي كده ليه؟

علقت ابتسام: عرفيه عن هشام، انتِ سبق وعملتيله فضيحة في البنك يعني ممكن أي حد يقوله وساعتها مش هيسامحك لكن لو عرفتيه بطريقتك انتِ لو حد اتكلم هيخرسه فعرفيه واسمعي نصيحتي.

رفضت تمامًا: لا يا ماما مش هقوله وبعدين محدش هيروح يقوله مراتك كانت تعرف هشام قبلك ولا موظف هيعملها

أمسكت ذراعها: لو مكان غير المكان اقولك اه لكن وارد يا بنتي حد يقولها ولو حتى عنادًا فيكي ده مش بعيد هشام نفسه يقوله.

عقدت حاجبيها بتفكير: لا لا هشام ما يعملهاش، هشام بيتشغل على المداري وبيكره العلن مش هيروح يفضح نفسه أبدًا.

وصل هشام بيته متأخرًا كعادته ليجد هدير بانتظاره: اتأخرت؟

نظر لساعته ثم لها:

معلش، كوتش العربية فرقع مني وأخد وقت عقبال ما غيرته. المهم أكلتي ولا أطلب حاجة من بره؟

السفرة جاهزة أصلًا، بس تلاقي الأكل برد وهيحتاج تسخين.

ابتسم وهو يدخل وينظر للطاولة:

هسخنه أنا، انتِ ارتاحي بقى.

توجه لغرفته ليبدل ثيابه، ورن هاتفه فرد بسرعة وهمس:

إيمي، قولتلك لما أروح البيت ما تتصليش، وبعدين أنا لسه سايبك، عايزة إيه؟

ضحكت:

بتعجبني وانت مزنوق كده ومش عارف تتكلم، أصلك نسيت محفظتك هنا فقولت أعرفك.

وضع هشام يده بسرعة على جيبه ليلاحظ اختفاءها، فعلق بضيق:

هنزل شوية كده وأخدها. انتِ نازلة الشغل ولا؟

ولا، مأجزة النهاردة، منتظراك، بيبي.

أغلق الهاتف ووضعه على الوضع الصامت، قبل أن يخرج لزوجته:

الشيف هشام في خدمتك يا أفندم، شاوري وهشام ينفذ.

ضحكت هدير وابنها الذي اقترب:

بابا، هناكل امتى طيب؟

حمل ابنه ليضعه على كرسي أمام الطاولة:

حالًا يا قلب بابا. (نظر لهدير) إيه اللي محتاج يتسخن أحطه في المايكروويف؟

اهتم بها طوال الأكل، وهو يضع بفمها الأكل هي وابنه، ثم نظف الطاولة ووضع كل الأطباق بغسالة الأطباق. خرج ليرتدي ملابسه، فسألته بذهول:

انت خارج؟

نظر تجاهها:

آه، نازل أودي الكاوتش يتصلح، الاستبن استعملته، فهودي ده يتصلح علشان يكون معايا دايمًا واحد احتياطي. ساعة مش هتأخر.

علقت وهي تتعلق برقبته:

بلاش الليلة، خليك معايا.

قبّل وجنتها بسرعة:

ساعة، مش هتأخر يا روحي. باي.

تركها قبل أن تعترض حتى، وتوجه لإيمي ليأخذ محفظته، ولكنه وجدها تعد سهرة خاصة لها. فنظر معاتبًا:

قولتلك عايز أقضي الليلة في البيت.

ابتسمت وهي تشير للداخل:

ومين هيسهر السهرة دي هنا؟ أنا عملالك صالة ديسكو جوه، الأنوار والمزة والمشاريب، ده حتى الرقاصة جاهزة.

فتحت الروب الذي ترتديه ليلاحظ تحته بدلة رقص مثيرة للغاية، وأكملت:

لو عايز تروح لمراتك الحامل اللي مش مبطلة ترجيع... (أغلقت الروب) مش همنعك.

أمسك رباطه وجذبه بعنف وهو يدخل معها ويغلق باب الشقة خلفه:

أنا أهبل علشان أسيب السهرة دي.

رجع إيهاب لبيته ليكرر ما فعله بالأمس. فهو بعد خروجه من الحمام توجه للخارج دون أن ينطق حرفًا. وقبل أن يخرج، أوقفته حنين:

مش هتتغدى؟

أجابها دون النظر إليها:

لا، أكلت في الشغل. عايزة حاجة مني؟

حين لم تجبه، توجه للخارج وهي تحاول منع دموعها. انتبهت على يد هبة توضع على كتفها:

يلا، تعالي انتِ اتغدي معانا وهو سيبيه براحته.

نظرت حنين تجاهها:

هو فعلًا بياكل مع زمايله ولا بيقول كده بس؟

ابتسمت هبة لاهتمام حنين:

الله أعلم. ساعات فعلًا بياكل معاهم وساعات لأ. حنين، إيهاب حنين جدًا بطبعه، ولو كلمة منك حلوة ولينة هيتقبلها. حاولي وصدقيني هيشيلك فوق راسه. إيهاب مش من النوع اللي ممكن يقول مثلًا دي جت صالحتني أو كذا أو كذا، بالعكس بيقدر اللي يقدره أوي، ولو قربتي خطوة هو هيقرب قصادها عشرة. ثقي فيا.

حاولت حنين الاعتراض، ولكن أوقفتها هبة:

أنا مجرد بفهمك طبيعته مش أكتر. أنا معرفش أصلًا انتو بينكم إيه، ولا زعلانين من إيه، أو حتى إذا كنتوا زعلانين أو لا. أنا بس

بوضحلك نقطة معينة. تعالي كلي معانا.

قبل أن تتحرك، لمعت عيناها بفكرة، فرجعت أمام حنين:

ولا أقولك، إيه رأيك لو تاخدي طبقين كده وتطلعي لإيهاب؟ وأهو خطوة حلوة، وصدقيني مش هيكسفك أبدًا.

تعجبت حنين ورددت:

أطلعله؟ أطلعله فين؟ مش هو خرج؟

ابتسمت هبة باستغراب:

انتِ كل ده ما تعرفيش إيهاب بيطلع فين؟

حركت رأسها تنفي معرفتها، فوضحت هبة بحب وهي تجذبها من ذراعها تجاه المطبخ كي تعد الأطباق لها:

إيهاب بيطلع لمكانه المفضل، أو ممكن تسميه استديو الرسم بتاعه، أو منطقة هروبه لما بيحب يهرب من الدنيا.

ازداد تعجبها:

فين المكان ده يا هبة؟

وضحت هبة:

السطوح. إيهاب نظفه، وحاطط فيه كنبة كده وكام كرسي، وحاطط فيه كل ما يخصه من كتب ولوحات وألوان. باختصار، حياته كلها فوق. إزاي ما تعرفيش ده؟ ادخلي غيري هدومك والبسي حاجة حلوة. هكون جهزتلك طبقين كده تاخديهم وتطلعي لعنده.

وكلمة حلوة منك على ابتسامة أحلى وهتلاقيه بيقع تحت رجليك. إيهاب بيحبك، أوعي تنسي ده. استغلي يا بنتي حبه ده. هو أنا اللي هقولك يا حنين برضه؟

دخلت حنين، واختارت فستانًا طويلًا يجسمها من الأعلى ويتسع في أطرافه من الأسفل وطويل للغاية. فردت شعرها ووضعت بعد اللمسات البسيطة التي تنير وجهها، ووضعت القليل من عطرها المفضل الذي لاحظت أن إيهاب يعشقه حين يقترب منها.

خرجت بعدها لتعلق هبة بفرحة:

زي القمر. (أعطتها صينية وعليها طبقين غطتهما بعناية ووضحت) طبق شكلت فيه كل أنواع المحشي، والتاني حطيت فيه حتتين فراخ وشوكتين. أهم مع إني فكرت أحط واحدة وتأكلوا بعض، بس قولت لأحسن تتضايقي انتِ.

ابتسمت حنين تشكرها، وقبل أن تخرج، أوقفتها هبة وهمست:

أول ما توصلي يا حنين، وقبل ما تدخلي عنده، حطي الصينية على السلم وافتحي كام زرار اللي فوق دول. (أضافت بمزاح) اغريه، خليه ما يعرفش يتكلم. هاه؟

ضحكت حنين وابتسمت لهبة وشكرتها:

ادعيلي يا هبة.

ابتسمت ورفعت يديها للأعلى:

يارب يهديكم ويصلح حالكم انتو الاتنين ويسعدكم.

صعدت حنين للأعلى وهي في غاية التوتر، وقبل أن تدخل فكرت في التراجع. وقفت عدة دقائق تراقبه من الخارج، غير قادرة على الدخول إليه أو العودة للأسفل.

أخيرًا قررت الدخول، وليحدث ما يحدث، فلا يوجد ما هو أسوأ مما تعيشه الآن.

اخذت عدة انفاس متتالية وقبل أن تدخل تذكرت نصيحة هبة فوضعت من يدها الصينية وفتحت عدة أزرار من الأعلى فتبرز جمالها ومفاتنها أكثر ثم أغلقتهم مجددًا فجسدها غير مغري بالمرة ثم عقدت حاجبيها بحيرة، وأخيرًا قررت فتحهم فلو هي غير مثيرة فسيتضح من نظراته لها.

دخلت حنين ليتفاجئ بها إيهاب فيقف وهو يعقد حاجبيه بضيق: حنين؟ خير؟

وضعت الصينية من يدها أمامه على الطاولة الصغيرة بهدوء وتعمدت أن تظل للحظات وترفع عينيها لتجد انظاره اتجهت بتلقائية لفتحة فستانها بالأعلى ثم يرفع عينيه لها ويسألها: وبعدين؟ المفروض ايه؟

حاولت الابتسام: المفروض تاكل وبس

وقف بضيق وتحرك مبتعدًا عنها: مش بتكلم عن الأكل وانتِ عارفة ده كويس فبلاش نلف وندور حوالين بعض.

وقفت وهي تحاول التماسك وسألته بصوت يكاد يخونها: طيب بتتكلم عن ايه ومش هلف ولا أدور؟ قصدك ايه ببعدين؟

التفت لها غاضبًا واقترب منها: بتكلم عن كل ده (أشار عليها) لبسك، مكياجك، شعرك المفرود، البرفان اللي حطاه، فتحك زراير الفستان بالشكل ده؟

وضعت يدها بتلقائية على صدرها تضم فستانها بينما أكمل هو بتهكم: المفروض يعني إني استسلم ولا اني ارمي نفسي تحت رجليكِ؟ متوقعة ايه مني معلش؟ (بمنتهى السخرية اكمل) مش هقاوم جمالك؟

نظرت له بحدة وخانتها دموعها فهي ليست جميلة وهي تعلم ذلك ولكن نطقه هذه الجملة بتلك الطريقة قد اهانتها للغاية فتراجعت للخلف وعلقت من بين دموعها: لا طبعًا جمال ايه اللي بتتكلم عنه؟ بس مش عارفة انت امتى شوفتني مبهدلة نفسي علشان مستغرب اني حاطة ميكب أو لابسه فستان أو برفان؟ كنت بتشوفني قبل كده مقطعه هدومي يعني ولا ايه؟ أما الزراير فآسفة اتفتحوا من غير ما آخد بالي، آسفة مش هكرر كل ده تاني أو أحاول اتعامل معاك بذوق.

تحركت لتبتعد ولكنه أمسك ذراعها بعنف جذبها ناحيته بغضب: انتِ عايزة منى ايه هاه؟ نفسي افهم، عايزة مني ايه؟ من يوم ما قابلتك لحد النهاردة يوم بتبتسمي وبعدها بلحظة تكشري، تضحكي وتعيطي، تمسكيني وتقربيني وبعدها تطرديني شر طردة، مش قادر افهمك، مبقتش عارف أي حاجة معاكِ، جاوبيني عايزة مني ايه؟

حاولت تخليص ذراعها منه ولكنه أحكم قبضته فنظرت لعينيه ودموعها تشوش رؤيته

***

3

حاولت تخليص ذراعها منه ولكنه أحكم قبضته فنظرت لعينيه ودموعها تشوش رؤيتها: كل اللي كنت عيزاه حبك وقلبك واحترامك لكن رميت كل حاجة في وشي (جذبت ذراعها بعنف ليتركها بينما صرخت هي به) مش ذنبي اني باردة أو مش عارفة ازاي ارضيك، لو في حاجة اعملها هعملها من غير تردد لكن مش عارفة ازاي الواحدة ممكن ترضي راجل، مش عارفة (سكتت قليلا لتمسح دموعها وتستطيع التحدث دون النحيب) أمجد (أولاها ظهره حين سمع اسمه ولكنه لم يقاطعها سيتركها تفرغ ما بجعبتها) أمجد قالي ألف مرة اني انسانة باردة خالية من المشاعر والمفروض احمد ربنا انه مكمل معايا وإن أي راجل هينفر مني لبرودي وفشلي في العلاقة (مسحت دموعها ليلتفت هو إليها بذهول) جزء مني فسر كلامه اني علشان بكرهه مش متقبلة منه أي حاجة (استمرت في مسح دموعها بكم فستانها) وجزء مني قال افترض انه بيكذب واني مش وحشة اوي كده ولا جسمي خالي من الانوثة ولا بينفر أي حد زي ما اقنعني لكن رد فعلك ونفورك مني بالشكل ده أكدلي انه كلامه كان صح (رفعت عينيها تنظر اليه تستجديه) لكن قولي ازاي أعالج عيبي ده؟ أنا باردة ومبعرفش أسعد حد بس علمني (أضافت بخفوت) مش يمكن اتعلم واعرف اسعدك؟ مش يمكن ابقى كويسة مع الوقت؟ اكيد فيا حاجة ولو واحدة حلوة ممكن تخليك تتغاضى شوية عن فشلي في ارضاءك وتديني فرصة أحاول تاني اسعدك أو أعمل أي حاجة تعجبك.

الصدمة فقط هي الشعور الوحيد المسيطر على إيهاب، الدنيا تدور من حوله فعن أي فشل تتحدث؟ عن أي ارضاء تتكلم؟ لم يشعر فجأة انه قد أصيب بالغباء فهو لا يفهم كلمة واحدة مما تقوله؟ عن أي ارضاء تتحدث؟ هل تتحدث عن نفسها حين قالت إن جسدها خالي من الأنوثة؟

استمرت حملقته بها وتنقل بنظره لجسدها وهو يكاد ينفجر من الغيظ فهي آلهة الجمال في نظره فكيف ترى نفسها خالية من الأنوثة؟

انتبه لها تتحرك من أمامه وتجرى للخارج حين طال صمته ولكنه ركض خلفها ليوقفها قبل أن تخرج من الباب ويجذبها إليه لاهثًا: انتِ بتقولي ايه وبتتكلمي عن ايه بالظبط؟ أنا مفهمتش حرف واحد من اللي قولتيه وحاسس بكمية غباء ملهاش نظير ولا حد ولا نهاية، معلش واحدة واحدة وفهميني مين دي اللي خالية من الانوثة؟ انتِ بتتكلمي عن حد تاني صح؟ أنا مركزتش في الكلام وبتحكي عن حد تاني؟

نظرت له بتعجب، أهو يسخر منها الآن؟

مد يديه ليمسح وجهها وهمس: حنين اتكلمي، مين دي اللي وحشة وفاشلة وباردة؟ بتتكلمي عن مين؟ ونفور ايه؟ فهميني قصدك ايه؟

حاولت الابتعاد فهو حتمًا يسخر منها، احكم يديه حول ذراعيها: مش هسيبك فهميني كلامك الاول.

نظرت لعينيه بترجي: سيبني لو سمحت مش لازم تتريق عليا،

خلاص هسيبك في حالك ومش هفرض نفسي عليك تاني، أمجد كان عنده حق إن مفيش راجل تاني هيقبلني بحالتي دي.

صرخ بها وهو يقبض على ذراعيها لدرجة آلمتها: الله يحرق أمجد مطرح ما هو موجود، مبقتش قادر اسمع اسمه منك، بطلي تتكلمي عنه قدامي، أرجوكِ سيبيني ولو لحظة انسى انك بتحبيه ومش قادرة تنسيه، بس لحظة يا حنين.

هنا اتسعت عيناها من الذهول ورددت: أحبه؟ أحب مين؟ انت متخيل اني بحب أمجد؟

تنهد بضيق وهو يترك ذراعيها ويوليها ظهره: اسمه مش بيفارق لسانك أبدًا.

حركت رأسها برفض بينما التفت هو إليها بحدة واقترب منها للغاية: انتِ في اللحظة الوحيدة اللي اتمنيت اسمع اسمي من بين شفايفك نطقتي اسمه هو، اسمه يا حنين، فنفور ايه اللي بتتكلمي عنه ولا فشل ايه ولا ايه بالظبط؟ لاني بجد مش فاهم.

سألته بحيرة: لحظة ايه اللي كنت منتظرني أقول اسمك فيها؟ أنا على طول بقول اسمك.

علق بتهكم: اهو هتلعب دور الغباء.

تحرك مبتعدًا ولكنها وقفت أمامه تمنعه وتعلقت بنظراته: لحظة ايه يا إيهاب؟

أمسك ذراعها بعنف واقترب من وجهها هامسًا: اللحظة اللي جسمك اترعش فيها واتقابلت عنينا، اللحظة اللي حسيت إن العالم

كله ملكي وانتِ في حضني وبين ايديا ومفيش غيرنا في الكون كله، اللحظة اللي أول مرة أحس فيها بالاحساس اللي عشته في حضنك، اللحظة اللي اتمنيت أكررها الف مرة كل يوم، عرفتي أي لحظة ولا لسه هنكمل غباء؟

أطالت النظر لعينيه. هل إحساسه مماثل لإحساسها؟ فلم تركها ورحل؟ علقت بحيرة:

انت رمتني بعدها وسيبتني.

أمسكت ملابسه بيديها الاثنتين:

انت رمتني بعدها ورفضت حتى تسمعني.

أمسك كلتا يديها محاولًا إبعادها عنه، ولكن دون أن يبعدها فعليًا:

كنت مستني أسمع اسمي، لقيتك بتقولي أمجد. اللحظة دي كانت بتاعتنا أنا وانتِ وبس، لكن عمري ما تخيلت أبدًا إن عقلك وقلبك وأفكارك مع جوزك الأولاني؟ طيب وأنا كنت إيه؟ غمضتي عنيكِ وتخيلتيه هو؟ وعيطتي لما فتحتي عنيكِ ولقيتيني أنا قدامك؟ صح؟ مش ده اللي حصل؟ مش ده سبب عياطك؟ إن اللي في حضنك وبين إيديكِ إيهاب مش أمجد؟

انهمرت دموعها مجددًا وهي تشدد يديها على ملابسه:

انت فعلًا غبي يا إيهاب، وغبي لدرجة كبيرة جدًا.

حاول أن يبتعد:

شكرًا يا ستي.

جذبته تجاهها:

إيهاب، أنا ما بحبش أمجد. (نظر لها وهو يحرك رأسه برفض) وعمري ما حبيته أصلًا. أمجد كان أسوأ حاجة حصلت في حياتي.

عقد حاجبيه بحيرة:

اسمه مش بيفارقك؟

لأنه دمرني ودمر أحلامي وكرهني في نفسي.

علق مجددًا:

انتِ بتصوني نفسك بعده وما سمحتيش لأي حد يدخل مكانه. ويوم ما لمستك يوم فرحنا، قلبتي الدنيا، ولا نسيتي؟ يوم ما رقصتي معايا واشتغلت الأغنية اللي فكرتك بيه، فاكرة رد فعلك؟ بلاش كل ده، اتفاقك معايا إن جوازنا يكون صوري؟ بلاش منعك إني أقرب منك أو ألمسك طول الفترة اللي فاتت؟ رد فعلك بعد ما لمستك وعياطك ودموعك اللي نزلت واسمه اللي قولتيه؟ كل ده كان إيه؟

أغمضت عينيها لتجليهما من الدموع ونظرت إليه:

أول ليلة مع أمجد، ليلة العمر زي ما بيسموها.

قاطعها مشيحًا بنظره:

مش عايز أسمع عن ليلة العمر في حضنه يا حنين.

مدت يدها لوجهه وأعادته لينظر إليها:

انت لازم تسمع كل حاجة ومن البداية. بابا كان عنده حق إنك لازم تعرف كل تفاصيل علاقتي بأمجد علشان تقدر تفهمني. اسمعني علشان نقفل قصة أمجد للنهاية.

هسمعك، بس بعدها مش عايز أسمع اسمه تاني منك ولأي سبب. مش عايزك تنطقيه.

ابتسمت من بين دموعها:

اتفقنا.

أمسك يدها وتحرك بها ليجلسا سويًا على أريكته المتهالكة، والتفت إليها:

كلي آذان صاغية. ليلة العمر معاه كانت إيه؟

تنهدت وواجهت نظراته:

ليلة العمر معاه ملهاش أي مسمى غير إنها اغتصاب وبس.

عقد حاجبيه بضيق:

مفيش حاجة اسمها راجل يغتصب مراته يا حنين. ده فرحكم. آه ممكن يكون عنيف شوية أو مش متفهم، لكن ما اسموش اغتصاب.

أمسكت ذراعه بترجي:

أوعى تكون زيهم يا إيهاب. أنا قولت إنك مختلف عن الكل وعلى طول بتفهمني وبتشبهني، فأوعى تكون زيهم.

نظر لعينيها:

مش زيهم، بس برضه أول ليلة ممكن تكون مؤلمة للبنت أو مش حلوة، بس مش اغتصاب. وبعد فترة الواحدة بتتعود و...

قاطعته تصرخ:

من أول ليلة لحد ما انفصلنا، وعمري ما حسيت غير بالاغتصاب. هتقولي برضه ده الطبيعي؟ كرهته وكرهت قربه وكرهت حتى النفس اللي بيتنفسه جنبي. كرهت الليل اللي ممكن يجمعنا. كرهت دخوله البيت، وبتشهد كل ما يخرج.

حرك رأسه برفض:

قولي لأهلك. انتِ عندك أهل مستعدين يقلبوا الدنيا علشانك.

صرخت وهي تتذكر والدتها:

قولت لأمي. قالتلي ده الطبيعي. العلاقة بتكون صعبة. قولتلها بعد كده بكرهه. قالتلي انزلي لأرض الواقع، لأني حالمة، والحب مالوش وجود، والعلاقة الزوجية هي كده، بس لأني رومانسية ومتخلفة صدقت الأفلام والروايات إن قرب الحبيب ممكن يرفعني للسما. أقنعتني إن كل ده وهم، وهي دي طبيعة أي علاقة زوجية. حاجة الراجل بيجي يغتصب مراته ويقوم عنها وينام، وهي تتحرق. فسكت. بس مقدرتش أقبله. ولما واجهته، قالي إن العيب فيا أنا، وأنا اللي باردة ومشاعري باردة وعندي مشكلة، وهيجرب يعالجني. وكان فعلًا بيجيبلي أقراص قال إنها بتزود الرغبة. بس كرهته أكتر، ونفرت منه أكتر. فقالي إن مفيش أمل فيا، وإن مفيش راجل هيتقبلني، والمفروض أحمد ربنا إنه قابلني بعيبي. ولو ما سكتش، هيروح

يفضحني عند أهلي وعند بابا، ويتكلم عن برودي وفشلي معاه وعن إني ممكن أكون شاذة. وانت أكدت كلامه لما سيبتني وقومت، وقلت مش عايز تسمع حرف مني، وإنك كنت غبي لأن كل حاجة كانت واضحة قدامك.

نكست رأسها، ليرفعها هو بذهول:

حنين، أنا قومت لأني تخيلت إنك في حضني وأفكارك معاه هو وبس.

رفعت عينيها له:

لساني خاني.

سألها بهمس:

ودموعك؟ عيطتي ليه؟

لمعت دموعها:

لإن إحساسي في حضنك كان أول مرة أعيشه. أول مرة جسمي يترعش بالشكل ده، وأحس بالمتعة دي. افتكرت كل مشهد رومانسي قريته، وافتكرت كل مشهد شوفته، ولقيتني عيشاهم بجد. أحلامي الميتة صحيت من تاني. الوهم معدش وهم، بقى حقيقة. كان نفسي أصرخ بعلو صوتي وأقولهم إنه مش وهم، أهو عيشاه. صحيت حاجات ماتت فيا.

لامها وهو يضغط على ذراعيها بغضب:

نطقتي اسمه هو.

أمسكت رقبته:

كنت عايزة أقولك إن أمجد فهمني إن ده مش موجود، وإني معيوبة. بس انت ما سمعتنيش، ما أديتنيش فرصة أكمل.

ازداد ضغطه على ذراعيها:

برضه نطقتي اسمه في اللحظة دي. كنت عايز أقولك إني بعشقك، مش بس بحبك. كنت عايز أسمع اسمي من بين شفايفك. كنت عايز أشوف الحب اللي حاسه جوايا في عنيكِ. بس بدل كل ده، ما شوفتش غير دموعك وما سمعتش غير اسمه. حسيت بحد بيحط سكينة باردة في قلبي. بعد ما تبقي في حضني وبالقرب ده، وبعد كل اللي عشناه ده، بتفكري فيه هو؟ مقدرتش أتقبل ده. مقدرتش أسمع أو أشوف أي حاجة تانية. حسيت بالخيانة. وجعتيني فوق ما ممكن تتخيلي. (أمسك يدها ووضعها على قلبه) قلبي كان بيوجعني فوق ما تتخيلي.

نظرت لعينيه وهمست:

أنا بحبك انت.

تقابلت نظراتهما، واختفى الكون بأجمعه من حولهما. أحس أنه يحلق فوق السماء، أو ربما هو يعيش حلمًا لا يريد الاستيقاظ منه أبدًا. همس ليتأكد:

قولي تاني. انتِ قولتي إيه؟

ابتسمت من بين دموعها:

قولت بحبك انت. لو حد وجع حد، فبعدك عني هو اللي وجعني. طلعتني لسابع سما وخلتني وسط السحاب، ومرة واحدة سيبتني أقع بعنف. رمتني من السما لسابع أرض بقسوتك عليا.

وضع إصبعيه على شفتيها يمنعها من التكمل، ووضع جبهته فوق جبهتها:

تخيلت إنك بتحبيه. تخيلت إني بديل مش أكتر. حقك عليا. حقك عليا. حقك عليا.

وضعت يديها حول رقبته:

انت أول راجل في حياتي بجد، أول حب، أول عشق، أول حد أتمنى قربه، أول حد يملكني بقربه، أول حضن بجد، أول بوسة، أول رعشة، أول علاقة كاملة. انت أول كل حاجة حلوة في حياتي يا إيهاب.

نظر لعينيها غير مصدق لما يسمعه:

أول حضن إزاي وأول بوسة إزاي؟ خلينا منطقيين.

تعلقت بعينيه واقتربت منه أكثر:

أول مرة أمجد قرب علشان يلمسني نفرت منه. كانت ليلة فرحنا، وبمجرد ما قرب عرفت إني ارتكبت أكبر غلطة في حياتي. وأول ما نفرت منه وهو حس ده، أخد الباقي غصب. رماني على السرير وشبه قطع هدومي، ولما اتأوهت واتوجعت حط إيده على بوقي يخرسني. عيطت وعيطت وعيطت، بس محسش ولا شاف دموعي، لحد ما قام من فوقي وقال لي بالحرف: "العلاقة الزوجية أول مرة

ما اتعملتش للمتعة. دي وظيفة وواجب وفرض." وسابني ودخل الحمام. كرهته ولعنته، وحسيت إن كل حاجة اتمنيتها وحلمت بيها بتنتهي وتتدمر. ولما اتكلمت مع ماما، أكدت كلامه. بقيت ميتة معاه.

أمسك وجهها بكلتا يديه:

أنا محتاج أعرف كل التفاصيل عن السنة اللي عشتيها معاه. ليه كملتي معاه؟ ليه عشتي سنة كاملة؟ ليه بعد ما طلقته مكملتيش حياتك طالما بتكرهيه؟ ليه فضلتي مخلصة لذكراه؟ عندي ألف "ليه" يا حنين، محتاج أسمع إجاباتهم.

مسكت يده وضعتها على ضلوعها:

حاسس بكسر هنا في الضلعين دول الأول؟

أومأ برأسه بنعم، فعلقت هي:

هو كسرهم بضربه فيا.

قصت عليه حكايتها كاملة معه إلى أن تخلصت منه ودفنت حياتها معه.

نظرت لعينيه:

دفنت معاه حنين القديمة ودفنت كل حاجة، واتحولت لشخص ميت لأنه قتل كل حاجة حلوة جوايا. كرهت أمي اللي سمحت له يتمادى وحاولت تقنعني دايمًا إنه صح وأنا غلط. ولحد النهاردة هي لسه بتغلطني على خسارتي لأمجد لأنها شايفاه خسارة. ولما انت ظهرت، رجعت الألوان لحياتي. رسمتني على الحيطة، معرفش إزاي

بس دي أنا. دايمًا كنت بحلم إني فوق السحاب، حواليا فراشات وورود وقلوب. رجعت حنين القديمة، وعلشان كده بقيت متلخبطة: أبعد وأقرب، أبتسم وأعيط، أفرح وأزعل. مبقتش فاهمة إيه بيحصل لي. والليلة اللي قضيتها في حضنك، صحيت كل حاجة مرة واحدة. رجعت كل أحلامي من تاني، رجعت حنين القديمة.

نظرت لعينيه لتجد الكثير والكثير. نطقت بتردد:

إيهاب، قول أي حاجة. انطق، اتكلم، أي...

قاطعها بانقضاضه على شفتيها، فالكلام لن يعبر عما به أبدًا. أمسك وجهها بيديه واستمرت قبلاته لوقت طويل، فهو غير قادر على الابتعاد عنها مجددًا.

همست باسمه من بين قبلاته:

إيهاب... لحــظة.

أبعد شفتيه دون أن يبتعد عنها وهمس لاهثًا:

عايزة تقولي إيه؟

وهمست وشفتيها تلمس شفتيه:

لو هتبعد عني تاني، ما تقربش. ولو...

أمسك شفتيها يمنعها من تكملة عبارتها، بعدها علق:

طول ما اسمي اللي بسمعه من شفايفك، مش هبعد.

قبلته هي هذه المرة واستمرت قبلاتهم لفترة طويلة، قبل أن تبتعد

قليلًا عنه وتهمس:

الأكل زمانه برد؟

تعجب ونظر تجاه الأكل ثم إليها بعتاب:

بجد بتفكري في الأكل؟ أنا آه بفكر في الأكل، بس مش الأكل ده.

ابتسمت وسألته بجهل مصطنع:

أمال بتفكر في أي أكل تاني غير ده؟

رفع ذقنها للأعلى وحرك أصابعه على شفتيها:

ده الأكل اللي بفكر فيه.

انقض مجددًا على شفتيها ليحاول تعويض كل ما فاته الأيام الماضية. قبّل رقبتها إلى أن طبع لمساته في كل منطقة بها، ثم تحرك ناحية أزرار الفستان ليفتحها كلها ويدفن وجهه، وهي تضغط على رأسه بيديها تزيد من اقترابه منها.

ابتعد لاهثًا:

مش هينفع نكمل هنا. (نظرت له بعينين متعلقتين متعطشتين للمزيد والمزيد) إحنا فوق السطح وأي حد ممكن يشوفنا. خلينا ننزل أوضتنا؟

وقف وهو يحملها بين ذراعيه:

هننزل تحت، ماشي.

أوقفها على قدميها، ولملم شعرها، وأغلق أزرار فستانها. نظر لها

كلية ليقبلها مجددًا، ثم يبتعد مبتسمًا:

انزلي وادخلي لأوضتك على طول. ما تقفيش تتكلمي مع أي حد لأي سبب. (وضع مفاتيحه في يدها) افتحي وادخلي على طول.

استغربت:

ليه؟

ابتسم وهو يلمس شفتيها:

شفايفك الحمراء ورقبتك موضحين بالظبط إيه اللي كان بيحصل هنا، فادخلي وما تقفيش مع حد.

أحست بالحرج والدماء تغزو وجهها فتزيد احمراره، بينما ابتسم هو:

انزلي

انزلي يلا، وأنا هحصلك.

بعد أن تحركت خطوة، عادت مجددًا له تقبله بدورها، ثم همست:

أوعى تتأخر.

قبّل يديها الاثنتين:

مش هتأخر. (قبل أن تبتعد، أمسك ذراعها) البسي حاجة زي اللي كنتِ لابساها علشان أرسمك.

أومأت موافقة برأسها، ليؤكد هو:

نفسي أشوفك في قميص نوم.

سألته بحرج وهي تهرب من عينيه:

لون معين؟ ولا...

أجابها:

أسود.

رفعت عينيها بتساؤل، فأجاب عن تساؤلها:

ما تتخيليش قد إيه اللون الأسود بيبرز جمال أي حاجة جنبه. جننيني زيادة بالأسود.

ابتسمت وهربت من أمامه، لينظر هو للسماء متعجبًا من أفكاره وأين أوصلته، بينما الحقيقة مختلفة تمامًا.

فتحت حنين الباب بهدوء، وحمدت الله أنها لم تقابل أحدًا في طريقها، فتوجهت لغرفتها مباشرة.

هدير وزوجها:

نظرت هدير لساعتها مرة بعد مرة، وقد مرت ساعتان. تيقنت أنه سيقضي سهرته بالخارج. تذكرت صراخ أخيها آخر مرة، وبداخلها ثقة أن زوجها سيخذلها دائمًا وأبدًا.

انتظرت عودته ليصل بعد منتصف الليل ويجدها بانتظاره. ابتسم واقترب ليقبلها، لكنها ابتعدت:

ريحتك بشعة كده ليه؟ انت شارب إيه؟ ولا عامل إيه في نفسك؟

ابتعد بسرعة:

هاخد شاور سريع وابقى...

قاطعته بغضب:

الشاور هيعملك إيه؟ هيلغي فكرة إنك قولت ساعة وراجع؟ ولا هيمسح ريحتك اللي بتقول إنك كنت سهران مع...

قاطعها بسرعة:

سهران مع أصحابي. كلموني بعد ما روحت عند بتاع الكاوتشات أصلح الكاوتش، وقالوا إنهم سهرانين. وصراحة ضعفت فروحت أسهر معاهم شوية. قولت ساعتين مش هيضروا حد.

حاول أن يهدئها، فوضع يده على كتفها:

حقك عليا يا "ديرو" يا قلبي، استحمليني. معلش، انتِ عارفة إني مش كائن بيتوتي للأسف. بحاول بس مش بقدر. (قبّل وجنتها بسرعة) سامحيني بقى يا قمري. هاخد شاور وأغير الهدوم اللي مضايقاكي دي وأرجعلك.

راقبته يبتعد وهي متعجبة من نفسها. كيف تسامحه وهي تثق تمامًا في كذبه؟ ولكن ربما يخبرها الحقيقة، وسهرته مع أصدقائه ليست مع امرأة أخرى؟ فلم تصر على خيانته لها؟ هو بالفعل كائن غير بيتوتي بالمرة، لكنه ليس بخائن.

تنهدت باستسلام لضعفها وغبائها المطلق، وتوجهت لغرفتها بانتظاره.

خرج من الحمام منتعشًا، رائحته كما تعشقها هي. توجه لها مباشرة

وقبّل وجنتها بحب:

روح قلبي وعمري ودنيتي كلها، تحبي أجيبلك أي حاجة قبل ما أقعد هنا معاكِ؟

حركت رأسها برفض، لكنه خرج من الغرفة ليعود بعد قليل وهو يحمل صينية عليها العديد من الفواكه مقطعة بطريقة جميلة. وضعها أمامها مبتسمًا:

لازم نغذي البيبي وأمه كويس أوي، ولا إيه؟

نظرت له بابتسامة عريضة:

انت جبت الفواكه دي كلها إمتى؟

نظر لشفتيها برغبة واضحة:

عديت على محل بيقدمها وطلبت منه الكوكتيل ده علشان عارف إنك بتحبي الفواكه، وبالذات وقت الحمل، واخترت كل نوع بتحبيه. حبيبتي، أنا عايزك تثقي تمامًا إني حتى وأنا بره سهران مع أي حد، تفكيري كله دايمًا بيكون فيكِ. آه، مقصر شوية معاكِ، بس بحاول والله أعوض تقصيري دايمًا معاكِ. حاولي تعذريني على عيبي الوحيد ده، بحب أسهر بره، بس ده مش معناه أبدًا إني مش بحبك، لأن أنا بعشقك يا هدير. بحبك (مع كل كلمة يقبّلها في منطقة مختلفة في وجهها) وبعشقك، وبموت فيكِ، وبحب وجودك في حياتي، وبحب ابني (وضع يده على بطنها) وبحب ابني أو بنتي اللي لسه جايين للدنيا. عايزك واثقة دايمًا في حبي ليكِ.

أخرس بتصرفاته صوت عقلها ونبض قلبها بعشقها له، واستسلمت

لقبلاته وتوسلاته لها لتسامحه، وغرقت معه في عالمه الخاص.

إيهاب في المنزل:

نزل إيهاب بعد قليل وطرق الباب ليفتح له مازن أخوه ويسأله:

أمال مفتاحك فين؟

أجابه باقتضاب:

نسيته جوه، عندك مانع؟

دخل للمطبخ، وضع الصينية من يده، وتحرك لغرفته، لكن أوقفته والدته:

انت إيه حكايتك يا إيهاب؟

تنهد قبل أن يبتسم وينظر إليها:

حكاية إيه يا أمه؟ مالك؟

اقتربت منه:

أنا ماليش، لكن انت اللي على طول بره ومراتك على طول جوه، في إيه؟

مفيش يا أمه أي حاجة. عادي، أنا بره في شغلي، وهي براحتها تدخل أو تخرج. هي حرة.

لم تعجبها إجابته:

حتى الأكل منعته؟ ده برضه براحتها؟

مط شفتيه بحيرة، ثم غير مجرى الحديث وسألها:

إلا انتِ، حبيتيها كده من إمتى يا أمه؟ وبقيتي بتخافي على أكلها؟ وتهتمي بيها خرجت ودخلت؟

عقدت حاجبيها:

حب إيه يا أبو حب؟ سيبنا الحب ليك يا حنين انت، بس مبحبش أبقى مش فاهمة حاجة حواليا كده. في حاجة بينكم مش طبيعية. انت ياض مش بتلمسها، صح؟ ما لمستهاش من يوم ما اتجوزتوا، صح؟

علق بتهكم:

انتِ بتقولي إيه يا أمه، هاه؟ انتِ واعية للي بتقوليه؟

اقتربت منه ونظرت لعينيه. ابنها لا يكذب مطلقًا، وعيناه تفضحانه دائمًا:

احلف برحمة أبوك إنك لمستها زي أي اتنين متجوزين.

فهم والدته وابتسم، ثم اقترب منها وعينيه في عينيها:

بجد عايزاني أحلف برحمة أبويا في حاجة زي دي؟

ضحك قبل أن يحلف كما تريد هي، ثم ازدادت ضحكاته حين لاحظ صدمتها. فهي كانت واثقة تمام الثقة أنه لن يحلف مطلقًا، بل سيهرب من أمامها. ازدادت حيرتها وضعفت، فهي لم تعد تفهم شيئًا مطلقًا.

راقبته وهو يتحرك ناحية غرفته، وكعادته يطرق الباب طرقة

خفيفة ثم يدخل ويغلق الباب خلفه.

في الغرفة مع حنين:

نظر إليها ليجدها ترتدي رداءً طويلًا يغطيها بأكملها. فعقد حاجبيه وعلق بسخرية:

ما لبستيش الإسدال ليه بالمرة؟

علقت مدارية خجلها:

تصدق فكرة؟ أصلًا عندي إسدال أسود هيعجبك بما إنك بتحب الأسود.

تحركت ناحية خزانتها، ليلحق بها ويمسك ذراعها ويجذبها إليه:

هو أي أسود وخلاص؟ هاه؟ اهدي وقولي هديت.

ابتسمت:

هديت أهو.

أحاط خصرها بذراعيه، بينما اقتربت هي أكثر منه. حركت رأسها لتعيد شعرها الطويل إلى الخلف، ووضعت يديها حول رقبته:

اتأخرت بره.

همس بحب:

مازن وقفني، وأمي وقفتني. انتِ حد وقفك أو كلمك؟

نفت برأسها. وقبل أن تسأل المزيد من الأسئلة، لاحظ الرباط حول خصرها فجذبه وفتحه بسهولة. أمسك طرفي ردائها ليبعده عن

كتفيها العاريتين. نظر لعينيها، وبهدوء أزاح الرداء وتركه ليسقط عند قدميها.

ابتعد قليلًا كي يستطيع رؤيتها كاملة، فعلق بحرج:

ما تبصليش بالشكل ده.

دفنت نفسها بين ذراعيه هربًا من نظراته. فعلق وهو يضمها:

بقت آلهة الجمال دي فاكرة نفسها مش حلوة؟ انتِ هبلة يا حنين ولا إيه؟ إزاي قدر أي حد يشكك في جمالك؟ ما لاحظتيش نظرة أي حد حواليكِ؟ طيب، هو عرفتي إنه مجنون ومريض ومش طبيعي، إزاي متخيلة إن كلامه صح؟ مجنونة؟

رفعت عينيها:

بس أنا عادية، مش جميلة للدرجة و...

قاطعها وهو يمسك شفتيها يداعبهما بأصابعه:

مجرد ما ببص لشفايفك بجنّن. ما بسمعش ولا حرف، وكل اللي بفكر فيه إني ألمسهم وبس. (تحركت يده لرقبتها) رقبتك... عايز أطبع في كل حتة منها اسمي.

تحرك قليلًا للأسفل، وهي مخدرة المشاعر:

مفيش أي حاجة ممكن أقولها أقدر أوصف بيها جمالك يا حنين. لو تعرفي شعر نزار قباني لما قال:

"نهداك أجمل لوحتين على جدار المرسم

كرتان من زغب الحرير، من الصباح الأكرم

فتقدمي، يا قطتي الصغرى، إلي تقدمي...

وتحرري مما عليك... وحطمي... وتحطمي..."

ابتسمت وسألته بهمس:

انت بتحب شعر نزار قباني؟

علق بحرج:

بحب سفالته في وصف الستات.

ضحكا سويًا، ليعلق بعدها بجدية:

انتِ فيكِ كل مقومات الجمال اللي ممكن أي ست تملكهم يا حنين. معرفش ليه طليقك حاول يقنعك بعكس ده، بس واضح إنه كان عنده مشكلة في رجولته، وبدل ما يعترف بيها حاول يعكس الأمور ويقنعك إن العيب فيكِ انتِ.

تذكرت حنين وقوفها أمام المرآة وإهانته لها:

مش قادرة أنسى يوم وقفني قدام المراية، وقال لي إن جسمي مفيهوش أي آثار للأنوثة، وإن مفيش راجل ممكن يقبلني ويقبل برودي. وإني باردة، وللأسف البرود ده مالوش علاج. فبدل ما أتهمه بالاغتصاب والعنف، أحمد ربنا إنه ما رمانيش من أول يوم لبابا وقاله: "بنتك مش ست ولا تعرف بأمور الستات وما تنفعش تكون زوجة أصلًا. أحمدي ربنا إنه ستر عليكِ وقبل بيكِ. وبدل ما تتنططي كده حاولي، ولو تمثيل، ترضيه شوية بدل ما أنتِ فاشلة في كل

حاجة بالشكل ده."

أضافت بصوت مختنق:

لو عايزة أروح بيت بابا براحتي، بس هيقوله على برودي ده، وإني ناشز ورافضة جوزي، ومش بعيد يقول إني شاذة كمان. قالي إن هو زي أي راجل طبيعي، وأنا اللي باردة وما بحسش. المشكلة عندي، وأي دكتور هيكشف علي هيعرف ده. فلو عايزة نتكلم ونفضح بعض ما عندوش مانع، بس مش هيسكت وهيقول إني عايزاه مش راجل، وبسمي العلاقة الزوجية اغتصاب.

أمسك إيهاب وجهها ليعيد تركيزها إليه:

ياريتك كنتِ قولتيله: "روح لأبويا وقوله." وساعتها كنتِ هتعرفي إنه كداب، لأنه كان هيتخرس.

بس ماما قالت نفس كلامه، وقالت إن العيب فيا أنا، وده اللي خلاني أصدقه.

قبّل وجنتيها برقة:

انسيه وانسي كل كلامه الأهبل ده. والدتك مش عارف ليه قالت كده، بس يمكن دي قناعتها الخاصة، أو يمكن هي كمان بتعتبر العلاقة الزوجية مجرد واجب فما حستش بمتعة. معرفش يا حنين هي دماغها إيه، ودلوقتي مش وقت كلام عنهم. انتِ وحشاني، وفي نار جوايا عايزة تفترسك.

نظرت لعينيه:

افترس، هو أنا منعتك؟

ابتسم ثم انقض على فريسته، حملها بين ذراعيه ووضعها على السرير برقة متناهية. كلما حاولت أن تبعد نظرها عنه، يعيد وجهها إليه، فهو يريد اتصال نظراتهما طوال الوقت.

أمسك إيهاب وجهها وهمس:

قولي اسمي.

همست حنين لاهثة:

بعشقك يا إيهاب، بحبك انت وبس.

أغمض عينيه يحاول حفر كلامها في قلبه، أمسكت هي وجهه بعتاب:

افتح عينيك وقول إنك بتحبني انت كمان؟

ابتسم وقبلها برقة:

وهو أنا ما قلتهاش ألف مرة يا حنين طول الوقت اللي فات؟ ده أنا بهمسها كل لحظة وبقول بحبك.

ابتسمت:

برضه قولها تاني.

اقترب من شفتيها وقبلها:

بحبك، بحبك، بحبك.

أخيرًا استقر على ظهره وذراعه حولها لتريح رأسها على صدره،

وهو يداعب شعرها ويده الأخرى فوق يدها التي تتحرك على صدره.

راحة تامة يشعر بها، واستعداد تام أن يقضي حياته بأكملها في هذا الوضع.

رفعت رأسها للأعلى لتنظر إليه:

إيهاب؟

هممم:

همممم.

أنا جعانة، فين الأكل؟ سيبته فوق؟

ابتسم ونظر إليها:

تصدقي فعلًا أنا كمان جعان. هروح أجيبه، بس يا رب ما يكونش حد سطى عليه. نزلته معايا وحطيته في فرن البوتاجاز.

حاول أن يبتعد لتتمسك به وتقبله عدة مرات قبل أن تتركه ليرتدي ملابسه تحت أنظارها. وقبل أن يخرج عاد لتقبيلها.

عاد بعد قليل بصينية الطعام التي وجدها مكانها، فأكملا ليلتهما وهما يتناولان الطعام بشهية وبشوكة واحدة كما أخبرتها هبة.

عند آذان الفجر:

صدح آذان الفجر، ليتعجب كليهما. تحرك هو فتعلقت بذراعه:

رايح فين وسايبني؟

وضح مبتسمًا:

هاخد دش وأنزل أصلي الفجر. مش هسيبك، هصلي بس يا روحي.

توجه إيهاب لصلاة الفجر وعاد لأحضانها مجددًا ليطفئ نار ابتعاده عنها النصف ساعة الماضية. همست بين ذراعيه:

هتاخد إجازة النهارده؟

تنهد بحيرة:

مش عارف، هحاول، بس الشغل المفروض نسلمه بعد يومين. لو ما استلمتش من الأول كان ممكن، لكن طالما بدأت مش هينفع.

سندت حنين على يديها فوق صدره وواجهته:

انت متخيل تبعد عني النهار كله كده؟

داعب خصلات شعرها وحرك يده على خدها برقة:

لا، مش متخيل، ومش عارف أصلًا إزاي هنزل؟ مش عايز أبعد عنك لحظة، ده أنا مش عايز أغمض عيني وأنا معاكِ.

استرخت فوق صدره مجددًا لتهمس:

يبقى مش هتنزل الشغل شهر بحاله. نقضيه هنا، أنا وانت وبس.

ابتسم ولم يعترض أبدًا. ليترك الأمور تأخذ مجراها الطبيعي، وينعم بدفء ذراعيها وحضنها، فأخيرًا وجد سكنًا يسكن فيه.

قدرية وصباح جديد:

استيقظت قدرية في ميعادها صباحًا. طرقت الباب على إيهاب لكنه لم يجب، فاعتقدت أنه تحرك لعمله مبكرًا كعادته. نزلت لتشتري

الفطور لأولادها وطلبات بيتها، ثم عادت لتتفاجأ برنين الهاتف الأرضي. ردت بسرعة لتتفاجأ بالأسطى طلعت يسألها:

هو إيهاب فين يا أم إيهاب؟ مش بيرد على تليفونه. باتصل على الأرضي من بدري، يدوب رديتي أهو عليا.

تعجبت قدرية:

أنا كنت في السوق ويدوب راجعة. إيهاب افتكرته نزل من بدري.

سألها بحيرة:

هو مش في البيت يعني؟

ما دخلتش أوضته، فمعرفش هو جوه نايم ولا نزل، بس هو بيصحى بدري، فافترضت إنه نزل.

طيب بالله عليكي يا أم إيهاب شوفيه. خليه يكلمني ضروري.

أغلقت الهاتف وتوجهت لغرفة ابنها مباشرة، طرقتها عدة مرات فتعجبت. ابنها نومه خفيف للغاية. إذن فهو خرج مبكرًا وزوجته بالداخل بمفردها.

فتحت الباب بتردد لتتفاجيء بكليهما في السرير يغرقان في نوم عميق ولاحظت أنهما عاريين فالغطاء تحرك لمنتصف جسد حنين وظهرها عاري تمامًا بين ذراعيه وهو كذلك.

اذن فاتهامها له بأنه لم يلمسها خاطيء، اقتربت وشدت الغطاء لتغطية حنين كاملة ثم لمست ذراع ابنها توقظه بهمس: إيهاب؟ إيهاب

فتح عينيه بتكاسل ينظر إليها متعجبًا من همسها، ثم انتبه فجأة أن حنين معه وأمه أمامه ليجذب الغطاء وارتاح حين وجدها مغطاة بالكامل ثم نظر لوالدته: عايزة ايه يا أمه؟ واقفة فوق راسي ليه كده؟

همست بغيظ: الأسطى عمال يتصل من بدري وبيقول مش بترد وسيادتك نايم في العسل؟ قوم كلمه ضروري ولا اقوله نايم في حضن مراته مش عايز يقوم؟

تنهد بضيق: خلاص روحي انتِ أنا هكلمه من موبيلي.

راقبها حتى أغلقت الباب خلفها وتحرك بهدوء يغلقه بالمفتاح وقد وعد نفسه أنه سيغلقه يوميًا قبل أن ينام.

بحث عن هاتفه وتفاجيء أن الصوت مغلق وأن هناك اكثر من خمسه عشر مكالمة فائته من طلعت و خالد صديقه.

نظر تجاه حنين الغارقة في النوم وابتسم لبراءتها، قبّل خدها الناعم ثم تحرك يرتدي بنطاله قبل أن يخرج للشرفة كي لا تستيقظ من صوته.

اتصل بطلعت الذي رد غاضبًا: ده كلام يا إيهاب؟ عارف اننا عايزين نسلم الشغل في يومين وما تردش عليا كده؟

علق بحرج وبصوت يغلبه النعاس: معلش اعذرني يا اسطى بس هو ينفع ما اجيش النهاردة وبكرة

قاطعه طلعت: قولتلك قبل ما تبدأ براحتك، ما جبرتكش تيجي، قولتلك لو بدأنا مش هينفع نوقف، صح ولا أنا غلطان؟ يبقى ما

تجيش قبل التسليم بيومين وتقولي ينفع ما اجيش؟ كمل شغلك وخد إجازة براحتك لكن من هنا لحد ما تخلص شغلك مش هينفع وسامحني يا إيهاب بس الشغل شغل.

أغلق الهاتف وعاد لغرفته ليستعد للنزول وقبل خروجه من الغرفة وقف مترددًا هل يوقظها أم يتركها تنعم بنوم هاديء؟

اخيرًا كتب رسالة لها ووضعها بجانبها على وسادته (حبيبتي وحب العمر احترت كثيرًا قبل خروجي فهنالك حرب بداخلي ما بين أنانية حبي وعشقي، فأنانيتي تريد ايقاظك لأنعم برحيق شفتيك قبل خروجي وعشقي يمنعني فلا يريد ايقاظك لتنعمي بالقليل من النوم بعد سهرنا الليلة الماضية، أخيرًا تغلب عليا عشقك ليتركك ترتاحي وتستعدي لسهرة اليوم، سأعد اللحظات حتى تستيقظي واسمع صوتك الناعم تصرخين بي لاني تركتك نائمة، إيهاب)

خرج بهدوء و أغلق الباب خلفه مبتسمًا لتلاحظ قدرية ابتسامته فتضيق عينيها: ناموسيتك كحلي يا عريس، الا ما عملتها يوم فرحك وطلعت تتسحب ومبسوط أوي كده؟

اختفت ابتسامته وعلق: هتفضلي مركزة معايا كده على طول؟ كل ما نتخانق أو نتصالح أو نتنفس هتركزي؟ولا ايه العبارة بالظبط؟

اشاحت وجهها: ولا عبارة ولا حكاية بس مستغربة يوم تطلع بوزك مترين ويوم تطلع ابتسامتك من الودن للودن؟

توجه لطاولة الطعام ليعد شطيرة سريعة مما أمامه: ما تشغليش بالك يا أمه ولا ببوزي ولا بابتسامتي ينفع؟ واه محدش يصحي

حنين وسيبوها تصحى براحتها.

شهقت بتهكم: اه ناموسيتها كحلي هي الثانية، محدش هيصحيها يا اخويا اطمن.

تجاهل تهكمها وأكمل بجدية: ومحدش يدخل الأوضة عليها ولا حتى هبة.

اعتدلت في جلستها وأنبته: سيادتك قبل ما تنام تلبس هدومك انت وهيا ما تناموش بالمنظر ده فبدال ما تقولي محدش يدخل ولا حد يعمل ايه ولا ما يعملش ايه اتنيلوا البسوا قبل ما تناموا.

نظر تجاهها بحدة: أنام بالشكل اللي يعجبني طالما جوه أوضتي مش عاجبك يا أمه (مد ايده) هاتي مفتاح شقتي ننام فيها براحتنا.

هربت من نظراته ولم تنطق حرفًا فأكمل هو: ايوه طالما هتسكتي في دي يبقى تسكتي في الباقي ومحدش له دعوة بالطريقة اللي ننام بيها واه صح لو السما انطبقت على الارض محدش يدخل الأوضة طالما ما ردتش عليه وقولتله يدخل، إياك تكون الدنيا والعة، سامعة يا أمه؟

عقدت حاجبيها: يعني أنا غلطانة دلوقتي اني بصحيك؟

صاح بها: اه غلطانة يا امه، كان ممكن تخبطي جامد وكنت هصحى بدال ما ألاقيكي فوق راسي وبدال ما تشوفي منظر يأذيكي أو ما يعجبكيش على الصبح، علشان لبس مش هلبس فلو مضايقك اللي شوفتيه ما تدخليش تاني يا أمه علينا، كلامي واضح اعتقد؟ بالإذن يا أمه.

تركها غاضبة وفكرت لو تتوجه لغرفته توقظها عنادًا به فقط، ولكنها تراجعت وظلت بمكانها فهي من دخلت غرفته دون استئذان.

وصل إيهاب عمله ليعتذر من طلعت ويتوجه لاكمال رسمته بنشاط فهو يريد الانتهاء اليوم قبل الغد.

***

4

استيقظت حنين من نومها لتجد نفسها بمفردها، ابتسمت لذكريات الليلة الماضية، انتظرت عودته، ولكن حين طال انتظارها جلست تتلفت حولها لتجد ملابسه على الكرسي، فعقدت حاجبيها بضيق؛ فهل تركها نائمة كي يذهب لعمله؟

وجدت رسالته بجانبها، فأمسكتها وقرأتها لتبتسم رغمًا عنها، وتذوب عشقًا أكثر فأكثر.

أمسكت هاتفها واتصلت به ليرد بسرعة، فتعاتبه: "لا، زعلانة بجد منك."

تحرك إيهاب من مكانه ليقف بمفرده: "مقدرش على زعلك بجد، ولو بإيدي مكنتش اتحركت من جنبك يا حنين، بس كان غصب عني."

عاتبته: "مكنتش رديت على الموبايل؟"

ابتسم وهو يتذكر دخول والدته: "مرديتش، وحياتك، أنا لقيت أمي فوق راسي بتصحيني."

نظرت حنين لنفسها وتخيلت منظرهما: "دخلت الأوضة يا إيهاب؟ وشافتنا؟"

تنهد بضيق: "لو ده هيريحك، لما فتحت عيني كنتِ متغطية في حضني يا روحي، وليكِ عليا بعد كده قبل ما ننام نقفل الباب بالمفتاح."

سألته بخجل: "بجد كنت متغطية ولا بتقول كده بس؟"

ابتسم لخجلها باستمتاع: "وحياتك كنتِ متغطية ومستخبية كلك في حضني."

همست بشوق: "طيب، عايزة أرجع لحضنك تاني، أعمل إيه بقى؟ ينفع آجي لعندك؟"

ارتفعت نبضات قلبه وتمنى لو يملك عصا سحرية فتنقله لغرفتها الآن. ما ذلك الجنون الذي يتملكه؟

كررت همسها: "ينفع تيجي، طيب؟"

ضغط على الهاتف بيده: "يا ريت ينفع بجد، يا ريت. كلمت الأسطى طلعت وقال لي لازم نسلم الوحدة اللي في إيدينا، ولو مكناش بدأنا كان هيديني الإجازة اللي عايزها. بس طالما بدأنا، مش هينفع أسيبهم. يومين بس، وهحاول أخلص كل اللي ورايا بسرعة وآخد إجازة بإذن الله، مش هنفارق بعض لحظة يا حنين."

تنهدت بشوق يغمرها ويتحكم بها: "ماشي، بس برضه مشتقالك، أعمل إيه؟ ما لحقتش أشبع منك وحاسة إني..."

انتظرها تكمل عبارتها، ولكنها بتردد: "أنا مش عارفة إيه الإحساس اللي حاساه، بس اللي عرفاه إني عايزاك قدامي دلوقتي، وعايزة أكون في حضنك."

همس بدوره: "وربنا يعلم اللي جوايا إيه يا حنين. أنا بتعذب بجد في كل لحظة بعيد عنك، وكلامك ده بيجنني أكتر وأكتر."

همست برجاء: "طيب، تعال، استأذن وتعال. كفاية اللي قضيته عندك."

تلفت حوله قبل أن يجيبها: "بس يا حنين، كل ما أفضل هنا أكتر هقدر آخد إجازة أسرع، يعني بدل ما آخد أسبوع أضغط نفسي وآخد يومين؟ ولا رأيك إيه؟ أضغط نفسي يومين ولا آجي بدري كل يوم والإجازة تتأجل؟"

علقت بغضب: "إيه الاختيارين الأرخم من بعض دول؟ مش قادرة أستحمل يومين طوال بعيد عنك، بس برضه أسبوع كتير جدًا. خد أنت القرار."

تنهد باشتياق: "الصح يومين وأخلص وأفضل معاكِ. وكده كده هرجع آخدك في حضني الليل كله، وحاولي تنامي كتير لحد ما أرجع."

بعد أن ابتسمت، اختفت ابتسامتها: "طيب، إنت تنام إمتى لو هتسهر معايا الليل كله؟ وتنزل تشتغل إزاي؟"

إحساس الحب جميل ومنعش، ولأول مرة يشعر باهتمام وحب، فتنهد بارتياح: "حبيبتي، جيت شغلي كتير جدًا مطبق، وكان عادي. فما بالك في حاجة زي دي؟ إني أكون في حضنك ومعاكِ طول الليل؟ مستعد أدفع عمري كله مش أطبق يومين يا قلبي. ما تشغليش بالك بيا، أنا متعود على ده، المهم حاولي تقومي تفطري وتريحي شوية عقبال ما أجيلك يا حبي."

أغلق الهاتف ليجد طلعت خلفه، فعلق بمزاح: "ربنا يسامح اللي في بالي."

ابتسم طلعت بحب صادق حينما لاحظ سعادة إيهاب وعلق: "يا

رب يسامحه، بس هو غصب عنه. خيرك، وإنت اخترت بنفسك، فلا تلومن إلا نفسك."

علق إيهاب بضحك: "بلوم بس؟ أنا عايز أضربني بالجزمة."

رأف طلعت لحاله: "روح بدري، طيب لو تحب."

قاطعه إيهاب برفض: "عايز أخلص وآخد إجازة. مش عايز أفضل مأجل. أخلص وهأجز، اتفقنا؟"

ربت على كتفه: "اتفقنا وربنا يسعدكم كمان وكمان."

خرجت هايدي برفقة علاء لاختيار فرش شقتها، ولاحظ علاء أنها تصور كل ما يعجبها وترسله لشخص ما، فسألها بفضول: "بتبعتي الصور دي لمين؟ مين يهمك رأيه أوي كده؟"

ابتسمت: "دي حنين. أذواقنا عامة واحدة، فلما بحتار أوي ببعتلها، بتخليني أميل لحاجة معينة أو أرفضها."

اقترح علاء بحب: "تحبي أروح أجيبها تشاركنا؟"

التمعت عيناها بحماس: "استنى، أقولها."

أرسلت لصديقتها وانتظرت الرد، فأجابتها حنين: (لا يا قلبي، اتبسطي انتِ معاه، وأنا هتابع معاكِ بالفون لو محتارة في أي حاجة. غير كده، عايزة أعمل أي أكلة لهوبا قبل ما يجي، وهو قرب.)

ابتسمت هايدي وسألتها بفضول: (هوبا؟ وأكل؟ هو إيه العبارة؟)

ضحكت حنين لرسالتها وكتبت بسرعة: (صاحبتك اكتشفت الجنة على الأرض. عقبال ما تدخليها بسرعة، روحي لخطيبك ونتكلم

بعدين.)

ابتسمت هايدي بفرحة ليلاحظها علاء: "لا، أفهم، عمالة تبتسمي وتضحكي. أنا بغير، هاه؟ ابتسميلي أنا الابتسامة الحلوة دي."

ضحكت وعلقت: "لا، بس حنين كان في مشكلة بينها وبين جوزها، وأعتقد أنها اتحلت، فهي مبسوطة، وأنا مبسوطة لها. إلا قولي، إيه هي الجنة على الأرض؟"

تعجب لسؤالها: "الجنة على الأرض؟ السؤال ده جاي منين؟ ما أخدناهوش في المنهج."

ضحكا كليهما قبل أن يسألها بجدية: "لا، بجد، السؤال ده مصدره إيه؟"

علقت ببساطة: "لا، عادي. بس كنت بسأل حنين سؤال، فقالت لي إنها اكتشفت الجنة على الأرض، فقلت أسألك، يا ترى قصدها إيه؟ خلاص، هنبقى نرغي بالليل وأعرف قصدها."

تحركت لتكمل اختياراتها قبل أن تشعر به يقترب ويهمس بأذنها: "الجنة على الأرض مختلفة من شخص للتاني يا هايدي. فلو هتكلم عن نفسي، هقول إن جنتي على الأرض هي حضنك انتِ."

دق قلبها بعنف، وتوترت أنفاسها لتلتفت إليه وتتقابل نظراتهما، فيكمل وهو يمسك يدها ويقبلها: "حضنك هيكون سكني وجنتي، وأعتقد أي اتنين بيحبوا بعض، هتكون دي جنتهم، لما يتلاقوا في حضن أو في حاجات تانية تندمج فيها أرواحهم، ويلاقوا نفسهم بقوا شخصًا واحدًا في جسدين. دي الجنة بالنسبالي، وبما إن

صحبتك عروسة جديدة، أعتقد إن جنتها هو جوزها."

تحرك من أمامها ليتركها تلتقط أنفاسها، فلقد شهقت حين ابتعد، ونظرت تجاهه بعشق يكبر كل لحظة.

فجأة أمسكت هاتفها وكتبت لصديقتها: (جنتك تقصدي بيها حضنه؟)

تعجبت حنين من رسالتها وكتبت: (هو نفسه بقى جنتي.)

ابتسمت هايدي ونظرت لخطيبها تراقبه. تحركت تجاهه بعد أن وضعت هاتفها في حقيبتها، دفنت يدها في يده بهدوء وتحركت بصمت معه بينما صوت العشق يعلو ويعلو.

دخلت حنين المطبخ تساعد هبة في إعداد الغداء، وحاولت هبة منعها دون جدوى، فحنين مصرة. قررت حنين إعداد أكلة لحبيبها، فاستأذنت هبة: "بقولك يا بوبا، ينفع أخد قطعتين من الفراخ دي أعملها بطريقة مختلفة شوية؟ يعني مش بعرف أكلها مسلوقة كده."

ردت بسرعة: "طبعًا يا حبيبتي، اعملي ما بدالك، ولو عايزة تعمليها كلها براحتك."

ابتسمت وأخرجت قطعتين: "لا، كفاية اتنين، أكيد إنتو متعودين عليها كده، وبعدين نجرب النهاردة لو عجبتكم نبقى نعملها كده."

قطعت حنين الدجاج وأضافت له بعض المكونات، وأعادت طهيه بطريقة مختلفة تمامًا.

دخلت قدرية تطمئن على المطبخ وكشفت الأغطية كلها، إلى أن

لاحظت أكلة حنين فعلقت: "إيه ده يا هبة؟"

أجابتها: "دي فراخ عملتها حنين علشان مش بتحبها مسلوقة."

شهقت قدرية بتهكم: "نعم؟ مش بتحبها إيه؟"

اقتربت هبة تهمس: "يا أمه، بس تسمعك دي في الصالة بره."

أزاحت قدرية يد ابنتها وعلقت بصوت أعلى: "ما تسمع، وأنا هخاف ولا إيه؟ بنت الباشا تتعود تاكل أكلنا مش تبهدلي الفراخ كده! دلوقتي مين ياكل ومين ما ياكلش؟"

حاولت هبة إسكاتها ولكن قاطعها دخول حنين: "أنا عملت قطعتين بس، اعتبريني أنا وإيهاب أكلناهم، بس نأكلهم بالطريقة اللي تعجبنا، وبعدين الفراخ كتيرة في الحلة وهتكفيكم وتزيد."

شهقت قدرية وكبرت في وجهها: "الله أكبر! كتيرة علشان عاملة حسابي تغدينا النهاردة وبكرة؟ إحنا مش بنعمل كل يوم يا حيلتها. إحنا الواد بيشقى بره وبينشف ريقه، مش مدير بنك زي بابي يا أختي!"

تضايقت حنين وعلقت: "طيب، تحبي أنزل أشتريلك غيرها ولا إيه يعني؟ قوليلي عايزاني أعمل إيه؟"

صرخت قدرية بها: "تستأذنيني قبل ما تاخدي قرار كده من نفسك! أنا اللي بقول هنا هنعمل إيه وهناكل إيه، فاهمة؟"

"حاضر، ولو تحبي أنزل أجيب غيرها هنزل." (نظرت لهبة) "عرفيني يا هبة بتجيبوها منين هنا وهنزل أجيب لبكرة."

علقت هبة بسرعة باعتذار: "تجيبي إيه بس يا حبيبتي؟ الأكل كتير أهو. أمي ما تقصدش، هي بس بتحب نعرفها هنعمل إيه، مش أكتر."

علقت قدرية بغيظ: "لا أقصدا محدش فيكم يعمل حاجة من غير ما يستأذن. ربنا يصبرني."

تركتهم وخرجت لتقترب هبة من حنين: "معلش يا حنين، ما تزعليش منها. هي ما تقصدش بجد، وبعدين ده بيتك ودي فلوس جوزك، وكان ممكن تردي عليها تقولي كده و..."

قاطعتها حنين بسرعة برفض: "لا لا يا هبة، ده برضه ابنها، واللي هي متعودة عليه هيكمل. أنا كان المفروض استأذنتها هي الأول فعلًا. أنا هدخل أكلم إيهاب أشوف اتأخر ليه بعد إذنك."

دخلت غرفتها وأغلقت الباب خلفها وجلست بحزن تتذكر إيهاب حين أخبرها عن بشاعة والدته وتحكماتها، ولكنها أبدًا لم تتخيل أنها ستصل إلى الطعام نفسه.

اتصلت بإيهاب بفتور: "وبعدين؟ قلتلي المغرب والعشا قربت، وأنا زهقت وتعبت."

سمعته يجيبها: "قدام البيت يا روحي، وطالع أهو. عايزة حاجة قبل ما أطلع؟"

وقفت بحماس: "بجد ولا بتضحك عليا؟"

ضحك: "والله طالع أهو. قولي عايزة حاجة؟"

هتفت وهي تتحرك للخارج: "اطلع، مش عايزة غيرك إنت."

تحركت بسرعة لتوقفها قدرية: "بتجري ليه؟ في إيه؟"

وقفت بحرج: "لا، بس هفتح لإيهاب، مش أكتر."

مصمصت شفتيها: "كل ده علشان تفتحي؟ افتحي يا أختي، افتحي."

فتحت الباب وخرجت تنظر إليه من الأعلى، وأحبطت حين وجدت السلم فارغًا. تنهدت بتعب، وقبل أن تعود للداخل سمعت صوتًا، فنظرت للأسفل لتجده يقفز درجات السلم قفزًا. ضحكت، فرفع رأسه تجاهها وزاد من سرعته ليقترب منها، ودون أي مقدمات من كليهما قفزت هي لتعانقه. حملها بين ذراعيه بحب، وقبلها بلهفة وفرحة عدة مرات قبل أن يهتف بها: "تعالي ندخل بدل ما حد يطلع يشوفنا."

دخلا سويًا وسلم على والدته التي هتفت حين لاحظت أيديهما المتشابكة: "جعانين وعايزين ناكل. ينفع تغير بسرعة وتيجي؟ ادخلي يا حنين، اغرفي الأكل انتِ وهبة يلا، وهاتوه على الترابيزة."

ضغطت حنين على يده قبل أن تعترض بهدوء: "طيب حاضر، بس هجهزله هدومه وكده وهو يدخل الحمام، وأنا هطلع لهبة ونحط الأكل مع بعض."

اعترضت بإصرار: "وهو صغير مش هيعرف يطلع هدومه لوحده؟ ما تتحججيش يا حنين وسيبيه..."

قاطعها إيهاب بصرامة: "بتقولك هتحضر هدومي، الدنيا مش هتطير يا أما، وبعدين كنا عايشين من غير ما حنين تحضر الأكل، ولا إيه؟"

لم ينتظر ردًا وجذبها للداخل، وأحكم إغلاق الباب خلفه، ثم قبلها بشوق ليطفئ نار يومٍ بأكمله دونها.

هتفت حنين بين ذراعيه: "وحشتني، وحشتني، ما تخيلتش إنك هتوحشني بالشكل ده."

جذبته من ملابسه لتزداد قبلاته، وفجأة ابتعد، فتنظر له باستنكار ليجيبها: "هدومي وكلي محتاج شاور الأول يا حنين."

أمسكت التيشرت الذي يرتديه ورفعته ليساعدها بخلعه، ثم ألقته أرضًا، وهمست وهي تضع يديها حول رقبته: "اللي بتقوله ده مش فارق معايا."

اشتعلت النيران بجسده ليحملها بين ذراعيه: "طالما مش فارق معاكِ، يبقى خلينا نطفي نار بعاد اليوم كله الأول، بعدها ربنا يسهلها."

في خلال لحظات كانت ملابسهما ملقاة بالكامل على الأرض وهو ينهل من رحيق شفتيها.

بعد عدة دقائق طرقت هبة الباب: "هوبا، ماما بتقولك يلا."

حاول أن يخرج صوته طبيعيًا، فجلى حنجرته عدة مرات قبل أن يجيبها: "خمس دقايق وجاي يا هبة، ولو جعانين أوي اسبقونا."

غرق بين ذراعيها مجددًا، إلى أن انتفض جسدهما وتعلقت برقبته لتتقابل نظراتهما العاشقة، فقبلها في كل وجهها بحب قبل أن يهمس: "دي تصبيرة سريعة لحد ما نتغدى ونرجع، وأوعدك هعوضك عن كل لحظة بعدتها عنك طول اليوم."

صححت جملته: "طول الأيام اللي فاتت، مش النهاردة بس."

ابتسم مقبلًا إياها: "بس كده؟ أنا كلي ملكك يا روح قلبي."

ساعدها في ارتداء ملابسها قبل أن يخرجا سويًا، وترك يدها ليدخل الحمام وتذهب لمساعدة هبة، ولكنها وجدتها قد وضعت الطعام كله على الطاولة.

علقت قدرية بضيق: "يعني قولنا جعانين، مفيش إحساس خالص؟ ولا هنموت لو مقليناش أدبنا شوية قبل الأكل؟"

خفضت حنين رأسها بخجل، بينما علقت هبة: "وبعدين يا ماما، دول عرسان، سيبيهم براحتهم، أصلًا كفاية إن إيهاب مضطر ينزل شغل ويسيبها!"

علقت قدرية بغيظ: "أمال يعمل إيه يا حيلتها؟ تفضل في حضنه وناكل حب ونشرب حب؟ ولا إيه يا هانم؟" (نظرت تجاه حنين) "الواد يجي تعبان من بره تسيبيه يدخل يغير هدومه الأول، الدنيا مش هتطير، بعدها الباقي كله سهل."

قاطعهم خروج إيهاب وانضمامه إليهم، فجلس بجانب زوجته: "اتأخرت عليكم ولا إيه؟"

أجابته بحب: "لا يا روحي."

نفت قدرية بغضب: "آه، اتأخرت! مش عارفة يعني لو مكنتش قلتلك جعانين كنت هتلطعنا قد إيه؟"

تجاهل إيهاب ما قالته وتلفت حوله: "أمال ابنك المبجل فين؟ ده

كان أول واحد يقعد على الأكل!"

تضايقت من تجاهله ولكن أجابته باقتضاب: "خرج مع زمايله، كلها يومين والدراسة تبدأ وهينشغل."

أومأ برأسه وانتبه للطعام أمامه. مد إيهاب يده لطبق الدجاج، ولكن أوقفته حنين بسرعة وأمسكت يده، فنظر إليها باستغراب تام، فوضحت بسرعة بتوتر: "دوق الفراخ دي، أنا عملاها بإيدي ليا وليك، قولي هتعجبك ولا إيه؟"

ابتسم إيهاب، ولكنه أحس بتوترها: "حبيبتي، أي حاجة من إيدك أكيد هتعجبني، بس إيه ليا وليكي دي؟ الأكل بنعمله الكل بياكل منه."

وضع الطبق في منتصف الطاولة في متناول يد الجميع ونظر لحنين مبتسمًا: "في مثل بيقول لقمة هنية تكفي مية، وما شاء الله الطبق مليان."

علقت حنين بسرعة: "طبعًا يا حبيبي، الكل يقدر ياكل منه، أنا مش قصدي اللي وصلك، أنا بس..."

احتارت فيما تقوله وتوترت بزيادة، فهي لا تريد المزيد من المشاكل أو مضايقته من والدته. أنقذتها هبة بتدخلها: "قصدها يا هوبا إنها خافت الأكلة ما تظبطش معاها، فخافت تغامر بالفراخ كلها، فعملت قطعتين بس بحيث لو مش حلوة هتلبسها إنت بما إنك جوزها." (غمزت له بمزاح وأضافت) "يعني إنت جوزها، مضطر تستحملها وتجاملها، لكن إحنا لأ. فهمت بقى؟ ينفع تاكل وتقولنا بقى

حلوة ولا إيه؟" (أضافت بضحك) "وأه، الكدب مسموح في الحالة دي."

ابتسمت حنين لهبة وأضافت بمزاح لزوجها: "خلي بالك قبل ما تكدب علشان هتلبس فيها كل يوم، ها؟ فاحترس."

ضحك إيهاب: "أيوه يعني لو عجبتني حلو، لو معجبتنيش هلبس فيها كل يوم؟"

ضحكت حنين: "بالظبط يا حبيبي."

تذوق إيهاب منها ليلاحظ أن جميع الأنظار معلقة عليه: "إنتو بتبصولي كده ليه؟ ما تسيبوا الأكل يتبلع الأول."

ضحك ثلاثتهم، بينما انتظرت حنين رد فعله، لينظر هو إليها مبتسمًا: "تسلم إيديكي بجد، الفراخ تحفة كده."

خفضت رأسها بخجل من نظراته، بينما همست هبة بمزاح وهي تمسك ذراع أخيها: "هوبا، بجد حلوة ولا بتجامل عروستك؟"

ضحك إيهاب وهمس بدوره: "دوقيها واعرفي بنفسك."

علقت هبة بمزاح: "أنا بسألك ليه صح؟ أصلًا حنين لو حطت في بوقك لقمة عيش حاف هتقولها ما دوقتش في جمالها قبل كده."

علق أخيها: "طيب، برافو عليكي بتسألي في إيه بقى؟"

تذوقتها هبة لتعلق بدورها: "لا، عنده حق بجد. تسلم إيدك يا حنين، الفراخ كده تحفة أوي." (نظرت لوالدتها) "دوقيها يا ماما، هتعجبك أوي."

علقت قدرية بضيق: "لا يا حبيبي، تقيلة عليا وهترفعلي الضغط."

نظر إيهاب إليها بتهكم: "ضغط إيه يا أمه اللي ترفعه؟ قولي كلام غير ده."

نظرت تجاهه مباشرة: "إنت عارف إني بحب الفراخ كده، وبعدين مصدعة وتعبانة وحاسة إن الضغط عالي شوية، فمش ناقصة آكل وأتعب زيادة."

رفع يده باستسلام: "براحتك يا أمه، وألف سلامة عليكِ."

وقفت حنين لتنظيف الطاولة بعد انتهاء الأكل، ولكن أمسك إيهاب يدها هامسًا: "ادخلي اغسلي إيديكِ واسبقيني على جوه، ودقايق وهحصلك."

نظرت لعينيه مبتسمة: "طيب، خليني ألم السفرة الأول وأنظف مع هبة المطبخ وبعدها ندخل أوضتنا."

أصر إيهاب بابتسامة يغلفها الضيق: "حبيبتي، اسمعي كلامي وادخلي أوضتك، استعدي ليا."

نظرت لعينيه ليهمس مؤكدًا: "اسمعي الكلام، يلا."

علقت: "طيب، أنظف السفرة بس و..."

قاطعها مجددًا: "هو المفروض أتكلم كام مرة؟"

تركت ما بيدها وتوجهت للحمام، ثم لغرفتها، بينما بدأ هو بجمع الأطباق. لتخرج هبة وتهتف باستنكار: "إنت يا هوبا اللي بتنظف السفرة؟ سيبها، وأنا هنظفها."

علق وهو يجمع باقي الأطباق: "تسلم إيديكِ يا بوبا على الأكل الجميل ده، يلا ارتاحي إنتِ شوية، وأنا هكمل."

منعته هبة: "تكمل إيه؟ يعني إنت اللي شقيان النهار كله اللي هتنظف ورانا؟ أنا يا إيهاب هخلص، روح ارتاح."

دخل برفقتها إلى المطبخ وهو يضع ما بيده في الحوض، ونظر إلى أخته بجدية: "إيه حوار الفراخ ده يا هبة؟"

نظرت تجاهه وهي تصطنع الحيرة: "أي حوار؟"

وضح: "حنين والقطعتين اللي عملتهم."

أجابته هبة بتوتر حاولت السيطرة عليه: "مفيش حوار، هي استأذنت تعمل قطعتين ليها وليك، وأنا قلتلها براحتها."

هز رأسه بعدم تصديق: "ماشي، براحتك."

خرج ينظف باقي الطعام على الطاولة، لتشهق والدته: "أمال السنيورة فين لما هتنظف انت؟" (رفعت صوتها لتنادي) "بت يا حنين، تعالي!"

قاطعها إيهاب وهو يقف أمامها مباشرة: "ما اسمهاش بت يا أمه، ده أولًا."

نظرت قدرية تجاهه بغضب: "وثانيًا يا ابن بطني؟"

اقترب منها: "وثانيًا، شيليها من دماغك شوية. بكرة هترجع لشغلها، والنهار كله هتقضيه بره، وهترجع زي ما أنا برجع كده، فما تعتمديش عليها أوي." (تقابلت نظراتهما بتحدي ليضيف هو) "إيه حوار الفراخ؟

وليه حنين منعتني أمد إيدي في الطبق؟"

تحركت من أمامه ليوقفها: "أماه، بكلمك!"

أجابته دون أن تنظر إليه: "ما تسأل مراتك ليه منعتك؟ مش لسه بتقولي اطلعها من دماغي؟ عايزني بقى أجاوبك إزاي مكانها؟"

أنهى إيهاب تنظيف الطاولة وغسل يديه وتحرك لغرفته، لتقابله حنين بأجمل ابتسامة وتتعلق برقبته: "قد إيه اليوم من غيرك طويل وممل جدًا."

وضع يديه حول خصرها ونظر لعينيها مباشرة: "ينفع أسألك سؤال بس ما تكدبيش عليا؟"

أجابت دون تفكير: "طبعًا حبيبي، اسأل."

نظر لعينيها مباشرة: "ليه مسكتي إيدي وأنا بمدها على طبق الفراخ؟"

نكست رأسها بخجل وخفضت ذراعيها لتبتعد عنه، ليحكم هو يديه حولها: "خليكِ زي ما انتِ وجاوبيني، ليه يا حنين؟ وليه ما عملتيش الفراخ كلها مثلًا؟ أمي قالتلك إيه؟"

علقت بتردد: "ليه معتقد إنها قالتلي حاجة؟"

ابتسم بتهكم: "علشان عارف أمي كويس، وعلشان عارفك كويس. أمي قالتلك إيه؟"

تنهدت بضيق وعلقت: "ينفع نقفل الحوار ده؟ بلاش نعمل موضوع من لا شيء."

أمسك ذراعها يمنعها من الابتعاد عنه: "هقفله ومش هعمل موضوع، بس أفهم الدنيا. بعدها أقفله. أمي قالتلك إيه؟"

نظرت لعينه: "قالت ما بتحبش الفراخ كده."

حرك رأسه بتفهم: "وإيه تاني؟"

خفضت بصرها: "إيهاب، هي كانت خايفة أبوظ الفراخ مش أكتر، فقالت ما أعملش في كله، واللي عملته ليا أنا وإنت بس، كده." (نظرت له) "مفيش حوار ولا أي حاجة."

علق بسخرية: "ما قالتش يعني ما تمدوش إيديكم في باقي الفراخ؟ أصلي مش لاقي أي سبب تمنعيني فيه أمد إيدي غير ده يا حنين، وأمي تقولها وتعملها."

ابتعدت حنين عنه وهي تحكم غلق الرداء حولها: "هو ده اللي هتعوضني عن اليوم اللي قضيته بعيد عني؟ بتحقق في حاجة مالهاش أي أهمية بالنسبالي؟ أنا هقولك تصبح على خير، وهنام."

تحركت للابتعاد، ولكن أمسك ذراعها هامسًا: "مالوش أهمية إزاي؟ لو بيتك مش هتقدري تعملي فيه أكلة بسيطة، يبقى مالوش أهمية إزاي؟ أو تتمنعي تاكلي حاجة موجودة؟ إيه هو اللي مالوش أهمية بالظبط؟ مش فاهم."

تنهدت بتعب وإرهاق: "الأكل ده آخر اهتماماتي يا إيهاب، بالله عليك."

أضاف بضيق: "ماشي، آخر الاهتمامات، بس بمزاجك، مش غصب عنك. تاكلي أو ما تاكليش بمزاجك يا حنين."

جلست حنين على السرير ونظرت تجاهه: "ماشي، وبعدين؟ هنفضل نتكلم في الحوار ده لامتى؟ خلينا نقضيها رغي للصبح، اتفضل، ولا أقولك تصبح على خير، أنا هنام."

قامت من مكانها وخلعت الرداء وألقته جانبًا ودخلت مكانها وهي توليه ظهرها بضيق وعلقت: "ابقى اطفي النور لو سمحت معاك."

راقبها وعقله يفكر، هل يتركها ويخرج يتكلم مع والدته أم يبقى برفقتها ويأخذها بين ذراعيه؟

لم يدم تفكيره سوى لحظات لينضم إليها ويهمس بأذنها وهو يرقد خلفها: "يعني إزاي عايزاني أعدي موضوع زي ده؟"

التفتت ناحيته برأسها فقط: "السؤال الصح هو إزاي أصلًا بتفكر في أي حاجة غيرنا دلوقتي؟"

وضع يده على وجهها وحركها بحب، داعب شفتيها بيده، ثم اقترب ليقبلها برفق تحول لرغبة خلال لحظات. التفتت حنين بجسدها لتواجهه، وبادلته شوقه بشوق أكبر. همس لها: "وحشتيني أوي يا حنين."

همست بوله: "وإنت كمان وحشتني أوي فوق ما تتخيل يا إيهاب."

تحرك من شفتيها إلى عنقها، وهي ترفع رأسها لتتيح له التوغل أكثر وأكثر.

شعر أنه يريد التهامها، فتحرك ليخلع عنها رداءها وألقاه أرضًا. تمنت لو تطلب منه ألا يتوقف.

عضت شفتها السفلى بطريقة أشعلت النيران به، فنظر لها أمامه وهو محتار من أين يبدأ، فكلها قابلة للالتهام. بدأ في نثر قبلاته بوجهها، بينما يده تتلمس جسدها بأكمله. وضعت يدها فوق يده، لا تعلم هل تمنعه أم أنها تطلب المزيد.

بينما هو جردها من ملابسها، أغلقت عينيها بخجل. فهي تعيش تلك التجربة لأول مرة، وهو يهمس كلمات العشق في أذنها. لم يبتعد عنها، بل ظل يقبلها بعشق حتى تعلم أنه يحبها هي، لا العلاقة بينهما.

سحبها لتتمدد على صدره وهو يهمس: "مبسوطة يا حنين؟"

همست بحب: "إنت بجد بتسألني؟ مش حاسس بيا؟"

سندت على ذراعها لتنظر لوجهه، وهي تداعب وجنته بيدها: "أنا معرفش إمتى وإزاي حبيتك، بس اللي عرفاه إني مبقتش عارفة أعيش وإنت بعيد. بتنفس وإنت قدامي، وبكون مبسوطة وأنا معاك، وبتوه لما تبعد."

أمسك يدها وقبلها برفق، ونظر لعينيها: "إنتِ خليتي لحياتي معنى يا حنين. دخلتي الابتسامة والفرح لدنيتي. وجودك في حضني دلوقتي يسوى الكون بما فيه."

قربها منه أكثر وقبلها بقوة وشغف، ثم فصلها عنه: "إنتِ بقيتي قلبي اللي بينبض جوايا يا حنين."

ثم بدأ معها ملحمة أخرى، يفعل بها كل ما يريده، وهي تستمتع بلمساته وقبلاته المتفرقة، وهو يعطيها كل ما يشعرها أنها أنثى مرغوبة من حبيبها الأوحد.

ظلا هكذا إلى أن صدح أذان الفجر، لينتبه بعدها بذهول: "هو إزاي محسيناش بالوقت ده كله؟"

ابتسمت: "علشان الوقت الحلو بيعدي بسرعة."

تحرك لتتعلق برقبته: "رايح فين؟"

ابتسم وهو يقبّلها: "هاخد دش علشان أصلي الفجر، وارجع أنام ساعتين في حضنك قبل ما أنزل الشغل."

علقت بضيق: "أنا آسفة، مكنتش..."

وضع يده على شفتيها يمنعها: "هششش، أوعي تتأسفي على ليلة بالروعة دي عشناها أنا وإنتِ. أوعي تتأسفي على لحظات بنسرقها من الزمن ونعيش في حضن بعض وجوه بعض يا حنين. أنا بعيش لأول مرة في حياتي."

همست: "وأنا زيك بعيش لأول مرة."

ابتسم: "يبقى سيبينا نعيش ونستمتع بحياتنا مش تتأسفي. ارتاحي وأنا هاخد شاور سريع وأصلي وارجعلك."

راقبته وهو يرتدي ملابسه ويتحرك للخارج، وهي تدعو الله أن يسعده دائمًا وأبدًا.

استيقظ إيهاب على رنين هاتفه. فتح عينيه بصعوبة ليجد طلعت يتصل به، فأجاب بهدوء واستمع له، ثم أغلق الهاتف بعد أن أنهى مكالمته. نظر لحنين الغارقة في نومها على كتفه مبتسمًا، فبالرغم من تعبه وإرهاقه، إلا أن الساعات التي يقضيها بين ذراعيها كفيلة

بأن تعيد له نبض قلبه مرة أخرى. تحرك بهدوء من جانبها، وأحكم الغطاء حولها قبل أن يخرج من غرفتهما مغلقًا الباب خلفه.

وجد عائلته تتناول الإفطار الذي سبق وأحضره بعد صلاة الفجر. هتفت هبة حين رأته: "تعال يا هوبا، افطر معانا؟"

توجه ناحية الطاولة ليعد شطيرة على السريع، فهو متأخر للغاية. علقت قدرية: "ما تقعد تفطر زي البني آدمين؟"

رفع نظره تجاهها: "متأخر، والأسطى طلعت منتظرني."

أضافت بتهكم: "وهو لازمتها إيه السهر للصبح كل يوم وتنزل هلكان كده؟"

علق دون أن يرفع نظره تجاهها: "مش هرد عليكِ يا أمه لأن ده شيء ما يخصش حد أساسًا."

أضاف قبل أن يتحرك من مكانه: "بالحق، قبل ما أنسى..." (ركز نظراته على والدته) "...اللي حصل امبارح ما يتكررش يا أمه."

تبادلت نظرات قلقة مع ابنتها، ثم علقت: "وهو إيه اللي حصل امبارح الأول؟"

انحنى فوق الطاولة مقتربًا منها: "حوار الفراخ يا أمه. الله أعلم قولتي إيه لحنين علشانها."

وقفت قدرية بغضب وصاحت: "كده كتير يا إيهاب! هي الهانم قالتلك إيه؟"

صاح بدوره: "الهانم ما قالتش، ومحدش فيكم قال حاجة، ومش

عارف أصلًا إيه اللي حصل. بس في حوار اتعمل، والحوار ده ما يتكررش."

صرخت قدرية بغضب: "لا، هيتكرر! عرف مراتك تستأذني قبل ما تبهدل في الأكل، وعرفها إن أكلنا غير أكلهم. هم ممكن..."

قاطعها إيهاب بغضب تفاقم: "تبهدل الأكل؟ أكل إيه اللي هي بهدلته يا أمه؟ علشان عملت حاجة بطريقة بتحبها تبقى بتبهدل في الأكل؟ طيب أريحك أنا خالص: خليها تولّع في الأكل كله براحتها."

صرخت بغضب: "يعني إيه براحتها، هاه؟"

اقترب منها وبهدوء مخيف: "يعني براحتها يا أمه. تاكل بالطريقة اللي تعجبها، وتعمل اللي يعجبها، واللي بيصرف مليم هنا يبقى يخصم تمن اللي تبهدله. واضح كلامي يا أمه؟"

شهقت قدرية بادعاء زائف: "كل ده علشان خايفة على شقاك وتعبك و..."

قاطعها إيهاب بتهكم: "لا لا لا يا أمه، وفّري التمثيل ده قدام حد غيري. أنا مش ناسيلك ولا هنسى حوار الشقة، ومش هسامحك عليه في يوم. ولو سكت، فأنا سكت علشان حنين قلبها أبيض وكبير ووافقت تعيش معايا هنا، لكن هتيجي عليها وهتعيشي دور الحما عليها؟ من بكرة هاخدها وأجر شقة بره." (نظر تجاه أخيه) "وابقي نزّلي الشملول ده يشتغل ويعمل راجل شوية بدل ماهو أكل ومرعى."

وقف مازن بضيق: "بكرة هبقى دكتور و..."

قاطعه إيهاب بغضب: "ومن هنا لحد ما بكرة يجي، مراتي تعمل اللي يعجبها، ومحدش يتدخل في تصرفاتها. أعتقد كده واضحة أوي؟"

تبادل الأربعة نظرات متوترة، قبل أن يتراجع إيهاب وهو يضيف: "بالإذن."

أغلق الباب خلفه، ليجلس كل واحد بمكانه قبل أن تعلق قدرية بغضب: "والله هاين عليا أدخل أصحيها و..."

قاطعها مازن بضيق: "وإيه؟ هاه؟"

علقت هبة بغضب: "أنا مش فاهمة أصلًا إنتِ إيه ضايقك إنها عملت طبق مختلف؟ ولا تعمل إيه حاجة؟ ما هي براحتها!"

صرخت قدرية فيها: "اخرسي انتِ، مش نقصاكِ أصلًا. تلاقيكِ انتِ اللي قولتيله؟"

وقفت هبة: "لا ما قلتش حاجة، مع إن كان نفسي أقوله. بس قولت علشان ما يعملش اللي حصل ده والبيت يولّع. والله نفسي إيهاب ياخد القرار ده وياخد مراته ويمشي من هنا."

صرخت قدرية: "ومين يا أختي اللي هيديكِ مصاريف الجامعة يا حيلتها؟ هاه؟"

أجابت: "هنزل أشتغل في أي مكان وأي شغل وأكمل السنة اللي فضلالي. الدور والباقي..." (نظرت لمازن) "...اللي عايش الدور وشايف الشغل عيب وحرام يشتغل. فقبل ما تقفوا قصاده وتزعلوه ولا تزعلوا مراته، استغنوا الأول."

تركتهم وتوجهت لغرفتها وأغلقت الباب، ليهتف مازن بضيق: "البنت دي للأسف يا أمه بتتكلم صح. لازم نستغنى قبل ما نزعل السنيورة بتاعته. بعدين مالك انتِ ومال تعمل الأكل إزاي، هاه؟"

علقت قدرية بغضب: "مفروسة منها وهطق!"

ابتسم مازن واقترب منها بخبث: "مفروسة منها؟ اسحليها في الشغل مش تزعقي لما تدخل المطبخ." (لمعت عينيها فأضاف هو) "شغّليها طول النهار، خليها لما هو يرجع تتهد بدل ما بتنام النهار كله وترجع تسهر للصبح تتمرقع على ابنك وتهد حيله، وهو ينزل زي كده بيتخانق مع دبان وشه، لا فيه حيل لشغل ولا حيل للكلام حتى. يعني خافي على صحة ابنك. شغل النهار كله، والليل شغل برضه معاها؟ ده حرام. هو عريس اليومين دول، لكن بعد كده هيتهد يا أمه. أنا دكتور وعارف بقولك إيه. الموضوع ده كتره مش حلو، وابنك شقيان النهار كله. يعني المفروض مش كل يوم، مش طول الليل مفيش نوم ومقضيها!"

علقت قدرية بتفكير: "إنت بتتكلم صح يا واد يا مازن. اسحلها النهار كله."

ابتسم وهو يسترخي في كرسيه: "خليها بقى تعمل الأكل بالطريقة اللي هي عايزاها. نبقى نشوف هتجيب صحة منين تشكل وتلون في الأكل. غير كده، لما تعمل أكل كتير وبطريقتها، هتصرف كتير. وساعتها إيه اللي اتغير؟ ومين زوّد مصاريف البيت؟"

ابتسمت قدرية وقد فهمت ما يرمي إليه: "فهمتك يا واد." وقفت

لتحمل الأطباق، فأمسك مازن يدها: "شوف، بنقول إيه وهي قايمة تعمل إيه؟ سيبي يا أمه الأطباق، هي تلمها وتغسلها لما تصحى بحجة قال إيه علشان تفطر."

ضحكت قدرية وهي تترك ما بيدها: "عندك حق. تعال، نشرب الشاي في البلكونة يا واد. دماغك توزن بلد."

استيقظت حنين من نومها وكالعادة هي بمفردها. أحست بالاكتئاب للحظات، فهي ترهق زوجها بسهره معها طوال الليل ثم استيقاظه مبكرًا للتوجه لعمله.

أمسكت هاتفها واتصلت به ليجيبها بمرح: "أحلى صباح لأحلى حنين في الدنيا!"

ابتسمت ودق قلبها وتمنت لو تستيقظ برفقته: "نفسي أفتح عيني ألاقي نفسي في حضنك يا إيهاب."

نكس رأسه بحزن، فهو بالفعل يتمنى ما تطلبه، ولكن ما باليد حيلة. همس بتنهيدة حارة: "ياريت يا حنين، بجد ياريت. بس غصب عني مضطر أنزل الشغل. هحاول النهاردة أخلص اللي ورايا و..."

قاطعته حنين: "إيهاب، علشان خاطري، بطل تيجي على نفسك بالشكل ده. سهر طول الليل، وإرهاق وتعب طول النهار. لو إنت بتتحمل ده علشاني، فعايزة أقولك إن ده بيوجعني فوق ما تتخيل. إحساسي إني قايمة من النوم الظهر وإنت من الصبح نزلت الشغل وأنا سهرتك معايا للصبح، ده بيقتلني."

ضغط على هاتفه: "حبيبتي، لحظة بس. إنتِ مش بتسهريني يا

حنين، بلاش تفكري فيها بالشكل ده."

علقت بتلقائية: "أمال أفكر فيها إزاي، هاه؟ بتسهر ليه؟"

تحرك من مكانه ليبتعد عن رفقائه وينعم بمزيد من الخصوصية: "بسهر علشان عايز أسهر. حنين، أنا أول مرة في حياتي أحب، أول مرة أتحب. أنا عايز أسهر معاكي وعايز أفضل في حضنك، ولو أطول أو لو بإيدي مكنتش هبعد عنك لحظة. فإنتِ مش بتسهريني ولا إنتِ بتخليني أسهر غصب عني ولا أنا بسهر مجاملة ليكِ مثلًا. أنا بسهر علشان عايز أعيش كل اللي بعيشه في حضنك. كل اللي بيحصل بيننا طول الليل، أنا ببقى في الجنة يا حنين. ده اللي تفكري فيه، إنك بتدخليني الجنة لما تخليني في حضنك."

همست بحب: "ياريت تفضل في حضني على طول. المهم، فطرت ولا صايم زي ما بتعمل كل يوم؟"

ابتسم: "فطرت. عملت ساندوتش قبل ما أنزل أصلًا من عندك وأكلته. إنتِ فطرتي؟"

"أنا لسه مخرجتش من الأوضة. يدوب صحيت وحبيت أسمع صوتك قبل أي حاجة تانية."

دق قلبه بعنف، فهو يعيش الحب وينعم به: "حبيبة قلبي، ربنا ما يحرمني منك أبدًا. قومي بقى، افطري وشوفي حابة تعملي إيه النهاردة."

سألته بفضول: "تحب تتغدى إيه النهاردة؟"

تذكر مشادته مع والدته: "ما تشغليش بالك، يا..."

قاطعته بإصرار: "عايزة أعملك أكل بإيدي. لو سمحت، قولي بتحب إيه؟"

تذكرت ضيق والدته، فأضافت بتردد: "أو لو مش حابب إني أدخل المطبخ وأضايق والدتك، أو هي اشتكت مني، فأنا..."

قاطعها بضيق: "محدش اشتكى، ولا حد له يشتكي أصلًا يا حنين. ده بيتك، اعملي ما بدالك فيه. بعدين إنتِ كلها أسبوع وتنزلي شغلك، فما تشغليش بالك بقصة الأكل دي."

علقت: "طيب، طالما كلها أسبوع، خليني الأسبوع ده أكلك من إيدي لو سمحت يا إيهاب."

لم يجيبها، فكررت هي: "هاه، قول تحب إيه؟"

تنهد لإصرارها: "معرفش يا حنين. أي حاجة من إيدك هاكلها. معنديش حاجة مفضلة أو محدش سألني أحب إيه، فمش في بالي حاجة."

تضايقت من إحساسها أنه محروم من الحب، فهو يستحق الاهتمام من كل من حوله. علقت أخيرًا: "طيب، بتحب المكرونة البشاميل؟ أنا بعملها حلوة."

ابتسم مجددًا: "حبيبتي، اعملي اللي إنتِ حابة تأكليه، وأنا هحبه معاكي. إيه رأيك؟ أكليني على ذوقك."

أغلقت الهاتف وارتدت ملابسها، ثم خرجت من غرفتها لتتفاجأ بالطاولة قذرة وبواقي الأكل تملأها. تلفتت حولها، الصمت يغلف

البيت.

نظفت الطاولة وأعدت شطيرة صغيرة تناولتها على مهل.

بعد فترة من الصمت، تحركت تطرق الباب على قدرية، ولكن لم يجيبها أحد. فتحت الباب بتردد لتتفاجأ بالغرفة فارغة.

إذن هي بمفردها. دخلت الحمام، اغتسلت سريعًا، ثم خرجت تمشط شعرها باهتمام، وجففته وارتدت ثيابها لتخرج وتشتري ما تحتاجه لتعد لزوجها الغداء.

اتصلت بإيهاب مجددًا: "بقولك يا إيهاب، أنا هنزل أشتري شوية حاجات كده بسرعة."

تعجب من طلبها: "طيب ما تقولي لهبة وهي تجيبلك اللي إنتِ عايزاه؟ أو خليها تنزل معاكي؟"

ابتسمت لإحساسه بالخوف عليها: "هبة مش موجودة، ولا والدتك. تقريبًا البيت فاضي."

سألها بفضول: "مازن فين؟ عندك؟"

أجابته: "معرفش، ما شفتوش وما دخلتش أوضته."

أحس بالضيق لفكرة نزولها بمفردها. ولاحظت هي صمته: "فكر بصوت عالي يا إيهاب. مالك؟ مش عايزني أنزل؟"

أجاب بسرعة: "مش القصد، بس المنطقة جديدة عليكِ وما تعرفيهاش. وبعدين حد ممكن يضايقك في السوق. مش هتسلكي إنتِ يا حنين في منطقتنا، يا قلبي."

علقت بإصرار: "طيب، بص، هنزل وإنت خليك معايا على الفون لو ده هيطمنك. إيه رأيك؟"

اقترح هو: "طيب، إيه رأيك نقضي النهارده بأي حاجة موجودة، وبالليل ننزل أنا وإنتِ نشتري كل اللي إنتِ محتاجاه، وبكرة اعملي البشاميل؟"

عقدت حاجبيها بضيق: "إيهاب، أنا مش عيلة صغيرة خايف تنزل تتوه ولا تتخطف. بعدين إنت شوفت في بيتنا، أنا كنت بنزل أجيب طلبات البيت كلها."

لاحظ ضيقها وغضبها: "حبيبتي، أنا عارف اللي بتقوليه ده كويس، بس غصب عني خايف عليكِ، أعمل إيه؟ مش بإيدي."

تحركت وأمسكت حقيبتها، لكنها توقفت وهتفت بتذكر: "مفتاح البيت؟ هفتح إزاي البيت لما أرجع؟"

علق إيهاب: "انتظري بقى حد يجي يا حنين. هعملك نسخة مفاتيح النهارده. بعدين، يا بنتي، المكرونة مش هتطير، اعملي أي حاجة تانية بالموجود في البيت."

جلست بإحباط: "مش هعمل أي حاجة خلاص. هقعد، حاضر."

أحس بضيقها، لكنه شعر أن هذا الحل هو الأفضل: "معلش يا روحي، بالليل هنخرج أنا وإنتِ أجيبلك كل اللي محتاجاه."

أغلق الهاتف بارتياح وتوجه ليكمل عمله.

خرجت حنين من غرفتها وتوجهت للشرفة تراقب الشارع وحركته،

لتنتبه بعدها إلى حركة خلفها. التفتت برعب وصرخت حين رأت مازن خلفها، الذي ضحك لرعبها: "سوري، سوري يا حنين، مش قصدي أخضك بالشكل ده."

علقت برعب: "إنت جيت إمتى؟"

رفع كتفيه بحيرة: "جيت منين؟ أنا أصلًا مخرجتش. كنت في أوضتي."

حركت رأسها بضيق، فهي لا تريد المكوث في بيت بمفردها معه. لمعت عينيها فجأة وسألته: "إنت معاك نسخة من مفاتيح البيت، صح؟"

عقد حاجبيه باستغراب: "أكيد معايا. ليه؟"

مدت يدها له: "اديهالي لو سمحت. هخرج أشتري كام حاجة كده وارجع."

استغرب: "تشتري إيه؟ قولي عايزة إيه وأنا أجيبهولك."

حافظت على ابتسامتها: "معلش، حابة أنزل لو سمحت. لو عايز تساعدني، شاورلي بس السوق فين من هنا؟ أو أقدر أشتري لحمة مفرومة وشوية طلبات منين بقالة؟"

أشار بيده إلى الاتجاه الذي ستسلكه وكرر: "قوليلي عايزة إيه وأنا أنزل أجيبلك اللي عايزاه."

شكرته مجددًا قبل أن تتحرك: "هدخل أجيب شنطتي من جوه، وإنت هات المفتاح."

دخلت واتصلت بإيهاب تخبره بما حدث ونزولها. وحين طلب منها أن تكتب ما تريده لمازن، رفضت بشكل قاطع.

أخذت المفاتيح من مازن، وقبل أن تخرج أمسك ذراعها ليوقفها: "خليكِ يا حنين وأنا أجيبلك اللي تقوليه، يا قمر."

تضايقت حنين من لهجته وطريقة كلامه، فسحبت ذراعها بعنف وتراجعت خطوة للوراء: "اسمي حنين، ومش مسموحلك تقول اسمي بأي طريقة غير كده."

تراجع مازن ورفع يديه: "ماشي، براحتك. أنا بس تعاملت معاكِ بتلقائية زي هبة. لو حابة علاقتنا تكون رسمية، براحتك."

ردت حنين بحزم: "حتى لو هتتعامل معايا زي هبة، ده مش معناه إني هبة. هبة أختك ومن محارمك، لكن لا أنا أختك ولا أنا من محارمك، فتعاملك معايا يكون بحدود، فما تمسكش إيدي تاني بالشكل ده. بعد إذنك."

خرجت قبل أن تعطيه أي مجال للرد. تابعها بعينيه متضايقًا من رد فعلها العنيف، الذي لم يتوقعه أبدًا. لقد تخيل أنها منفتحة أكثر وستسمح له بالمزاح والضحك برفقتها، أو ستعتبره صديقًا على الأقل، لا أن تعنفه بتلك الطريقة.

اشترت حنين كل ما تحتاجه وعادت للبيت لتجد قدرية وهبة، فارتاحت لعودتهما. راقبتها قدرية وهي تفرغ محتويات الأكياس، وسألتها بفضول: "إيه ده كله؟ هو إيهاب ساب معاكِ فلوس البيت ولا إيه؟"

ردت بسرعة: "لا لا، فلوس إيه؟ أنا معايا فلوس، ونزلت اشتريت بيها شوية حاجات بسيطة علشان أعمل لإيهاب صينية مكرونة بشاميل." (أضافت قبل أن تتحرك) "ده بعد إذنك، طبعًا؟"

فكرت قدرية في الرفض، لكنها تذكرت ما اتفقت عليه مع مازن، فابتسمت بخبث: "براحتك. البيت بيتك. بس أنا مش باكل المكرونة وكنت ناوية أقول لهبة تعملي حبة بامية. بتعرفي تعمليها؟"

ردت بسرعة مبتسمة: "آه، بعرف. من عنيا، هعملهالك."

دخلت قدرية برفقتها لتخرج لها ما ستحتاجه: "أهي البامية يا حنين جاهزة متقمعة، ودي الطماطم، والرز إنتِ عارفة مكانه، والفراخ أهي، بس اسلقيها علشان الضغط بس."

تركتها وخرجت. تلفتت حنين حولها لكمية الأكياس والأطباق التي تملأ الحوض.

شمرت يديها وبدأت في تجهيز الغداء.

خرجت هبة بعد ساعتين من نومها لتتفاجأ بحنين في المطبخ منهمكة في تحضير الغداء. عاتبتها لأنها لم توقظها أو تنتظرها لتساعدها، ولكن لحظات ونادتها قدرية، ثم طلبت منها الذهاب لشراء بعض الأشياء برفقة خالتها. وحين رفضت هبة، صاحت بها وأرغمتها على النزول مع خالتها، التي سبق واتصلت بها ورتبت معها خروج هبة برفقتها لتترك حنين بمفردها في المطبخ.

آخر النهار، رجع إيهاب لبيته محملًا بالأشواق لزوجته. لم يجدها بانتظاره كعادتها، ولم تستقبله على الباب، فأحس بشيء ينقصه.

دخل بيته، فوجد والدته تجلس أمام التلفاز وبرفقتها مازن. ألقى السلام وتلفت حوله: "أمال فين حنين وهبة؟"

نظرت قدرية له بهدوء ووضحت: "هبة، خالتك اتصلت عايزاها تنزل معاها مشوار، فنزلت. ومراتك في أوضتها."

عقد حاجبيه بقلق: "في أوضتها من إمتى؟ أوعى يكون من الصبح؟"

فكرت أن تجيب بتهكم، لكنها تراجعت: "دخلت من شوية تريح، تقريبًا."

علق بهدوء: "طيب، هدخل أشوفها، وآخد دش بسرعة ونتغدى. ولا اتغديتوا؟"

رد مازن مبتسمًا بسماجة: "لا طبعًا، منتظرينك. ودي تيجي ناكل من غيرك؟"

بادله إيهاب ابتسامته الصفراء، فهو غير مطمئن أبدًا لجلوسهما سويًا.

توجه إيهاب لغرفته وطرقها بهدوء كي لا يوقظها لو كانت نائمة. فتح الباب ليجده مغلقًا من الداخل، فطرق مجددًا، وما هي إلا لحظات ليسمع صوتها: "مين؟"

ابتسم: "افتحي يا روحي."

فتحت بسرعة حين سمعت صوته، جذبته وأغلقت الباب خلفه، ثم ألقت بنفسها بين ذراعيه باشتياق واضح، وهي تهمس: "وحشتني،

وحشتني."

حملها بين ذراعيه يبادلها مشاعرها ويقبّلها في أنحاء وجهها، ثم وضعها أرضًا برفق: "روح قلبي اللي بعشقها وبموت فيها."

تكلم بجدية بعد فترة: "قافلة على نفسك الباب ليه بالمفتاح؟ حد ضايقك؟"

احتفظت بابتسامتها وظلت متعلقة برقبته: "لا، مفيش، بس أخدت شاور ودخلت وقفلته ورايا ألبس وأستعد براحتي قبل ما إنت تيجي."

أمسك يديها من فوق رقبته: "خليني طيب آخد شاور سريع أنا كمان وأغيّر الهدوم دي وأرجعلك، طيب؟"

لم تتركه بسرعة، وخرج من غرفتها مبتسمًا.

ارتدت ملابسها وتحركت لتعد الطاولة، فالكل بانتظار زوجها.

دخلت المطبخ، ولحظات وتبعها مازن: "أساعدك في إيه؟"

تضايقت من اقترابه للغاية، فتراجعت خطوة للخلف وأشارت إلى عدة أطباق: "طلعهم بره."

تحرك وهي تراقبه وتحاول قدر الإمكان الابتعاد عن طريقه، ولكن ضيق المكان لم يساعدها، فخرجت تستعجل زوجها: "إيهاب، يلا بقى، اطلع الأكل هيبرد."

سمعت صوته من الداخل: "لحظة يا حنين، طالع أهو."

وقفت تنتظر خروجه لتتفاجأ بقدرية خلفها: "واقفة كده منتظراه

قدام باب الحمام؟ اعتقيه لوجه الله، هو حتى ده هتستعجليه فيه؟"

تفاجأت حنين بها وبتهكمها: "أنا علشانكم، حضرتك قولتي إنكم جعانين."

ردت بسخرية: "آه، بس مش لدرجة نقفله على باب الحمام!"

قبل أن تجيبها خرج إيهاب ليلاحظ وقوفهما، فبدل نظراته بينهما: "في إيه واقفين كده ليه؟"

ابتسمت حنين دون أن تجيبه، ولكن قدرية ردت: "بقولها تسيبك براحتك، مش حتى الحمام بتستعجلك عليه."

نظر إيهاب لوالدته: "أمي، هي بس علشانكم بتقولوا جعانين، فبتقول علشان الأكل ما يبردش."

رفعت يديها: "أخرج منها يعني؟ أنا غلطانة، يا سيدي."

تحركت من مكانها ليتبعها إيهاب ويوقفها: "مش القصد غلطانة يا أمه، بس أقصد إنها مش بتستعجلني بالمعنى المقصود ده."

جذبت ذراعها والتفتت ناحيته: "طيب خلاص، ما قولناش حاجة. نروح بقى ناكل ولا هنفضل واقفين كده؟"

تحركت للطاولة، بينما اقترب إيهاب من حنين ورفع وجهها: "ما تضايقيش منها وما تشغليش بالك أوي بكلامها. هي ما حبتش قبل كده، فمش فاهمة إيه اللي بينا."

ابتسمت في وجهه: "حبيبي، عادي، المهم يلا نكمل. حط الأكل، أنا ما حطتش كله."

جذبته من يده، ليتفاجأ بوجود مازن في المطبخ، ونوعًا ما فهم لمَ استعجلته حنين ولمَ وقفت أمام الباب تنتظره.

نظر لأخيه: "خد السلطة دي كلها لبره، ووزعها بره هناك. مش لازم تقف هنا."

علق مازن: "طيب ما أحطها في الأطباق الأول."

أمسك إيهاب عدة أطباق وأعطاها لمازن: "بدل ما تحط كل الأطباق، خدهم لبره."

بعدها التفت لحنين التي أخرجت الصينية من الفرن: "مازن ضايقك؟"

تفاجأت من صراحة سؤاله وحاولت الهروب بتقطيع محتويات الصينية. فاقترب منها ورفع رأسها: "سألتك سؤال."

نظرت لعينيه مبتسمة: "ما ضايقنيش، وبعدين ما تقلقش عليا. بعرف أتعامل، أنا بس بخاف إنت تزعل مني."

رفع ذقنها للأعلى وقبّل وجنتيها: "أي حد يضايقك وتقدري توقفيه عند حده، ما تترددیش لحظة." (ابتسمت، ولكنه أضاف بمزاح) "إلا أمي، معلش استحمليها. هي آه لسانها ساعات بيكون متبري منها، بس معلش استحمليها."

وضعت كلتا ذراعيها حول رقبته بحب: "مامتك مش أي حد، فاطمن."

قاطعهما دخول مازن وهو يحمحم كي ينتبها إليه. ابتعدت حنين

عن إيهاب وانشغلت بتقطيع الصينية، بينما انشغل الأخوان في ترتيب الطاولة.

التفوا حول المائدة أربعتهم، وتذوق إيهاب الطعام فعشقه من يدها فورًا. ابتسم لها بحب واضح: "تسلم إيديكِ، أول مرة أدوقها بالجمال ده."

فتحت قدرية فمها لتعترض، ولكن بإشارة من مازن صمتت مجددًا، بينما تدخل مازن: "حنين نفسها في الأكل رائع. تسلم إيديكِ، يا حنون."

ضغط على آخر كلمة متعمدًا ليرى ردة فعلها أمام زوجها، الذي تضايق من أخيه، وقبل أن يعترض رفعت هي عينيها تجاهه وأردفت: "متشكرة يا مازن، بس أعتقد إني سبق ووضحت لك إني مش بحب حد يقولي حنون دي، ولا إيه؟"

لم يتخيل مازن أنها ستعلنها صريحة أمام زوجها، الذي علق بتحفز: "طالما قالتلك متقولش كذا، يبقى سيادتك ما تقولوش. اسمها حنين وبس."

رد مازن بتوتر، محاولًا الدفاع عن نفسه: "أنا تخيلت إنها بتهزر، مش بتتكلم بجد."

استغرب إيهاب تبريره: "تهزر؟ وتهزر معاك بتاع إيه يعني؟"

رفع مازن نظره لأخيه: "نعم؟ على أساس إني واحد من الشارع يعني؟" (ردد باستنكار) "أنا أخوك."

تقابلت نظراتهما، ليعلق إيهاب بهدوء: "ياريت تقول لنفسك وتفكر

نفسك كل شوية بده، إنك أخويا، مش حد من الشارع."

صاحت قدرية بضيق: "هنتغدى في يومنا ده ولا مش هنتغدى؟ ولا هو لازم تسمموا اللقمة بخناقكم اللي مالوش لازمة ده؟" (نظرت لمازن وصاحت به) "ما تقولهاش حنون. قولها أستاذة." (بدلت نظرها لإيهاب) "وأنت، حاضر، محدش هيدوس للأستاذة على طرف. ناكل بقى ولا مش هناكل؟"

ساد الصمت للحظات، قبل أن يعلق إيهاب على كلام والدته: "ما طلبتش من حد يقولها أستاذة، بس على الأقل ما يضايقهاش."

قبل أن يضيف المزيد، ترجته حنين بنظراتها أن يغلق الحوار عند هذا الحد.

ساد الصمت بعدها إلى أن انتهى الجميع من الطعام، فعلقت قدرية: "تسلم إيديكِ يا حنين، الأكل كله كان حلو. أول مرة آكل بامية بالحلاوة دي. صراحة ما تخيلتش إنك بتعرفي تطبخي وست بيت شاطرة كده."

ابتسمت حنين لها: "بالهنا يا ست الكل، وأي حاجة تحبيها عرفيني وهعملها على طول."

صُدم إيهاب حين فهم أن حنين هي من أعدت كل هذا الطعام، فهو تخيل أن والدته وأخته قد ساعدتاها في إعداده. لاحظ ابتسامة والدته ومازن، فأمسك يد حنين التي تجمع الأطباق. نظرت إليه باستغراب، فعلق وهو ينظر لوالدته ثم لأخيه: "ادخلي اغسلي إيديكِ، بعدها ادخلي أوضتك ارتاحي."

استغرب الجميع من طلبه، وخصوصًا حنين التي عارضته بهدوء: "هنظف السفرة و..."

قاطعها وهو ينظر لها غاضبًا: "حاولي إذا سمحتي لما أطلب منك طلب تنفذيه." (أضاف وهو يرفع صوته أكثر) "ده إذا سمحتي يعني."

لاحظت حنين غضبه، فبدون إضافة المزيد تحركت من أمامه. انتظر إلى أن ابتعدت، ثم سمع صوت باب الغرفة. هنا صاحت قدرية: "وبعدين في الليلة اللي مش هتعدي دي؟"

نظر إيهاب لها وحاول أن يتحكم في غضبه وأعصابه: "إنتِ عايزة توصلي لإيه يا أمه؟ من غير لف ودوران، وهاتي من الآخر. عايزة إيه؟"

بدلت نظراتها بين ابنيها بحيرة مصطنعة: "عايزة إيه؟ بتتكلم عن إيه؟ زعلان علشان قولتلها تسلم إيديكِ؟ ولا علشان قولتلها إني كنت فاكرها ما بتعملش أكل؟ فهمني."

ضرب بيده الطاولة وهتف: "بلاش استعباط يا أمه! امبارح قلبتي الدنيا علشان عملت من الأكل المعمول طبق زيادة، النهارده في وليمة معمولة وبتشكريها؟ ليه الأكل ده كله؟ ومن إمتى ما بتحبيش المكرونة؟ هاه؟ ومن إمتى بنعمل أكل كتير كده جنب صينية المكرونة؟ قصدك إيه؟ عايزة توصلي لإيه؟"

وقفت قدرية لتنهي استجوابه: "أنا هسيبلك المكان خالص، علشان الظاهر إن دماغك..."

وقف بسرعة، يمسك ذراعها ليمنعها من الهرب، وقاطعها: "دماغي

مالها؟ هاه؟ ماهو حاجة من الاتنين: يا بتحاولي تهديها من التعب علشان تخليها تقضي النهار كله في المطبخ، يا بتحاولي تزودي مصاريف البيت للضعف علشان تبقى حنين هي اللي خاربة البيت والمصاريف تبقى زيادة. المهم نلزقها في حنين. قريتك صح يا أمه؟ مش هو ده اللي بتعمليه؟ مش هو ده بالظبط اللي ابنك المبجل شاور عليكِ بيه؟"

تعجبت قدرية من تفكير إيهاب ولم تقوَ على الرد. بينما اقترب مازن وقال: "كل حاجة ما تعجبكش تلزقها في مازن، صح؟ أي حاجة تضايقك تلزقها في مازن."

واجه إيهاب نظراته وقال: "وهو أنا غلطان يا مازن؟ مش دي أفكارك الخبيثة؟ أمك ما يهونش عليها تعمل الأكل ده كله، فلما تعمله لازم يكون في سبب قوي أقنعها. ومحدش بيعرف يقنعها غيرك. شيطان بيوسوس، وهي للأسف بتمشي ورا كلامك."

نظر لوالدته منبهًا: "بس معلومة صغيرة يا أمه: حنين بكرة هاخدها وأسافر بقية أجازتها، ولما نرجع وتنزل شغلها، هترجع البيت المغرب. مش هتعرفي تسحليها. غير كده، لما مصاريف البيت تتضاعف، محدش هيخسر غير عيالك الاتنين، لأني أكيد هبدي الأكل والشرب على التعليم. فالقرش اللي هيتقص..." (نظر لأخيه بتهكم) "...هيتقّص من مصروفك إنت. فقبل ما تخطط تضايقني، فكر شوية. اعملي بقى يا أمه أكلة وعشرة براحتك. وحنين هعرفها لو محدش هيساعدها ويقف معاها تعمل حاجة واحدة بس وما تتعبش نفسها بالشكل ده."

حاولت قدرية قلب الدفة على ابنها: "أتعب أنا وأريح..."

قاطعها إيهاب بصرامة: "أمه؟ بلاش اللون ده، ما بياكلش معايا." (نظر لمازن) "اتفضل، سيادتك ياللي كنت عايز تساعد من شوية، نظف السفرة، ودخل الأطباق دي كلها في الحوض، واعمل شوية بلقمتك وريح أمك اللي بتحاول كل شوية تقنعها إنك بتحبها، لأن حنين مش هتطلع من الأوضة تاني الليلادي."

أخذ عدة أطباق في يده وتركهما. علقت قدرية بهمس: "بسمع كلامك وبلبس في الحيط كل مرة. أهو طلع فاهم الليلة كلها يا ناصح. اتفضل يا حلو، شوف هتعمل إيه بقى، لأنك إنت صاحب الفكرة الهباب دي."

نظر مازن لوالدته وللطاولة: "هو هينظفها يا أمه. ادخلي إنتِ ارتاحي."

تركت قدرية المكان وتوجهت لغرفتها، بينما جمع مازن باقي الأطباق وتوجه للمطبخ ليتركها بعنف.

تجاهله إيهاب، الذي كان يحاول تنظيف المطبخ. خرج مازن وعاد مجددًا بالمزيد من الأطباق، ثم علق بتهكم: "السفرة بقت نظيفة يا إيهاب باشا."

علق إيهاب دون أن يرفع نظره: "فضي الأطباق دي وحطها في الحوض."

بدأ مازن في تنفيذ طلبات أخيه، ثم همس: "تفتكر حنين هتفضل تحبك لامتى؟ هتفضل مخلصة لك لامتى؟ طيب بلاش لما ترجع شغلها ومجتمعها وأصحابها يقولوا لها: مش هتعرفينا على جوزك يا

حنين؟ ولا يسألوها: جوزك شغال إيه؟ تفتكر هي هترد تقول إيه؟ تقولهم نقاش؟"

توقف إيهاب للحظات، ثم استمر في ما يفعله دون أن ينطق حرفًا، بينما قلبه يئن بوجع. تابع مازن: "تفتكر هتكدب وتألفلك شغلانة؟ ولا هتقول الحقيقة؟ أو ممكن تكرهك مع الوقت وتقول: إيه اللي عملته في نفسي ده؟ أنا كان عقلي فين لما وافقت أتجوزه؟"

التفت إيهاب ليواجه أخيه، الذي استمر في جرحه: "هاه يا هوبا، تفتكر هتعمل إيه؟ طيب إنت هيكون موقفك إيه؟ هتفضل نقاش ولا هتعيش كذبة جديدة زي كذبة الحب اللي مغرق نفسك فيها دي؟"

رفع إيهاب نظره يواجه أخيه وبكل هدوء عكس العاصفة التي تشتعل بداخله: "أنا مش قادر أفهم يا مازن، إنت إيه مشكلتك معايا؟ يعني اللي بتعمله ده إيه؟ هل بس بتحاول تضايقني بكلامك؟ ولا بتحاول تقلل مني؟ ولا..." (صمت للحظات قبل أن يكمل بتهكم) "... دي غيرة؟ بس هتغير مني في إيه؟ وإنت دكتور وأنا... أنا مجرد نقاش، بحد قولك؟ ولا أوعى تكون غيران من إن واحدة زي حنين حبتني وإنت معرفتش حتى تلفت انتباهها، مع إنك دكتور ومثقف و و و حاجات كتير أوي؟ يعني بجد، إيه مشكلتك معايا؟ يعني أنا اتنازلت عن تعليمي علشان سيادتك تكمل تعليمك، ودلوقتي واقف تتبجح إنك دكتور وإني نقاش؟"

انتظر أن يسمع إجابته، ولكن مازن لم ينطق حرفًا. فأضاف إيهاب بجدية: "تمام. بما إن الأمور وضحت بينا، حنين، بطل تضايقها، ولو بنظرة منك، مش كلمة. بلاش تخسرني يا مازن. خليني حلو معاك

لحد ما تتخرج على الأقل. بعدها ابقى اتفرعن يا سيدي براحتك. لكن طول ما إنت عايش من شقايا ومن تعبي، فاحترم ده. مش هعيد كلامي تاني معاك. ودلوقتي شمر إيديك وروح اغسل الأطباق اللي سيادتك حطيتها في الحوض."

تركه وتوجه لغرفته، بينما تضايق مازن للغاية ونظر خلفه لكومة الأطباق وهو يلعن غباؤه ولسانه. توجه لغرفة والدته غاضبًا: "بقولك إيه، أنا لا بعرف أغسل أطباق ولا هغسل أطباق. ابنك ده بقى رخم موووت. يعني هو يريح الهانم ويقولي أنا أغسل الأطباق؟"

وقفت قدرية بدهشة: "إيهاب قالك إنت تغسل الأطباق؟ أنا اتوقعت إنه هو اللي هيغسلهم طالما عايز يريح حبيبته."

اعترف مازن وهو يعقد حاجبيه بضيق: "هو تقريبًا كان ناوي يعمل ده، بس أنا رخمت عليه شوية، راح سايبلي المطبخ وقالي اغسلهم."

شمرت قدرية عن ساعديها: "طيب خلاص، سيبهم أنا هغسلهم. وإنت مش كنت بتقول هتخرج مع أصحابك؟ روح يلا."

عقد حاجبيه مجددًا: "أخرج إيه بقى؟ ماهو كنت ناوي أطلب فلوس من إيهاب، لكن دلوقتي مش هعرف أطلب منه."

ابتسمت قدرية وهي تبحث بعينيها عن كيس نقودها الصغير، ثم أخرجت منه ورقتين: "200 جنيه، أهم، روح يلا اخرج مع أصحابك."

علق بسخرية: "و200 يا أمه يعملوا إيه بس؟ إنتِ عارفة أقل ساندوتش بكام؟"

أجابته بسخرية مماثلة: "ما انت لسه واكل أهو، هتخرج تاكل تاني يعني ولا إيه؟ بعدين مش عاجبينك؟ هاتهم!"

وضعهم في جيبه وتراجع: "وعلى إيه الطيب أحسن؟ أنا هخرج، سلام."

تركها وذهبت هي لتنظيف المطبخ.

انتظرت حنين زوجها، وحين دخل الغرفة وقفت تواجهه: "ليه دخلتني بالشكل ده؟ مش بحب نظام الأمر يا إيهاب و..."

قاطعها إيهاب وهو يمسك كلتا ذراعيها: "أمر يا حنين؟ إنتِ شوفتي تصرفي ده أمر؟ هو حد يأمر حد يقوله ادخل ارتاح؟"

تراجعت خطوة لتبتعد عن تأثيره: "مش الفكرة في قولت إيه، الفكرة في الطريقة اللي اتكلمت بيها معايا وقدامهم: ادخلي ونفذي."

تنهد باستسلام وجلس على طرف السرير. راقبته منتظرة تعليقه، لكنه لم ينطق حرفًا. فوقفت أمامه ويديها بخصرها: "وبعدين؟"

رفع نظره إليها: "وبعدين إيه؟ عايزة إيه يا حنين؟"

صاحت بضيق: "عايزة أفهم اتصرفت ليه كده؟ إيه ضايقك؟ وليه اتضايقت مني؟ وليه بتتكلم معايا بالأسلوب ده قدامهم؟"

وقف أمامها لتشعر بالتوتر لفرق الطول، لكنها استجمعت شجاعتها وواجهت نظراته، بينما قال: "أنا ما اتضايقتش منك يا حنين. اتضايقت من أمي. مش هي اللي طلبت منك تعملي البامية وباقي الأكل؟"

استغربت السبب، وباستنكار قالت: "لا ده مش سبب. بعدين هي مش بتحب المكرونة البشاميل. هتاكل إيه يعني؟ يرضيك تقعد بدون أكل؟"

أشاح بنظره بعيدًا عنها: "إنتِ مش فاهمة حاجة يا حنين. مكرونة إيه اللي أمي ما بتاكلهاش؟ أمي بتاكل أي حاجة، ولا بتعمل دايت، ولا بيفرق معاها ضغط وسكر، ولا الكلام الفاضي اللي بتقوله ده. هي بس..." (صمت قليلًا ليعلق بعدها) "...أنا والله مبقتش فاهم هي عايزة إيه؟ بتعمل كده ليه؟ معدتش فاهمها. بس اللي فاهمه إن مش الصح إنك تفضلي النهار كله واقفة في المطبخ تعملي ألف صنف لمجرد إنهم يتعبوكِ أو يضايقوكِ. ده مش صح. بعدين بعد كده تعملي حاجة واحدة أو يكون في حد بيساعدك، زي هبة. لكن تتسحلي لوحدك كده؟ لأ. وإلا..."

اقتربت منه حين فهمت سر ضيقه، فضيقه ما هو إلا حب صريح. وضعت ذراعيها حول رقبته وهمست: "وإلا إيه؟"

تاه الكلام منه حين اقتربت منه، فكررت سؤالها: "هتعمل إيه؟"

نظر لعينيها: "الأكل اللي تعمليه بتعب وسحلة بالشكل ده، مش هدوقه يا حنين."

اختفت ابتسامتها تمامًا: "إنت بتقول إيه؟ وهو أنا بعمل لمين؟ لمازن؟ ولا لوالدتك، مع احترامي ليها؟"

اقترب منها بتأكيد: "الأكل اللي هيكون فيه تعب وسحلة مش هدوقه يا حنين. أنا هكون أسعد إنسان لو حتى عملتي بيضة

مسلوقة. هاكلها وأبوس إيدي وش وظهر وأحمد ربنا عليها. لكن هتفضلي واقفة النهار كله في المطبخ تعملي صنف واتنين وأربعة؟ فوقتها، صدقيني، الأكل مش هيتبلع أصلًا. إنتِ مش جاية هنا تخدمي. إنتِ زوجة وحبيبة، وجوزك مكتفي بأقل القليل. عايزة تعملي حاجة معينة؟ اعمليها. لكن هتسمحي لحد يلعب بيكي؟"

قاطعته: "يا إيهاب، دي والدتك. مش لسه قايلين مامتك بره الحسابات؟"

أكّد: "ومازلت عند كلامي، مغيرتوش. ما تزعليهاش. ساعديها. حبيها. لكن لما تحسي إنها بتيجي عليكِ أو تستعبط، يبقى لأ. خلي، يا حبيبتي، كفة الميزان مظبوطة. لا تيجي عليها ولا تيجي على نفسك. وبعدين كلميني واسأليني: أمك بتحب كذا ولا لأ؟ وأنا هجاوبك. استشيريني وخدي رأيي الأول. يعني لقيتيها بتطلب أكل مختلف عن اللي في دماغك، ومحدش موجود يساعدك، وهي مش هتساعد، وهبة مش موجودة زي كده، يبقى حاجة من الاتنين: يتأجل اللي في دماغك أو اللي هي بتطلبه يتأجل. ده كل اللي طالبه. ينفع ولا مش هينفع؟ ينفع تبطلي تحسسيني بتأنيب ضمير؟ ما تخلينيش أحس إنك جيتي هنا تتظلمي معايا." (حاولت الاعتراض فوضع يده على شفتيها) "علشان خاطري، ما تجيش على نفسك بالشكل ده. اتفقنا؟ علشان خاطري أنا، بجد."

تنهدت باستسلام: "حاضر يا إيهاب، مش هاجي على نفسي. حاضر يا حبيبي. المهم، برضه، مش هترسمني؟ ولا وعودك فالصو ولا إيه؟"

مازحته لتغير مجرى الحديث وتخرجه من الحالة المسيطرة عليه.

وبالفعل نجحت، فلقد ابتسم ونظر تجاه اللوحة المغطاة وتوجه ناحيتها ليكشفها: "أرسمك يا روحي؟ وماله. يلا دلوقتي لو تحبي؟"

ابتسمت ونظرت إليه بإغراء: "ألبس نفس الهدوم المرة اللي فاتت؟"

لم يمنع نفسه هذه المرة بل ابتسم وعلق بخبث: "لا. المرة دي مش عايزك تلبسي. عايز أرسمك إنتِ وبس من غير أي إضافات."

ابتسمت بخجل من اقتراحه: "مش هقدر. لا."

عقد حاجبيه: "مش هتقدري إيه؟ ما إنتِ بتنامي في حضني وانتِ..."

قاطعته بسرعة: "أنام في حضنك حاجة، وواقف قدامك ترسمني دي حاجة تانية."

استسلم ظاهريًا: "طيب، اعملي اللي يريحك."

سألته بخجل: "طيب، ينفع تطلع بره لحظة أغير هدومي؟"

نظر إليها مصدومًا: "أعمل إيه؟ وده من إيه إن شاء الله؟ بصي، هعمل نفسي مش واخد بالي، وإنتِ غيري."

ضحكت لاقتراحه: "لا، بجد؟ لا طبعًا. طيب، اطلع البلكونة. دقيقتين بس؟ علشان خاطري."

ابتسم: "طالما خاطرك، يبقى من عنيا."

توجه للخارج، لكنه تابعها بعينيه من خلال الزجاج وهو مبتسم. وحين قاربت على الانتهاء، طرق بخفة ثم دخل. وقف أمامها ووضع

يديه على خصرها العاري، جذبها ناحيته وهمس في أذنها: "شوفتك من القزاز."

تقابلت نظراتهما بحب وهمست مثله: "أخدت بالي منك على فكرة. بس قولت زي جوزي، مش مهم."

ضحكا سويًا، قبل أن تعلق، وهي تلف ذراعيه حولها، ثم تضع ذراعيها حول رقبته: "طيب، بذمتك، مش أنا وإنت لايقين على بعض؟"

ابتسم وهو يقبلها بخفة: "آه، لايقين طبعًا."

ابتعدت عنه وهي تلهث: "إنت قولت هترسمني؟"

ابتسم وهو يرفع يديه باستسلام: "حاضر، هرسمك أهو."

نظر إلى اللوحة ثم وضعها أمامها، وبدأ في رسم بعض الخطوط، لكن عقله كان مشغولًا تمامًا بقوامها الممشوق أمامه. تمنى لو يستطيع الاقتراب منها، أن ينهل من رحيق شفتيها، بل من جسدها بأكمله. فجأة، انتبه وابتسم لنفسه: "لماذا يمنع نفسه ويُسيطر على أعصابه لهذه الدرجة وهي زوجته التي يعشقها؟"

وضع القلم من يده واقترب منها بخطوات حذرة، ثم مال فوقها ليقبلها. وضعت ذراعيها حول رقبته وهمس بحب: "ما ينفعش تكون قدامي ملكة جمال الكون اللي بعشقها وأقف أتفرج عليها بالشكل ده. طفي النار اللي جوايا الأول، وبعدها نشوف حكاية الرسمة اللي مش هتخلص دي."

تعلقت برقبته مبتسمة، فحملها بين ذراعيه مقبلًا إياها. علّقت هي:

"أصلًا إنت اتأخرت أوي."

نظر إليها متعجبًا: "اتأخرت في إيه؟ قصدك الرسمة يعني؟"

عقدت حاجبيها وصححت: "أقصد إنك تسيب الرسمة وتجيلي بالشكل ده. إنت ما تتخيلش إنت واحشني قد إيه. بعد ما وقفت قدامي ترسمني، استغبيت طلبي أوي. يعني بدل ما أكون في حضنك، أقف بعيد عنك أتمناك؟"

همس بحب: "طيب ما اتكلمتيش ليه؟ ليه منتظراني آجي؟"

طأطأت رأسها بخجل وهمست: "كنت عايزة أعرف هتفضل مقاوم لامتى، وبعدين اتحرجت أصلًا."

وضعها على سريرهما برقة، وأمسك ذقنها برقة مأنبًا إياها: "مفيش حاجة اسمها اتحرجت منك دي. اللي إنتِ عايزاه اطلبيه، أو بس شاوريلي وأنا ما هصدق أقرب منك. بس إشارة يا حنين."

قضيا وقتًا ممتعًا سويًا. وبعد فترة، نظر للوحة أمامه وتحرك من جانبها، لتتمسك بذراعه: "سايبني ورايح فين؟"

ابتسم: "لللوحة دي. عايز أعمل فيها كام خط."

لم تترك ذراعه، بل علقت بتكاسل: "مش قادرة أقوم بقى يا إيهاب. خليك في حضني."

قبلها مجددًا: "بالرغم من إن عرضك مغري جدًا، بس حابب أرسم شوية دلوقتي وأنا طاير كده في السما. وبعدين، ما طلبتش منك تقومي أصلًا. عايز أرسمك زي ما إنتِ كده، بالشكل ده، وبالحالة دي."

تفاجأت به يجذب الغطاء من فوقها، فشهقت باستغراب ووضعت كلتا يديها تستر جسدها. أمسك يدها وأبعدها برقة، وهو يقبلها ويرفع يدها فوق شعرها ويثبتها: "خليكِ كده علشان خاطري."

همست باعتراض: "مش هقدر."

قبلها مجددًا: "هتقدري. اثبتي بس وما تفكريش فيا."

تراجع خطوة، وألقى نظرة رضا عليها، ثم توجه للوحة وبدأ يندمج في رسمها، وهو يأكلها بعينيه الصامدتين للنهاية.

في اليوم التالي، توجه إيهاب لعمله متأخرًا كعادته ومتعبًا من قلة النوم. أصر أن ينهي عمله في هذا اليوم كي يستطيع الاستمتاع بإجازته.

لم تخرج حنين من غرفتها إلا بعد العصر، وتوجهت للمطبخ كي تعد طبقًا خاصًا لزوجها.

لم تتركها هبة لحظة واحدة، بل ساعدتها أو قامت هي بمعظم العمل، كي تريح حنين تعويضًا عن تركها إياها في اليوم الماضي.

سمعت حنين طرقًا على الباب، فتوجهت مسرعة لتفتحه بلهفة كي تلقي نفسها بين ذراعيه. فتحت الباب بسرعة، ولكن تفاجأت حين لم تجد إيهاب حبيبها.

5

فتحت حنين الباب لتتفاجأ بأبيها أمامها، وبعد وهلة هتفت بفرحة: "بابا! إزيك؟ اتفضل يا حبيبي."

تعجب والدها من صدمتها في البداية، ضمها بحب ودخل بتردد. جلس برفقتها وبعد السلام والاطمئنان عليها سألها بفضول: "كنتِ منتظرة حد ولا إيه؟"

سألته بحيرة: "إمتى؟ منتظرة مين؟"

ابتسم عبدالقادر حين لم تفهم سؤاله: "وقت ما فتحتي الباب زي ما يكون منتظرة حد، واتصدمتي لما شفتيني."

نكست رأسها بخجل: "لا، عادي، بس كنت فكراك إيهاب يعني، ده ميعاد رجوعه."

اقترب منها وبصوت قلق: "عاملين إيه يا حنين مع بعض؟ لسه زي ما أنتو ولا قربتوا من بعض؟ طمنيني عليكِ يا قلبي."

اقتربت وهتفت بحماس وحب: "كويسين يا بابا، الحمد لله. اطمن، حضرتك، أنا مبسوطة فوق ما تتخيل."

أحس عبدالقادر بسعادتها فعلًا من حديثها، وسألها مبتسمًا: "يعني إيهاب عرف يشيل النظرة السوداوية دي ولا لسه؟"

تذكرته بليلة الأمس وهو يرسمها، تخيلت نظراته، همساته، اقترابه منها. تذكرت لحظاتهما الحميمية ونظراتهما حين يهمس بحبه في أذنيها. ابتسمت ونظرت لوالدها: "إيهاب عرف يدخل جوه قلبي،

يرجع حنين القديمة الحالمة اللي كانت بتحلم بالحب، والحمد لله لقته. نفسي أصرخ بعلو صوتي وأقول لكل حد، وخصوصًا لماما، إنها غلط. كل اللي قالتهولي غلط. غلطت لما حاولت تقنعني إن الحب ده مجرد وهم بيضحكوا بيه على البنات في الأفلام والروايات. غلطت لما أقنعتني إن العلاقة الزوجية ما هي إلا تأدية واجب وبس، ومش شرط الواحدة تتقبل زوجها. غلطت لما قالتلي إني لازم أنزل للواقع. غلطت لما قالتلي إن مفيش حاجة اسمها اغتصاب بين الراجل ومراته." (نظرت لوالدها) "ماما غلط في كل حاجة يا بابا."

أمسك يدها: "عارف إنها غلط، وقلتلك إنها غلط. أمجد كان اختيار سيئ، بس مش معناه إن كل الرجالة سيئة زيه. ده اللي كنت بحاول أعمله طول الفترة اللي فاتت، أفهمك إن الحياة فيها الكويس والوحش. ومش معنى إنك قابلتي الوحش إن مفيش الكويس." (ابتسم وردد) "المهم يعني، إيهاب كويس؟"

تنهدت بحب وعشق واضح: "فوق ما تتخيل."

سألها بتردد: "طيب ليه نزل الشغل بسرعة كده؟ حنين، لو محتاجة أي فلوس أو..."

قاطعته بسرعة: "لا لا يا بابا، الحمد لله الأمور تمام. هو نزل الشغل قبل ما..."

صمتت فجأة، فهي لا تعلم كيف تنهي تلك الجملة. كيف تخبر والدها أنه توجه لعمله قبل أن يتذوقا الحب سويًا وتصبح زوجته قلبًا وقالبًا؟

فهم والدها حين لاحظ حرجها، فعلق مبتسمًا: "قبل ما تسمحي له يقرب ويدخلك جنته، مش ده اللي عايزة تقوليه؟"

(أومأت برأسها خجلًا، فأكمل هو) "طبعًا، وبما إنه قبل شغلانة، ما ينفعش يسيبها. بس هل بعد ما يخلصها هينفع ياخد إجازة ولا إيه؟"

أجابت بسرعة: "آه، الأسطى طلعت قاله خلص اللي في إيدك وخد إجازتك براحتك. لكن طالما بدأت، ما تسيبنيش في النص كده."

خرجت قدرية وتفاجأت بوجود عبدالقادر، فرحبت به ثم نظرت لحنين بتعجب: "إنتِ ما ضيّفتيش أبوكِ يا حنين؟"

علقت حنين بتلقائية: "لا لسه، بس قلت يتغدى معانا الأول بدل ما نسد نفسه بأي حاجة."

اعترض والدها بهدوء وهو يهمّ ليقف: "لا، ولا تضيّفوني ولا أتغدى. أنا مش غريب، وقلت أعدي أسلّم عليكِ وأطمن وأمشي على طول."

أمسكت حنين ذراعه: "حضرتك مش هتمشي من هنا قبل ما إيهاب يوصل وتتغدى معانا."

قبل أن يعترض مجددًا، رن هاتفها. استأذنت منه وردت بسرعة مبتسمة: "إنت فين؟ لسه مطوّل؟"

لاحظ والدها ابتسامتها ولمعة عينيها، فأحس بالارتياح يغمره، وخصوصًا حين وقفت وقالت: "بجد وصلت تحت؟ لا مش عايزة حاجة، اطلع بس بسرعة."

أغلقت الهاتف ونظرت لوالدها: "أهو إيهاب وصل. بعد إذنكم، هفتح

له."

وقفت قدرية بدورها: "هدخل أشوف البت هبة عملت إيه في المطبخ؟"

صاح عبدالقادر: "ما تعملوش حسابي في الغدا."

نظرت قدرية: "دلوقتي إيهاب يطلع وأبقى أقوله هو الكلام ده."

دخلت قدرية، بينما توجهت حنين لتستقبل زوجها بالخارج كعادتها. راقبته يصعد درجات السلم قفزًا، فضحكت. رفع هو رأسه وزاد من خطواته، وحين وصل إليها رفعها من على الأرض ليقبلها بحب وهي بين ذراعيه.

نظر عبدالقادر للخارج من مكانه، ليرى إيهاب يحمل ابنته بين ذراعيه ويقبلها. ابتسم ونكس رأسه وهو يدعو الله أن يسعد ابنته دائمًا وأبدًا، فهي تستحق أن تجد الحب والسعادة.

همست حنين لزوجها: "أخيرًا جيت؟ نفسي أعرف بتتأخر كل ده ليه؟ أمال في بيتنا كنت بتمشي بدري ليه؟"

نظر إليها بذهول واستنكار: "بدري؟ أنا كنت بمشي الساعة عشرة بالليل لما كنت برسم الرسمة لحضرتك ولا نسيتي؟"

ابتسمت: "نسيت، بس ده مرة أو مرتين. المهم وحشتني."

أمسك وجهها وقبّلها عدة مرات، ثم همس: "من هنا ورايح مش هبعد عنك تاني لحد ما تزهقي مني."

نظرت إليه بشك: "قصدك إيه؟ مش هزهق أكيد، بس أصلًا ما

بلحقش أشوفك!"

جذبها بين ذراعيه: "هتشوفيني يا حبي وتزهقي مني. النهاردة خلصت اللي ورايا، والأسطى قالي خلاص كده أنا ما أروحش."

قفزت وتعلقت في رقبته بفرحة: "بتتكلم جد؟ طيب احلف!"

حين تعلقت برقبته، حملها برقة ورفعها عن الأرض، ثم دخل بيته وأغلق الباب بقدمه: "صوتك العالي ده؟"

علقت حنين وهي تحاول فك يديه من حول خصرها: "إيهاب، بابا وراك! نزّلني."

ابتسم بتهكم: "بابا؟ شوفي حجة غير ده قوليها."

حاولت الاعتراض، ولكن دون جدوى، فهو لا يعطيها فرصة للحوار، إلى أن سمع صوتًا يحمحم: "إزيك يا إيهاب؟"

اتسعت عينا إيهاب بصدمة ونظر إلى حنين، ثم تركها فجأة. فضحكت وقالت: "قلتلك بابا وراك."

التفت بسرعة، محرجًا، وتوجه لعبدالقادر يرحب به: "عمي، أهلًا بحضرتك. حقك عليا، أنا آسف و..."

قاطعه عبدالقادر وهو يقف ويضمه: "ما تتأسفش، دي مراتك وإنت جوزها. أنا اللي جاي بدون ميعاد و..."

قاطعه إيهاب هذه المرة باستنكار: "ميعاد إيه بس يا عمي؟ البيت بيتك، ودي بنتك، تنور في أي وقت."

ابتسم عبدالقادر بعرفان: "تسلم يا ابني، ربنا ما يحرمني منكم إنتو

الاتنين."

نظر لكليهما قبل أن يضيف: "أسيبكم أنا بقى تاخدوا راحتكم وأتكل على الله."

نظر إيهاب لحنين: "اتغديتوا يا حنين؟"

حركت رأسها برفض: "ولا داق حتى المية أصلًا، لسه داخل قدامك مفيش. بقوله نتغدى مع بعض، بس واقف زي ما إنت شايف كده."

نظر إيهاب باستنكار لعبدالقادر وأمسك يده: "اتفضل يا عمي اقعد وبلاش الحركات دي بالله عليك. هنتغدى مع بعض ونقعد مع بعض شوية، وبعدها ربك يسهل."

حاول عبدالقادر الرفض أو الاعتراض، ولكن إيهاب لم يعطه فرصة أبدًا. استأذن ليبدل ملابسه، بينما توجهت حنين لمساعدة هبة في تجهيز السفرة.

دخل إيهاب المطبخ أولًا ليسألهم: "في حاجة ناقصة؟ محتاجينها؟ ولا عايزين أي حاجة؟"

ردت حنين بابتسامة: "لا يا حبيبي، ادخل خد شاور سريع واطلع. نكون جهزنا السفرة."

أكد: "متأكدين مش عايزين أي حاجة؟"

أكدت قدرية: "لا يا إيهاب، الأكل كتير أصلًا. تقريبًا حنين عاملة حسابها إن أبوها جاي؟"

علق إيهاب: "ينور في أي وقت."

اعترضت حنين بسرعة: "أنا ما كنتش أعرف إن بابا جاي، لأ. وبعدين أنا يدوب عملت صينية بطاطس باللحمة، ما عملتش حاجة زيادة يعني."

أكد إيهاب: "ولو عارفة، براحتك."

انسحب ليغسل عنه آثار يومه بسرعة ويبدل ملابسه، ثم خرج ليجلس مع حماه برفقته.

حاول عبدالقادر مجددًا الانصراف، لكن إيهاب لم يعطه فرصة أبدًا. التف الجميع حول الطاولة، وراقب عبدالقادر ابنته وزوجها العاشق، إذ كان إيهاب، من آن لآخر وبهدوء، يضع في فم زوجته قطعة من اللحم ويهتم بها.

بعد انتهاء الغداء، نظفت هبة وحنين الطاولة، وأعدت حنين القهوة لوالدها كما يحبها، وأعدت الشاي لزوجها وعائلته. ضايفت والدها ثم جلست على يد الكرسي الذي يجلس عليه إيهاب، واستندت على كتفه وهي تضحك وتمزح مع والدها وزوجها.

خرجت هبة قائلة: "إيهاب، تقريبًا كده موبايلك بيرن في أوضتك؟"

نظر باستنكار لها: "طيب ما تجيبيه يا هبة؟"

علقت بحرج: "ما هو في أوضتك جوه والباب مقفول."

وقفت حنين: "الباب افتحيه هيفتح يا بوبا، وبعدين هو إنتِ غريبة يعني؟ لحظة يا حبيبي وهجيبه."

خرجت حنين بعد لحظات قائلة: "ما لحقتوش يا إيهاب."

فتح إيهاب الهاتف وعقد حاجبيه، فعلقت حنين: "مين؟"

تنهد بضيق: "الأسطى طلعت."

هتفت حنين بتحذير: "إياك يقولك تعال الشغل بكرة وتوافق!"

علقت قدرية بغيظ: "يا حبيبتي، ده أكل عيشه، يرفض إزاي بقى؟"

وقف إيهاب واستأذن حماه: "لحظة يا عمي، هكلمه."

حذرته حنين: "إيهاب؟"

ابتسم مطمئنًا ثم خرج للشرفة واتصل بطلعت، بينما راقبته حنين تحاول الاستماع إليه.

علق والدها بهمس: "سيبي جوزك براحته يا حنين."

عقدت حاجبيها وهمست بدورها: "وعدني ياخد كام يوم إجازة."

راقبت قدرية التي أمسكت الريموت لتفتح التلفاز لمتابعة مسلسلها المفضل، بينما همس عبدالقادر: "ما هو أخد في الأول كام يوم. مش ذنبه إنك ضيعتيهم ولا نسيتي؟"

نظرت لوالدها بعتاب: "إنت معايا ولا مع مين؟"

ضحك عبدالقادر: "إنتِ ضيعتي الإجازة، ماتلوميش إلا نفسك. وبعدين يا ناصحة، شغلك إنتِ كمان نسيتيه؟"

نظرت لوالدها بتفكير: "هو النهاردة كام أصلًا؟ ولا الدنيا إيه؟"

سمعت زوجها بالخارج يقول: "حاضر يا أسطى، حاضر."

وقفت بسرعة: "لحظة يا بابا، هشوفه بيوافق على إيه؟"

خرجت لإيهاب وهمست: "أوعى يكون شغل جديد؟ والله أزعل وأجيب ناس تزعل!"

ابتسم وحرك رأسه برفض، فابتسمت واقتربت منه تحاول أن تسمع معه. اقتربت منه للغاية ووقفت على أطراف أصابعها لتحاول سماعه، فوضع إيهاب يده حول خصرها ليسندها، ثم أغلق الهاتف.

سألته بفضول: "وافقت على إيه؟"

نظر لعينيها: "هنزل الشغل بكرة..."

قاطعته بغضب: "مش هتنزل الشغل يا إيهاب!"

حاول مداعبة وجنتها، لكنها كانت غاضبة، فأبعدت يده وعلقت: "إنت وعدتني؟ وماليش دعوة، مش هتنزل."

نظر تجاه والدها، الذي نظر للتلفاز بدوره. همت حنين بالدخول، ولكن أمسك إيهاب ذراعها يمنعها: "حبيبتي، هو مش شغل جديد." (نظرت تجاهه دون تعليق، فوضع يده على وجنتها بلطف) "صاحب المكان عنده شوية تعديلات عايز يعملها، فلازم أكون موجود وأعدلها. مش شغل جديد، فهمتي؟"

هدأت قليلًا، وأمسكت قميصه تجذبه بتَرَجٍ: "بس مش عايزاك تبعد بقى يا إيهاب."

رفع يدها وقبّلها: "والله غصب عني. معلش استحمليني، وأوعدك هخلصهم بسرعة. يعني ممكن أصلًا التعديلات ما تاخدش ساعتين، يعني قبل ما تصحي تلاقيني رجعت."

رفعت عينيها: "بجد؟ يعني مش هتاخد النهار كله بعيد عني؟"

وعدها: "هحاول يا قلبي. تعالي بقى علشان باباكي اللي قاعد لوحده."

دخلا سويًا وهو يمسك يدها، وجلست بجانبه. سألت قدرية بفضول: "كان عايز إيه الأسطى طلعت؟ أوعى يكون شغل ورفضته؟"

نظر تجاهها: "لا، مش شغل. بس الشقة اللي خلصتها صاحبها عايز يعمل شوية تعديلات، فهروح معاهم بكرة إن شاء الله."

وقف عبدالقادر، فاتجهت الأنظار إليه، ليوضح هو: "هروح أنا بقى يا حنون. محتاج أريح شوية يا قلبي، وأديني اطمنت عليكِ."

وقفت حنين: "طيب، ادخل ريّح جوه يا بابا واسهر معانا النهاردة؟"

أكد إيهاب ما قالته زوجته، ولكن رفض عبدالقادر. تحركت حنين مع والدها للخارج، وتأخر إيهاب قليلًا ليتيح لها قليلًا من الحرية.

همست قدرية لابنها: "اطلع مع مراتك شوف أبوها، أكيد هيديها فلوس."

تضايق إيهاب من والدته: "هي وأبوها حرين مع بعض يا أمه."

عاتبته بضيق: "يعني إيه حرين؟ مش..."

قاطعها بصرامة ليغلق الحوار: "يعني حرين، واقفلي الحوار ده."

أخرج عبدالقادر مبلغًا من المال ووضعه في يد ابنته، فتعجبت: "إيه ده يا بابا؟ أنا مش محتاجة فلوس، وإيهاب..."

قاطعها بسرعة: "ربنا يخليكم لبعض. دي نقطتك يا قلبي. وآه، قبل ما أنسى، وقت ما تحتاجي الفيزا بتاعتك عرفيني يا روح قلبي من جوه."

ابتسمت حنين وألقت نفسها بين ذراعي والدها: "مش هحتاجها يا بابا، صدقني إيهاب مش مخليني محتاجة حاجة."

ربت على رأسها بحنان: "برضه لو احتجتي حاجة واتحرجتي منه أو حسيتي إنها غالية أو أي حاجة، أبوكِ موجود. وهفضل أقولك رسالة واحدة: هتلاقيني معاكِ."

رفعت عينيها لوالدها: "بابا، اطمن عليا مع إيهاب."

ابتسم وداعب وجنتها: "صدقيني مطمن. ربنا يسعدكم يا رب. هو راجل وجدع وبيحبك، حافظي عليه."

حمحم إيهاب وهو يخرج، فابتسم والدها: "تعال يا إيهاب، معلش وقفت مراتك بره كده."

علق بحرج: "يا خبر يا عمي، أصلًا ملحقناش نشبع منك ومش هنحسبها المرة دي."

ربت عبدالقادر على كتفه: "الجايات كتير، مش محتاج أوصيك على بنتي يا إيهاب."

نظر إيهاب لحبيبته بين ذراعي والدها: "محدش بيوصي حد على روحه يا عمي، وحنين روحي."

ابتسم والدها: "ربنا يهدي سركم دايمًا يا رب، ويديم الحب والود

بينكم."

راقباه يبتعد، ودخلا سويًا. لاحظت قدرية المال في يد حنين، ولاحظ إيهاب نظراتها، وقبل أن تنطق، طلب إيهاب من حنين: "معلش يا حنون، هتعبك وأقولك شيلي الصينية دي لحاجة تقع ولا تتكسر."

أحست حنين أنه مجرد سبب لتبتعد، فلم تعارض وتحركت للداخل، بينما راقباها إلى أن ابتعدت، فحذر إيهاب والدته: "وبعدين يا أمه؟"

همست بفضول: "دول كتير يا واد، إنت!"

تنهد بنفاد صبر: "برضه وبعدين؟ فلوسها وهي حرة فيها. حتى لو هتولع فيهم وتتدفى بيهم، هي حرة. قصة إني أبص لفلوس مراتي أو راتبها أو حاجة أبوها يديهالها دي مقفولة أصلًا يا أمه، فريحي بالك. علشان بس أجيب معاكِ من الآخر، هقولك بقى تصبحي على خير لأني صاحي من بدري وعايز أنام علشان أعرف أكمل يومي بكرة."

علقت بتهكم: "وهي السنيورة هتسيبك تنام؟ دي صاحية العصر يا أخويا دلوقتي، تسحلك جوه."

تنهد وزفر بضيق: "تصبحي على خير يا أمه."

ردت بسخرية: "وانت من أهله يا أخويا."

دخل لغرفته ليجد حنينه بانتظاره. اقتربت منه ومدت يدها بالمال: "بابا إداني دول وقال نقطتي."

ابتسم وأغلق يدها على ما تحمله: "طيب نقطتك أنا مالي بيها."

علقت: "خليهم معاك طيب."

ابتسم بحب: "دول بتوعك، فمكانهم معاكِ يا قلبي. المهم، وحشاني ولا هنقضيها رغي؟"

ابتسمت وتحركت، وضعت المال على التسريحة خلفها، ونظرت له: "اديني خمس دقايق أغير هدومي لحاجة مريحة."

ابتسم: "بسرعة طيب، وحياتك."

راقبها وهي تخلع فستانها. تفاجأت بذراعيه تلتف حول خصرها وهو خلفها، يهمس في أذنها: "وحشتيني يا حنين."

لفت تواجهه وهمست بخجل: "خليني ألبس أي حاجة طيب و..."

قاطعها بشفتيه. تفاجأت به يحملها بين ذراعيه ويتوجه لسريرهما، يضعها برفق ويدفن نفسه بين ذراعيها.

وصل عبدالقادر بيته والسعادة تغمره. قابلته صغيرته: "اتأخرت ليه يا بابا؟"

قبّل رأسها قبل أن يجيبها: "عديت على حنين."

علقت صابرين: "غير هدومك ويلا نتغدى."

نظر تجاهها: "لا، اتغديت معاها. اتغدوا إنتو."

وقفت صابرين بتحفز: "واتغديت إيه بقى عندها؟ تلاقيها مش عارفة تاكل أصلًا ولا..."

قاطعها عبدالقادر: "ليه؟ قاعدة في الشارع ولا إيه؟ دي معاها راجل بجد، حاططها جوه عينيه."

أشاحت بوجهها وعلقت بتهكم: "جوه عينيه، قولتلي."

سألته حور بفضول وقلق: "وحنين عاملة إيه يا بابا؟"

نظر تجاهها مبتسمًا: "طايرة يا حور. أخيرًا شوفتها مبسوطة يا حبيبتي. حنين القديمة رجعت، اللي بتضحك وتتنطط. إيهاب عرف يرجعها يا حور."

سخرت صابرين: "بيصحيها ببوسة ويغديها حضن، صح؟ ما هو ماحيلتوش غير كده."

زفر عبدالقادر بضيق: "اللهم طولك يا روح. بقولك يا صابرين، احتفظي بآرائك دي لنفسك. بنتي مبسوطة، ومفيش حاجة تاني تهمني في الدنيا. وابعدي عنها، كفاية اللي عملتيه فيها لما اقنعتيها إن عادي الراجل يغتصب مراته وإن دي طبيعة العلاقة الزوجية ودمرتيها. بس الحمد لله، ربنا رزقها بإيهاب يعوضها ويصحح كل مفاهيمك الغلط دي. بنتك النهارده كانت طايرة فوق السما، بتقول نفسها تصرخ للكون كله وتقول إن الحب موجود، وإن كل حاجة إنتِ قولتيهالها في يوم كانت غلط."

شهقت بسخرية: "سيبنالك إنت وبنتك الصح يا عبدالقادر. بكرة لما تفوق وتشوف مصاريف الحياة وضغوطاتها، ابقى كلمني عن الحب والمياصة. وابقى قولي لسه طايرة ولا نزلت على الأرض؟"

نظر عبدالقادر لابنته: "اوعي تغلطي غلطة أختك وتسمعي حرف

من اللي أمك بتقوله. الحياة من غير حب لا تحتمل. لو هناكل طقة ونجوع طقة، وعايش مع حد يحبني وأحبه، بالدنيا وما فيها. سعادتك ملهاش تمن. إنتِ شوفتِ بنفسك، أمجد كان بيفرش الفلوس تحت رجلين أختك، لكن تغور من شخصية زي شخصيته المريضة. السعادة والراحة النفسية مش بتتحقق بالفلوس يا حور. ابقي روحي لأختك زوريها واطمني عليها."

دخل لغرفته بينما وقفت حور أمام والدتها: "تيجي بكرة نروح لحنين؟"

نظرت تجاهها بتهكم: "ليه؟ عايزة تشوفيها طايرة إزاي؟ تعالي نروح. أبوكِ راح النهارده، تعالي نروح بكرة ونتغدى. وإياكِ تقوليلها إننا رايحين. خلينا نطب عليها ونشوف، بيعملوا أكل كل يوم؟ ولا يوم يطبخوا وباقي الأسبوع يقضوها أي حاجة والسلام؟ فلو غدت أبوكِ النهارده، يبقى بكرة مش هيعملوا أكل وهتلاقيهم بيقضوها أي حاجة. خلينا نشوف الواقع بدل ما أبوكِ مخدوع بالشكل ده. وحنين بتعرف تلعب بيه، لكن أنا وإنتِ مش هتعرف تخبي علينا ولا تمثل قدامنا. غير كده، هي هتخاف على أبوكِ يتعب. نروح ونشوف الواقع بجد. نشوف حضنه جنة زي ما أبوكِ بيقول ولا أي كلام بتضحك عليه بيه علشان ما يزعلش عليها؟"

استيقظت حنين رغمًا عنها متأخرةً، تلفّتت حولها ونظرت إلى ساعة هاتفها لتجد الوقت قبل العصر بقليل. اتصلت بزوجها الذي ردّ مسرعًا:

حقك عليّا، عارف إني قلت هاجي قبل ما تصحي، بس معلش،

الراجل جايب مراته معاه وطلبت تعديلات كتيرة.

تنهدت بصوت مسموع:

أيوه يعني هتيجي لحضني إمتى؟

لحظات من الصمت خمنت هي أنه تحرك من مكانه، ثم سمعته يهمس:

لما بتتكلمي بصوتك النعسان ده وتقولي "هتيجي لحضني إمتى"، بيكون هاين عليّ أطير لعندك. ما تتخيليش جملتك دي بتعمل فيّا إيه يا حنين.

ابتسمت بحب وهمست بإغراء:

طيب سيب اللي في إيدك وتعالَ لحضني بسرعة، وأوعدك هدلعك.

ضغط على هاتفه وهو يحاول التفكير في أي سبب يخبره للأستاذ طلعت ليذهب لحبيبته، ولكن لو ذهب الآن سيعود مجددًا بالغد. كشر حاجبيه بضيق، فهو ما بين نارين. سمعها تهتف:

هوّبا! انت قفلت ولا إيه؟

ردّ مسرعًا:

لا يا قلبي، بس في حرب جوايا ما بين أجيلك دلوقتي وبكرة أنزل تاني، ولا أكمل اللي ورايا وآخدك ونروح أي مكان لوحدنا وهقفل تليفوني خالص؟

همست وهي تنظر إلى لوحة أمامها لم تكتمل أو حتى تظهر ملامحها، مجرد خطوط لا معنى لها:

عايزة أقولك تعال دلوقتي، بس في نفس الوقت معنديش استعداد تنزل تاني بكرة. عايزة أقضي ولو يوم كامل في حضنك، عايزة أصحى في حضنك. صدقني كرهت أصحى لوحدي وأفتح عيني لوحدي يا إيهاب.

عصر الهاتف في يده:

وأنا زيك وأكتر. صدقيني بحتاج مجهود خرافي علشان أقوم من حضنك الصبح وأسيبك وأنزل. بشتاقلك قبل حتى ما أتحرك من جنبك. ببوسك وأنزل وأنا بتخانق مع نفسي علشان أصحيكِ وأرجع وأقول لو صحيتي مش هقدر أسيبك وأنزل. أوووووف يا حنين! قد إيه الموضوع صعب. اختاري: آجي ولا أكمل؟ محتاج ساعتين أو ثلاثة بالكتير، ولا بكرة أنزل أخلصهم؟

ابتسمت وتنهدت باستسلام:

خلاص، خلّص الساعتين اللي وراك وتعال. تحب تتغدى إيه النهارده؟ نفسي تطلب مني حاجة بتحبها يا إيهاب.

مش بحب أتعبك يا حنين، وبعدين أي حاجة هتعمليها هحبها مهما كانت.

إيهاب! علشان خاطري اطلب مني حاجة معينة بتحبها أعملهالك.

فكر إيهاب قليلًا قبل أن يقترح:

أكلت مرة مسقعة بالبطاطس والبشاميل وكانت تحفة. تعرفي تعمليها؟

جلست حنين في مكانها وبسرعة:

طبعًا يا حبيبي. هترجع بإذن الله تلاقيها جاهزة.

أغلقت المكالمة، وبسرعة فتحت هاتفها لتبحث عن الأكلة وطريقة عملها على الإنترنت. قرأت عدة طرق لها واختارت أبسط طريقة، ثم قامت بحماس إلى المطبخ كي تبحث عن مكوناتها.

دخلت هبة، سلمت عليها وسألتها:

بتدوري على إيه؟

نظرت تجاهها:

عايزة باذنجان يا هبة، هو مفيش؟

نظرت هبة في درج الثلاجة قبل أن تومىء نفيًا برأسها. وقفت واقترحت:

تحبي أنزل أجيبلك؟ الموضوع هياخد خمس دقايق. الخضري على الناصية.

هتفت بحماس:

بجد هتنزلي؟ أنا ممكن أنزل معاكي بحيث أعرف مكانه وبعد...

قاطعتها هبة:

حبيبتي أنا هنزل، وأنتِ أي حاجة تعوزيها قوليلي عليها. ومن حيث المعرفة، بكرة تنزلي وتتحركي في المنطقة وهتعرفي كل حاجة. المهم، عايزة حاجة تانية؟

تحركت حنين وأخرجت معظم ما تحتاجه، ثم نظرت تجاهها:

كل حاجة موجودة أهو الحمد لله.

سألتها بفضول:

هتعملي إيه؟

ردت بابتسامة واسعة:

مسقعة بالبطاطس والبشاميل.

دخلت قدرية ورددت:

ما هو يا مسقعة يا بطاطس يا بشاميل، لكن الثلاثة مع بعض يطلع إيه؟ وبعدين ما هو لسه في باقي من أكل امبارح. مش كان فاضل طبق خضار يا بت يا هبة؟

علقت هبة بسرعة:

مازن رجع آخر الليل أكله. وبعدين حتى لو في طبق، مش هيكفينا.

نظرت قدرية لابنتها:

خلاص، اعملوا حبة ملوخية ناشفة ولا أي حاجة. مش كل يوم طبيخ كده. (نظرت تجاه حنين) في راجل شقيان النهار كله علشان يوفر القرش. (أكملت بتهكم) وياريت مراته بتقوله كلمة تشجعه ولا تشكره. دي عايزاه يقعد جنبها ويسيب شغله. مش عارفة هيأكلها منين لو قعد في حضنها؟

تضايقت حنين وعلقت دفاعًا عن نفسها:

أولًا إيهاب اللي طلب الأكلة دي وأنا معرفهاش أصلًا بس بحثت عنها في النت علشان أعملهاله. وبعدين أنا مش عايزاه يقعد جنبي. أنا بس طلبت ياخد يومين إجازة مش أكتر، لأنه اضطر ينزل بعد ما اتجوزنا على طول، ولا حضرتك نسيتي؟

أشاحت قدرية بنظرها بعيدًا وتحركت للخارج وهي تغمغم:

يا أختي، أنسى ولا أفتكر هيفرق في إيه؟ روحي يا أختي هاتيلها اللي عايزاه لأحسن إيهاب يجي يطينها علينا كلنا علشان السنيورة بتاعته. (رددت بتهكم) قال إيهاب طلبها قال. إيش عرفه إيهاب أكلة زي دي؟

اقتربت هبة من حنين وربتت على كتفها:

ما تاخديش في بالك من كلامها يا حنون. هي ما تفهمش في الحب أو الاحتياج أو علاقة واحد بمراته. أمي ملهاش في الأمور دي فمش هتتفهم طبيعة علاقتك بإيهاب ولا هتقدر حبكم. فحاولي تعذريها معلش، وما تهتمي بكلامها أو تخليه يضايقك. وأنا ثواني هجيبلك الباذنجان، تكوني جهزتي أي حاجة تانية. شايفاكي مطلعة لحمة مفرومة؟ جهزيها عقبال ما آجي.

ابتسمت حنين لها بحب صادق:

حبيبتي يا هبة، صدقيني مش بزعل منها. وبعدين إيهاب سبق وقالي نفس كلامك، فما تشغليش بالك بيا. وتمام، هجهز المفروم عقبال ما تيجي.

انهمكت حنين في إعداد الغذاء بمساعدة هبة والإنترنت، وقضيا

وقتًا ممتعًا يتخلله الضحك والمزاح مما ضايق قدرية بالخارج. حاولت أن تبعد هبة ولكن لم تجد ما تطلبه منها. استيقظ مازن من نومه وجلس بجانب والدته:

مالك قالبة وشك كده ليه؟

علقت بغيظ:

مش سامع ضحكهم؟

استمع قليلًا، ثم علق باستغراب:

مش سامع غير هبة وحنين؟ هو إيهاب معاهم جوه؟

عقدت حاجبيها:

إيهاب إيه؟ هم هبة وحنين.

استغرب أكثر:

طيب ما هم في المطبخ، ما يضحكوا إيه المشكلة؟ عايزاهم يعيطوا؟

ضربته في كتفه:

نقطني بسكاتك. البت قالت يومين وتزهق من المطبخ وعمايل شغل البيت، بس دي بتعمل الأكل وهي مبسوطة، وقال إيه بتعمل اللي إيهاب طلبه منها وبتدور على النت على الطريقة؟ هتنقطني بضحكها ده، وانت تقولي اسحليها في المطبخ؟ دي أي حاجة هتعملها لإيهاب بتعملها مبسوطة.

عقد حاجبيه بتفكير:

معقول تكون بتحبه بجد؟ ما هو مش هتعمله أكل وهي مبسوطة إلا لو بتحبه؟ يا ترى بتحبه ليه كده؟ عمري ما تخيلته يعرف يحب أصلًا. قلت يوم ما هيتجوز هيجيب واحدة جاهلة، واحدة أي كلام ما تفهمش أي حاجة في أي حاجة. وصراحة، هو آخره كده، مش يجيب واحدة بنت مدير بنك وهي شغالة في بنك. أموت وأعرف بتحب فيه إيه؟ بتحبه ليه؟ فيه إيه يتحب أصلًا؟

لم تتحمل حنين سماع المزيد من الإهانات في حق زوجها، فهي كانت في طريقها لغرفتها كي تبدل ملابسها من رائحة الطبخ، واستمتعت عرضًا لكلامهما. خرجت لتجيب تساؤله:

كل حاجة فيه تتحب، السؤال الصح: فيه إيه ما يتحبش؟

وقف مازن بتوتر، فلم يتخيل أنها ستسمعه وحاول الدفاع عن نفسه:

مقصدش يعني، بس...

قاطعته رافضة سماع أي مبررات:

تقصد ولا ما تقصدش، إيهاب راجل في زمن قل فيه الرجالة واتملى بأشباههم. (كانت تتمنى لو تضيف كلمة "مثلك" لتشبيهه بأمثالهم ولكن منعت نفسها وأكملت) بحب أخلاقه وطيبة قلبه وحنيته، بحب عقله وذكاءه وثقافته اللي مستغرباها جدًا إن واحد زيه ومثقف لدرجة عالية جدًا، بحب رومانسيته، بحب رسوماته اللي بيرسمها تلمس القلب والعقل، بحب تضحيته علشان خاطر أي

حد سواء يعرفه أو ما يعرفوش. إيهاب ممكن يقدم روحه وبطيب خاطر علشان يساعد أي حد. بحبه هو بكل ما فيه. بحب حبه ليا والطريقة اللي بيقدر يخليني فوق السما. بيقدر يفصلني عن الواقع ده ويدخلني جنة عمري ما تخيلت إنها موجودة غير في الروايات والأفلام. إيهاب كل ما فيه يتحب. أعتقد كده جاوبتك بحب فيه إيه؟ بعد إذنكم.

تركتهما دون أن تستمع لرده أو تعليقه، فلقد حاول إيقافها ولكن لم تعطه الفرصة، ودخلت غرفتها وأغلقت خلفها الباب في وجهه. علقت هبة وراءها:

حب حنين لإيهاب أو حبه هو لها عمرك ما هتفهمه أنت أو أمي، لأنكم ما بتعرفوش تحبوا أصلًا.

نظر تجاهها بغيظ:

نقطيني بسكاتك يا أختي، مش طلباكِ.

عاد لوالدته وجلس بجانبها:

تفتكري هتقول لإيهاب على اللي سمعته؟

أجابته وهي تفتح التلفاز دون اهتمام:

لا مش هتقوله. هتخاف ليزعل ويتضايق أو يتخانق معاك. دي هبلة، سيبك منها.

قاطعهما جرس الباب، فقام ليفتح ويتفاجأ أمامه بصابرين وحور. رحب بهما وخصوصًا حور. دخلا ووقفت قدرية لاستقبالهما بفتور

واضح.

صابرين وهي تتلفت حولها وكأنما لا يعجبها المكان:

أمال حنين فين؟ مش موجودة ولا إيه؟

ردت قدرية ببرود مماثل:

موجودة طبعًا. (رفعت صوتها تناديها) حنين؟ يا حنين؟

خرجت هبة على صوت والدتها العالي:

بتنادي كده ليه يا...

قطعت جملتها حين رأت والدة حنين وأختها، فرحبت بهما ودخلت بسرعة تنادي حنين، بينما حاول مازن أن يلفت نظر حور دون جدوى، فهي ترد باقتضاب واضح، مما جعله يعتذر ويدخل غرفته.

انتهت حنين من الاستعداد لاستقبال حبيبها ونظرت لنفسها برضى تام، وهي ترش العطر الذي يعشقه فيها.

طرقات خفيفة تقاطعها، فتنظر في ساعتها ثم تفتح الباب. أخبرتها هبة بوجود والدتها وأختها. خرجت حنين بسرعة ليتفاجأ أربعتهم بأناقتها وجمالها البريء. رحبت بوالدتها وأختها وجلست بجانبهما وانطلقت في الحديث معهما دون انقطاع.

لاحظت حور السعادة تشع من عيني أختها. تذكرت يوم زيارتها لأختها أول مرة بعد زواجها من أمجد، وذلك الحزن الذي كان يملأ عينيها. لم تصدق والدها حين أخبرها أن حنين القديمة قد عادت، فأتت لترى بعينيها. راقبت ضحكاتها، حديثها المستمر مع هبة وأمها

التي كانت تسألها العديد والعديد من الأسئلة.

دخلت هبة المطبخ وعادت بعد قليل تسأل حنين:

حنون، أطلع الصينية من الفرن ولا إيه؟

وقفت حنين معتذرة من والدتها:

لحظة يا ماما، هشوف اللي في الفرن. هتتغدوا معانا النهارده أحلى أكل.

علقت صابرين بتهكم:

لا يا حبيبتي، إحنا هنمشي. جينا بس نسلم عليكِ. وبعدين أبوكِ اتغدى امبارح وبيقول كنتوا عاملين غدا، فأكيد النهارده البواقي يدوب تكفي. مش عايزين نضغط عليكم، إحنا مش غرب.

قبل أن تجيب حنين والدتها أو تعترض، شهقت قدرية بغضب:

ليه؟ قالوا لكِ عنّا بنشحت ولا إيه يا صابرين هانم؟ ولا بنصوم يا أختي؟ ادخلي المطبخ بنفسك وشوفي الأكل قد إيه؟ قال بواقي قال!

علقت صابرين ببرود معتذرة اعتذارًا واهيًا:

مش عايزة أكلفكم يا أم إيهاب.

ردت ببرود مماثل:

انتِ لسه قايلة إنكم مش أغراب، يبقى تكلفة إيه يا أختي؟ وبعدين لقمة هنية تكفي مية. الجود من الموجود يا أختي، مش هنعملك

مخصوص.

ابتسمت صابرين بتكلف:

أصل إحنا جايين من غير ميعاد برضه.

نظرت قدرية تجاهها:

طول عمرنا هنا بنروح لبعض من غير مواعيد، وكل واحد بيجود باللي عنده. أما نظام المواعيد ده ما نعرفهوش. أما أنتوا بتحبوا المواعيد علشان تنظفوا بيوتكم أو تطبخوا أكل، لكن إحنا بيوتنا على طول نظيفة وعلى طول عامرة، فمش محتاجين لمواعيد.

تضايقت صابرين من رد قدرية، وحاولت الرد:

المواعيد مش علشان ننظف ولا نطبخ. المواعيد علشان أكون فاضية، موجودة ومستعدة أقابل حد.

مصمصت شفتيها بعدم اقتناع:

وماله يا أختي، ما يضرش. شوفي يا حنين الأكل ليتحرق، وأمك تقول ما بنعرفش نطبخ.

ابتسمت حنين ودخلت مبتسمة، فسألتها هبة بفضول:

مبتسمة ليه كده؟

ضحكت حنين:

أمي وأمك يستاهلوا بعض والله.

ضحكت هبة بدورها:

هيولعوا في بعض.

حنين:

أمي كانت متخيلة إنها هتضايق أمك، بس إيه، ظبطوا بعض الاتنين.

خرجت حنين بعد قليل تبحث عن هاتفها. سألتها قدرية:

بتدوري على إيه كده؟

حنين:

تليفوني، هتصل بإيهاب أعرفه إن ماما هنا علشان ما يتأخرش.

قبل أن تعترض قدرية أو صابرين، رن هاتفها، فوصلت له وابتسمت:

ده إيهاب أهو، جه على السيرة.

علقت قدرية بتهكم وهي تنظر لصابرين:

حماته بتحبه.

ابتسمت صابرين بغضب:

طبعًا بتحبه.

ردت حنين بسرعة:

انت فين يا حبيبي؟

راقبتها حور بصمت تام، فهي لم تستوعب بعد رجوع أختها لسابق

عهدها، وتحتاج لرؤيتها برفقة إيهاب.

أغلقت حنين الهاتف ونظرت تجاههم:

وصل تحت أصلًا وطالع على السلم.

علقت صابرين بسخرية:

لما وصل وطالع بيتصل ليه؟

ردت حنين بسرعة وهي تتوجه إلى الباب:

علشان لو عايزة حاجة قبل ما يطلع يجيبها.

فتحت الباب وخرجت كعادتها لتستقبله. توجهت كل الأنظار إلى الباب: صابرين، قدرية، حور.

راقبت حنين إيهاب يصعد السلم بسرعة ولاحظت أنه يحمل العديد من الأكياس بيده. وحين وصل إليها وألقت بنفسها في حضنه، رفعها بيد واحدة وهو يقبّلها بينما التفّت ذراعيها حول رقبته. نظر إلى وجهها بحب:

مش هقدر أنا على الجمال ده كل يوم، هاه؟ ارحميني أبوس إيدك وبراحة عليا.

ضحكت بحب:

بموت فيك وبعشقك. أعمل إيه؟

وضعت قدميها على الأرض:

نزّلني، وبعدين إزاي قادر تشيلني بإيد واحدة؟

أنزلها دون أن يتركها تبتعد:

ما تغيريش الموضوع وقوليلي أعمل فيكي إيه؟

خطفَت قبلة سريعة وهمست:

حبني وبس. مش عايزة منك غير إنك تحبني.

رفع ذقنها وقربها منه:

أكتر من كده هتجنن، هاه؟

ضحكت قبل أن تخبره بوجود والدتها وأختها. دخل برفقتها ورحب بحماته وحور، وناول ما يحمله من أكياس لحنين.

نظر إلى والدته وزوجته:

اتغديتوا ولا إيه؟

ردت قدرية:

منتظرينك أصلًا. حماتك كانت عايزة تمشي علشان توفّر الأكل.

تعجب من كلامها، وقبل أن يعلّق بادرت صابرين دفاعًا:

يعني عبدالقادر كان هنا امبارح واتغدى، مش إحنا كمان نيجي ونتغدى؟ وبعدين هو لو قال إنه جاي كنا جينا معاه مرة واحدة، لكن كلامه امبارح عن حنين وعن سعادتها خلّاني أشتاق أشوفها.

علق إيهاب بهدوء:

وأهلًا بحضرتكِ في أي وقت يا ست الكل، تنوّرينا. (نظر إلى حنين) هغيّر هدومي تكونوا جهزتوا السفرة. محتاجين أي حاجة؟

ابتسمت حنين وهي تربّت على كتفه:

لا يا حبيبي، ادخل انت غير هدومك.

دخلت برفقته وهي تمسك يده، فهمس بحب:

عملتي أكل إيه؟

ابتسمت وهي تلفّ ذراعيها حول رقبته:

متخيّل أعمل إيه؟ ينفع حبيبي يطلب حاجة وأتأخر؟

قبل أن يجيبها، خرجت هبة:

أجّلوا وصلة الحب دي لبعد الغدا.

قبّل إيهاب وجنتها بسرعة:

عندها حق البت دي.

التف الجميع حول الطاولة ليهتف مازن:

عاملة إيه النهارده يا مرات أخويا؟

ردت قدرية:

مسقعة بالبطاطس والبشاميل. (نظرت إلى إيهاب) ودي عرفتها منين يا إيهاب؟

ابتسم إيهاب:

مرات الأسطى طلعت بتعملها حلوة.

علقت حنين بتحفّز:

طيب دوق دي وقول رأيك فيها.

نظر إيهاب إلى عينيها:

من غير ما أدوق أكيد دي أحلى. (أمسك يدها وقبّلها) كفاية إنها من إيديكي.

حمحمت قدرية:

إحنا قاعدين، هاه؟ ما تنسوش إن في ناس قاعدة معاكم. (نظرت قدرية تجاه صابرين) يا أختي، بنات اليومين دول ما بيتكسفوش.

علقت صابرين بتهكم:

وتتكسف من إيه؟ مش جوزها يعني ولا إيه؟

حاول إيهاب التدخل للحول بينهما، ولكن غمزته حنين وهمست:

سيبهم، ما تدخلش بينهم. الاتنين ندين لبعض.

همس إيهاب:

هي الحرب دي شغّالة من بدري؟

ابتسمت وأومأت موافقة:

من ساعة ما أمي جت.

سيبك انتِ، الأكل تحفة. عمري ما ذقتها بالحلاوة دي. بعدين، مرات الأسطى مش بتحط فيها لحمة مفرومة، فدي أحلى بمراحل.

ابتسمت حنين بفرحة:

بجد عجبتك ولا بتجاملني؟

همس في أذنها:

ندخل أوضتنا وأقولك عجبتني قد إيه قولًا وفعلًا.

ابتسمت بخجل ورفعت عينيها لتجد حور تراقبها، فاستغربت وعلقت:

مالك يا حور؟

ردت بهدوء:

مفيش سلامتك، بس بقالي زمن ما شوفتكش مبسوطة كده.

دعا إيهاب بابتسامة:

ربنا يسعدها دايمًا.

نظرت صابرين لإيهاب:

حنين مصاريفها كتير يا إيهاب. لو عايز الفيزا بتاعتها قولي.

قاطعها بهدوء:

تصرف براحتها يا ست الكل، وأنا مش عايز الفيزا بتاعتها.

راقبته تحاول قراءته:

أنا بس بعرفك، لأن بكرة مصاريفها هتزيد، وخصوصًا لما تحتاج لبس جديد أو ميكب أو...

قاطعها مجددًا:

هقولك تاني، تصرف براحتها، وربنا يقدرني دايمًا أكفيها.

ابتسمت صابرين:

آمين طبعًا، بس بعرفك. وقت ما الحمل يتقل، وخصوصًا لما الكلية تبدأ وأخواتك يطلبوا مصاريفهم، ابقى عرفني.

ردت قدرية عن ابنها هذه المرة:

طول عمره قدها من وهو عيل شايل الحمل وماشي بيه. ومراته لو بتحبه هتمشي على قد ما جوزها.

قاطعها إيهاب هي الأخرى:

مراتي تصرف اللي هي عايزاه وتعمل ما بدالها. (نظر إلى صابرين) ولما الكلية تبدأ، أخواتي برضه يعملوا اللي عايزينه، وربنا اللي بيرزق. إن شاء الله هقدر أكمل معاهم لحد ما يتخرجوا ويشتغلوا كمان. فما تقلقيش يا حماتي. وخلي الفيزا معاكِ، مش محتاجها ومش هحتاجها. ومراتي في عيني وفي قلبي.

ساعدت حور هبة وحنين في تنظيف الطاولة، ووقفت بجانب هبة لتساعدها في غسل الأطباق، بينما كانت حنين تعدّ القهوة لوالدتها. دخل إيهاب:

عايزين أي مساعدة؟

شكره الجميع، بينما وقف خلف حنين يحاوطها بذراعيه:

عايزة أساعدك في حاجة؟

سندت رأسها على كتفه بحب وهو خلفها:

لا يا حبيبي، سيبت أمي وأمك لوحدهم؟

ابتسم:

معاهم مازن.

صبّت القهوة والتفتت تواجهه:

أعملك الشاي دلوقتي ولا شوية كده؟

خطف قبلة سريعة من وجنتها:

لا، مش دلوقتي. أكلت فاكهة كفاية. (قبّل يديها الاثنتين) تسلم إيديكِ على أجمل أكل بتعمليه.

شكرته بحب. قاطعتهما حور بتعمد:

صح يا حنين، حمزة كان عايز يشوفك ويباركلك.

ابتسمت حنين ونظرت لأختها:

ابقي سلميلي عليه كتير لحد ما نتقابل في أي مرة. (نظرت لإيهاب ووضحت) حمزة زميل معتز، حور بتتدرب في صيدلية أبوه، معاه يعني.

أومأ بتفهم، ونظر تجاه حور وهو يضع ذراعه حول حنين بتملك وحب:

عقبال ما تتخرجي وتشتغلي في صيدليتك الخاصة.

أمّنت بحرج وعلّقت:

متشكرة يا إيهاب. ابقى خليها تيجي النادي، كلنا مفتقدينها: معتز، حمزة، زمايلها في البنك دعاء وسمير وهايدي.

تعمدت حور ذكر أسماء الرجال كي ترى رد فعل إيهاب، الذي نظر لزوجته بتساؤل:

طيب، معتز وحمزة عرفناهم، لكن سمير ده مين؟

ابتسمت حنين وهي توضح:

جوز دعاء صاحبتي.

أومأ بتفهم ونظر تجاه حور:

وقت ما يتجمعوا كلمي أختك وعرفيها، وبراحتها هي زي ما تحب تعمل.

علّقت هبة:

القهوة يا حنون، هتبرد.

نظرت حنين للقهوة وقد نسيتها تمامًا:

نسيتها أصلًا، ماما مش بتحبها باردة.

خرجت حنين بالقهوة وتبعتها حور، ولكنها وقفت أمام إيهاب الذي استغرب وقوفها، ولكنه ابتسم:

خير يا دكتورة؟ عايزة تقولي حاجة؟

نكّست رأسها بخجل، ثم رفعتها:

معتز زي أخونا، وحمزة...

قاطعها إيهاب بهدوء:

مش محتاج توضيح منك يا دكتورة، ولو في توضيح هطلبه من حنين، مش من حد تاني.

نظرت لعينيه:

بس أنا تعمدت أذكرهم علشان... (صمتت قليلًا، ثم أكملت) مش عارفة علشان إيه؟ اعذرني.

علّق بتفهم وأكمل جملتها:

علشان خايفة أكون أمجد تاني وأكون غيور بشكل مرضي على حنين. بس أحب أطمنك، أنا إنسان طبيعي، بغير، أه، بس بالحد المعقول، مش مريض. وبحب حنين، وضحكتها وسعادتها أهم حاجة في حياتي. فاطمني، مش محتاجة تحميها مني. بس معلش، الثقة بتكتسب واحدة واحدة، ومسيرك هتثقي فيا.

علّقت باستغراب لتفهمه:

زي ما هي وثقت فيك؟ أصلًا مش قادرة أصدق: إمتى حبيتوا بعض وإمتى اتعلقتوا ببعض بالشكل ده؟

ابتسم وتحرك من مكانه:

الحب نصيب يا دكتورة، ورزق. محدش بيقوله إمتى وإزاي.

ابتسمت وخرجت لأختها، جلست بجانبها وهي تشعر بنوع من الاطمئنان.

خرج مازن وجلس بجوار أخيه في الشرفة وعلّق:

بقولك؟

نظر تجاهه دون أن يجيب، فأكمل مازن:

عايز أشتري كام طقم جديد للجامعة. الدراسة هتبدأ الأسبوع الجاي ده.

تنهد إيهاب بتعب:

وبعدين؟ المفروض أعمل إيه؟ أنت مش ملاحظ إني خارج من جواز ومش شايف مصاريف البيت عاملة إزاي؟

علّق مازن بتسرع:

وأنا مالي؟ يعني أنت تتجوز وتتدلع، وأنا أتمرمط ولا إيه؟

نظر إيهاب ناحيته باستغراب لوقاحته، فلم يعتبر مساعدته وتضحيته حقًا مطلقًا وكأنما هو مجبر لا تفضلًا منه:

يعني أنا مش عارف أنت إيه مضايقك أكتر؟ جزئية إن طبيعي بجوازي الفلوس اللي بتاخدها هتقل، ولا جزئية إني اتجوزت أصلًا؟ بعدين ما أنت مدلع من سنين، كنت قولتلك تتدلع ليه؟ رصيدك عندي بدأ يخلص يا مازن، فانتبه.

وقف مازن بضيق:

أنت بتذلني بكل قرش بتدهولي؟

وقف إيهاب بدوره مستنكرًا:

أنا بذلّك؟ ولا أنت اللي واخد شغلي ومساعدتي ليكم حق مطلق؟ أنا كنت بعمل اللي بعمله حبًا فيكم، لكن الحب مطمرش. فدلوقتي بقولها لك صريحة: أنا مكمل لسبب واحد فقط لا غير، علشان بس تعبي السنين اللي فاتت ما يروحش هدر. وصولك لآخر سنة بعد ربنا وكرمه كان بسببي أنا، وبسبب تضحيتي وشقايا وتعبي. ومش عايز ده يضيع، حتى لو أنت ما تستاهلش. يمكن في يوم من الأيام تعالج حد محتاج بجد ويدعي دعوة للي رباك وعلّمك وكبّرك، وينوبني نصيب من الدعوة دي. لكن أنت كل يوم بتثبتلي إن خسارة كل تعبي معاك.

تركه وخرج يجلس بجانب زوجته التي همست:

في حاجة يا حبيبي؟

ابتسم يطمئنها:

لا يا قلبي، مفيش.

وقفت صابرين:

يلا أقولكم تصبحوا على خير، وربنا يهدي سركم.

حاولت حنين إقناعها بقضاء مزيد من الوقت معهم، ولكن أصرت أمها على الرحيل. عرض إيهاب أن يطلب تاكسي ويرافقهما للبيت، ولكن رفضت صابرين، فلقد سبق وطلبت سيارة وهي على وشك الوصول.

وقفت صابرين خارج المنزل مع ابنتها، وتعمدت أن يسمعها إيهاب وهي تضع في يدها بعض النقود:

دول خليهم معاكِ، يمكن تحتاجي حاجة.

لم يعلّق إيهاب أو يتدخل بينهما، بينما علّقت حنين:

بابا عطاني امبارح، مش محتاجة حاجة.

نظرت صابرين تجاه إيهاب:

برضه خليهم معاكِ. محدش عارف أنتِ عايشة هنا إزاي؟ يمكن تجوعي ولا...

لم يتحمل إيهاب سماع المزيد، فعلق:

لما تجوع وأنا موجود يبقى الموت أهون عليا. بعدين، هي لما تحتاج حاجة ومقدرش عليها، ساعتها أوعدك هقولها تيجي تطلبها منك. (أمسك يد زوجته وأبعدها عنها) لكن طول ما هي في بيتي وأنا مكفيها، فمش محتاجين مساعدة من حد.

تدخلت حور تلطف الحوار:

دي مجرد نقطتها يا إيهاب، مش أكتر. هدية يعني.

نظر تجاهها:

عمي كان هنا امبارح ونقطها خلاص، وهي قبلت هديته. فخلاص، واجبكم وصل.

علقت صابرين:

أنا بدي لبنتي، أنت مش هتمنعني أديها أي حاجة.

رفع إيهاب يديه بهدوء:

ولا عاش ولا كان اللي يمنعك من بنتك. هنتظركم تحت أشوف التاكسي وصل ولا لسه، وبنتك معاكِ براحتها.

تركهما ونزل مسرعًا للأسفل، بينما تابعته صابرين بغضب، ثم علّقت:

قليل الذوق. (نظرت لابنتها) خدي خلي دول معاكِ لو عايزة.

قاطعتها حنين بهدوء:

لو عايزة حاجة هطلبها من جوزي اللي ما بيتأخرش عليا مهما أطلب منه. (أغلقت يد والدتها بهدوء) وقّربيهم لحاجة أهم أو اديهم لحد محتاج. أنا الحمد لله، جوزي مش مخلي حاجة تنقصني.

أبعدت صابرين يدها بغضب:

انتِ حرة. أنا غلطانة لك إني حبيت أساعده بطريقة شيك.

نظرت حنين لوالدتها بذهول ورددث بسخرية:

تساعديه بطريقة شيك؟ أمال لو عايزة تهينيه هتعملي إيه؟

أشاحت صابرين نظرها بعيدًا، بينما علّقت حنين بغضب:

لو، وحطي ألف خط تحت كلمة "لو" دي. لو احتجت مساعدة في يوم من الأيام، فأكيد مش هطلبها منك. لو حضرتك آخر حد في الكون، مش هطلب مساعدته.

نظرت صابرين لها بحدة:

ليه إن شاء الله؟

رفعت حنين حاجبيها بذهول:

بجد بتسأليني ليه؟ وماله أجاوبك. لأني سبق وطلبتها منك واترجيتك تساعديني. عملتي إيه؟ قولتيلي "داري اللي في وشك بشوية ميكب" ورجعتيني لبيته تاني. ولما كان هيقتلني، ساعدتيه واتآمرتي معاه ضدي. ضدي أنا بنتك.

دافعت صابرين عن موقفها:

أنا مكنتش شايفاه غلط، كنت شايفاكي انتِ مستفزة ولا تُطاقي. وكنت بقول طول الوقت "كتر خيره إنه متحملك ومتحمل طباعك".

صدمة. ذلك هو ما تشعر به حنين، فقط صدمة. تدخلت حور محاولة تلطيف الجو:

ماما مش قصدها يا حنين، هي بس...

قاطعتها والدتها:

مش محتاجة حد يدافع عني أو يفسر كلامي. أنا بقصد كل كلمة قولتها. هي لا تُطاق، والراجل اللي فرحانة وطايرة بيه ده لو مش محتاج، كان هيبقى رد فعله زي أمجد. لكن واحد بمستواه يحمد ربنا أوي إنه عرف يتجوز جوازة رخيصة وببلاش كده. (أضافت ببرود كأن شيئًا لم يكن) وقت ما تحتاجي فلوس، كلميني.

علّقت حنين وهي تكبت دموعها:

لو همد إيدي وهشحت، لا يمكن أطلب منك جنيه. وياريت تكون دي آخر زيارة ليكِ.

نظرت صابرين بحدة لابنتها، وقبل أن تنطق حرفًا، قاطعهما إيهاب من الأسفل:

التاكسي واقف منتظر.

تمتمت صابرين وهي تمر من أمامها:

أنا غلطانة إني قولت أجي أطمن عليكِ عاملة إيه في المكان البيئة ده.

علّقت حنين ببرود:

ما تكرريش غلطك تاني.

نزلت صابرين والغضب يعميها. وصلت إلى إيهاب ووجهت له نظراتها الغاضبة:

برمجت بنتي ولا عملت فيها إيه؟ بنتي لا يمكن ترد عليا بقلة الأدب دي. ده تأثيرك انت عليها.

علّق إيهاب بهدوء:

أو يمكن لما لقت الحضن والأمان، بقت أقوى. مش مكسورة وضعيفة زي الأول.

همّت لترد مجددًا، ولكن قاطعتها حور وهي تشد ذراعها:

ماما، التاكسي بيشاورلنا. هنركب ولا يمشي؟

تحركت مع ابنتها، بينما همست حور قبل أن تتبع والدتها:

ماما ضايقت حنين، خليك معاها.

أومأ برأسه يطمئنها، وتابعهما بعينيه، ثم رجع لزوجته مسرعًا.

توجهت حنين لغرفتها مباشرة دون أن تقف لتجيب تساؤلات قدرية وفضولها. ولحقها إيهاب، فأوقفته قدرية بغضب:

مراتك، بكلمها مش بترد عليا سيادتها!

حاول التماسك قبل أن يلتفت ليواجه والدته بهدوء:

أكيد ما سمعتكيش. مش هترد عليكِ ليه يعني؟

عقدت حاجبيها وسألته:

أمها نقطتها؟

تضايق إيهاب ونفخ بصوت مسموع:

وبعدين معاكِ يا أمه؟ شاغلة بالك بحاجة زي دي ليه؟ بعدين ارتاحي، ما نقطتهاش.

همّ بالدخول، ولكن أوقفته مجددًا:

بس أنا سامعاهم صوتهم عالي. بيتناقروا على إيه؟ والبت القادرة قالت لأمها ما تجيش تاني. مش بقولك قادرة!

واجه والدته بصرامة:

بطّلي تدخلي في اللي مالكيش فيه يا أمه. علاقة حنين بأمها أو أبوها شيء ما يخصش حد. بعدين، عايزة تعرفي أوي اتناقروا ليه؟ أقولك يا ستي علشان بس ترتاحي: أمها كانت عايزة تديها فلوس، بس مش نقطة.

سألت بفضول:

أمال إيه؟ أوعى تقول سلف؟

أجاب بضيق:

لا برضه مش سلف. تديها شفقة علشان ما تجوعش. عرفتي اتخانقوا ليه؟ ولا عندك أسئلة تانية؟

شهقت قدرية بغضب:

ياه! لو سمعتها كنت طلعت رديت عليها وعرفتها مقامها إيه، الحيزبونة دي. ليه شايفانا بنشحت ولا بنشحت؟

اقترب إيهاب بتهكم:

ولما مش بنشحت، هتموتي وتعرفي نقطة أبوها وأمها كام ليه؟ بعد إذنك يا أمه.

دخل لزوجته، وجدها تقطع الغرفة ذهابًا وإيابًا. فأمسك ذراعها يوقفها، ولكنها تكلمت بحدة:

سيادتها لسه بتغلطني. لسه شايفاني أنا الغلط. مش شايفة سعادتي ولا شايفة أي حاجة غير إني أنا الغلط، وأنا اللي لازم أفوق. ومش بس كده، لا، دي شايفاني ضيعت اللي اسمه زفت من إيدي. شفتِ جنان أكتر من كده؟ مكفهاش اللي عمله فيا؟ مكفهاش ربطته ليا في السرير بعد ما كسر ضلوعي، ولا حبسته ليا، لاحسن أقول لأبويا. مكفهاش تآمرها معاه عليا، وفي الآخر أنا الغلط، وأنا اللي ضيعته من إيدي!

اقترب منها غاضبًا متألمًا، ولكن لأجلها. جذبها برفق إلى ذراعيه:

طيب اهدي، ينفع؟

جذبت نفسها بعيدًا، فبداخلها طاقة لابد أن تفرغها:

أنا في اللحظة دي يا إيهاب بكرهها.

أمسك وجهها بيديه:

في اللحظة دي متضايقة منها، مش بتكرهيها. حاولي تهدي وتتناسي اللي حصل لحد ما تنسيه. هي عقليتها كده، هنعملها إيه؟

نظرت له بدهشة:

انت إزاي مش متضايق منها؟

ابتسم وهو ينفث بضيق مكتوم بداخله:

مين قال مش متضايق؟ بس اللي بقولهولك هو اللي بعمله. بحاول أتناسى اللي سمعته منها بيكِ. بحاول أفكر في حاجة إيجابية، وأنسى الغباء اللي حصل من شوية ده، لأن مفيش حاجة هتغيره. هل في حل هيغير تفكير والدتك أو والدتي؟ مفيش. ملهمش عندنا غير حسن المعاشرة والكلمة الطيبة زي ما ربنا أمرنا. يبقى طالما مفيش حل قدامنا، يبقى حرق الدم والخناق أو الغلط مش مطلوب ومش حل أساسًا.

هدأت قليلًا، فردة فعله هي ما كانت تقلقها. نظرت له مطولًا قبل أن تسأله باستغراب:

انت إزاي قادر تكون كده؟

ابتسم وهو يمد يده لها:

تقدري تقولي إن من كتر ما الواحد شاف ومر بحاجات، مش أي حاجة بقت تأثر فيا أو تاخد من وقتي. غير كده، اكتشفت حاجة مهمة أوي...

وضعت يدها بيده، فجذبها مقربًا إياها منه وهو يبعد خصلاتها عن وجهها بمنتهى العشق، فسألته بهيام:

اكتشفت إيه؟

ابتسم وهو يمسك وجهها بكلتا يديه:

اكتشفت إن الواحد لما يصبر ويرضى باللي ربنا كاتبه، بيكون عوضه كبير أوي. عوض قادر ينسيك الكون بما فيه. عوض مستعد تدفع عمرك كله علشانه. عوض... (نظر لعينيها) بتستغنى بيه عن كل اللي حواليكِ لمجرد إنك تفضل معاه وجنبه.

رفعت يدها وضعتها على قلبه تستشعر دقاته، والأخرى حول رقبته:

عوضك كان إيه؟

لم يكن سؤالها عن جهل، ولكن طمعًا في المزيد من جرعة العشق التي يغدقها بها:

أنتِ يا حنين.

رفعت عينيها وشبكت يديها حول رقبته:

لو رجع الزمن من تاني وخيّروك ما بين اللي مريت بيه وإنك تلاقي شغل كويس ما تضطرش فيه تسيب كليتك وتكمل دراستك، وتوفّق ما بين دراستك وشغلك، بس مش هتقابلني. كنت هتختار إيه؟

قبّل وجنتيها وهو يهمس:

كان دايمًا عندي ثقة إن ربنا هيعوضني بحاجة أجمل ألف مرة من كليتي ودراستي. ودلوقتي وجودي في حضنك، ووجودك في حياتي وحضني، أكبر عوض ممكن الإنسان يلاقيه في حياته. إنك تلاقي حد مستعد يشاركك عمرك وحياتك بكل ما فيها، ويحبك زي ما أنتِ بتحبيني، ده أكبر نعمة من ربنا يا حنين. ولو الكون كله في كفة وأنتِ في كفة، فثقي تمامًا إن كفتك اللي هترجح مهما تكون الاختيارات التانية إيه. فلو هكرر اللي فات كله بشرط أقابلك أنتِ في الآخر، هكرره مبسوط كمان، لأني عارف إيه اللي مستنيني في الآخر.

ضغطة خفيفة على مؤخرة عنقه تجذبه إليها كانت كفيلة ليُلبي نداء شفتيها ويدخلها بين ضلوعه. أمسكث طرف قميصه ترفعه للأعلى، ولكن أوقفها ونظر لعينيها:

أنتِ أكبر عوض في حياتي يا حنين، وأنا تخطيت مرحلة العشق ليكِ، لكن...

تردد أن يكمل سؤاله، فهو غير مستعد بعد للإجابة. هو مجرد رجل، وفي رأيه الخاص أقل من العادي، وأقل كثيرًا من مستوى فتاة مثلها. فهل يريد أن يسألها مثل هذا السؤال ويرى محاولتها في إقناعه أنه يكفيها؟ أم يرى الكذب في عينيها؟ أم هل يريد أن يسمع

منها أنه مجرد أفضل من زوجها السابق، فهو لا يضربها ويحترمها؟ أم هو مرحلة في حياتها، فهو كشاب لا بأس به، كما سبق وأخبرته أخته. هو وسيم وجذاب، وجسده ممشوق، وأخلاقه لا غبار عليها، وهو يتفانى في إسعادها. فلمَ لا؟ لمَ لا تخوض تلك التجربة للنهاية؟ وحين تملّ، ستخبر والدها القادر تمامًا على إنهاء تلك العلاقة في لحظة أو إلقائه في السجن كما سبق وهدده. لمَ يفكر أن يسأل ذلك السؤال المتخلف؟

هي نعم تستطيع سؤاله، فهي نجمة في السماء. ولكن هو...

راقبت حنين تعبيرات وجهه تتغير كل لحظة، واحترمت صمته. فربما هو يصيغ سؤاله، ولكن حين طال صمته وضعت يدها على وجنته وجذبته من شروده بهمس:

مالك حبيبي؟ كنت عايز تقول إيه؟ لكن إيه؟

نظر لعينيها مطولًا قبل أن يرسم ابتسامة على وجهه:

لكن إيه؟

استغربت طريقته:

أنت قولت إنك تخطيت العشق لكن... وسكتت، فبقولك: لكن إيه؟

حاول أن يجد ما يقوله، وفكر للحظات:

لكن خايف في يوم حلمي ده ينتهي، وتملّي من ظروفي ومشاكلي وأمي وحياتي كلها.

دورها أن تمسك وجهه وتنظر لعينيه مباشرة:

ولو ده حصل، هتعمل إيه؟ هتكرهني؟ هتكره اليوم اللي شوفتني فيه؟ هتفضل تحبني؟ هتندم على...

قاطعها ووضع يده على شفتيها يمنعها:

حنين، أنا لسه بقولك أنتِ أكبر نعمة ربنا أنعم عليا بيها. فإزاي هندم؟ وبعدين مين شرط أو قال إن ربنا لو أنعم علينا بنعمة، إن النعمة دي هتستمر في حياتنا؟ ربنا بيرزق الإنسان وقاله "لو شكرتم لأزيدنكم". فكل اللي بإيدي إني أشكره في كل وقت على نعمته اللي أنعم بيها عليا. ولو لا سمح الله جه الوقت اللي تمشي فيه من عندي، هفضل برضه أحمده إنه رزقني بيكي تنوري حياتي الفترة اللي عيشتِها معايا. وهعيش على كل ذكرى حلوة بيننا، وهكمل حياتي زي ما كنت عايش الأول: جسد مفيهوش روح بيعمل المطلوب منه والمتوقع طول النهار، ولما بيجي الليل، بيرسم حياته وأحزانه. لكن عمري أبدًا ما هندم على لحظة عشتها معاكِ. أنتِ عشقي يا حنين.

تاه الكلام منها. فهي لم تتخيل أنه يعشقها لهذا الحد، ويذوب فيها، ويبدأ منها، وينتهي إليها. لقد رفعها فوق السماء بكلماته. كلمات ليست كالكلمات.

نظرت لعينيه مطولًا قبل أن تجذبه بيدها من رقبته ليقترب منها. فقبّلته هي ودفنت نفسها أكثر بين ذراعيه. وضغطت بجسدها على جسده كي يضمها أكثر ويدخلها داخله أكثر، دون أن تنتبه أنه مثلها يريد أن يسمع منها تلك الكلمات كي يطمئن قلبه، وتريح باله. فلقد ألقته في بحر عشقها الثائر دون مجداف، وهو الآن يتخبط بين أمواج عشقها، لا يعرف إن كان سيصل يومًا لبر الأمان أم سيموت

قتيلًا لذلك العشق.

6

استيقظت حنين من نومها، ولأول مرة تبتسم حين تشعر بذراعي زوجها حولها. تنفست بارتياح ووضعت يدها فوق يده، ولم تتحرك مخافة أن توقظه. أحست بحركة خفيفة منه، فالتفتت لتواجهه، فابتسم بوجهها هامسًا:

صباح الخير يا قمر، صاحية من بدري؟

اقتربت منه أكثر:

لا، لسه صاحية يدوب. أقوم أجهزلك فطار؟

همت لتتحرك، ولكنه أمسك ذراعها بسرعة يمنعها:

فطار إيه دلوقتي؟ خليكِ في حضني يا حنين.

سألته:

مش جعان يعني؟

همس مبتسمًا:

جعان أكيد، بس مش للأكل. حنين، دي أول مرة نصحى مع بعض ومش رايح الشغل، فأكيد يعني مش الأكل خالص اللي بفكر فيه دلوقتي.

اقتربت منه بدلال:

أمال بتفكر في إيه يا حبيبي؟

أجابها فعلًا لا قولًا.

في البنك، دخلت سارة لمكتب زهير وأغلقت الباب خلفها:

طلبتني يا حبيبي؟

وقف بسرعة وتحرك من خلف مكتبه ليجلس أمامها على طرف المكتب:

إيه رأيك لو أعلنا خطوبتنا؟ ونعمل حفلة النهارده عندي في الڤيلا ونعزم فيها كل الموظفين؟

توترت سارة ونظرت للخارج بتوتر لاحظه، فعلق:

مالك؟ خايفة من إيه؟ فكري معايا بصوت عالي.

نظرت لعينيه وهي تفكر في هشام: هل من الممكن أن يتسبب في أي مشاكل لها؟ هل أمها محقة حين طلبت منها أن تخبره بحقيقة ما حدث بالسابق؟ هل من الممكن أن يخبره أي موظف عن سابق علاقتها بهشام؟

انتبهت عليه يمسك ذراعها:

حبيبتي، سبق وقلت لك طول ما أنا موجود مش عايز أشوف الخوف في عينيكِ بالشكل ده. قوليلي خايفة من إيه؟ ثقي فيّ إني أقدر أبدد الخوف ده، بس قوليلي خايفة من إيه؟

حاولت أن تبرر توترها وخوفها، فابتسمت له:

خايفة من عيون الناس. خايفة يحسدوني على حبي. خايفة تضيع مني يا زهير.

ابتسم ووقف مداعبًا وجهها:

طول ما أنتِ بتحبيني، عمري ما أضيع منكِ أبدًا، اطمني. أما الحسد، فنحصّن نفسنا ونقرأ المعوذتين قبل ما نطلع. هاه، خايفة من إيه تاني؟ (صمت قليلًا قبل أن يردف وهو يدقق النظر بعينيها) وياريت تقولي السبب الحقيقي.

رفعت عينيها له متعجبةً أنها مكشوفة للغاية أمامه: لِم يراها بتلك الطريقة ويفهم نظرات عينيها؟ لِم يشعر بها ويقتحم كل أسوار قلبها العالية؟ حاولت أن تبحث عن سبب يقنعه فعلًا. خفضت عينيها للأسفل ورددت بصوت هامس:

خايفة يقولوا إني ضحكت عليك أو بتجوزك علشان مستواك ومركزك. (نظرت لعينيه) خايفة من رغي الناس وكلامهم يا زهير وتفسيرهم لكل حاجة على هواهم. خايفة يشوهوا الحب ده.

ابتسم متفهمًا لقلقها وتوترها:

حبيبتي، كلام الناس ورغيهم ومحاولتهم تفسير كل حاجة بهواهم ده شيء لا بينتهي ولا بيقل. دي طبيعة البشر. بيحاولوا يدوروا على تفسير عقلهم يقبله، وكل واحد وتفكيره. يعني حد مادي هيقول الفلوس، حد متسلق هيقول المركز، حد حالم هيقول الحب. كل واحد هيشوف الموضوع من وجهة نظره هو وتفكيره هو. السؤال المهم بقى: أنتِ ليه مهتمة وخايفة من كلام الناس؟ ليه فارق معاكِ أصلًا؟

ردت بحرج:

مش فارق معايا، بس خايفة علشانك انت يعني. أقصد مستواك

ومركزك.

داعب وجنتها بحب:

حبيب قلبي اللي بيخاف عليا ده. على العموم يا ستي، ما تقلقيش ولا تخافي عليا. معلومة صغيرة: محدش هيقدر يتكلم كلمة في حقي أو حقك بعد ما نعلن عن ارتباطنا. (أضاف مازحًا) على الأقل قدامنا.

ضحكا سويًا، ليضمها بحب:

أيوه، اضحكي كده وما تشيليش هم حاجة. يلا يا حبي.

مدّ يده لها، وبتردد وضعت يدها بيده وقلبها يدق بتوتر من إعلان علاقتها به. قبل أن يخرجا سويًا:

بس الأول هنستأذن الأستاذ عبدالقادر ونقوله، هو أول واحد.

عقدت حاجبيها باستغراب:

اشمعنى يعني؟ علشان مدير البنك ولا إيه؟

وضح مبتسمًا:

لا يا قلبي. علشان بس بحترمه جدًا. وبرضه من باب الذوق قبل ما نعمل إعلان للموظفين نعرفه هو. أنتِ عندك مانع؟ مش هو أبو صحبتك برضه؟

أومأت برأسها بسرعة، فهي لن تخبره أبدًا أنها كانت تشعر دائمًا بالغيرة من حنين. أو ربما ما زالت تشعر بالغيرة ناحيتها، فدائمًا تجدها محظوظة بالرغم من كل ما مرت به.

في المكتب، دخل زهير تتبعه سارة متوترة، ودلفا مكتب عبدالقادر الذي وقف يبارك لهما حين أخبره زهير، ودعا لهما بالسعادة على وعد أن يحضر خطوبتهما.

خرج زهير ليعلن ارتباطه بسارة، ويعزم جميع الموظفين على حفلة في بيته الليلة بمناسبة الخطوبة.

من بعيد، حين التقت نظرات سارة وهشام، غمز لها بعينه مبتسمًا وكان هو أول المهنئين. اقترب من زهير:

مبروك يا أستاذ زهير. سارة دي تبقى...

توترت سارة للغاية ونظرت له بتحذير، فابتسم مكملًا عبارته:

تبقى بنت حلال مصفى طالما هترتبط بحضرتك. تستاهلوا كل خير.

تقابلت نظراتهما وهو يمدّ يده يبارك لها:

مبروك يا أستاذة سارة. الأستاذ زهير مفيش منه اتنين أبدًا.

ابتسمت بتكلف:

عارفة طبعًا. ربنا يقدرني وأسعده.

انهالت التهنئات من كل الموظفين. بعدها انسحب زهير بسارة لمكتبه مرة أخرى، فعلّقت سارة:

دلوقتي أنا مضطرة أمشي علشان أستعد للحفلة. يدوب أروح للكوافير.

أوقفها زهير فجأة:

هو الأستاذ هشام ماله يا سارة؟

توترث للغاية وابتلعث لعابها، وحاولث رسم ابتسامة على وجهها وهي تسأله:

أستاذ هشام؟ ماله؟ مش فاهمة؟

علّق بحيرة:

معرفش، بس حسيته عايز يقول حاجة وتراجع. أو معرفش، ما ارتحتلوش ونظراته ضايقتني.

حاولث أن تتكلم بشكل طبيعي:

معرفش والله يا زهير. يعني عادي، ما أخدتش بالي من حاجة مختلفة. همشي أنا بقى، باي.

أوقفها مجددًا:

تعاملك معاه يكون بحدود، مع كل الموظفين مش هو بس. أينعم أنا قلت لك ما تهتميش بحد، بس انتِ حاليًا هتشيلي اسمي، وده هيخلي الأنظار عليكِ جوه البنك، فتعاملي مع الكل على الأساس ده.

أومأث برأسها موافقةً قبل أن تخرج لخارج البنك. تفاجأث بيد تمسك ذراعها، وتُصدم حين تجده هشام. جذبث ذراعها بعنف صارخةً به:

انت أكيد اتجننت؟

ابتسم بخبث:

عرفتي توقّعيه إزاي؟ هاه؟ ما هو مش الشخص الساذج اللي هترمي نفسك في حضنه هيصدق ويقع؟ وقعتيه إزاي يا بت؟

وقفت أمامه بغضب:

ابعد عني يا هشام وخليك في حالك.

تراجع خطوة:

فضول يا قطة، مش أكتر. ما تخافيش، أنا مش وحش أوي علشان أقوله يعني إنك كنتِ بترمي نفسك في حضني وتخليني أعمل ما بدالي علشان أغديكِ ولا أجيب لك فستان!

صرخت بغضب:

ابعد عني يا هشام، أحسن لك. سارة دلوقتي مختلفة تمامًا عن سارة بتاعة زمان اللي كانت قطة مغمضة فاكرة الدنيا بمبي. أنا حبيتك وافتكرتك بتحبني، وعلشان كده...

قاطعها بضحك:

لا، العبي غيرها يا قطة. قال حبتني قال! أنا بس كنت حد لقطة حاولتي توقّعيه. خرجي الحب بره المعادلة. أنا وانتِ ملناش في الحب أساسًا.

نفث بضيق:

لا طبعًا. أنا مش زيك ولا شبهك. أنا بحب زهير بجد، مش زي حبك لهدير.

تضايق حين ذكرت اسمها:

ما تجيبيش سيرتها على لسانك.

ابتسمت واقتربت خطوة منه:

طيب يا أمور، بتحبها أوي كده؟ يبقى ابعد عني وسيبني في حالي بدل ما قسمًا بالله أطربق بيتك فوق دماغك. ومش هرتاح غير أما أخلي هدير تفتح عينيها وتشوفك على حقيقتك. ابعد عني.

تراجع خطوة رافعًا يديه:

بعدت أهو، بس برضه لسه عند كلامي. وقت ما تشتاقي يا قطة أو زهير يقصر، هشام سداد.

عقدت حاجبيها بضيق:

وفر خدماتك لحد محتاجها يا حنيّن.

تركته، وأوقفت سيارة أجرة. ألقت نفسها بداخلها بسرعة وهي تتنفس الصعداء، لهروبها أخيرًا من ذلك الحصار.

خرجت حنين من غرفتها مبتسمة، ودخلت إلى المطبخ لتعد إفطارًا سريعًا. دخلت قدرية لتعد كوبًا من الشاي وسألتها:

أمال إيهاب نايم ده كله ليه؟

ردت مبتسمة:

صاحي مش نايم، بحضر له الفطار أهو.

علّقت بتهكم:

فطار إيه؟ الوقت غدا دلوقتي. خليه يطلع ونتغدى كلنا.

علّقت حنين مبتسمة:

معلش، لسه صاحيين مش هنقدر ناكل حاجة تقيلة. اتغدوا انتو براحتكم.

التفتت قدرية لها:

طيب، ومين هيحضّر الغدا؟ هبة خرجت مع صحبتها تجيب حاجات للجامعة، وأنا مصدّعة وتعبانة. مين هيعمل الغدا؟

وقفت حنين محتارة كيف ترد. علّقت قدرية مجددًا:

حطي الفرخة على النار تتسلّق، واعملي الرز وشوية ملوخية جنبها، وبسرعة علشان قربت أهبط.

همّت بالخروج، ولكن أوقفتها حنين:

طيب، هعمل الغدا، بس الأول هدخل الفطار لإيهاب يفطر علشان جعان.

شهقت قدرية بسخرية:

تدخّليله الفطار ليه إن شاء الله؟ ما يطلع يفطر هنا؟ ناديه يا أختي يجي يفطر، بلا تدخّليله الفطار بلا هم!

حملت حنين الصينية ونظرت تجاهها:

هنفطر أنا وهو جوه، وبعدين هحضّر الغدا، بعد إذنك يا حماتي.

أوقفتها قدرية بغيظ:

وأنا بقول: اطلعوا افطروا هنا، مفيش أكل يدخل الأوض. إيه رأيك بقى؟

وقفت حنين بحيرة: هل ترد برد يليق بها أم تبتسم وتعاملها بالحسنى كما طلب إيهاب منها؟

أخيرًا، التفتت إليها محافظةً على ابتسامتها:

أعتقد يا حماتي إن المكان اللي أفطر فيه ده شيء يخصني لوحدي، ما يخصش حد تاني، مع احترامي لحضرتك طبعًا. أما بالنسبة لابنك، فدي حاجة بينكم وبين بعض. لو مش عايزاه يفطر في أوضته، ابقي بلّغيه هو بالكلام ده مش أنا. بعد إذنك.

تركتها حنين وتوجهت لغرفتها. دخلت ووضعت الصينية على الطاولة الصغيرة، ليغلق إيهاب العاري الصدر الباب خلفها ويضمها وهو خلفها. وقبل أن ينطق حرفًا، فُتح الباب بعنف. التفت هو بحدة مؤنبًا:

في إيه يا أمه؟ بتفتحي الباب كده ليه؟

صاحت قدرية غاضبة:

في إن مراتك بتكسر كلامي!

تنهد بضيق:

تكسر كلامك في إيه يا أمه؟ مالك ومالها بس؟

نظرت لابنها:

من إمتى بنفطر في أوض النوم يا إيهاب؟ هاه؟ ما تطلع تفطر بره؟

واجهها:

أفطر في المكان اللي يريحني يا أمه، محدش له فيه.

صرخت مجددًا:

يعني إيه محدش له فيه؟

أجابها بحدة مماثلة:

يعني محدش له فيه يا أمه. ملهاش معاني أصلًا. وتاني مرة يا أمه، الباب ما يتفتحش بالمنظر ده طول ما إحنا جوه الأوضة. واللي عايز حاجة يخبط الأول ويطلبها من بره.

تراجعت قدرية:

بقى كده يا إيهاب؟

أكد إيهاب:

آه كده يا أمه.

حركت رأسها باستسلام ثم رفعتها:

طيب دلوقتي، أختك خرجت مع أصحابها تشتري حاجات ناقصاها للجامعة، وأنا تعبانة ومصدعة والضغط عالي. مين هيحضّر الغدا؟

أشار للأكل خلفه:

جعانة؟ اتفضّلي افطري معانا.

عقدت حاجبيها بضيق:

بقول غدا.

فهم ما ترمي إليه والدته:

عندك مازن بره، خليه يهزّ طوله. أو لو جعانة أوي، أطلب لك سندوتشات من بره. شوفي عايزة تاكلي إيه وأجيب هولك.

صرخت به:

عايزة أكل بيتي يا إيهاب!

حافظ على هدوئه ورد:

أكل بيتي؟ طيب هقولك برضه: عندك مازن بره، قوليله يعمل إيه، وهو مش صغير. اقعدي جنبه في المطبخ وقوليله يعمل إيه، وهو يعمل.

علّقت بتهكم:

مازن؟ مازن يدخل يعمل أكل ومراتك موجودة؟

أجابها بنفس التهكم:

آه، مازن يعمل أكل ومراتي موجودة. مراتي مش هتخرج من الأوضة النهارده طول ما أنا موجود. ما اتكلمتش الأيام اللي فاتت دي علشان ببقى بره البيت وأقول هي وهبة يساعدوا بعض ويعملوا. لكن اليوم اللي أنا فيه موجود في البيت، مراتي مش هتقوم من حضني. عندك مانع يا أمه؟ وقبل ما تجاوبي، خليكِ فاكرة إني مستعد في أي لحظة، يوم ما يفيض بيّ، آخدها ونشوف أي شقة بره

إيجار.

اقتربت منه:

بتهددني يعني يا إيهاب؟

واجه نظراتها:

لا يا أمه، ما بهددش. بعرفك بس إن وقت ما تزهقي ولا تحسّي إن وجودنا مضايقك، هاخد شقة بره أعيش فيها أنا ومراتي.

وقفا متواجهين ينظران لبعضهما بتحدٍ إلى أن تدخلت حنين:

إيهاب، أنا معنديش مانع أحضّر الغدا. أصلًا مش هياخد مني ساعة. بس كل اللي قولته: نفطر الأول، وبعدها أعمله، معنديش مشكلة.

أجابها دون أن ينظر لها:

حنين، كنا عايشين من غيرك، مكنّاش بنموت من الجوع، ولا كنا بننتظر هبة ترجع من خروجاتها ولا جامعتها. وأكيد ما اتجوزتكيش علشان تعمليلنا أكل كل يوم. أمي تعبانة زي ما بتقول؟ اتفضّلي ارتاحي. (نظر لعينيها) وتعالي افطري معانا، أو قوليلي عايزة تاكلي إيه وأجيب هولك. أما بقى مستعجلة، يبقى زي ما قلت: مازن موجود.

تحرك من مكانه ونادى لأخيه الذي أقبل بتململ:

نعم؟

وقف أمامه:

أمك عايزة تاكل أكل بيتي. اتفضّل شمر وادخل اعمل لها اللي هي عايزاه.

فتح فمه دهشةً:

نعم؟ انت عايزني أنا أعمل الغدا؟ وده من إيه إن شاء الله؟ مراتك أهي تعمل، ولا أمك تعمل. اشمعنى أنا يعني؟ ومن إمتى أنا بعمل غدا؟

ردّ إيهاب بتهكم:

من النهارده هتعمل غدا.

نظر مازن لوالدته:

هي إيه العبارة يا أمه؟

اقتربت قدرية منهما:

العبارة إن إيهاب مش عايز يتعب الهانم وعايزها تفضل في حضنه، ما تقومش منه.

أكد إيهاب ما قالته والدته:

برافو عليكِ. أيوه، أنا عايز في يوم إجازتي مراتي ما تقومش من حضني. انتو إيه مشكلتكم؟

سكت لحظة ثم نظر لحنين:

أقولكم أريحكم أنا. حنين، البسي واستعدي خلينا نطلع ناخد يومين بره زي ما وعدتك، خلينا نريحهم خالص.

اقترب مازن منه بغضب:

يعني انت مش معاك فلوس أجيب بيها لبس جديد، لكن معاك تطلع تاخد يومين بره؟

نظر له إيهاب باستنكار:

يا ما نفسي أعرف بتجيب البجاحة دي منين يا أخي؟ هو انت هتشاركني؟ فلوسي، شغلي، تعبي، أنا حر يا أخي أصرفها بالطريقة اللي تعجبني. انت هتشاركني؟

نظر لحنين:

انجزي يا حنين، واجهزي بسرعة.

نظر مازن لوالدته:

شايفة ابنك؟ الجامعة هتبدأ الأسبوع الجاي وسيادته رايح يتفسح. بدل ما يقول إخواتي أولى بالفلوس دي وأشوفهم محتاجين إيه، رايح يتفسح ويصرف اللي معاه.

وضع إيهاب يديه في خصره متعجبًا من جرأة أخيه، وانتظر رد والدته وهو على يقين أن رأيها لن يختلف عن رأي أخيه. علّقت قدرية:

ما هو علشان كده مكنتش موافقة على الجوازة دي، وكنت عارفة إنها هتدخل علينا بخراب. ولو كنت سيبته ياخد الشقة، مكناش شوفنا وشه أصلًا تاني.

علّق إيهاب بغضب:

لو كنتِ سيبتيلي الشقة يا أمه، كنت هحطكم على راسي من فوق. لكن اللي عملتوه وضحلي قيمتي بالنسبالكم، وعلشان كده المعاملة دلوقتي بقت بالمثل. بطلت آجي على نفسي، وبطلت أعمل فوق طاقتي، وبقيت بشوف نفسي قبل أي حد. لأني يوم ما هحتاج مش انتو اللي هتقفوا جنبي. فعلشان كده يا أستاذ مازن، من هنا ورايح اتعود ترضى بقليلك، ولو عايز الأحد قدم السبت. ودلوقتي اتفضلوا بقى من هنا علشان نعرف نغير هدومنا ونطلع من هنا، ونسيبهالكم خضرة ومخضرة.

خرج مازن بغضب تبعته قدرية التي نظرت لابنها بغضب:

ماشي يا إيهاب، خليك فاكرها.

علّق قبل أن يغلق الباب خلفها:

ما تقلقيش يا أمه، فاكر كل حاجة. من يوم ما أبويا مات لحد النهارده ما بنساش، للأسف. بس ياريت انتِ يا أمه اللي تفتكري بتعملي إيه مع ابنك الكبير اللي هو سندك وشايل الحمل معاكِ من أول يوم للنهارده، قابلتي تعبه ده بإيه.

أحكم إغلاق الباب، والتفت لزوجته، فوجدها تنظر إليه بعدم رضى. فعلق:

بتبصيلي كده ليه؟ كنتِ عايزاني أعمل إيه يعني؟

اقتربت منه ووقفت أمامه:

كنت لقيت الدنيا. موضوع الأكل مكنش هياخد ساعة زمن، وبلاها الحوار ده كله اللي حصل.

زفر بغضب:

ساعة ولا غيره، ما إحنا كنا عايشين قبل ما تيجي يا حنين؟

أمسكت يده بحب:

بس دلوقتي الوضع اختلف. ابنها اتجوز، وهي متوقعة إن مرات ابنها تريحها، فده طبيعي.

نظر لعينيها:

طبيعي لما الأمور تكون طبيعية. ما هو ما اتكلمتش كل الأيام اللي فاتت بالرغم من إني واثق إنها بس بتحاول تتعبك وتضايقك. لكن النهارده أنا إجازة، فالمفروض هي من نفسها، لقتك بره، تقولك: خليكِ النهارده مع جوزك طالما إجازة. الأمهات بتعمل كده، مش زيها. أي ضيق وخلاص، وأي سكة ماشية فيها، ولا فاهمة رايحة فين ولا جاية منين. والبأف اللي اسمه مازن ده هو اللي بيلعب في دماغها كل شوية، وهي للأسف الشديد بتصدقه بشكل أعمى ومبالغ فيه. المهم، يلا خلينا نخرج بقي من هنا، لأحسن اتخنقت وعلى آخري.

ابتسمت وهي تشير للطعام خلفها:

خلينا ناكل لقمة خفيفة، إيه رأيك؟

أكلا سويًا، وأعدت حقيبة خفيفة بمساعدته، وخرجا من غرفتهما لتراقبهما قدرية بغضب واضح. اقترب إيهاب منها:

عايزة حاجة يا أمه؟

مصمصت شفتيها بتهكم:

ولو عايزة هتعبرني؟ انت خلاص يا إيهاب، اتجوزت.

تنهد بضيق محاولًا السيطرة على أعصابه:

مش فاهم يعني إيه "اتجوزت"؟ ما أنا متنيل زي ما أنا في مكاني، وحتى الشقة اللي دفعت فيها دم قلبي أخدتيها. عايزة إيه تاني مني يا أمه؟ (انحنى فوقها) كتر الضغط بيولد الانفجار، فبلاش تضغطي عليا أكتر من كده لأني وصلت لآخر ما عندي.

قبّل رأسها وتحرك ممسكًا ذراع زوجته، وأخذها للخارج. فتبعته بصمت تام إلى أن توقفا بالشارع، فسألته أخيرًا:

هنروح فين ولا هنعمل إيه؟

تنهد وزفر بضيق:

والله ما عارف يا حنين. قولي انتِ: نروح فين؟ نطلع السخنة مثلًا؟ ولا إسكندرية؟

علّقت حنين بتفكير:

تعال نطلع السخنة. مش بعيدة، وفيها فنادق وشاليهات كتير، وأسعارها في المعقول.

أوقف سيارة أجرة تأخذهما للمحطة، ومنها استقلا الأوتوبيس للعين السخنة.

استقرت بجانبه ووضعت رأسها على كتفه بارتياح:

تصدق دي أجمل مرة أسافر فيها.

ابتسم، ووضع ذراعه حولها:

ليه يعني؟

رفعت رأسها باستغراب:

بجد بتسألني ليه؟

نظر لعينيها، فما زال سؤال الأمس معلقًا بذهنه لا يجرؤ على البوح به:

آه، بسألك ليه؟ أكيد سافرتي كتير مع عيلتك، وأكيد كنتِ بتحبي المصيف؟

علّقت وهي تعتدل في جلستها وتنظر لعينيه:

بس دي أول مرة أسافر مع حبيبي. في فندق حلو أوي روحناه وإحنا في الكلية، حلمت يومها أروحه مع حد بحبه، نتمشى أنا وهو على الجسر الخشب اللي ممدود وسط المية، ونسهر مع بعض للصبح، لحد ما النهار ينور علينا، والجو يكون برد، فهو يدفيني في حضنه. (تنهدث بحب) أحلام وأخيرًا هتتحقق معاك.

لاحظت شروده فمدّت يدها تلمس وجهه وتعيده إليها بهدوء:

مشغول بإيه من امبارح؟ بحسك كل شوية بتسرح وحاجة شاغلة تفكيرك؟ اتكلم معايا. بتفكر في إيه؟

نظر لعينيها بحيرة، وأخيرًا قرر إلقاء سؤاله وسيرى الإجابة بعينيها:

بفكر في إمتى هتبطلي تحبيني؟ إمتى هتفوقي وتقولي: "إيه اللي

عملته في نفسي ده؟ وإزاي اتجوزت واحد بالمستوى ده؟ أنا عقلي كان فين؟"

ضُدمت من طريقة تفكيره:

انت إزاي بتفكر كده يا إيهاب؟

ابتسم وهو ينكس رأسه:

خلينا صريحين يا حنين. أنا مش الشخص المناسب ليكي أبدًا. والدتك عندها حق في معاداتها ليا، لأني غير مناسب. لو الوضع معكوس، وانتِ أختي مثلًا، وبظروفك دي ومستواك ده، واتقدم لها واحد بظروفي، لا يمكن أوافق عليه. انتِ نفسك لا يمكن توافقي عليا. ولولا إنك عاندتي والدتك، ما أعتقدش كان ممكن نرتبط أبدًا. الموضوع بدأ بعناد، واتحول لـ... مش عارف صراحة اتحول لإيه؟

استغربت طريقة تفكيره، وأمسكت ذراعه وهتفت:

اتحول لحب. حب وبس يا إيهاب. أو مش اتحول، هو من البداية خالص بدأ بحب، وحاولنا نحوله لمسمى نقدر نسيطر بيه عليه، بس الحب مالوش قيود ولا سيطرة، وفي النهاية هو المسيطر. فأنا بحبك، والمفروض تثق فيّ شوية.

همس بترجي:

واحدة زيك بتحب في واحد زيي إيه؟ إيه اللي ممكن أقدمهولك مش عندك أصلًا من الأول؟

هتفت باستنكار:

تقدّم قلبك وحبك، ومش عايزة منك غير دول. عايزة حبك يا إيهاب.

نظر لعينيها:

ربنا يعلم بحبك قد إيه.

ابتسمت وحضنت ذراعه وأراحت رأسها على كتفه:

ومش عايزة غير الحب ده. اطمن وطمن قلبك، أنا بحبك فوق ما تتخيل.

بالرغم من صدق مشاعرها وإحساسه فعلًا بحبها، إلا أن باله لم يهدأ. فالحياة أصعب من تلك البساطة، وما حدث منذ قليل مع والدته سيتكرر آلاف المرات، وسيزداد الموضوع سوءًا حين تبدأ الدراسة وتعود حنين لعملها. نظر لرأسها على كتفه، وداعب شعرها بحب، وقرر أن ينعم بحاضره ويترك الغد للغد.

وصلا للمكان الذي اختارته حنين. وقف إيهاب أمام الموظف المسؤول لحجز غرفة. سمعت حنين بجانبه أن حجز الليلة الواحدة سيكلفه 1100 جنيه، فأمسكت ذراعه واعتذرت من الموظف وتحركت بعيدًا:

إيهاب، تعال نشوف مكان تاني.

استغرب طلبها، فلقد كانت متحمسة للغاية طوال الطريق تحكي له عن ذكرياتها بهذا المكان تحديدًا:

ليه عايزة تغيريه؟ بعدين وصلنا أخيرًا يا حنين، خلينا ندخل الليلة

طيب ونشوف الدنيا إيه.

حرّكت رأسها برفض:

يعني شوفته قبل كده، خلينا نروح مكان ما شوفتوش.

لم يقتنع بسببها:

حنين! في إيه؟ منظرنا مش حلو كده، فقولي في إيه وليه عايزة تمشي؟

طأطأت رأسها بحرج:

كتير أوي 1100 في الليلة الواحدة يا إيهاب. خلينا نشوف...

قاطعها مبتسمًا:

ده سببك؟ حنين، إحنا هناخد 3 أيام بس، واللي فهمته إنه شامل كل حاجة يعني مش هنحتاج نخرج بره. لو معندكيش سبب تاني، خليني أروح أكمل الحجز؟

نظرت لعينيه بتوسل، ولكنه ربّت على يدها ورفعها وقبّلها:

خلي بالك، ده يعتبر شهر عسلنا، فمش خسارة فيه. بعدين ما تقلقيش، عامل حسابي.

تركها وأتم حجز الغرفة، وأخذها لغرفتهما، التي كانت عبارة عن شاليه صغير مطل على البحر. أعجبته الغرفة للغاية، فتح باب الشرفة وخرج إليها ناظرًا للبحر أمامه، واستنشق ملء رئتيه، وتمتم لها وهي تقف بجانبه:

المنظر ده مش كتير عليه خالص المبلغ اللي ادفعت يا حنين.

ابتسمت ووضعت رأسها على كتفه:

مكنتش حابة أتقل عليك، مش أكتر.

التفت ناحيتها وأمسك وجهها بكلتا يديه:

اطلبي، وسيبيني أنا أحدد إيه اللي هقدر عليه وإيه اللي مش هقدر. ممكن؟

أومأت برأسها موافقة، فضمّها ونظرا للبحر سويًا. علق بابتسامة:

حلو المكان فعلا، وأحلى حاجة إن كلها شاليهات جنب بعض، مش نظام فندق وأدوار فوق بعض. كل شاليه دور واحد وخطوتين تبقي جوه البحر. فين الجسر اللي قولتي عليه؟

ابتسمت وبحثت بعينيها عنه إلى أن أشارت ناحيته:

هناك أهو. بالليل نطلع أنا وأنت نستكشف المكان، إيه رأيك؟

وافقها ثم سألها وهو ينظر للداخل:

طيب، إيه رأيك نستكشف جوه دلوقتي بما إن الجو حر؟

داعبت بيدها زرار قميصه العلوي تفتحه:

نستكشف الأوضة ولا السرير؟ حدد؟

ابتسم وهو يمسك يدها ويدخل، وأحكم إغلاق باب الشرفة خلفه:

بصي، إحنا هنستكشف كل حاجة وهيِدي كل حاجة حقها.

في تلك الأثناء...

قضت سارة يومها في مركز التجميل، فرحة وسعيدة، ولكن فرحتها منقوصة. فهي مرعوبة من هشام، الذي هو الوحيد القادر على تدميرها فعلًا. فهل سيجرؤ على اللعب بها مجددًا أم سيخاف انهيار زواجه؟

اقتربت منها والدتها، أيقظتها من شرودها التام وهي تلكز كتفها:

بت يا سارة، بكلمك! فيكي إيه يا بت؟

بتردد، قصّت لوالدتها ما حدث. فأنّبتها وحذّرتها للمرة الألف أن تخبر زوجها بما حدث قبل أن يكتشفه بطريقة خاطئة تكون نتائجها كارثية. وكالعادة، رفضت سارة مجرد التفكير في إخبار زهير عن ماضيها. فهي أبدًا لن تشوّه الصورة التي رسمها لها في خياله. نظرت لوالدتها وغيرت مجرى الحديث:

هاتيلي موبايلي أكلم حنين أعزمها هي وجوزها. نفسي أشوفه. معرفش مخبياه كده ليه؟ وليه عملت فرح على الضيق أوي كده من غير ما تعزم أي حد من البنك؟

نظرت إليها والدتها بعدم رضى، ولكن لم تعارضها. أخذت الهاتف واتصلت بصديقتها.

في الشاليه

تلفّتت حنين حولها بحيرة:

هو موبايلي فين يا إيهاب؟

أنصت قليلًا قبل أن يجيبها:

أعتقد في شنطتك. ما طلعتيهوش أصلًا.

نظرت لعينيه:

طيب، ما تخليك حلو وتقوم تجيبهولي؟

ابتسم بخبث:

طيب، ما تخليكِ أحلى وتقومي انتِ تجيبيه؟

سحبت الغطاء فوقها حين لاحظت نظراته، وعلقت بضحك:

انت مش سهل أبدًا، ونيتك مش خالصة. وعقابًا ليك، هتقوم انت تجيبلي الفون.

تقابلت نظراتهما، ليقترب هو منها ويجذبها ناحيته:

طيب، ما تسيبك من الفون خالص وتخليكي معايا هنا؟

وضعت ذراعيها حول رقبته بحب:

خايفة يكون بابا ويقلق علينا.

تنهد باستسلام:

حاضر يا ستي، هجيبهولك.

أحضر الهاتف، وابتسم حين لاحظ نظراتها الحرجة، ثم استقر بجانبها. علقت هي باستغراب:

دي سارة صاحبتي. نادرًا ما بتكلمني. تفتكر عايزة إيه؟

اقترح:

كلميها وشوفي، بس ممنوع الرغي لو هي زي هايدي.

ضحكت بمرح:

لا لا، مش بينا العلاقة دي. ما تقلقش.

اتصلت بها لتجيبها سارة بسرعة:

عاش من سمع صوتك يا حنون. إيه الجواز أخدك مننا كده؟

ابتسمت حنين لزوجها بجانبها:

أخبارك إيه يا سارة؟ يا رب تكوني بخير.

سارة:

الحمد لله بخير يا حنين. المهم أخبارك إيه؟ جوزك أخباره إيه؟ مبسوطة ولا؟

علّقت بنوع من الضيق:

الحمد لله يا سارة، بخير.

أحسّت سارة بضيقها، فدخلت في صلب الموضوع:

المهم، بكلمك علشان أعزمك النهارده على خطوبتي. بتمنى تحضري انتِ و... جوزك اسمه إيه يا حنين؟

أجابتها:

اسمه إيهاب يا سارة. مبروك وربنا يتمم لك على خير. بس حد

نعرفه ولا؟

أجابتها بسرعة:

آه، تعرفيه طبعًا. أستاذ زهير.

اتسعت عينا حنين، فهي لا تعرف سوى زهير واحد فقط:

زهير مين؟ أوعي يكون قصدك...

لم تكمل حنين جملتها، فضحكت سارة وأكملت هي:

أيوه، هو نائب المدير، ربنا لما يريد بقى. المهم خطوبتنا النهارده، هبعتلك اللوكيشن و...

قاطعتها حنين بسرعة:

لا لا، كان نفسي أجي يا سارة بجد. ولو قلتِ لي امبارح، كنت جيت، لكن لسه مسافرين أنا وإيهاب هنقضي كام يوم كده على البحر. فاعذريني يا قمر، بس ابعتيلي صور كتير بقى وباركي للأستاذ زهير. فرحتلك بجد، ربنا يتمملك على خير يا رب.

عقدت سارة حاجبيها بضيق:

يا رب، وربنا يسعدكم يا رب، بس كان نفسي تيجي. بس غريبة، كلمت هايدي وما قالتليش يعني إنك مسافرة؟

محدش يعرف إننا مسافرين أصلًا يا سارة، ده كان قرار مجنون وليد اللحظة.

استغربت سارة:

هو إيهاب من النوعية دي يعني؟ ياخد قرار وينفذه؟

ابتسمت حنين وهي تراقب إيهاب بجانبها يعبث بهاتفه انتظارًا لها:

طالما حاجة بتسعدنا، فليه لأ؟ المهم، أكيد انتِ مشغولة. مش عايزة أعطلك، ومبروك مرة تانية.

أغلقت الهاتف معها، وضعته بجانبها، ورفعت ذراع إيهاب لتستقر فوق صدره:

كانت بتعزمنا على خطوبتها.

أمسك خصلاتها بلطف يداعبها:

تحبي نرجع ونحضرها؟

رفعت رأسها بذهول:

لا طبعًا! انت بتقول إيه؟ أنا مش هضيع لحظة من الكام يوم اللي هناخدهم هنا بعيد عن حضنك، مفهوم؟

ابتسم وهو يضمها لقلبه مجددًا:

مفهوم يا روح روحي.

في بيت هشام راقبت هدير اختياره بعناية لما سيرتديه، فوقفت أمامه:

رايح فين كده ومهتم كده ليه بشكلك؟

نظر إليها بتردد، هل يخبرها الحقيقة وهل ستتقبلها أم لا؟ أخيرًا، قرر إخبارها بنصف الحقيقة:

نائب المدير النهارده خطوبته، وعزمنا كلنا.

وضعت يديها في خصرها باعتراض:

طيب، ليه ما ينفعش أجي معاك؟ ولا هتقولي هو زي المدير ما بيحبش يشوف حد متجوز؟ ها؟ حجتك إيه المرة دي؟

نظر إليها مطولًا قبل أن ينظر للمرآة يكمل تعديل هندامه:

حجتي المرة دي انتِ، صراحة. مش عارف رد فعلك هيكون إيه لما تشوفي خطيبته. وهل هتعدي الموضوع ولا هتعملي مشاكل للكل إحنا في غنى عنها؟

اتسعت عيناها بدهشة من كلامه، وعلقت:

أنا؟ أنا أعمل مشاكل ليه؟ من إمتى كنت بتاعة مشاكل؟ وبعدين هو أنا أعرف أصلًا خطيبته؟

التفت إليها:

أيوه، تعرفيها يا هدير. هي سارة.

نظرت إليه بحيرة وكأن الاسم لم يمر عليها من قبل، فوضَّح هو:

سارة اللي جاتلك هنا وقالت إني على علاقة بيها.

تغيرت ملامحها كليًا، فعلق هو وهو يشير لوجهها:

شوفتي وشك اتحول إزاي؟ ما بالك لما تروحي؟ أنا مش قد رد فعلك، ولا رد فعل المدير لو حد داس لها على طرف. فهروح أظهر في الحفلة شوية وامشي.

تحركت هدير ناحية خزانتها تختار فستانًا، ليتعجب هو من تصرفها. فوضحت:

هاجي معاك أكيد. هنعدي على ماما نسيب يزيد هناك، وهاجي معاك.

حاول الاعتراض، ولكن أوقفته:

ومش هقبل منك أي رفض. وما تقلقش يا سيدي على... (أكملت بتهكم) عليها. مش هعملها مشاكل.

اقترب منها يمسك ذراعها بشدة نوعًا ما:

مين دي اللي أقلق عليها يا هبلة؟ دي واحدة ما عرفتش توقعني، لعبت على المدير ووقعته. متخيلة إني هخاف عليها؟ أنا كل الحكاية مش عايز مشاكل ليا. الله أعلم هي ممكن تقوله إيه عني ولا تعمل إيه. فأنا بتقي شرها لا أكتر ولا أقل. ولولا إن نائب المدير ده حد محترم جدًا، مكنتش فكرت أروح أصلًا. قال أقلق عليها قال!

فكرث في كلامه لحظات قبل أن تردف:

خلاص، تمام. يبقى نروح إيدينا في إيدين بعض، ومش هعمل مشاكل.

بعد تردد دام لعدة لحظات، ترك ذراعها وأومأ بموافقة:

تمام، اجهزي طيب بسرعة.

وصل زهير لمركز التجميل، وحين رأى سارة أمامه بفستانها الرائع وجمالها، وقف جامدًا لعدة لحظات قبل أن يتحرك ناحيتها:

عمري ما تخيلت للحظة إن في واحدة ممكن تعجزني عن الكلام زي دلوقتي.

طأطأت رأسها بخجل:

ليه يعني؟ أنا عادية مش للدرجة.

اقترب منها أكثر ليرفع رأسها وينظر لعينيها مباشرة:

مين دي اللي عادية؟ أنا قلبي هيخرج من مكانه ويعمل ثورة دلوقتي. وحاسس بكمية غباء إن النهارده مش دخلتنا. ليه خطوبة؟ ها؟ إيه اللي معطلنا؟ أنا مش فاهم سر غبائي ده إيه؟ ينفع أتصل بمأذون ونكتب الليلة؟ إيه رأيك؟

رفعت رأسها ذهولًا:

انت بتقول إيه؟

أكد بإصرار:

اللي سمعتيه. هكلم مأذون ونكتب الليلة، وخلال كام يوم نعمل الفرح. مش هنتظر تاني يا سارة.

تلفت حوله ليشير لأحد من رجاله:

هاتلي مأذون على الفيلا.

استغرب الرجل للحظات، قبل أن تمسك سارة ذراعه:

زهير؟

نظر لها، ثم نظر لرجل آخر:

اتحرك، هات مأذون. مش بتكلم هيروغليفي أنا.

تحرك الرجل، ونظر هو لسارة:

معترضة على إيه؟ عايز أكتب عليكِ الليلة؟ العدّة خلصت، هننتظر إيه؟

علقت بحيرة وتوتر:

مش عارفة... بس ماما؟

نظر لوالدتها التي اقتربت حين أشار لها. وبعد أن هنأتهما، استأذنها زهير بهدوء:

بعد إذنك يا ست الكل، أنا بعت أجيب مأذون بحيث نكتب كتابنا دلوقتي. عند حضرتك مانع؟

نقلت ابتسام نظراتها بينهما وهلّلت بفرحة:

مانع بجد؟ ده أنا هتنطط من الفرحة. ربنا يسعدكم ويخلف عليكم الخلف الصالح يا رب.

نظر زهير لسارة:

وادي ماما اهي موافقة. عندك اعتراض على إيه تاني؟

ابتسمت بحرج:

مش حكاية اعتراض، بس...

قاطعها بابتسامة عريضة:

ما بسش بقى، هنكتب الليلة والأسبوع الجاي فرحنا إن شاء الله.

تأبطث ذراعه وتحركث معه، ولم يترك يدها إلا بعد دخوله لحديقة الفيلا الخاصة به، حيث وجد الجميع في انتظارهم. اتجهت الأنظار كلها لسارة وزهير؛ هناك من فرح بارتباطهما، وآخر لا يهتم، وآخر يحسدها على هذا الارتباط.

في سيارة علاء، جلست هايدي بجانبه وعلّقت بحب:

متشكرة إنك رضيت تيجي معايا.

نظر لها بدهشة:

انتِ بجد بتشكريني يا هايدي؟ على أساس إني مش بخطف كل لحظة ينفع أشوفك فيها ولا إيه؟

ابتسمث بحرج ونظرث للأمام، وهي تشعر براحة داخلية واطمئنان.

وصلث للاحتفال، وتوجهث برفقة خطيبها لتهنئة سارة وزهير. نظرث سارة بتفحص لعلاء، تدرسه وتقيّمه، وعلّقت:

ناويين على إمتى ولا لسه؟

ابتسمت هايدي وأجابت بهدوء:

ربنا يسهل، لسه ما قررناش ميعاد محدد. مبروك أستاذ زهير، مبروك يا سارة.

انسحبث مع علاء وجلسث على طاولة برفقته، وتمنت لو أن حنين موجودة معها.

ارتدى سمير ملابسه تحت أنظار دعاء، وتوجه ناحيتها:

برضه مش هتيجي معايا؟

ابتسمت ونفت بهدوء:

لا يا حبيبي، مش هخرج لحد ما الدكتور يطمنا.

قبّل وجنتها:

يا رب يطمنا بإذن الله ويقولنا إنك حامل. هروح ساعة بالكتير وارجع، ولولا أستاذ زهير مكنتش روحت أصلًا.

تركها وتوجه لفيلا زهير، وتوجه مباشرة لزهير وسارة، التي سألته بدهشة:

أمال دعاء فين؟ مجتش معاك ليه؟ هي مختفية ليه أصلًا؟ بقالي فترة مش بشوفها في البنك.

ابتسم بمجاملة:

هي بس تعبانة شوية، وعلشان كده واخدة أجازة. وموصياني أباركلك، وبتعتذرلك على عدم وجودها، بس غصب عننا.

ابتسم زهير وضغط على يد سارة:

ألف سلامة عليها، وربنا يقومها بالسلامة. ووقت ما تتحسن ترجع شغلها، براحتها تمامًا.

شكره سمير قبل أن يتركهما ويتوجه ناحية هايدي، التي أشارت إليه وتولّت مهمة تقديمه لخطيبها، ورحبت بانضمامه لهما هي وعلاء.

دخل هشام برفقة زوجته، التي اهتمت بمظهرها للغاية فكانت آية في الجمال.

هتفت هايدي فجأة:

بصوا، شوفوا مين داخل؟

توجهت الأنظار للمدخل، وسأل علاء بحيرة:

مين دول؟ حد تعرفيه يعني؟

علّق سمير:

هي مش دي مراته اللي معاه؟ بني آدم غريب.

نقل علاء نظراته بينهم وسأل بفضول:

لا أفهم، إيه الحوار؟

ابتسمت هايدي وقصّت عليه ملخصًا سريعًا للغاية عما حدث من قبل، واستمع لها باستغراب ثم علّق:

يعني سارة دي كانت مرتبطة بيه وبعدها حاولت تخرب جوازه، ودلوقتي بتتجوز مديرها؟ طيب مديرها عارف بقى الحوار ده؟

مطّت هايدي شفتيها بحيرة:

ما أعتقدش. سارة مش من النوع الصريح أبدًا، وأستاذ زهير شخصية محترمة جدًا، فما أعتقدش كان ممكن يتقبل حاجة زي كده. على العموم، ربنا أعلم بظروفهم وأعلم بيهم.

توجه هشام ناحية زهير، الذي أحس بالضيق من نظراته، ولكنه

ابتسم بوجهه. قدم هشام زوجته لزهير:

دي هدير مراتي.

وضعت هدير يدها بيد زهير بنوع من التكبر:

مبروك لحضرتك أستاذ زهير.

ابتسم بمجاملة:

الله يبارك في حضرتك، نورتوا الحفلة.

نظرت هايدي لسارة، التي شحب وجهها للغاية وتوترت وأحست بالرعب التام.

ابتسمت هدير حين لاحظت رعبها:

مبروك يا... يا سارة.

حاولت أن ترد بشكل طبيعي:

الله يبارك في حضرتك.

لاحظ زهير نظراتهما:

هو انتو تعرفوا بعض قبل كده؟

نظرت سارة بحدة ناحيته وردت بسرعة وبتوتر:

لا لا، دي أول مرة أشوفها أكيد. هنعرف بعض منين يعني؟

اتسعت ابتسامة هدير، ونظرت لسارة نظرات تهديد، ثم ابتسمت لزهير وأضافت:

أعرفها عن طريق جوزي مش أكتر، لكن دي أول مرة - وبدلت نظراتها من سارة إلى زهير - أتقابل مع زمايله بشكل عام.

توتر الجميع، ثم أضاف هشام قبل أن يبتعد بزوجته:

مبروك أستاذ زهير، مبروك يا أستاذة سارة، ربنا يتمملكم على خير يا رب.

أمسك ذراع زوجته وابتعد بها ليجلسا على طاولة بعيدة، وصاح مؤنبًا:

وبعدين معاكي يا هدير؟ عايزة تعملي إيه؟

نظرت هدير ناحية سارة بغضب:

معملتش لسه، بس بفكر أروح لزهير ده وأقوله على اللي هي عملته أو اللي حاولت تعمله.

أمسك هشام يدها بتحذير:

انتِ بتقولي إيه؟

نظرت له باستغراب:

وانت خايف من إيه كده؟ هي تهمك في إيه؟

علّق بضيق:

قلتلك ما تهمنيش، بس هي أبوها سبق وجوزها لواحد جاهل ومتخلف، ويادوب عرفت تتطلق منه. فهي أخدت جزاتها خلاص، وربنا عطاها فرصة تانية. بلاش تكوني سبب في خرابها. ارحموا من

في الأرض...

نظرت لزوجها باستغراب وبتهكم:

تصدق أول مرة أعرف إنك حنين أوي كده؟

عقد حاجبيه بضيق:

أنا عارف إني كان عندي حق أبعدك تمامًا عن شغلي وزمايلي. عارف إن الصح إن الواحد يخبي عن مراته كل حاجة، لأنها مش بتشوف غير تحت رجليها وبس. - نظر لها بغضب - عرفتي ليه بتحرك وبخرج دايمًا لوحدي؟ لأني في غنى عن المشاكل والغيرة العامية اللي ملهاش قيمة دي. يعني بالرغم من إنك وعدتيني تتصرفي بعقل، لكن كلام في الهوا. وأول ما جيتي عايزة تخربي الحفلة كلها وتطربقيها فوق دماغ الكل، وأنا أترفد من شغلي عادي جدًا، مش في بالك أصلًا. أما أنا طلعت متخلف بجد.

نظرت لزوجها ببلاهة، فلقد استطاع ببراعة واحتراف قلب الطاولة عليها، وبدأ شعور بالذنب يتسرب إلى داخلها. فحاولت الهرب من اتهاماته:

أنا معملتش حاجة لكل ده! أنا بس بفضفض معاك مش أكتر وبقولك اللي جوايا، لكن ما قمتش لعندها ولا قلت حاجة أصلًا.

علّق بتهكم:

يا سلام! وكل تلميحاتك السخيفة اللي عملتيها هناك دي كانت إيه؟ ده الأستاذ زهير نفسه شك إن في حاجة بينكم! يعني مش قادر أفهم هتستفادي إيه لو جوازتها باظت؟ وبعدين "كما تدين تدان"، ما

تنسيش.

نظرت إليه بحدة:

انت بتقولي أنا الكلام ده؟ أنا يا هشام؟ أنا طول عمري في حالي وعمري ما فكرت أبدًا أذي أي حد، لكن هي اللي جت بيتي وكانت عايزة تخربه، مش أنا. أنا مش عارفة إزاي بتلومني أنا دلوقتي لمجرد إني متضايقة منها؟

نظر تجاهها:

لا، مش بلومك على ضيقك، بلومك على تلميحاتك اللي مالهاش أي معنى دي. على العموم، ده غلط ملحوق ومش هيتكرر، بس بعد كده ما تبقيش تسأليني بروح فين وبتحرك ليه لوحدي وليه فاصل عن زمايلي.

حركت رأسها بدهشة وصدمة من كلامه، فتلك هي المرة الأولى التي تعترض فيها على أي زميل أو تخبره عن رغبتها وما تفكر به. علقت بهدوء:

أنا عايزة أروح لو سمحت، روحني.

نظر أمامه غاضبًا:

شوية وهروحك علشان بس زهير ما يلاحظش حاجة، لأنه مركز معانا، والله أعلم الليلة دي هتختم بإيه؟

استمرت نظرات زهير لهشام، فهو بداخله يشعر بشيء غير طبيعي. نظر تجاه سارة:

انتِ تعرفي مراته من قبل كده؟ مراته بتتكلم بشكل مش طبيعي، وهو نفسه نظراته مش مريحة. مش عارف ليه مش قادر أتقبله؟

زاد التوتر عند سارة، وفكرت في طريقة تنهي بها هذا الحوار وللأبد. فكرت أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم. رفعت رأسها ونظرت إليه بتحدٍ وقوة وبمنتهى الهدوء:

اتصل بالراجل بتاعك اللي كلمته يجيب المأذون، وإلغي كل حاجة، لأني مش هتجوزك بعد إذنك يا أستاذ زهير.

تحركت من أمامه بسرعة قبل أن يستوعب ما قالته أو حتى يحاول منعها.

لاحظ زهير أن معظم الأنظار توجهت ناحية سارة وهي تخرج من الحديقة. تحرك بسرعة ليلحق بها وأوقفها في مدخل الفيلا. أمسك ذراعها بعنف وجذبها للداخل ولم يتوقف سوى بغرفة مكتبه. بعد أن أغلق الباب خلفهما:

بتعملي إيه؟ هاه؟

واجهت نظراته بتحدٍ:

مش هقبل اتهاماتك كل شوية ليا يا زهير. كام مرة قلتلي هشام معرفش ماله، نظراته معرفش مالها، ودلوقتي حتى مراته اللي أول مرة أشوفها هتقولي نظراتها مالها؟ أنا كتاب مفتوح قدامك من البداية، انت عارف كل تفاصيل حياتي من البداية، انت طلقتني من المتخلف اللي كنت متجوزاه. فإيه ممكن يكون في حياتي أسوأ من كده فهخبيه؟ ها؟ وبعدين لو انت من النوعية اللي بتغير بالشكل ده،

يبقى كويس إن الموضوع بان من أولها، خليني أخد رد فعل صح بدل ما أعيش تجربة صعبة تانية أنا في غنى عنها.

حرك زهير رأسه بذهول:

انتِ بتقولي إيه؟ أنا بحبك و...

قاطعته بغضب:

حنين جوزها كان ومازال بيعشقها، بس خلى حياتها مرار ووصلها للاكتئاب وكرهها في الكون وما فيه، وحول حياتها لجحيم، وده لمجرد إنه غيور شويتين.

ضغط على ذراعها بعنف:

ما تقارنينيش بحد تاني، وأنا مش مجنون ولا بغير غيرة مرضية. وبعدين أنا إمتى وجهتلك أي اتهام؟ ها؟ قلتلك نظراته هو مش مريحة، ما اتكلمتش عنك أبدًا. قلتلك مراته غريبة وتصرفها غريب. إمتى قلت انتِ؟ ولا هي أي تلاكيك والسلام؟ لو انتِ حاسة إنك بتتسرعي أو مش عايزة كتب الكتاب النهاردة، قوليها بشكل صريح، لكن ما تعمليش حجج عبيطة!

تحولت نظراتها للذهول وصاحت بغضب:

أنا ما بقولش حجج عبيطة!

صاح بغضب مماثل:

أمال بتعملي إيه دلوقتي؟ فهميني؟ ولا هو حبك ده وهم عادي تنهيه ببساطة كده؟

هربت من نظراته:

مش هقبل اتهامات و...

قاطعها وهو يمسك وجهها ويعيده لتواجهه:

أنا ما اتهمتكيش بأي اتهام. بلاش انتِ تتهميني.

سيطر الصمت عليهما لعدة لحظات قبل أن يقطعه طرقات خفيفة يتبعها دخول أحد رجاله:

المأذون وصل يا زهير بيه.

نظر زهير تجاهه:

طيب، روح انت دلوقتي.

انتظر إلى أن أغلق الباب، ثم نظر إلى عينيها:

يلا يا سارة.

مد يده إليها وعينيه معلقة بعينيها، فنظرت ليده الممدودة بتردد دون أن تتحرك أو تنطق حرفًا. حين طال انتظاره:

حقك عليا لو حسيتي مني إني بتهمك، بس صدقيني مش قصدي أبدًا أي اتهام ليكِ يا سارة. أنا بس فضفضت معاكِ إن نظرات هشام دي مش مريحاني، مش أكتر من كده.

اقترب منها ورفع وجهها لتنظر لعينيه وهمس:

معقول هتبعدي عني في وقت زي ده وتوقيت زي ده؟ قلبك هيطاوعك يا سارة؟ هو انتِ مش حاسة بيا ولا بحبي، ولا أنا

موهوم؟ ولا إيه؟ فهميني.

همست حين لاحظت نظراته:

أنا بحبك فوق ما تتخيل، بس إحساسي إني متهمة منك انت بالذات وجعني أوي.

همس بسرعة:

ما عاش ولا كان اللي يتهمك يا روح قلبي. حطي إيدك في إيدي ويلا بينا نتجوز علشان خاطري.

أخيرًا، وضعت يدها بيده وخرجا سويًا ليجلسا أمام المأذون، بينما تقابلت نظراته مع هشام ليلاحظ ابتسامته الغريبة وشعور بعدم الارتياح يغمره، ولكن سيطر عليه، فالأيام القادمة كفيلة بتبديد هذا الشعور.

استمر الاحتفال لوقت متأخر، ولكن انسحب هشام بزوجته، وكذلك هايدي وعلاء، حتى سمير غادر لزوجته ليكمل سهرته برفقتها.

حنين وإيهاب، بعد العشاء، تمشيا سويًا على الشاطئ إلى أن وصلا للجسر الطويل الذي سبق وأخبرته عنه. تمشيا سويًا عليه إلى أن وصلا لنهايته. جلسا على الأرض على الحافة والبحر أمامهما ممتد، والسماء فوقهما تلمع بكل تلك النجوم الكثيرة، وكذلك الموسيقى الناعمة تصدح لتضفي سحرًا خاصًا في الأجواء حولهما. أراحت حنين رأسها على كتف إيهاب، تستمتع بسحر اللحظات، فهو أقصى ما تمنته يومًا.

همست بحب:

عمري ما تخيلت إني ممكن أعيش الأجواء دي. انت بتحقق أحلامي يا إيهاب.

نظر لها فوق كتفه مبتسمًا:

مين فينا بيحقق أحلام مين يا حنين؟ ده أنا بعشقك بكل ما فيكِ يا قلبي. ولو في حد كان حلم لحد، فإنتِ أكبر من أي حلم حلمته.

وصل هشام إلى البيت برفقة زوجته وتوجه مباشرة إلى غرفته وبدأ في خلع ملابسه بغضب. تبعته هدير التي علّقت حين لاحظت غضبه المتزايد:

أنا مش قادرة أفهم رد فعلك ده كله ليه؟ إن مكنتش واحدة ما...

قاطعها صارخًا بغضب:

شوفي تاني هترجعي تقولي "واحدة معرفش إيه"؟

صاحت بحدة مماثلة:

انت بتعلي صوتك عليّ علشانها؟

صرخ وهو يمسك ذراعها بعنف:

مش بعلي صوتي علشانها، بعليه لأني مكنتش عايزك تيجي معايا، لكن سيادتك أصريتي ووعدتيني إنك هتتصرفي بعقل، لكن بمجرد ما وصلنا اتعاملتي بمنتهى التخلف! أنا مش قادر أفهم أصلًا تصرفك ده معناه إيه؟ مش فارق معاكِ مستقبلي ولا شغلي؟ مش فارق معاكِ إن ده مديري اللي ممكن يرفدني بسهولة؟ ولا انتِ بتفكري إزاي

أصلًا؟ بس أرجع وأقول: ده مش غلطك، ده غلطي أنا، إني محبتش أزعلك وأخدتك معايا... بس غلط ملحوق.

ترك ذراعها، وانتبهت على غلق باب الحمام بعنف، لتجلس بمكانها مصدومة من غضبه المتزايد عليها.

بعد انتهاء الحفلة، وقفت ابتسام ونظرت لابنتها:

مش يلا بينا يا سارة نروح بقى؟ الوقت اتأخر جدًا.

نظرت لزهير الذي وقف بدوره:

ما تخليكم هنا الليلة يا ست الكل؟ ليه عايزة تروحي؟

علّقت بحرج:

معلش يا ابني، خلينا نروح، مش هينفع نبيت هنا.

تحركت سارة ناحية والدتها:

فعلًا يا زهير، الوقت اتأخر ولازم نروح بقى، هطلب أوبر و...

قاطعها باستغراب مرددًا:

أوبر؟ هوصلك يا بنتي.

اقترحت بحرج:

انت اليوم كله بره وأكيد مجهد وتعبان...

لاحظت نظراته المتهكمة فتوقفت، وأكمل هو:

وإيه كمان؟ متخيلة أسيبك تمشي انتي ووالدتك الفجر من بيتي

لوحدكم؟ وكمان بعد ما بقيتي مراتي كمان؟ يعني بتتكلمي بجد ولا بتهزري؟

عقدت حاجبيها:

بهزر علشان عايزاك ترتاح وخايفة عليك؟

أمسك ذراعها يقودها للخارج:

بتهزري علشان متخيلة إني ممكن أسيبك تمشي لوحدك من عندي.

نظر لوالدتها:

يلا يا ست الكل.

اقترحت ابتسام:

طيب حد من رجالتك يوصلنا.

قاطعها زهير بصرامة ليغلق هذا الحوار:

يلا هوصلكم.

تبعاه دون إضافة المزيد، وسيطر الصمت طوال الطريق. نزلت ابتسام وتركت ابنتها برفقة زوجها، وراقباها إلى أن اختفت من أمامهم. التفت زهير ناحية سارة:

بقى عايزة تطلبي أوبر؟

فركت يديها بتوتر:

مش القصد، بس مكنتش عايزة أتعبك.

اقترب منها وأمسك يديها المتوترة:

تتعبيني؟ ده بجد بقى؟ سارة، بصّيلي هنا.

رفعت عينين خجولة، فهمس هو:

يوم كتب كتابنا، وبعد ما بقيتي مراتي، عايزة راجل غيري يوصلك؟

همست بتوتر:

مفكرتش فيها كده يا زهير.

أكمل عتابه:

لا، وكمان كنتِ عايزة تلغي الليلة كلها أصلًا؟ أنا مش عارف انتي فكرتي إزاي؟ عايزة تسيبيني؟

نفت بسرعة:

لا، بس اتهامك...

قاطعها بضيق:

بطلي تقولي "اتهام" دي. أنا ضايقتني نظراته وتلميحات مراته السخيفة، لكن عمري ما اتهمتك انتي.

نكست رأسها بلوم:

برضه زعلت منك.

رفع وجهها برقة متناهية:

طيب، خليني أصالحك.

رفعت عينيها له:

تصالحني إزاي؟

أمسك ذقنها وجذبها برقة ناحيته:

شاوري وأنا أنفذ.

نظرت لعينيه لترى الحب الصافي، ولأول مرة تشعر بالسعادة بداخلها. فهو يحبها حقًا، يحبها هي دون تزييف ودون مصالح. اقتربت منه وهمست:

تصدقني لو قلتلك إن حبك لوحده كفاية؟ وجودك جنبي كفاية؟ إني أبقى مراتك أكتر من كفاية.

أمسك وجهها بكلتا يديه:

بحبك يا سارة، بحبك فوق ما تتخيلي، يا مراتي وروحي وقلبي.

ابتسمت وأغمضت عينيها ورددت:

قولي "مراتي" تاني.

ابتسم ورددها عدة مرات قبل أن يقترب ويقبّل شفتيها برقة متناهية.

ابتعد عنها وهمس:

افتحي عينيكي، ما تحرمنيش منهم.

فتحت عينيها بتردد، وتقابلت نظراتهما، لتهرب هي من عينيه

خجلًا، وخصوصًا حين علّقت وهي تبحث عن حقيبتها:

مش عايزة أتأخر على ماما.

تحرك معها إلى أن وصلت لباب شقتها وحاولت فتح الباب، ولكن توترها منعها. فأخذ منها المفتاح ليفتح هو بكل هدوء الباب ويعطيه لها، ثم وضع يده على وجنتها:

ياريت كانت دخلتنا النهاردة ومكنتيش تبعدي عني.

ابتسمت بخجل:

ياريت، بس هانت يا حبيبي.

ضمها لقلبه ثم همس بحب في أذنها:

أشوفك أول ما تصحي، كلميني أجيلك.

راقبته وهو يبتعد، ثم أغلقت الباب خلفه لتفزع حين وجدت والدتها خلفها، فصرخت:

حرام عليكي، خضيتيني!

دخلت وألقت حقيبتها على المقعد وجلست بتهالك، تتبعها والدتها مؤنبة:

شوفتي الكلب ده اللي جاب مراته الحفلة؟ بكلمة منه كان...

قاطعتها سارة:

أرجوكي، أنا مش حمل كلام ومناهدة. وبعدين هو مسيطر على مراته، ويخاف مني، ويخاف من زهير كمان. وبعدين طالما بقيت

مراته مش هيقدر ينطق خلاص، وزهير مش هيسمح لحد يتكلم كلمة واحدة في حقي.

اقتربت ابتسام منها:

قوليله على اللي حصل، ولو تلميح، أو حتى إنه ضحك عليكي، قوليله بطريقتك. فساعتها لما حد يجي يفتح معاه أي كلام هيوقفه، لكن لو ما يعرفش حاجة هيسمع، وساعتها هتبقي كدبتي عليه. اسمعي مني يا سارة.

حركت سارة رأسها نفيًا ثم وقفت غاضبة:

انتِ ليه مصرة تنغصي فرحتي؟ قلتلك مش هقوله، اقفلي بقى الحوار ده لو سمحتي.

توجهت لغرفتها وأغلقت الباب خلفها، وبداخلها شعور قوي أن والدتها محقة، لكنها وأدت شعورها قبل أن يسيطر عليها.

استيقظت حنين لتجد زوجها غارقًا في النوم بجانبها. تحركت بخفة كي لا توقظه، أبدلت ثيابها وجلست في الشرفة أمام البحر ومعها هاتفها. نظرت للبحر تستمتع بنسماته، أغلقت عينيها وتذكرت آلاف الروايات التي قرأتها، وابتسمت فهي تعيش روايتها الخاصة، تنعم بالعشق في جنتها الصغيرة. نعم، زوجها أدخلها تلك الجنة التي لطالما حلمت بها وتمنتها.

فتحت عينيها وهاتفت والدها الذي أجاب سريعًا:

حنون، لسه كنتِ على بالي يا روحي. طمنيني عليكِ.

ازدادت ابتسامتها وهي تجيبه:

أنا بخير يا حبيبي. أنا اتصلت أطمنك عليّ، لأحسن ما أردش عليك بعد كده فتقلق عليّ.

استغرب كلامها:

أنا أوردي قلقت كده يا روحي. مش هتردي ليه عليّ؟ انتي فين؟ وإيه صوت الهوا اللي جنبك ده؟

أجابته:

أنا عايشة في قصة حب يا بابا.

ابتسم والدها واستمع لها بهدوء. أكملت بمرح:

إيهاب اتجنن وأخدني السخنة امبارح. يدوب صحيت وهو لسه نايم، فقولت أكلمك قبل ما يصحى وننزل المية. مش هسمع الفون أو هسيبه في الشاليه أكيد، فقولت هتقلق وتكلم هبة أو تروح بيته. هيقولولك ما نعرفش، ولا معرفش أمه ممكن تقولك إيه؟ المهم، أنا مبسوطة، فرحانة، طايرة... أنا كل حاجة حلوة.

أحس عبدالقادر بالسعادة تغمر قلبه وبارتياح شديد حين سمع صوتها المبهج:

يارب دايمًا يا قلبي. بس خلي بالك يا حنون، يا قلبي، الحياة مش بتفضل على طول كده. حبة كده وحبة كده. مش عايزك تاخدي أي صدمات تانية، وعايزك قوية، مستعدة لأي حاجة. إيهاب بيحبك وهيحافظ عليكِ، وهيعمل كل جهده وأكتر كمان، بس...

استمعت إليه باهتمام:

بس إيه؟

أكمل مترددًا:

بس مش هيقدر دايمًا يا حنين. يعني أخدك وسافر، مش هيقدر يعملها تاني إلا يمكن بعد ما أخواته يتخرجوا. أقصد برضه إن الماديات هتطحنه بعد شوية، والرومانسية مش دايمًا بتقدر تظهر وسط ضغوط الحياة. وهو مضغوط جامد وهيتضغط بمجرد ما الدراسة تبدأ. أنا مش بقولك ده علشان أضايقك، أنا بس عايزك تكوني مستعدة للي جاي.

تنهدت بارتياح وطمأنت والدها:

بابا، أنا عارفة الكلام ده كويس. عارفة ضغوط إيهاب، وعارفة الوضع هيكون إيه لما تبدأ الدراسة. فأنا مش حالمة للدرجة اللي كانت ماما بتصورها، ومش مفصولة عن العالم. أنا أكتر واحدة حاسة بضغوط إيهاب، وخصوصًا لما شُفت مامته إزاي بتتعامل معاه هي وأخوه مازن. فأنا متوقعة اللي جاي، بس حابة برضه أطمنك إن في حاجات بتهون علينا صعوبة الأيام. بتخلينا نتحمل ونكمل ونصحى كل يوم نواجه اللي جاي. إيهاب محتاجني في حياته زي ما أنا محتاجاه بالظبط. إحنا بنكمل بعض يا بابا، اطمن يا حبيبي.

اطمأن والدها نوعًا ما وغير مجرى الحديث:

ما قولتليش صح، شُفتِ الدفتر بتاعه ورسمك ولا لسه؟

ضحكت حنين وأخبرت والدها بحرج:

مش عارف يرسمني يا بابا، البكاش ده. يقف قدامي أربع دقايق، وبعدها يرمي الفرشة على آخر دراعه ويجي يقولي: "لسه مش دلوقتي لما أتعوّد تكوني جنبي". مقاومته ضعيفة، الراجل ده.

ضحك الاثنان، وعلّق والدها بحب:

هو بيحبك ولسه محتاج شوية وقت يستوعب إنك في حضنه وإنك مش هتطيري منه ويشبع منك. أصلًا هو رسمك من عقله في أوضتك، فأكيد هو قادر يرسمك.

استغربت حنين:

مين قالك إن دي أنا؟

ابتسم والدها:

هو في أب يتوه عن بنته؟ هي دي حنين اللي طايرة فوق السحاب والورود والفراشات حواليها. طول عمري بشوفك كده، ولما شفت الرسمة، إيهاب ساعتها دخل قلبي لأنه قدر يشوفك زي ما وصفتك له. شافك بقلبي ودخلتي قلبه. عنيه كانت بتلمع كل ما اتكلم عنك. صابرين مش قادرة تفهم إزاي وافقت يتجوزك، ولا هتفهم حاجة زي دي لأن دي لغة قلوب، مش الكل يفهمها. إيهاب فاهمها كويس وعارف يترجمها ويطلعها في رسومات فوق الرائعة. إيهاب شايف حنين زي ما أنا بشوفها بقلبي، وده خلاني وثقت فيه. واثق إنه مستعد يقدم روحه لو طلبتيها وبابتسامة كمان.

علقت حنين:

تعرف إني بحبك أكتر حد في الدنيا؟ إيهاب دخل وراك على طول.

ابتسم والدها:

دخليه معايا في نفس المكان. ما تقلقيش، قلبك هيساعنا. حبنا مش هيتضارب، حبيه واسمحي له يحبك.

استمر حديثها مع والدها إلى أن أحست بدخول أحد موظفيه، فأنهت معه المكالمة. نظرت للداخل، مازال إيهاب يغط في نومه. راقبته عدة دقائق ومدت يدها ناحيته، ولكن توقفت. فهو منذ تزوجها ونومه قليل، فلتدعه ينعم بنومه ويستيقظ حين يريد. تركت هاتفها بعد أن أغلقت الصوت كي لا يزعجه، وتوجهت للشاطئ لتتمشى قليلًا.

استيقظ إيهاب من نومه وحرك يده بجانبه ليتفاجأ بأنه بمفرده. فتح عينيه وناداها بصوته، ولكن دون مجيب. تلفت حوله، وتبخر النوم من عينيه. أمسك هاتفه ليتصل بها، ولكنه تفاجأ بهاتفها يومض بجانبه.

تحرك للشرفة بالخارج يبحث عنها بعينيه. ارتدى ملابسه على عجالة وتوجه للخارج يبحث عنها، فربما تتمشى على شاطئ البحر.

لم يجدها على الشاطئ، فوقف في حيرة من أمره. أخيرًا، قرر أن يتوجه ناحية ذلك الجسر، فلقد أعجبها السهر عليه البارحة. ابتسم حين رآها شاردة تمامًا تنظر للمجهول أمامها، والهواء يداعب شعرها فيتطاير خلفها وكأنها لوحة فنية أمامه.

اقترب منها بهدوء، فهو يريد حفظ تفاصيل تلك اللحظة كي

يرسمها لاحقًا. فجأة، تراجع وأسرع ناحية غرفتهما وأحضر دفتره. فلقد قرر رسمها.

اقترب منها قدر المستطاع، وجلس على مقعد خلفها وشرع في رسمها وابتسامة رضا تزين وجهه.

تململت حنين في وقفتها وتعجبت: لمَ لم ينام إلى الآن؟ أخيرًا قررت إيقاظه. تحركت لتتفاجأ به يجلس على مقربة منها، فاقتربت منه مسرعة، بينما ابتسم وأغلق دفتره وهو يقف لاستقبالها بحب. وقبل أن يفتح فمه، عاتبته بغضب مصطنع:

انت بجد قاعد ورايا وسايبني لوحدي؟ ده بجد؟

مد يده إليها، ولكن ضربته على يده:

مخصماك أصلًا، ما تلمسنيش لو سمحت.

ضحك وهو يمسك ذراعها ويجذبها لصدره:

روح قلبي، ما اقدرش أصلًا على زعلك. حقك عليّ بجد، بس الرسم ده بالذات حالة بتتملكني. لما شوفتك واقفة بالشكل ده كان لازم أرسمك.

نظرت له بتهكم:

بأمارة الرسمة اللي في أوضتنا اللي مش عارف تخلصها وكل يوم تعمل خط فيها؟

ضحك مجددًا، لتلاحظ أن الضحكة تنير وجهه وتزيد وسامته:

حبيبتي، قلبي الصغير لا يحتمل. أعمل إيه بقى؟ أما بشوفك كده،

مش بعرف أرسم. عقلي بيتوقف في نقطة واحدة فقط، مش بعرف أتخطاها.

تظاهرت بالغضب:

عقلك في إيه، هاه؟

فجأة، تساءلت:

إيهاب، هو انت مش بتحب بينا غير الموضوع ده؟

اختفت ابتسامته وتحدث بجدية:

لا طبعًا، يا روحي. مش هكدب وأقولك إنه مش مهم أو مش بحبه أو أي كلام كتير، بس يا حنين...

فكر للحظات كي يصيغ كلامه:

بحس إن الموضوع ده أكتر شيء بيقربنا لبعض. بنندمج أنا وانتي في كيان واحد، بننصهر مع بعض، بنتنفس أنفاس واحدة. مش عارف أفهمهالك إزاي، بس في الموضوع ده بحسنا واحد، مش اتنين.

ابتسمت وتبخر غضبها المزيف. وضعت كلتا يديها حول عنقه:

ده نفس إحساسي. هو فعلًا بيقربنا من بعض أوي.

أكد إحساسها ثم ضمها مجددًا:

ليه ما صحيتينيش معاكِ؟ مش عايزين نضيع لحظة واحدة بعيد عن بعض. حنين، أنا مش عارف الإجازة دي هنعرف ناخد زيها إمتى تاني، فبلاش نضيع وقت واحنا بعيد عن بعض. بعدين افتقدتك لما

صحيت وما لقيتكيش في حضني.

رفعت وجهها تعاتبه:

ده إحساسي كل يوم تصحى وتسيبني وتنزل شغلك لآخر النهار وتسيبني لوحدي.

قبّل أرنبة أنفها قبل أن يهمس:

غصب عني. أصحيكي وأسيبك وأنزل إزاي؟ هيبقى أصعب بمراحل، غير إنك هتقومي والنوم هيطير من عنيكي، مش بتهوني عليا.

همست بحب:

وده كان نفس إحساسي لما صحيت. الفترة اللي فاتت بتسهر جنبي طول الليل وبتنام ساعة أو ساعتين وتصحى تنزل شغلك النهار كله، إزاي عايزني في إجازتك أكون أنانية وأصحيك؟

رفع يده لوجنتها وداعبها بحب:

تصحيني علشان عارفة إن وجودي معاكِ وإنتِ في حضني بالشكل ده أفضل من ألف ساعة أنامها. وجودي معاكِ أهم بمراحل.

أجلسها بجانبه. استرخت في جلستها وأمالت رأسها لتلمس يده التي استقرت فوق كتفها، تداعب عنقها تارة وكتفها تارة. سألته بفضول:

وريني الرسمة اللي كنت بترسم فيها.

نظر إلى دفتره وفتحه لترى انعكاسها وشعرها المتطاير خلفها.

ثبتت نظراتها على عينيه:

لو قلتلك عايزة أتفرج عليه كله، هتوافق؟

ابتسم بحرج:

حبيبتي، الدفتر طول الوقت على التسريحة في أوضتنا، ما شيلتوش منك.

أجابته:

حسيته زي مذكراتك الخاصة، فمكنش ينفع أتطفل عليه بدون إذنك.

ابتسم عرفانًا بتصرفها:

هو فعلًا زي مذكراتي الخاصة، بس أنا وإنتِ واحد مش اتنين، فمفيش عندي خصوصيات عنك.

أعطاها الدفتر لتتصفحه بحب وإعجاب واضح. لفت انتباهها عجوز يقف على الطريق منحني الظهر وعكازه بيده. التفتت إليه:

ما تقوليش إنك سيبته يعدي الطريق لوحده ووقفت تتفرج عليه علشان ترسمه؟

ابتسم وهو يجيبها:

أكيد لا يا حبي. عرضت أساعده وآخد بإيده، بس هو رفض وفضل واقف كده. معرفش كأنه منتظر حاجة مش هيعدي. فضلت واقف كتير منتظره يعدي بحيث أعدي جنبه، بس فضل واقف، فنسجت حكاية في دماغي إنه منتظر حاجة من زمن وكل يوم بينتظرها،

فرسمته.

ابتسمت وهي تتخيل ذلك العجوز:

تلاقيه منتظر حبيبته أو ابنه اللي سافر.

أومأ موافقًا:

ممكن فعلًا.

استمرت تتصفح دفتره لتنتبه إلى فتاة جميلة في المترو، تقف في الزحام وترفع يدها لتتمسك بتلك اليد المعلقة كي تحفظ توازنها. نظرت حنين لعينيه:

حلوة البنت دي. كلمتها؟

تعجب من سؤالها:

وهو كل ما حد يشوف بنت حلوة يكلمها؟

علقت بتهكم:

أمال بيرسمها يعني؟

علق بحرج:

أكيد مش الكل بيرسم. كل واحد بيعمل حاجة مختلفة عن التاني. كملي وما تعلقيش على كل صورة كده.

أعجبت للغاية بوردة مرسومة ونظرت لعينيه:

حلوة أوي الوردة دي.

صاحت فجأة:

دي هبة أختك، صح؟

استغرب تعجبها:

هي، بس ليه اتفاجئتي كده؟

لا، بس محدش بيعجب بأخته. الأخوات دول الواحد بيتخانق معاهم بس.

علق بمرح:

ده حقيقة، بس ما يمنعش إن هبة أنا بحبها كتير. أصلًا بعتبرها بنتي، مش أختي.

وافقت بحب:

بحس كده فعلًا وبحب علاقتكم ببعض. الأخ لما يكون حنين بيكون نعمة كبيرة من ربنا. يعني بحب علاقتك إنت وهبة، هايدي ومعتز. بس على النقيض كان في أميرة وأمجد.

عبس حين ذكرت اسمه دون أن يعلق على حديثها وتركها تكمله:

كان سيئ كأخ نفس سوءه كزوج. يوم فرحنا، في حد سلم عليها للحظة واختفى وهو شافه. بعد ما روحنا قلب الدنيا عليها وضربها ومسح بيها الأرض، لدرجة إني خوفت منه. ياريتني كنت أصريت أمشي ساعتها.

سألها إيهاب بفضول:

ليه ضربها؟

أجابته وهي تتذكر تلك الليلة:

بحجة إنها بتستغفله وحد تبعها بيسلم عليها. بعدها أقنعني إنها بنت ولازم يخلي باله منها وإن أخلاقها مش كويسة، فهو لازم يفضل منتبه. صدقته أو عملت نفسي مصدقاه.

علق بتعاطف:

دي اللي حضرتي فرحها وكنتِ عايزاني آجي معاكِ؟

وافقت بإيماءة خفيفة واستطردت:

زميلها اتقدم لها، وكالعادة أمها لا بتهش ولا تنش، وقالتلها: أخوكي. وهو رفض بدون سبب. قال لما يطلع يبقى يجوزها بمزاجه، بس هي كانت عارفة إنه لو طلع هتفضل تحت رحمته. فأصرت تتجوز. راح أقنع أمها تحط لها منوم في المية وحبسوها وعملوا فيها زي ما عملوا فيا، لولا حبيبها شك إنها محبوسة وعرف يطلعها. كانت هتموت فيها لأن العلاج اللي حطوه مع قلة الأكل عملها هبوط حاد بالدورة الدموية، ولو اتأخروا كان ممكن قلبها يقف.

تنهدت وأكملت:

بابا كان مواعدها لما أنقذتني إنه على بعد مكالمة منها. فطلبت مننا نحضر، لأن مفيش حد معاها من عيلتها. أخوها محبوس، وأمها مش عايزاها بعد ما كانت هتقتلها. فمقدرتش أقولها لأ.

سألها بحب:

ليه ما قولتليش ساعتها؟ ليه سيبتيني أتخبط في الظلمة وأفتكر إنك بتحبيه؟

طأطأت رأسها بخجل:

كنت خايفة تسيبني.

رفع رأسها لتواجهه:

إزاي أسيبك وليه؟

علقت بحرج:

كنت مقتنعة بكلام أمجد إن العيب فيّ، وإني باردة، وإن ده مرض، ومحدش هيتحملني. وصدقته إني مش جميلة. خوفت يكون ده رد فعلك. فعشان كده حطيت الشرط ده بينا، لأني خوفت ترفضني زيه.

رفع يدها يقبلها بعشق وله:

ما كنتيش بتشوفي العشق في نظراتي ليكِ يا حنين؟ إزاي ما حسيتيش بحبي في كل حاجة بعملها ليكِ؟

تمتمت بحرج:

خوفت أصدق.

همس برقة:

صدقي إنك أجمل حاجة في الكون ممكن تحصل لبني آدم. إنك أجمل عوض من ربنا على كل حاجة مريت بيها من يوم ما اتولدت للنهاردة.

ابتسمت بخجل وأكملت تتصفح دفتره هربًا من نظراته. انتبهت إلى صورتها وهي تقف بالشرفة حين رآها لأول مرة، فهتفت بسعادة:

دي أنا؟

ابتسم بخجل:

دي إنتِ، أول مرة شوفتك فيها. صورتك اطبعت في خيالي.

قبّلت وجنته بفرحة، وتفاجأت حين وجدته يكرر تلك الرسمة مرات ومرات، وهتفت بتعجب:

انت بطلت ترسم حاجة تانية بعدها؟

علق بحب:

لقيت ضالتي اللي كنت بدور عليها عمري كله. هرسم غيرها ليه؟

أضاف بينما هي تتصفح:

مش هتلاقي غيرك بعد كده.

ضحكت وهي ترى انعكاسها في ورقات دفتره، وهي تضحك، وهي تعبس، وأخيرًا صُدمت حين وجدت نفسها عارية في سريرهم. نظرت إليه بصدمة فضحك وهو يأخذ الدفتر من يدها:

أنا بقول كده كفاية.

لم تترك الدفتر من يدها:

لا، اصبر أشوفها كويس، علشان دي مش أنا.

عبس وهو يعلق:

انتِ هتستعبطي؟ وهو أنا عندي غيرك؟

أصرت وهي تفتح الدفتر:

أيوه، أنا مش دي.

تركها تتأمل في صورتها، ثم نظرت إليه بشك:

إيهاب، دي مش أنا وده مش جسمي. انت راسم آلهة الجمال عند الإغريق والأساطير القديمة، مش فاكرة كان اسمها إيه؟

ابتسم وهو يذكرها:

كان اسمها أفروديت أو فينوس، بس دي انتِ يا حنون قلبي.

حركت رأسها برفض قاطع وهو يؤكد:

حبيبتي، دي انتِ، انتِ بالجمال ده.

تقبلت على مضض:

ممكن أصدق إنك شايفني كده، لكن مش هصدق إن دي أنا أبدًا.

نظر إليها مطولًا قبل أن يتكلم بثقة تامة:

مش أنا اللي شايفك كده وبس، انتِ بالفعل كده، ملكة جمال، آلهة الجمال لو ينفع نقول ده. بطلي شك في نفسك وفي جمالك. انتِ الصورة مش مدياكِ نص حقك حتى، فالصورة ظلمتك كتير، لأنك أجمل منها بكتير. أكيد أنا مش بالبراعة اللي هعرف أنقلك بالظبط، فثقي لما أقولك إنك أجمل من كده بمراحل.

أغلق دفتره ووقف، ثم جذبها لتقف بدورها:

تعالي نقعد على السلم اللي في آخر الجسر ده ولا ننزل المية؟

في صيدلية والد حمزة

تقف حور منهمكة في توزيع بعض الأدوية التي استلمتها في آخر طلبية، ليقطع تركيزها صوت تحفظه:

اللي يشوفك منهمكة يقول دكتورة بجد!

نظرت إليه مطولًا قبل أن تهتف بضيق:

وهو أنا مش دكتورة يعني بجد ولا إيه؟

تراجع معتذرًا:

مش القصد يا حور. أقصد إنك لسه تحت التدريب ولسه قدامك سنة على التخرج، يا قمر.

علقت معترضة:

حتى لو، يا معتز. وبعدين بلاش قمر دي، احنا هنا في مكان شغل. لو جاي علشان حمزة، فهو مش هنا. هو في صيدليته.

أومأ بحرج:

عارف، أنا بس كنت قريب فقولت أعدي أسلم عليكِ، مش أكتر.

ابتسمت بمجاملة:

متشكرة يا معتز. أخبار هايدي إيه؟ وطنط وعمو؟

دار حديث بسيط بينهما قطعه وصول بعض الزبائن للصيدلية،

لتنشغل حور في خدمتهم، فيضطر معتز إلى الانسحاب بإحباط.

توجه لسيارته وجلس فيها محبطًا، فهو غير قادر على لفت انتباهها بأي طريقة ممكنة.

مر اليومان سريعًا ليستعد كليهما للعودة للقاهرة، اتصل عبد القادر بابنته لتجيبه وتتحدث معه قليلًا قبل أن تغلق الصوت في هاتفها وتوجه حديثها لزوجها: إيهاب بابا بيقول انتظروني هو جاي لهنا.

تعجب إيهاب: ننتظره فين؟ نحجز يوم كمان قصده؟

فتحت حنين الصوت لتسأل والدها: بابا انت قصدك نمد يوم كمان؟

استمعت لوالدها: لا يا قلبي أنا على وصول ما تحجزوش يوم كمان انتظروني في الفندق، سلموا غرفتكم براحتكم وانتظروني لحد ما أوصل بس كده.

انهت المكالمة بحيرة ونظرت لزوجها: تفتكر هو عايز ايه ولا جاي ليه؟

وقف إيهاب يغلق الحقيبة: هنعرف بعد شوية مش بيقول على وصول، يلا الراجل كل شوية يرن علشان نسلم الغرفة

تحركت برفقته وهي تتعلق بذراعه وتوجها للاستقبال لتسليم بطاقة الغرفة ثم جلسا سويًا يتسامران بحب في انتظار وصول عبد القادر.

وصل عبد القادر واتصل بحنين ليخبرها انه داخل صالة الاستقبال

فتوجهت هي و زوجها لمكانه ليتفاجئ كليهما بصابرين وحور برفقته وبعد السلام اقترح عبد القادر: طبعًا مستغربين أنا كلمتكم ليه؟ أنا عارف انكم ماشيين النهاردة فقولت أعدي عليكم آخدكم وننزل شرم الفندق اللي بنروحه كل سنة ناخد يومين كمان؟ أنا آسف يا إيهاب بس أنا حجزت 3 غرف لينا قولت اعتبرها هدية جوازكم، ممكن؟

تبادل إيهاب وحنين نظرات متوترة فهو لا يعلم موقفها وهي كذلك لا تعلم موقفه، انتظر عبد القادر للحظات قبل أن يقترح: فكروا لحد ما ندخل الحمام لحظة ونجيلكم.

راقب إيهاب عبد القادر يبتعد برفقة زوجته وحور ثم نظر لحنين: حابة تعملي ايه؟

علقت بحيرة مماثلة: معرفش براحتك.

- حبيبتي عايزة تروحي معاهم

قاطعته وهي تمسك ذراعه: يا نروح مع بعض يا نرجع مع بعض؟

علق بضيق وتردد: روح قلبي اعتقد أنا ومامتك مش هنتفق مع بعض فروحي انتِ..

قاطعته برفض قاطع: حبيبي هنفضل مع بعض، النقاش مرفوض، نروح معاهم ولا نروح بيتنا؟

فكر للحظات قبل أن يعلن: لو حابة تروحي هروح معاكِ.

ابتسمت وهي تهتف فرحًا: ربنا ما يحرمني منك أبدًا.

ابتسم لفرحتها وهو يعلم يقينًا أنه لن يتفق مع والدتها لكن تكفيه فرحتها.

توجه خمستهم إلى السيارة ليخرج عبد القادر المفاتيح ويعطيها لإيهاب مقترحًا: سوق انت خليني أريح أنا.

تحركت حنين لتجلس بالخلف بجانب أختها و والدتها ولكن تفاجئت بوالدها يمسك ذراعها: اقعدي جنب جوزك و أنا هقعد جنب مراتي يلا.

تحرك إيهاب بالسيارة واقترح عبد القادر: افتحي يا حنين الكاست ولا الراديو ولا شغلي أي حاجة بدل الصمت ده.

مدت يدها ليمنعها إيهاب: اياك تشغلي الراديو

ضحكت حنين: نشوف حظنا يا هوبا

رفض بمزاح: حظي وعارفه هتوه عنه يعني؟ شكرًا

علق عبدالقادر: ايه اعتراضك على الراديو؟

وضحت له حنين الموقف السابق ثم فتحت الراديو بإصرار: حظنا اتغير بجوازنا، خلي عندك ثقة بده.

تنهد باستسلام: ربنا يسترها.

مر الطريق سريعًا وحنين لم تقطع حديثها للحظة مع إيهاب الذي يستمع إليها بحب بينما باقي عائلتها يراقبانهما بصمت ويتساءلان هل حقًا الحب قد أعاد حنين لسابق حالميتها؟

استقر الجميع في غرفهم واتفقوا أن يتقابلوا وقت العشاء في

المطعم، هتفت حور: اهم وصلوا

توجهت الأنظار الى كليهما ولاحظ عبدالقادر السعادة تشع من عيني ابنته.

بعد العشاء جلست العائلة أمام حمام السباحة لتهتف حور بملل: تعالي يا حنين نشوف الحفلة اللي الفندق عاملها؟ بيعملوا فقرات حلوة

نظرت حنين لزوجها ليبتسم لها فوقفت: يلا تعالي

راقب إيهاب زوجته تتحرك برفقة اختها ثم انتبه على عبدالقادر ولكن لم يسمعه جيدًا فاعتذر منه: بقولك ده الدفتر اللي حنين كان نفسها تشوفه؟

ابتسم بحرج: هو فعلًا

مد يده: ينفع أشوفه ولا في حاجات خاصة؟

قبل أن يجيبه تدخلت صابرين: وهو الرسم والشخبطة فيها خصوصيات ايه؟

علق إيهاب: ممكن راسم حاجة مش عايز حد يشوفها؟ اكيد طبعًا الرسم فيه خصوصيات.

علقت برفض: واحد زيك ايه الخصوصيات اللي ممكن تكون عنده مش عايز حد يشوفها؟

تدخل عبدالقادر بصرامة: هو حر انتِ هتشاركيه يعني ولا ايه؟ ده ايه التدخل ده؟

أشارت صابرين على فمها: سكت خالص اهو – نظرت لإيهاب بتهكم- خبي دفترك عنه طالما فيه أسرارك.

تنهد عبدالقادر بضيق واعتذر من إيهاب الذي ابتسم وهو يفتح دفتره: اتفضل هو فيه بس كام صورة الباقي عادي.

تصفح عبدالقادر العديد من الرسومات ثم أغلق الدفتر: إيهاب انت موهوب فعلًا، انت لازم تستفاد بموهبتك دي.

علق بحيرة: استفاد ازاي يعني؟

قاطعهم وصول حنين التي تلهث وأمسكت ذراع إيهاب: قوم معايا الحفلة لذيذة، بابا يلا الفقرات اللي بيعملوها حلوة

اعتذر والدها فهو يريد الجلوس بهدوء وشجع إيهاب على اللحاق بها، راقبهما يبتعدان ثم نظر لزوجته: بطلي تضايقي في جوز بنتك وتتعمدي تقللي منه.

علقت بتهكم: وهو أنا محتاجة أقلل منه؟ هو قليل لوحده

استمرت السهرة لفترة طويلة وحور تراقب حنين وإيهاب وهي تتعجب كيف تحولت أختها من قمة السعادة لقمة اليأس ثم أعادها إيهاب مجددًا للحياة، لقد فقدت الأمل أن تشاهد ضحكتها ولكنها الآن تشع بالسعادة.

في الصباح استيقظت حنين وهمت بارتداء لباس السباحة حين طرقت بعقلها فكرة مجنونة، لباس السباحة مكون من قطعتين احدهما كبدلة الغطس باكمام طويلة وأرجل طويلة بينما القطعة الأخري فهي تشبه الفستان القصير بحمالات رفيعه تلبس فوق

القطعه الاخري، خبأت حنين القطعة الطويلة واكتفت بارتداء ما يشبه الفستان القصير وخرجت لزوجها الذي اقترب مقبلًا إياها: مش هتلبسي بقى ننزل نفطر علشان ما نتأخرش عليهم؟

امسكت طرف فستانها القصير: أنا لبست يا حبيبي، ده المايوه بتاعي عايزة انزل المية شوية النهاردة.

نظر إليها مطولًا قبل أن يعلق ببساطة: حنون قلبي مش عايزين نتأخر عليهم يلا البسي بقى.

اصرت: بقولك لابسة أهو، قصدك اجيب حاجة فوقه؟ لحظة البس الكارتيجان.

أحضرت ما يشبه الروب الخفيف المصنوع من خيوط كشبكة فقط، نظرت إليه: كده تمام؟ يلا

تحركت ناحية الباب ليمسك هو ذراعها بجدية: انتِ بتلبسي ده بجد تنزلي بيه المية؟

أومأت بموافقة فعلق هو: لا يا قلبي ده ولا تفكيرك ولا مكانتك أصلًا

استغربت: يعني ايه مش مكانتي دي؟ ده مجرد مايوه عادي في ألعن منه ألف مرة.

علق متعجبًا: في ألعن منه فعلًا بس في أفضل منه، بعدين يا قلبي حرام تكشفي نفسك بالشكل ده أنا مرضهاش ليكي نهائي.

علقت بحرج: ربنا يهديني يا إيهاب بس أنا مش محجبة حتى

فعادي.

علق باستغراب: وهو علشان مش محجبة تتمادي في الغلط يا روح قلبي؟ لا يا حنون الواحد بيدعي ربنا يقربه خطوة منه مش تبعدي بالشكل ده، جسمك غالي أوي ما ينفعش يتكشف بالشكل ده - جذبها لصدره ورفع وجهها تواجهه - غير كده انتِ ترضيلي حد يشاركني فيكي بالشكل ده؟ أنا قلبي ما يقبلش، جسمك ده ليا لوحدي يا حنين ارجوكِ ما تسمحيش للرجالة كلها تشاركني فيه، بحبك لدرجة مش هستحمل ولا غضب ربنا عليكِ ولا نظرة الرجالة لجسمك، فعلشان خاطري ما تنزليش كده.

ابتسمت بحب وتذكرت غيرة أمجد المرضية والفرق بينه وبين إيهاب ورقة مشاعره وغيرته، علقت: اديني دقيقتين هلبس طيب.

قبلها وتحرك ينتظرها بالشرفة فارتدت القطعة الناقصة وفوقها الفستان ونادته ليبتسم: كنتِ بتشتغليني صح؟

ضحكت وامسكت ذراعه: كنت عايزة أشوفك هتغير عليا؟ وهتعمل ايه لما تغير؟

ابتسم وهو واثق من مقارنتها له و زوجها السابق.

بعد تناول وجبة الإفطار توجهت العائلة للشاطئ وتمددت حنين على الشيزلونج لتغط في نوم عميق خلال لحظات، جلس إيهاب بجانبها بينما علق عبدالقادر: أنا هفضل جنبها قوم انت انزل المية أو العب في الألعاب المائية دي مش لازم تفضل قاعد جنبها.

ابتسم بعرفان: متشكر يا عمي بس أنا مرتاح كده، هرسم شوية

ابتسم عبدالقادر وراقبه وهو يخرج دفتره ويبدأ الرسم فيه وتعجب حين وجده ينظر من حين لآخر لابنته فتيقن أنه يرسمها، ابتسم وتذكر حين أخبره ان الدفتر به صور خاصة فلربما رسم ابنته وهي بين ذراعيه.

راقب عبدالقادر حور وهي تمرح بحمام السباحة وتشير إليه من حين لآخر بينما يبحث بعينيه عن زوجته التي اختفت.

عادت حور لتهتف بوالدها: بابا تعال انزل معايا المية، عايزة حد يلعب معايا اتعرفت على فريق بيلعبوا كورة في المية محتاجة حد معايا، يلا تعال.

رفض عبدالقادر وأمام اصرارها وجه نظره لإيهاب: ما تقوم يا إيهاب ادخل الفريق بتاعها وخلصني من زنها؟

تفاجئ إيهاب بطلب عبدالقادر ونظر لزوجته النائمة فعلق والدها: زي ما قولتلك أنا قاعد جنبها قوم انت – همس بمزاح- ابوس ايدك قوم وخلصني من زنها.

علقت حور بغضب: على فكرة سمعتك يا سي بابا.

ضحك هو وإيهاب الذي وقف بدوره: بتلعبي إيه؟

حور بحماس: بنلعب كورة زي ما انت شايف الفريق اللي يحتفظ بالكورة أطول وقت هو اللي فايز.

وضع دفتره بجانب زوجته وخلع التيشيرت الذي يرتديه لتتفاجئ حور بعضلاته هي وعبدالقادر ثم توجه برفقتها لحمام السباحة لتتولى حور مهمة تعريفه باصدقاءها وتبدأ اللعبة في جو صاخب

مرح.

استيقظت حنين لتبحث بعينيها عنه فعلق والدها: لقيته متذنب جنبك قولتله يقوم يلعب شوية بالمية.

نظرت تجاهه وابتسمت حين لاحظت ضحكاته ونظرت لوالدها: بجد فضل متذنب جنبي؟

اومأ موافقًا ثم أشار لدفتره: اعتقد كان بيرسمك.

فتحت حنين الدفتر على آخر رسمة لترى صورتها فتبتسم ورفعت الرسمة لوالدها كي يبتسم بدوره: فنان بجد، مبسوطة معاه يا حنين صح؟

اتسعت ابتسامتها وهي تغلق الدفتر وتضعه مكانه بجانبها: إيهاب حد جميل جدًا يا بابا.

وقفت: أنا هروح ادلدل رجليا في المية.

راقبت زوجها بحب وتمني ومشاعر كثيرة مختلطة ولاحظت تلك الفتاة تقترب منه وتتعمد ملامسته بحجة الكرة عقدت حاجبيها بضيق ازداد حين اقتربت تلك الفتاة مجددًا من زوجها فعبست بتلقائية: أنا هروح اعلن ملكيتي للراجل ده بدال ماهو مطمع.

راقبها بابتسامة ليقطع أفكاره وصول صابرين لتجلس أمام زوجها وتنظر ناحية بناتها فتعلق بتهكم: ياما نفسي أعرف عاجبها فيه ايه؟ عضلاته اللي فرحان بيها ولا شكله؟

علق عبدالقادر بتهكم: وهو أمجد كان شكله وحش؟ ماهو كان

وسيم

اعترضت صابرين: بس مكنش زي إيهاب بعضلاته دي.

نفى عبدالقادر: بنتك ما بتحبش شكله ولا عضلاته بنتك بتحب حنيته وطيبة قلبه وحبه لها فهمتي؟

قاطعهما وصول تيم الذي رحب بعبدالقادر وجلس برفقتهما وهو يتساءل عن حال حنين بعد طلاقها فهي في اخر مرة كانت مكتئبة محطمة ليعلق عبدالقادر بفرحة: حنين بخير واتجوزت، هي قدامك اهي قاعدة على حمام السباحة وجوزها اللي معاها ده.

توجهت انظار تيم الى مكانها ليقع نظره على زوجها فيسأل: هو ده جوزها؟ اخباره ايه معاها؟

علق عبدالقادر بابتسامة: الحمدلله إيهاب شخص فنان احساسه مرهف.

ابتسم تيم: فنان؟ هو ده اللي ينفع مع شخصية حنين، جوزها الأولاني كان بشع، سوري يا عمي بس فعلًا كان..

قاطعه عبدالقادر: الحمدالله إن ربنا خلصها منه ورزقها إيهاب

عادت حور بضجيجها المعتاد برفقة اختها وزوجها

انتبهت حنين على صوت والدتها: شوفي مين معانا يا حنون؟

نظرت حنين تجاههم لتبتسم بمجاملة: تيم! ازيك

ابتسم تيم: الحمدلله يا حنين انتِ عاملة ايه؟ ومبروك على جوازك، مبروك يا عريس، عمي لسه قايل انكم عرسان، حنين بنت جميلة

تستاهل كل خير.

ابتسم إيهاب وهو ينظر إليها: دي حقيقة تستاهل الكون بما فيه.

استمر الحديث لفترة من الوقت قبل أن يقف تيم معتذرًا: أنا لازم أشوف شغلي بقى، حنين السعادة لايقة عليكِ ربنا يسعدك، إيهاب فرصة سعيدة بجد وبتمنالك حياة طويلة كلها حب وفرحة، حنين تستاهل كل خير.

بعد انصرافه تحرك عبدالقادر مع حور لاحدى الألعاب المائية بينما سأل إيهاب زوجته: تيم ده تعرفوه من زمان؟

انتبهت صابرين ورفعت رأسها تواجهه بهجوم: ليه بتسأل؟ ولنفترض؟ ايه وجه اعتراضك ولا..

قاطعها مسرعًا باستغراب: ايه ايه حيلك عليا ده مجرد فضول، حسيته عارفكم من زمان وبيتكلم بعشم، ليه الهجوم ده؟

عقدت حنين حاجبيها بضيق: نعرفه من سنين كتيرة فعلًا.

- أضافت بضيق -أنا هطلع أوضتي أغير هدومي المبلولة دي.

وقف إيهاب لتمنعه: خليك براحتك مش لازم تيجي معايا

نظر لعينيها: أنا هاجي معاكِ بدال ما تطلعي لوحدك

ابتسمت تمنعه: خليك مش هتأخر

راقبها تبتعد وهو متعجب من ضيقها ورفضها لرفقته

انتبه على صوت حماته: قالتلك خليك براحتك ولا هو لازم

تقولهالك صريحة حل عني؟ سيبها تتنفس شوية من غيرك مالك لازق فيها حتي وهي نايمة لازق فيها؟

تعجب إيهاب من هجوم حماته الأخرى الغير مبرر: أنا مش لازق فيها، هي براحتها طبعًا.

- فين راحتها وانت طابق على أنفاسها بالشكل ده؟ حتى وهي نايمة قاعد فوق راسها؟ ودلوقتي طالعة تغير هدومها تقول طالع معاها؟ ده اسمه ايه لو مش طابق على أنفاسها؟

أجابها باقتضاب: اسمه اهتمام أو حب أو

قاطعته بتهكم: اسمه تحكم وبس ما تزوقوش الكلام باهتمام وحب والحاجات دي لأن الكلام ده ما بياكلش معايا أصلًا.

إيهاب لم يجد بدًا من المجادلة أمامها فوقف: بعد اذنك أنا هطلع أريح شوية

علقت بتهكم: تريح؟ ليه؟ هاه؟

وضح بضيق: عايز أنام شوية، سهرانين امبارح كتير وصاحي بدري فحابب أنام، ممكن ولا حضرتك عندك مانع؟

علقت بتهكم: وأنا همانع ليه؟ اطلع يا اخويا ألزق فيها براحتك لتطير منك ولا – نظرت إليه بتهكم – قبل ما تطير منك، اكيد مسيرها هتفوق من الهبل ده وتعرف قد ايه غلطت في حق نفسها بجوازتها دي، تقدر انت تجيبها في مكان زي ده ليلة واحدة حتى؟ ولا هتفضل تيجي سفلقة وبرشطة علينا كل مرة؟

وقف إيهاب معلنا انتهاء ذلك الجدل العقيم: أنا وافقت آجي علشان خاطر عمي طلب إن حنين تكون معاكم وهي رفضت تيجي لوحدها، ده السبب الوحيد

عارضته برفض: لا طبعًا السبب انك مش هتقدر تجيبها مكان زي ده ولا تحلم تدخل مكان زي ده فشبطت فينا، اهو تعيشلك يومين ببلاش وتشوف الناس عايشة ازاي

فتح فمه للرد عليها ولكن تراجع فلا جدوى من محاولة اقناعها: بعد اذنك يا حماتي اعتقد الكلام ده مالوش لازمة.

تركها لتتفاجئ بحور خلفها: ليه عملتي كده؟

نظرت لابنتها: عملت ايه؟ اتبليت عليه ولا اتكلمت غلط؟ قولت الحقيقة مش أكتر

عارضتها حور: بس بابا فعلًا هو اللي طلب منه يجي وحنين شرطت عليه لو مجاش مش هتيجي فلو هو وافق يجي فعلشانها

علقت بتهكم: انتِ هتعملي زي أختك وتصدقي الأوهام دي؟ الحب يا حبيبتي وهم الرجالة بتضحك بيه علي البنات مش أكتر، هي أختك اتجوزت أمجد ليه؟ مش علشان عاشت في وهم الحب؟ إيهاب برضه هتوصل لنفس النتيجة بس بعد شوية، إيهاب لسانه معسول وفنان وده بيأثر عليه لكن شوية وهتفوق وتصطدم بالواقع.

علقت حور بغضب: اللي هو ايه بقى الواقع؟

أجابتها بضيق: أنه مش هو اللي هيسعدها ومحيلتوش وفقير وبكرة الدراسة تبدأ ومصاريفه تزيد هتبقى تيجي تغني ظلموه.

دخل إيهاب غرفته ليجد حنين واقفة بمنتصف الغرفة فعلق بعد دخوله: عايز امشي ينفع؟

تعجبت من طلبه: تمشي؟ ليه؟ فاضل بكرة وبعده وهنمشي كلنا

نطق أول ما خطر بباله: الأسطى طلعت كلمني و...

قاطعته برفض قاطع: أرفض كلها يومين وهنرجع براحتك لكن اليومين دول انت بتاعي فلو سمحت.

تنهد بضيق: لو سمحت ايه؟ وبعدين انتِ ايه اللي ضايقك وطلعتي بالشكل ده ليه؟

علقت بضيق: ليه بتسأل عن تيم؟

تعجب من سؤالها: فضول مش أكتر، فيها إيه؟

أغمضت عينيها وجلست على طرف السرير فاقترب منها: أبوكِ قال انكم بتيجوا هنا باستمرار فهل ده معناه انك جيتي هنا مع أمجد؟

نظرت إليه بحدة متعجبة فوضح: أي حاجة بتضايقك يا حنين بيكون ليكي ذكرى معاه، إيه الذكرى المرادي؟

ظلت تنظر إليه بضيق يتزايد ودموعها تهدد بالنزول ومرة واحدة دون أي مقدمات وقفت أمامه و جذبته لحضنها: ينفع تاخدني في حضنك وبس؟

أمسكت طرف قميصه لتساعده على التخلص منه وتجذبه ليدخلها جنتهما الخاصة وتخرج من تلك الحالة التي سيطرت عليها.

بعد فترة وهي مسترخية بين ذراعيه علق بحب: مش هتقوليلي برضه؟

استمر الصمت لفترة قبل أن تتنهد حنين وتخبره: دي كانت بداية النهاية، دي المرة اللي كسرلي فيها الضلعين اللي وريتهملك.

شدد يديه حولها بينما سردت له ماحدث يومها بالتفصيل ليسمعها بانتباه شديد.

أمسك وجهها بيديه ليمسح دموعها: أمجد صفحة وانتهت يا حنين، حاولي تنسي ذكرياتك دي وياريت تبطلي تقارنيني بيه، أنا هغير عليكي وبغير عليكي بس مش بالشكل ده ولا الأسلوب ده يا روحي، أمجد كان انسان مريض وكل ما بتتكلمي عنه بيزيد يقيني انه مش شخص طبيعي أبدًا، فحاولي تنسيه.

ضمها لقلبه بحب وظل يهدهد فيها إلى أن غرقت في النوم.

حاول النوم بدوره ولكن لم يستطع فانسحب من جانبها وقرر أن يتمشى قليلًا على الشاطئ.

توجه ناحية الشاطئ لتوقفه صابرين وهي تقف برفقة تيم فنادته ليقترب منها: خير يا ست الكل؟

علقت وهي تنظر خلفه: حنين فين؟

أجابها: نايمة شوية حضرتك محتاجاها؟

نفت بسرعة: لا، محتاجة أعرفك على تيم.

تعجب ونظر إليه مجددًا قبل أن يعيد نظراته إليها: احنا اوردي

اتعرفنا على بعض، تعرفيني عليه ازاي؟

تدخل تيم في الحوار بينهما: قصدها تقولك إني المفروض كنت خطبت حنين بس....

نظر إيهاب إليه بصدمة: افندم؟ - وجه حديثه لحماته – نعم يا حماتي حضرتك عايزة ايه مني معلش؟

تكلمت بحدة: تطلق حنين وتسيبها تشوف حياتها.

سيطرت الصدمة عليه لعدة لحظات قبل أن ينطق: أسيبها؟ أنا لما دخلت بيتك حنين اللي بتتكلمي عنها كانت حطام، مجرد حطام قافلة حياتها وعايشة جسد مفيهوش روح، دلوقتي بعد ما رجعت تعيش من تاني عايزة تدمريها وترجعيها لنقطة الصفر؟

تكلمت بحدة في وجهه: واهي رجعت سيبها بقى تختار هتكمل ازاي، انت عارف كويس انك مش هتقدر تحقق احلامها ولا هتقدر تقدملها أي حاجة انت حتى معندكش بيت تعيشها فيه، ما تخلينا نخرج من الأحلام ونرجع لأرض الواقع شوية.

تجاهل إيهاب الوجع الذي يغزو قلبه ونظر تجاه تيم: وهو اللي هيقدر يحقق أحلامها؟ اللي شغال بيرقص في فريق الانيميشن في فندق؟

علقت صابرين بغضب: سيبها انت بس ومالكش فيه، مش بتقول بتحبها؟ سيبلها حرية الاختيار.

علق بتهكم: حضرتك متخيلة اني لو مشيت هي هتختار تطلق مني؟ ولا متخيلة إني بجبرها تفضل معايا؟ ولا متخيلة ايه بالظبط؟

صابرين بوقاحة: الدعوة للفندق كانت لبنتنا انت جيت ليه معرفش، فكل اللي بقوله إن ولا حنين ولا عبدالقادر هيقدروا يقولولك امشي مش عايزينك معانا، الرحلة لعيلتنا بس وانت متطفل علينا، لو قادر تاخد أوضة بفلوسك مش هنطق حرف لكن طالما قاعد على قفانا فبقولهالك صراحة مش عايزينك معانا، ايه بقى؟ اتفضل روح اشتكي لحنين ولا أبوها و قولهم حماتي طردتني؟ اتفضل يلا؟
- نظرت تجاه تيم – يلا يا تيم من هنا.

تركته واقفًا مكانه وتحركت برفقة تيم الذى علق بضيق: حضرتك جرحتيه جامد يا طنط، انتِ واثقة في قرارك ده؟ انتِ عارفة اني طول عمري بعتبر حنين وحور زي أخواتي

علقت صابرين بضيق: آخر مرة جينا فيها مع أمجد ضربها هنا في الفندق وكسرها واخدها ومشي بالليل، انت تحب ان ده يتكرر تاني؟ إيهاب مش شخص مناسب أبدًا لحنين ده نقاش اتجوزته عنادًا فيا مش أكتر، كل اللي عملته اني قولتله يمشي وهي تستمتع بأجازتها معانا وبعدين ده جلنف عديم الاحساس لو بيحس مكنش قبل أبدًا يجي معانا على قفانا، ما تشغلش بالك بيه المهم حنين.

تحرك إيهاب لغرفته دخلها بهدوء، راقب حنين وهي غارقة في نومها توجه ناحيتها ومد يده لايقاظها ولكن بم سيخبرها؟ هل يشكو لها ما قالته والدتها؟ هل يزيد من خلافهم وشجارهم؟ صابرين تشبه والدته لحد كبير فلقد سبق وتقبل والدته فلم لا يتقبل حماته؟

وقف وقد حسم أمره وتوجه ناحية الدولاب ليجمع ملابسه بمنتهى الهدوء ويخرج دفتره يكتب لها ((حبيبتي اعذريني فلقد

اضطررت للنزول للقاهرة، لم استطع رفض طلب الاسطى طلعت فاعذريني، ولم اجرؤ على ايقاظك فستثورين حتمًا فاخترت الهرب، اعذريني حبيبتي، اراكِ في القاهرة قريبًا))

وضع الورقه بجانبها وتحرك بخفة أغلق الباب خلفه وتوجه للمحطة كي يستقل أول باص للقاهرة.

***

7

استيقظت حنين من نومها لتجد الظلام يحيطها، نادت إيهاب عدة مرات قبل أن تتيقن أنها بمفردها. مدت يدها لتشعل الضوء بجانبها، بحثت بعينيها عن هاتفها لتتفاجأ بتلك الورقة بجانبها. ابتسمت، فهي بالتأكيد من حبيبها، فتلك عادته قبل أن يتحرك من جانبها. قرأتها لتختفي ابتسامتها ويحل محلها الغضب الذي تزايد بداخلها. فهل سافر حقًا وتركها بمفردها دون أن ينطق حرفًا معها؟

وقفت لتحضر هاتفها، وبعد أن نظرت لاسمه لتهاتفه تراجعت بغضب، فهي لن تحدثه أبدًا. كيف استطاع السفر دون أن يخبرها، حتى ولو من باب العلم بالشيء؟ لمَ هانت عليه فتركها؟

ألقت الهاتف من يدها، فهي لن تحدثه ولن تعاتبه حتى.

ارتدت ملابسها واهتمت بزينتها قبل أن تتوجه لتناول العشاء برفقة عائلتها. اتصلت بحور، عرفت مكانهم، وانضمت لهم. سألها عبد القادر بحب: "إيهاب فين يا حنون؟"

علقت بغضب: "سيادته سافر القاهرة."

ابتسمت صابرين ولكن أخفت ابتسامتها بسرعة، بينما تفاجأت حور ووجهت نظرات غاضبة لوالدتها دون أن تنطق حرفًا، بينما سألها عبدالقادر بحيرة: "سافر إزاي وإمتى؟ طيب ليه مقالش؟"

انفجرت حنين بغضب: "تخيل عرفني بورقة الأستاذ، بورقة يا بابا؟ نزل بدون حتى ما يتكلم معايا. أصلًا هخاصمه، مش هكلمه تاني أبدًا."

ابتسم عبدالقادر وربت على يدها بحب، فذلك شجار المحبين: "حبيبتي معلش، تلاقيه غضب عنه بس، تلاقي الأسطى طلعت كلمه واتحرج يرفض."

اعترضت ابنته بغضب: "وأنا؟ هو عارف إن بكرة الدراسة هتبدأ وهيبقى صعب ياخد إجازة. غير إن أنا إجازتي هتخلص وهرجع لشغلي. يبقى ليه يرجع؟ وفوق كل ده إزاي ما يتكلمش معايا؟ قال إيه هربت من غضبك. بني آدم رخم، بكرهه أصلًا، أنا غلطانة أحبه."

علقت صابرين بتهكم: "متوقعة إيه من نقاش هاه؟ هيفهم في الذوق؟ ولا هيقدر مشاعرك؟ ولا..."

قاطعها عبدالقادر: "اسكتي إنتِ، عندك كلمة كويسة قوليها، ما عندكيش اسكتي."

صاحت بغضب: "اسكت ليه؟ طبيعي نقاش بيجري ورا لقمة عيشه مش هياخد إجازة ويقعد يتسرمح ويدور يشحت. فسيادتها وافقت تتجوزه يبقى تستحمل ظروفه، مش من أول مرة جاية تعيط وتقول معرفش إيه."

تمنت حور لو انفجرت بوالدتها وأخبرت أختها عن حوارها مع زوجها وطردها له، ولكن ستشعل النار في الجميع. فلتنتظر الآن، وستخبرها فيما بعد.

وصل إيهاب القاهرة وتوجه لبيته بمفرده، لتقابله والدته: "مراتك فين يا إيهاب؟"

علق بشكل عابر وهو يتوجه لغرفته: "مع عيلتها، سافروا شرم،

هتاخد يومين معاهم."

أوقفته بتهكم: "وماروحتش معاهم ليه؟ اوعى يكونوا طردوك يا حيلتها؟"

نظر إليها بغضب: "علشان ورايا شغل. عندك مانع؟ ولا تحبي أسافرلهم وأسيب شغلي؟ إيه رأيك؟ كام ساعة وهكون معاهم؟"

تراجعت دون أن تنطق حرفًا، فعلق هو: "أيوه، دلوقتي نسكت. طالما فيها شغل وفلوس، نسكت. أنا داخل أرتاح يا أمه، بعد إذنك."

توجه لغرفته الموحشة، ألقى بحقيبته أرضًا، وعقله يسترجع ما أخبرته به حماته. فتساءل، هل تسهر الليلة برفقة تيم؟ هل أتاحت حماته الفرصة لينفرد تيم بزوجته؟ اشتعلت نيران الغضب والغيرة بقلبه ولام نفسه. كيف استطاع تركها بمفردها وسافر؟

أمسك هاتفه ليحادثها ونظر لاسمها مطولًا قبل أن يغلقه؛ فبم سيخبرها؟ هل يشكو والدتها؟ هل يطلب منها أن لا تسهر برفقة ذلك الرجل؟ هل يثور ويغضب أم يبتلع كبرياءه ويصمت، فهو لا يملك شيئًا بيده؟

رن هاتفه ليجيبه بسرعة: "كنت لسه هكلمك يا أسطى."

ابتسم قبل أن يجيبه: "يعني هتنزل معانا بكرة؟ أقبل الشغلانة الجديدة؟"

أجابه بثقة: "اقبل، أيوه. محدش بيقول للرزق لأ."

أغلق هاتفه وخرج للشرفة ينظر للمجهول أمامه، وعقله يحيك له

المؤامرات التي تعدها والدة زوجته لتقربها من ذلك التيم.

حاولت حنين السهر برفقة عائلتها، لكن فكرها ظل مشغولًا بزوجها. لماذا سافر بتلك الطريقة؟ وكيف استطاع السفر دون أن يخبرها؟ اعتذرت منهم وتوجهت لغرفتها مبكرًا، حتى رفضت أن تسهر أختها برفقتها.

انقضى النهار طويلًا ومملًا، فقرر عبد القادر العودة للقاهرة، فالجميع متوتر وعلى أعصابه. وصلوا آخر الليل، فنظر عبد القادر لابنته: "حنون، نوصلك بيت جوزك ولا هتعملي إيه؟"

أجابت صابرين بدلًا منها: "هتروح تعمل إيه بالليل كده؟ وتلاقي جوزها نايم والبيت كله نايم. خليها تيجي معانا، والصباح رباح، خليها."

نظر عبد القادر لابنته: "هاه يا حنون؟ تخليكي معانا يا بابا للصبح؟"

وافقت ابنته على مضض، فهو لم يهاتفها حتى ولو مرة ليسأل عنها.

دخلت غرفتها، وأحست بالغربة. لقد افتقدت غرفتها في بيت زوجها ولامته لتركه إياها بتلك الطريقة. وتساءلت للمرة الألف، كيف هانت عليه؟ وكيف استطاع السفر دونها؟

استيقظت بعد نوم متقطع ومزعج للغاية. خرجت من غرفتها لتجد نفسها بمفردها في البيت، فالجميع توجه لأشغاله، وبقيت هي وحدها. أحست بالملل والفراغ، وفكرت للمرة المائة بالاتصال

بزوجها، لكنها لم تستطع محادثته.

انهمك إيهاب في عمله، ومن وقت لآخر يتفقد هاتفه. هل انتهى شحنه؟ هل الصوت مفتوح؟ لماذا لم تتصل به ولو مرة لتطمئن حتى على وصوله للقاهرة؟ كيف استطاعت الاستمتاع بإجازتها دونه؟ لقد تخيل أنها ستلحقه أو تتصل به لتثور عليه، لكنه لم يتوقع أبدًا ذلك الصمت القاتل.

اجتمعت العائلة على مائدة الغداء في بيت حنين، والصمت يغلفهم حتى قطعه عبدالقادر: "حنين، هتكلمي إيهاب يجيلك ولا أوصلك أنا لبيتك؟"

اتجهت الأنظار إليها، وقبل أن تجيب والدها، تدخلت صابرين: "إنت ليه عايز تمشيها بأي طريقة؟ كنت بتتجنن لما أمجد يرفض يجيبها أو يرفض تبات، دلوقتي عايز تطفش البنت بأي طريقة؟"

غضب عبدالقادر لاتهامها: "أنا عمري ما هتضايق من وجودها، بس مش عايزها تفضل موجودة هنا لو هي زعلانة مع جوزها. حنين، آخر مرة كلمتي جوزك إمتى؟ وعرف إنك في القاهرة ولا لسه؟"

نظرت حنين للأرض وتمتمت: "مكلمتوش ولا مرة." وقبل أن يعترض والدها، صاحت بضيق: "وسيادته أصلًا مكلمنيش ولا مرة. مش عارفة إزاي هِنت عليه يسيبني ويمشي؟ هو مشي يا بابا من غير حتى ما يقولي، من غير ما يصحيني. متخيل؟ يلم هدومه ويسيبني نايمة ويمشي؟ مش هسامحه أبدًا على الحركة دي."

علق عبدالقادر: "يا حبيبتي، كان المفروض اتصلتي بيه وعرفتي

هو ليه مشي؟ كلميه، اعرفي أسبابه قبل ما تاخدي قرار بالزعل."

رفضت بعناد: "مش هكلمه. هو اللي سابني ومشي. مش هكلمه أبدًا، ومش هعرفه إني رجعت. خليني أشوف آخره إيه."

اعترضت حور: "بس يا حنين، كلميه..."

قاطعتها صابرين: "حور، ما تدخليش لو سمحتي. أبوكِ عايز يطفشها وخلاص، ما تبقيش إنتِ وأبوكِ كمان."

وقف عبدالقادر وقال بحزم: "حنين، كلمي جوزك، مش هقولك تاني. وما تسمعيش كلام والدتك، لأحسن هتخربها عليكِ. إنتِ عارفة إني بتمنى ما تفارقنيش العمر كله، بس ابتسامتك وضحكتك اختفوا مع إيهاب. فلو وجودك معاه هو اللي بيسعدك، خليكِ معاه. ده اللي أمك مش عارفة تستوعبه، إن سعادتك أهم عندي من أي اعتبارات تانية."

راقبت صابرين زوجها إلى أن سمعت صوت إغلاق باب غرفته، ثم نظرت لابنتها: "أوعي يا بت تكلميه. اعملي لنفسك كرامة. ماعدش غير النقاش ده اللي هتعمليله قيمة كمان وتحايليه."

وقفت حنين وقالت: "أنا أكلت الحمد لله، بعد إذنكم."

ثم توجهت هي بدورها لغرفتها.

أنهت هايدي عملها وقررت مفاجأة علاء في مقر عمله، فتوجهت إلى هناك مباشرة. دخلت المبنى وسألت عنه إلى أن وصلت إلى مكتبه وسط مجموعة من المكاتب. وقفت تراقبه مبتسمة، لكنها تفاجأت بإحدى زميلاته تقترب من مكتبه وتخبره شيئًا ثم تضحك

بصوت عالٍ. انحنت مرة أخرى وتحدثت وهي تنظر إلى عينيه مباشرة قبل أن تصرخ أنها فقدت شيئًا ما، لتنحني تحت مكتبه تبحث عنه بمساعدة علاء نفسه.

اقتربت هايدي عدة خطوات ووقفت أمام مكتبه، راقبته وهو منحني مع زميلته، التي انتبهت لها وقالت: "نعم؟ عايزة حاجة؟"

رفع علاء نظره ليتفاجأ بهايدي، فوقف بسرعة مهللًا: "هايدي؟ إزايك؟"

اقترب منها، لكنها ابتعدت خطوة للخلف وهي تنظر له بصدمة. سألها بتعجب: "إيه يا روحي مالك؟"

وقفت زميلته بدورها وهتفت: "لقيته أخيرًا."

ثم اقتربت من علاء قائلة: "ممكن تساعدني يا علاء وتقفله كويس علشان ما يقعش تاني."

نظرت هايدي لما بيدها، ثم نظرت لخطيبها الذي برر موقفه: "ده الحلق بتاع إنجي زميلتي وقع تحت المكتب."

تدخلت إنجي بغنج: "علاء، اقفله لو سمحت."

علقت هايدي بتهكم: "آه، اقفلهولها لو سمحت يا علاء، لاحسن يقع منها تاني، بعد إذنك."

تركته غاضبة، فلاحقها مسرعًا: "هايدي حبيبتي، اقفي هنا، في إيه طيب؟ فهميني؟ هايدي؟"

لكن قبل أن يصل إليها، أغلقت باب المصعد في وجهه وهي تنظر

إليه بغضب. خرجت بالأسفل، وأوقفت أول تاكسي، وألقت بنفسها داخله. نظرت خلفها لتجد علاء يخرج من المبنى وينظر نحوها بحيرة.

وصلت بيتها غاضبة، حاولت داليا إيقافها، لكنها توجهت لغرفتها مباشرة وأغلقت الباب بعنف. دخلت داليا خلفها قائلة: "في إيه؟ ومالك واخدة في وشك بالشكل ده؟"

ألقت هايدي حقيبتها بغضب: "سيادته قاعد بيتمرقع في شغله." ثم حاولت تقليد تلك الفتاة: "ممكن تقفلهالي يا علاء؟" أكملت بغضب: "قفلوه عليكِ يا بعيدة، قال يقفلها قال."

راقبتها داليا متعجبة من غضبها، وانتظرتها تنهي حديثها قبل أن تعلق بهدوء: "ممكن تفهميني بقى إيه اللي حصل؟"

نظرت لهايدي وقالت: "قولت أعدي على علاء زي ما قولتلك."

أومأت والدتها، ثم حثتها أن تكمل. قصت هايدي عليها ما رأت، ثم ختمت حديثها بتهكم صارخة: "شوفتي البجاحة؟"

قالت داليا بهدوء: "وإنتِ عملتِ إيه؟"

ردت هايدي: "قولتله اقفلها يا حبيبي، لاحسن تقع منها، وسيبته ومشيت. هعمل إيه يعني؟"

اقتربت منها والدتها قائلة: "طيب اهدي. دلوقتي علاء لسه راجع من بره، فممكن يكون متعود على التعامل بحرية، ومش بعيد تلاقيه جاي مش فاهم أصلًا إنتِ مالك أو إيه اللي مضايقك. فتكلمي معاه قبل ما تاخدي قرار الزعل والغضب منه، فهميه اللي مضايقك أولًا.

ولو الموقف اتكرر منه، ساعتها خدي موقف."

قاطعهما رنين جرس الباب، فهتفت هايدي: "تلاقيه هو، مش عايزة أقابله يا ماما دلوقتي. أصلًا لو قابلته هرمي دبلته في وشه، الواحد مش ناقص."

خرجت داليا لفتح الباب لتجده بالفعل علاء يلهث: "هايدي وصلت يا ماما؟"

سألته بعد أن رحبت به وأدخلته: "إيه اللي حصل بينكم يا علاء؟ وليه هايدي جاية بغضب الدنيا فيها؟"

شرح علاء الموقف من وجهة نظره: "زميلتي إنجي كانت بتتكلم معايا وهي أسلوبها شوية أوفر، بس بعرف أوقفها عند حدها لو تمادت. جت اتكلمت معايا وحلقها وقع تحت المكتب، فذوقيًا ساعدتها تلاقيه. وساعتها هايدي وصلت، ومعرفش اتجننت ليه ومشيت. ينفع أقابلها؟"

نظرت إليه داليا مطولًا قبل أن تقول: "حبيبي، لازم تراعي حبيبتك في تصرفاتك. وقبل ما تحكم على موقف عادي أو مش عادي، اعكس الأدوار وشوف هتتقبله ولا لأ؟ لو تقبلته يبقى عادي، لو لأ يبقى تقدر غيرتها. فهل لو شفت راجل قاعد على مكتبها عمال يتمايص وينزل معاها تحت المكتب، هتتقبل ده؟"

عقد حاجبيه بضيق لمجرد التخيل، فربتت على ذراعه: "شوفت بقى إن مجرد التخيل يضايق؟ فما بالك لو شفتها بالشكل ده؟ حبيبي، حافظ على مشاعرها علشان تقدر تحافظ عليها وعلى حبها."

قال علاء بحرج: "طيب، ينفع أشوفها يا ست الكل؟"

نظرت إليه مطولًا قبل أن تعلق: "هشوف، وإنت وحظك."

خرجت هايدي غاضبة: "أفندم؟ نعم؟ جاي ليه؟ ما فضلتش مع الهانم ليه تتمرقع معاها شوية؟"

انسحبت داليا لتترك لهما المجال، بينما اقترب علاء منها: "حبيبتي، هي مايصة حبتين، بس صدقيني بعرف أوقفها عند حدها كويس و..."

قاطعته باستنكار: "كل ده وبتعرف توقفها؟ أمال الحد عندك إيه لو كل ده مش تجاوز؟ إيه، تاخدك لفة في أوضة النوم ولا إيه؟"

نظر إليها مطولًا وهو يحاول السيطرة على أعصابه: "حبيبتي، هي بتتكلم عن مشروع شغالين عليه، واتريقت على موقف كان حصل النهاردة. قصة الحلق اللي وقع، معرفش المفروض كنت عملت إيه؟ يعني واحدة حاجة وقعت منها تحت مكتبي، أقولها إيه؟ ماهو ذوقيًا هساعدها. ولا كان المفروض أعمل إيه؟"

علقت غاضبة: "كان المفروض تقوم تبعد عن مكتبك وتقولها اتفضلي شوفيه براحتك. يا إما تقولها ارتاحي إنتِ، وأنا هشوفهولك. لكن تنزل معاها سيادتك، فده اللي مرفوض."

أحس بالغباء لوهلة، فهو لم يفكر بتلك الطريقة. اقترب منها وقال: "طيب، في دي عندك حق. بس صدقيني مجاش الحل ده في دماغي نهائي. فحقك عليا، غلطة لن تتكرر إن شاء الله. ينفع تسامحيني على الغلطة الغير مقصودة دي؟"

ظلت عابسة يسيطر عليها الغضب. اقترب أكثر ورفع وجهها لتواجهه: "حقك على قلبي، بجد. سامحيني يا روحي، والله ما فكرت فيها بالشكل ده خالص. فسامحيني بقى."

حركت رأسها برفض: "أيوه، اصرفها منين أنا بقى سامحيني دي؟ مش لاقيالها صرفة عندي."

أمسك ذراعها بحب: "والله، والله، والله كمان مرة، لو حسيت إن ده ممكن يضايقك أصلًا، كنت تعاملت بشكل مختلف تمامًا. فمعلش، سماح المرادي. ولو اتكررت تاني، يبقى ليكِ الحق عليا، تمام؟"

قبّل كتفها بحب: "خلاص بقى، ما يبقاش قلبك أسود يا روحي. حبيبك غلط، ما تعلقيلوش المشنقة بقى."

انفرجت أساريرها قليلًا، فهتف بفرحة: "أيوه، أيوه، هتفرج أهي! خلاص بقى يا هايدي، ما يبقاش قلبك حجر كده."

نظرت إليه بتحذير: "اعتبره جنان، اعتبره أنانية، اعتبره زي ما تعتبره. بس لو هتتكلم مع واحدة أو تسمح لواحدة تقرب منك بالشكل ده، مش هسمعك تاني يا علاء. في نقاط مش هعرف أتنازل ولا أسامح فيها. مش هقدر أتقبل واحدة تشاركني فيك."

ردد بذهول: "تشاركك مرة واحدة يا هايدي؟ حبيبتي، أنا بحبك إنتِ وبس. فمش معنى إني اتكلمت مع واحدة ولا هزرت معاها إن دي مشاركة ليكِ يا روحي."

علقت بضيق: "لما تقعدلك على مكتبك وتقرب تهمسلك وتلمس كتفك وتلمسك بالشكل ده، فده مش مقبول. معرفش إنت بتبرر في

إيه أصلًا."

قبّل يديها عدة مرات: "حقك عليا، مش هتتكرر تاني. خلاص؟"

أومأت موافقة، فكررها: "سماح يعني المرادي؟ طيب، تعالي نتغدى مع بعض يلا."

سحبت يديها من يده برفض: "لا، خلاص بقى. مش هقدر أنزل تاني بعد ما وصلت البيت. اقعد اتغدى معايا هنا."

حاول إقناعها بالخروج دون جدوى، وانتهى بهما الأمر بتناول الغداء سويًا في البيت.

مر اليوم طويلًا على إيهاب وهو يجاهد نفسه كي لا يتصل بها، فهو في انتظار اتصالها هي. أنهى عمله وتحرك ناحية بيته بفتور وملل، وأخيرًا قرر الاتصال بها. استمع للجرس عدة مرات، وقلبه ينبض بعنف في انتظار سماع صوتها إلى أن سمعها أخيرًا: "ألو."

تماسك قبل أن ينطق: "ألو، السلام عليكم. إزايك يا حنين؟"

تعجبت من بروده، وتمنت لو تصرخ به، لكنها حاولت أن يخرج صوتها طبيعيًا ومتهكمًا قدر المستطاع: "أهلًا."

تعجب من برودها، وتساءل: هل استطاعت والدتها إقناعها بتيم؟ أجلى حنجرته قبل أن يسألها: "بكلمك علشان أسألك، هتيجوا إمتى؟ الصبح إن شاء الله ولا إيه؟"

أجابته ببرود: "جينا أصلًا."

توترت نبضات قلبه ورفرف بداخله. فهل هي بالطريق إليه؟ أم

تنتظره بالبيت ربما؟ سألها بحيرة: "إنتِ بالبيت يعني؟ جيتوا إمتى؟"

ردت بفتور: "جينا امبارح بالليل، وآه أنا في البيت." أضافت بتهكم: "بيت بابا."

لجمته الصدمة قليلًا. لمَ هي في بيت والدها؟ هل اقتنعت أخيرًا أن قرار زواجها منه كان خاطئًا؟ أذلك سر برود حديثها معه؟ هل ستطلب منه حريتها الآن؟ هل يستعد لسماع هذا؟ هل ستتركه أخيرًا؟

سمع صوتها تقاطعه: "إنت سامعني؟"

أجلى حنجرته مجددًا: "آه سامعك. ينفع أسألك، هتيجي إمتى؟ أو أجيلك إمتى أخدك؟ أجيلك دلوقتي؟"

نبض قلبها بعنف، ولكن لا، لن تستمع لقلبها. نطقت بكل برود: "لا، ما تجيش. مش عارفة هاجي إمتى، وإذا كنت هاجي أصلًا ولا لأ."

صدمته مجددًا عبارتها تلك. قلبه ينبض بعنف يؤلمه. هل ما بينهما وهم ينتهي بتلك البساطة؟

أخيرًا استطاع النطق: "تمام، لما تقرري بلغيني بقرارك. مع السلامة."

أغلق الهاتف، لتنظر هي إليه بذهول. كيف استطاع إغلاق المكالمة بتلك الطريقة؟ كيف تقبل خسارتها بهذه البساطة؟ ألا قيمة لها على الإطلاق؟ ألن يتمسك بها ولو قليلًا؟

توجه إيهاب لبيته هربًا من مواجهة والدته، فدخل غرفته مباشرة،

أخذ ملابسه واغتسل سريعًا قبل أن يهرب إلى سطح البيت. تأمل النجوم، متعجبًا من تقلبات الزمن، فيوم له، والكثير الكثير عليه.

خرجت حنين من غرفتها غاضبة ليوقفها والدها: "رايحة فين كده يا حنين؟"

أجابته بغضب: "هنزل أتمشى شوية بدل ما أفرقع في البيت."

خرجت حور على أثر صوتها: "تعالي معايا نشتري شوية حاجات لأمك من البقالة. بس هتفرقعي ليه؟ خير؟"

صاحت أختها بحدة: "تخيلي البارد، بقوله مش جاية البيت وبفكر ما أرجعش أصلًا، يقولي براحتك! ولا ليه؟ ولا حاول حتى يتمسك بيا؟ للدرجة دي ماليش أي قيمة عنده؟ معقولة فرضت نفسي عليه؟ معقولة محبنيش أصلًا؟ كنت موهومة فيه؟ معقولة قلبه مش بيوجعه زيي في كل لحظة أنا بعيدة عنه؟"

لمعت دموعها وهي تكمل: "معقولة موهومة من تاني، والحب ملوش وجود؟"

نزلت دموعها التي جاهدت لمنعها. حمحمت حور قبل أن تنطق بتردد: "حنين! كنتِ سألتيه ليه سافر أصلًا؟"

مسحت دموعها بعنف وتحدثت من بين دموعها: "علشان ما بيحبنيش، وعلشان شغله وإخواته أهم مني."

مسحت دموعها مجددًا، بينما نظرت إليها حور بتردد لاحظه والدها، فسألها: "حور، إنتِ عارفة حاجة ومخبياها؟"

نظرت حنين لأختها بترقب: "في حاجة حصلت يا حور؟"

صاح والدها: "حور، لو تعرفي حاجة انطقي حالًا!"

توترت حور: "ماما قالتله إن وجوده مش مرغوب فيه وطردته. وقالتله إن الدعوة لحنين بس، وهو مش مرغوب في وجوده. وقالتله إنه جاي على قفانا لأنه عمره ما يقدر يدخل مكان زي ده بفلوسه. وشوفتها تاني معاه هي وتيم، بس ما سمعتش قالتله إيه، لأنه بعدها، أعتقد، مشي."

استمعت حنين لأختها قبل أن تمسك ذراعها بغضب: "إخص عليكِ يا حور، يعني عرفتي إن ماما طردته، وشوفتيني زعلانة منه وما اتكلمتيش؟ إخص عليكِ بجد! إنتِ ليه مش بتوقفي جنبي خالص؟ ليه يا حور مش بتهمك سعادتي؟"

حاولت حور الدفاع عن نفسها: "ماما قالت نديكِ فرصة تقضي إجازة معانا وأنا..."

قاطعتها حنين بغضب: "اسكتي! مش عايزة أسمع منكِ أي مبررات."

خرجت صابرين من غرفتها لتلاحظ التوتر بينهم: "في إيه؟ مالكم؟ حصل حاجة؟"

سألتها حنين وهي تمسح آثار الدموع: "إنتِ قولتي إيه لإيهاب؟ مشيتيه من الفندق؟"

نظرت لابنتها بصدمة، ولحور بعتاب، بينما علق زوجها: "انطقي يا صابرين حالًا، قولتي إيه للراجل؟ مشيتيه؟ وأياكِ تخبي حرف

واحد."

تغلبت على توترها وصاحت بغضب: "قولتله وجوده مش مرغوب فيه، ولو قادر يدفع تمن أوضة يخليه، لكن ما يقعدش متطفل على غيره. غلطت في حرف واحد؟ مش هو جاي يتطفل علينا؟"

وقف عبدالقادر غاضبًا لدرجة فاقت الوصف، واقترب منها: "قولتيله إيه تاني؟ وإيه دخل تيم بالموضوع؟"

عقدت حاجبيها بحيرة، فابنتها لم ترَ تيم، فلم ذكره؟ انتبهت على صياح زوجها: "أقسم بالله إن ما نطقتِ وقولتِ كل كلمة قولتها للراجل لتكوني طالق يا صابرين!"

شهقت صابرين، وبناتها كذلك. وتدخلت حنين: "بابا، لو سمحت، بلاش."

هدر والدها بغضب مقاطعًا إياها: "اسكتي إنتِ يا حنين دلوقتي. هي أصلًا ساءت فيها أوي، ما هي عدت أول مرة عادي، فليه ما تزودهاش؟ انطقي يا صابرين، قولتي إيه تاني؟ وإيه دخل تيم؟ وما تنسيش حلفاني بالطلاق."

أجابته زوجته وهي تنقل نظراتها بين ثلاثتهم: "قولتله لو راجل يطلقها ويسيبها للي يستاهلها. ولما رفض، قولتله يسيبها ويمشي ويسيبنا إحنا نقنعها."

سألها بترقب: "تقنعيها بإيه بالظبط؟"

صمتت، فصرخ بها: "انطقي! تقنعيها بإيه؟ وبمين؟ بتيم؟"

أومأت برأسها موافقة، فتعجب: "وهو كان تيم طلب منكِ تتكلمي نيابة عنه؟ طول عمره بيعتبرهم إخواته، إيه اتغير؟"

علقت بتوتر: "أنا اللي طلبت منه يقول كده قدامه."

أغمضت حنين عينيها وهي تتخيل وقع كلام والدتها عليه، وإهانتها مرة تلو الأخرى لزوجها. نظرت لوالدتها بوجع: "ليه؟ إنتِ بتوقفي دايمًا ضدي ليه؟"

أمسكت صابرين ذراعيها: "علشان هو مش مناسب. ماشي أمجد وحش، بس هو أوحش. هو مش هيلاقي يأكلكِ، مش يصرف عليكِ. حنين، أنا بتمنالك تعيشي أسعد واحدة مع إنسان يستاهلك. تخيلي صاحبتك هايدي تتجوز مهندس بادئ شركته الخاصة الصغيرة، وبكرة يكبرها. والثانية سارة اللي بتتجوز نائب مدير البنك. وإنتِ إيه؟ نقاش؟ حتى ما حصلش موظف في أي مكان؟ إنتِ إزاي عامية بالشكل ده؟ ليه مغمضة عنيكِ؟ أنا مش قادرة أتقبله زوج لبنتي. إنتو إزاي قابلينه؟"

نظرت لصغيرتها: "حور، إنتِ تقدري تقولي لصحباتك في الجامعة أختك جوزها نقاش؟"

نظرت لحنين: "إنتِ معزمتِش أي حد من أصحابك ليه في فرحك عليه؟ هل هيجيلك البنك في مرة ياخدكِ قدام الكل؟ هتعرفيه إزاي؟ جوزي النقاش؟"

نظرت لزوجها: "إنت هتستقبله بمكتبك ويدخل موظفينك تقولهم جوز بنتي النقاش؟ ردوا عليا يمكن أكون أنا مجنونة؟ إنتو إزاي

دافنين راسكم بالرملة زي النعام؟ ها يا عبدالقادر، انطق. هي الحياة حضن وكام بوسة؟ هي الحياة تلخصت في علاقة جنسية؟ هو قدملها إيه غير ده؟ مش ده اللي عرف يسعدها فيه؟ هل ده مقوم من مقومات الحياة الصحيحة؟ يمكن أكون غلط في تفكيري العقلاني طول الوقت، لكن كمان مش الصح التفكير بمشاعرنا وبس. حد فيكم ينطق ويقولي، إنتِ غلط؟"

نطق عبدالقادر: "إنتِ غلط، وأسوبلك غلط، وتفكيرك كله غلط. إيهاب شخص كويس، وبكرة إخواته يتخرجوا، هيكمل هو كليته وهيكون في مكان تاني. قصة مش بعرفه على حد ده بناءً على رغبته هو، مش أنا. عمر ما نوع الشغل كان عيب أو حرام."

ابتعدت حنين عن والدتها: "بابا، توصلني بيتي ولا أطلب أوبر ولا أكلم إيهاب؟"

أجابها مسرعًا: "يلا، هوصلك. بلاش تطلبيه."

طوال الطريق، تساءلت حنين كيف سيستقبلها؟ هل سيرحب بها أم يتركها وحيدة طوال الليل؟ هل ظن أنها قد تستمتع برفقة غيره؟ هل تخيلها زوجة لتيم؟ كيف تعايش مع قرار والدتها أن تفسح الطريق لغيره من الرجال؟

انتبهت إلى يد والدها وهو يقول بحنان: "اقعدي واتكلمي معاه وعرفيه إن محدش فينا عرف أي حاجة، وإلا كنا كلمناه من امبارح."

وصلت أمام بيتها، خرجت من سيارة والدها تركض للداخل. استقبلتها قدرية متعجبة من ركضها بهذه الطريقة: "حيلك حيلك يا

حبيبتي، ليجرالك حاجة؟ وإن مكنتيش سيباه بمزاجك؟"

تجاهلت حنين تهكمها وسألت بسرعة: "هو جوه يا حماتي؟"

لم تجبها قدرية على الفور، بل أطالت النظر إليها قبل أن تنطق: "لا مش جوه."

استغربت حنين، فهو لا يتأخر لمثل هذا الوقت: "طيب فين؟ هو ما رجعش من الشغل ولا رجع وخرج؟"

غيرت قدرية مجرى الحديث بتهكم: "إلا قوليلي الأول، انتِ رجعتي إمتى؟ وليه هو رجع قبلك وما رجعتيش معاه؟ ومين جايبك؟ وليه..."

قاطعتها حنين بنفاذ صبر: "يا حماتي، أشوفه الأول وبعدها هجاوبك على كل حاجة. بس عرفيني بالله عليكِ، هو فين؟"

مصمصت شفتيها بتهكم وقالت: "وأنا أعرف منين يا حيلتها؟ كنت حطاه في جيبي؟ ولا بتشوفيه بيقدملي تقرير عن حركاته؟ ما هو على يدك من يوم ما اتجوزك، كل ما حد ينطق حرف يقول مالكيش فيه، مالكيش فيه."

زفرت حنين بضيق وحاولت مهاتفته، ولكن هاتفه كان مغلقًا.

خرجت هبة من غرفتها وتفاجأت بحنين، فرحبت بها بسعادة قبل أن تسألها حنين عن مكان أخيها. أجابتها هبة ببساطة: "ما انتِ عارفة يا حنين، هو ما بيروحش مكان غيره."

اتسعت عينا حنين وهي تلعن غباءها: "قصدك إنه فوق؟ طيب

هطلعله، بعد إذنكم."

ركضت للخارج وصعدت للأعلى بسرعة، لكنها أُحبطت حين لم ترَ أي أنوار تنبعث من الداخل. اقتربت بإحباط تتساءل عن مكانه، وقبل أن تنزل للأسفل، سمعت حركة بالداخل.

اقتربت بخطى مترددة، لتتفاجأ به ممددًا على الأرض ينظر للسماء، وربما يعد النجوم.

راقبته لعدة لحظات قبل أن تقترب وتهمس: "إيهاب؟"

بعد أن صعد إيهاب للسطح، حاول أن يشغل نفسه بأي رسمة دون جدوى، فلم يستطع رسم خط واحد في أي لوحة. فكر في العودة لغرفته، ولكن غرفته موحشة، فوقف مكانه بحيرة وإحساس بالوحدة والفراغ يسيطر عليه. أخيرًا تمدد على الأرض وظل مكانه غير قادر على الحركة ولا التفكير إلى أن سمع صوتها تهمس باسمه. أغمض عينيه، فهو يتخيلها تناديه. لمَ يحبها لتلك الدرجة؟ ولمَ تشغل باله وعقله وكيانه؟

كررت نداءها لينتبه إليها هذه المرة ويرفع رأسه ينظر خلفه ليراها تقف أمامه. أغمض عينيه وفتحهما مجددًا علها تختفي، ولكنها كانت أمامه. وقف بسرعة دون أن ينطق حرفًا، بالرغم من أن قلبه ينطق بالكثير والكثير. اقتربت منه ببطء، وقفت أمامه مباشرة، وتمتمت بحيرة: "نايم على الأرض ليه؟"

تمتم بخفوت: "كل الأماكن زي بعض فمش فارقة معايا."

تقبلت إجابته واقتربت أكثر وعاتبته: "إزاي قدرت تسيبني

وتمشي؟ للدرجة دي ماليش أهمية عندك بالمرة؟ لميت شنطتك وسيبتني ومشيت؟ وبس كده؟ بمنتهى البساطة ومنتهى الهدوء؟"

نفى بضيق: "ولا بساطة ولا هدوء، بس معرفتش أعمل إيه."

نظرت إليه باستنكار: "مش عارف تعمل إيه؟ يبقى تصحيني وتقولي يلا، ولا تسألني حابة أقعد ولا أمشي؟ تسألني. المفروض إني شريكة حياتك، المفروض نقرر مع بعض، مش تاخد قرار يخصك وتمشي. أنت مفكرتش فيا للحظة؟"

قاطعها باستنكار: "أنا مفكرتش غير فيكي."

حركت رأسها برفض: "ولما فكرت فيا لقيت إن الصح تسيب مراتك اللي وثقت فيك ونامت في حضنك، تسيبها لوحدها وتمشي؟ ده اللي فكرت فيه؟"

طأطأ رأسه بخجل، فهو غير قادر على البوح بما قالته والدتها، فهي في غنى عن مزيد من الخلافات معها. بينما صرخت هي فيه بوجع: "ده الحل يا إيهاب؟ تسيبني نايمة وتمشي؟ إزاي أثق فيك بعد كده؟ ما انت في أي وقت ممكن تسيبني وتمشي؟ إزاي الواحدة تثق في راجلها لما ممكن تصحى تلاقيه مش جنبها، يسيبها في بلد لوحدها ويمشي؟"

دافع مبررًا: "عيلتك معاكي، أنا ما سيبتكيش لوحدك."

رفضت منطقه: "بس أنا سافرت معاك أنت، نمت في حضنك أنت علشان أصحى في حضنك، مش علشان أصحى ألاقي ورقة بتقولي سوري هربت منك."

حاول تبرير موقفه: "حنين، أنا مهربتش بس محبتش أخدك منهم وتقطعي إجازتك و..."

قاطعته صارخة: "أعمل بها إيه إجازتي لو مش في حضنك؟ أنت نفسك قولتلي ما تسيبينيش نايم، مش عايز أضيع لحظة بعيد عنك، تقوم تسيبني وتسافر أنت؟"

أمسك ذراعها بحب: "أرجوكِ حــ..."

جذبت ذراعها بعيدًا عن لمساته: "ما تلمسنيش، أنا مش هسامحك على اللي عملته." أولته ظهرها قبل أن تخبره: "بابا تحت عايزك."

اقترب منها، قبّل رأسها وهمس لها: "سامحيني، بس صدقيني كان غصب عني، مكنش بمزاجي و..."

التفتت له بحدة دفعته بعيدًا عنها: "ما تقولش غصب عنك، لأنه قرارك بمزاجك."

صرخ بها: "مكنش قراري، فأرجوكِ..."

صرخت بدورها: "كان قرارك. مش علشان ماما قالتلك كلمتين تجري تسمع كلامها! من إمتى بنسمع لأمي ولأمك، هاه؟ مش قولنا هنقبلهم في حياتنا وبس؟ مش اتفقنا نتحملهم؟ يبقى إزاي تسمع الهبل اللي قالته؟"

نظر إليها بحيرة، فوضحت بتهكم: "آه، عرفت باللي قالته لك، وصراحة ما عرفتش برضه أعذرك. أمي تقولك سيب مراتك هعرفها على راجل تاني تقولها آمين؟ خدي مراتي عرفيها على الرجالة اللي تعجبك، صح؟"

نظر إليها بحدة، فأكدت: "ده اللي حصل. قالتلك تيم معرفش إيه، روحت مصدقها ومشيت. معنى كده إيه؟ ما بتتقش في كلامي ولا مش بتغير عليا؟ ولا عادي تمشي وتسيبني لغيرك ولا إيه؟ فهمني؟ فهمني لأني هتجنن."

صرخ بها: "مكنش عادي ولا كان سهل، بس كان المفروض أعمل إيه؟ أصحيكي أقولك يلا أمك طردتني من هنا؟ ولا أكلمك عن تيم تاني وإنتِ لسه حكيالي عن اللي حصلك بسببه من أمجد؟ بدل ما تفسريها بالشكل ده ليه ما تفسريهاش إني واثق فيكِ كفاية أسيبك وأمشي وأنا عارف إنك هتصونيني؟ ليه شفتيها تخلي مش ثقة؟ ليه ما فسرتيهاش إني رفضت أولع الدنيا بينك وبين والدتك وأبوكِ وكلكم تتنكدوا وترجعوا بسبب كلمة قولتها؟ فانسحب أنا، وإنتِ تاني يوم هترجعي مع عيلتك وهتكلميني وأقولك حصل كذا، بس ساعتها هتكوني في حضني؟ الظاهر إننا إحنا الاتنين محتاجين نثق في بعض أكتر. قولتي والدك تحت، يلا ننزله."

نزلت خلفه بصمت وهي تدرس ما قاله، فهي حقًا لم تفكر بتلك الطريقة.

نزل عبدالقادر من سيارته حين رآهم، ورحب إيهاب به وعرض عليه الصعود للأعلى، ولكنه رفض تمامًا. اعتذر له عما بدر من زوجته، وتقبل إيهاب اعتذاره، وقبل أن ينصرف، أمسك يده: "شوف يا إيهاب، أنا مش هقولك إزاي تحافظ على بيتك ومراتك، بس كل اللي هقوله إن مش أي حد يقولك كلمتين تسمعهم. مراتك في حضنك، مسؤولة منك. أنتو شركاء واخترتوا ده مع بعض، قررتوا

ترتبطوا لوحدكم، وقررتوا تعيشوا مع بعض. فما ينفعش بمزاجك تشاركها، وبمزاجك تاخد قرارك لوحدك. شركاء يبقى في المرة قبل الحلوة شركاء، في الصعب مع بعض وفي السهل مع بعض، في الصحة والمرض. مش بنختار يا ابني، طالما هي شريكتك يبقى قبل ما تسيبها في بلد وتسافر، حتى لو معايا، يكون ده قرارها قبل قرارك. مش كلمتين تسيب مراتك وتمشي، حتى لو أنا اللي قلتلك امشي. ماشي حقي أقولك امشي، بس مش حقي أحكم على مراتك. فكنت هحترمك أكتر لو أخدت مراتك في إيدك، مش تسيبها وتمشي بالشكل ده. بغض النظر عن اللي قالته والدتها ليك، بس لو الموقف ده اتكرر منك تاني وسيبت مراتك في أي مكان أنت أخدتها له ومشيت بدون علمها، ساعتها هاخدها منك لأنك مش حد أمين عليها."

حاول الاعتراض أو الدفاع عن نفسه، لكن عبدالقادر رفع يده في وجهه: "مفيش أي شيء ممكن تقوله هيبرر قدامي إنك سيبتها نايمة ومشيت. تصرفك غلط ومالوش مبرر."

تنهد إيهاب باستسلام، وربت عبدالقادر على كتفه: "أنا بحبك زي ابني وبثق فيك كتير، وسلمتك روحي، روحي يا إيهاب. فحافظ عليها. مراتك في حضنك لأني بطمن عليها وهي في حضنك وجنبك، وإيديكم في إيدين بعض. هسيبكم تتصافوا، لأني معتقدش إنها هتسامحك بسهولة. تصبحوا على خير."

صعد لسيارته وتحرك بها تحت أنظارهما، وقبل أن ينطق إيهاب حرفًا، تركته حنين وتوجهت للمنزل وصعدت لغرفتها مباشرة. لحقها

إيهاب، فحاولت قدرية الوقوف بوجهه: "إيهاب، هي مراتك مالها؟"

نظر إليها: "ملهاش يا أمه، راجعة من السفر تعبانة، بالإذن."

تركها قبل أن تغرقه بأسئلة لا نهاية لها.

بدلت حنين ثيابها بأخرى مريحة ومثيرة للغاية، وقررت تعذيبه لأطول فترة ممكنة. تعطرت وتجملت تحت أنظاره، وكلما حاول الاقتراب منها رمقته بتلك النظرة التي جعلته يثبت مكانه. جلست ناحية السرير وهي تدلك يدها ببعض الزيوت العطرية، بينما جلس هو خلفها و بصوت مبحوح: "حنين، وبعدين؟"

رمقته بنظرة خاطفة: "ولا قبلين، مخصماك ومش هسامحك، فارتاح وما تحاولش."

اقترب أكثر وهمس برقبتها: "طيب، وحشاني."

أبعدته عنها ببرود: "شطبنا، مفيش."

قبّل رقبتها مجددًا، و بصوت منخفض: "حبيبتي، اتصرفت غلط، ماشي، بس أكيد مش متعمد ولا فكرت بالشكل اللي فكرتي فيه."

نظرت إليه من فوق كتفها: "وأنا مفكرتش غير كده، فأعمل إيه؟"

قبّل كتفها بلطف: "تشوفي الأمور من وجهة نظري أنا، وتحطيلي عذر إني مشيت، أو تحطي نفسك مكاني."

التفتت إليه بحدة: "حطيت صراحة نفسي مكانك، لقيتني بصحيك وأقولك: يا إيهاب، مامتك ضايقتني، فلو سمحت عايزة أمشي من هنا، ولو عايز تفضل، براحتك يا حبيبي، بس أنا مش هقدر. اعذرني.

ده بالظبط اللي كنت هعمله. أما أسيبك نايم وأهرب منك؟ دي صراحة مخطرتش على بالي."

همت بالابتعاد، ولكن قبل أن تتمكن من الحركة، أمسك هو ذراعيها برفق: "ده إنتِ هتتصرفي كده؟ حنين، سبق وقلتلك إننا مختلفين تمامًا عن بعض، إحنا جايين من عالمين مختلفين. فاكرة لما قلتلك إن مشكلتك الحب الزيادة؟ لكن أنا غيرك. حنين، أنا آخر مرة حسيت بالحب من حد كان أبويا الله يرحمه. ومن ساعتها وأنا مطحون. أنا جديد في الحب والاهتمام. قراري كان غلط؟ تمام، لما صغتيه بالشكل ده، حسيت قد إيه متخلف وغبي. لكن ساعتها مفكرتش فيه كده. أمك قالت كلام كتير، وصدقيني مفرقش معايا. أنا متعود، بحكم شغلي، على الفوقية في الكلام، أو إن حد يحاول يقلل مننا، لأنه مش بيفرق معايا."

نظرت إليه بحيرة: "أمال إيه اللي فرق معاك؟ ليه مشيت؟"

زفر بضيق قبل أن يخبرها: "قالتلي أديكِ حرية الاختيار. أسيبك تختاري براحتك. ولو واثق فيكِ، هترجعيلي. بدل ما أنا لازق فيكِ علشان خايف تطيري مني. يمكن تكون استفزتني، أو يمكن أكون حبيت أثبت لنفسي إنك هتفضلي معايا. مش شرط أفضل جنبك أحرسك. أنا ممكن أمشي وأسيبك، وإنتِ هترجعي لحضني تاني. الموضوع كان ثقة، مكنش تخلي، أو إني أسيبك لوحدك وأمشي. كنت بقول لوالدتك ولنفسي إنك هترجعيلي، وهتختاري دايمًا تفضلي معايا."

نظرت لعينيه، لتجد صدق حديثه، وتجد ذلك الحب والوجع

والرغبة وأحاسيس كثيرة غمرتها. هو يحبها، وهي لن تنكر ذلك أبدًا. فهمست بعتاب: "وهتفضل لحد إمتى تسيبني علشان تثبت لنفسك إني هتمسك بيك؟"

وضع يده على وجنتها بحب: "مش هتحصل تاني أبدًا. مش هسمح لحد يدخل بينا تاني، وده وعد مني."

رفعت عينين محملتين بالعشق والعتاب: "ولو اتكررت تاني؟"

نظر لشفتيها وهي تتحدث، ثم لعينيها: "ما أنا وعدتك إنها مش هتتكرر، أعمل إيه تاني؟"

تاهت في نظراته، وأنفاسه الحارة تلفح وجهها، ويده تداعب وجنتها، بينما يده الأخرى تجذبها برفق لتقترب منه أكثر. اشتاقت للمساته وقبلاته، واشتاقت أكثر للاستسلام اللذيذ، فيحتلها ويطبع اسمه وملكيته لجسدها العاشق.

اقترب من شفتيها، لتحذره بجدية: "لو اتكررت تاني، وسيبتني، مش هارجع تاني يا إيهاب. المكان اللي هتسيبني فيه، هفضل فيه."

نظر لعينيها بعتاب: "هتسيبيني؟"

صححت جملته: "إنت هتسيبني الأول، فثق تمامًا إني ساعتها هعمل زيك."

جذب وجهها برفق: "وأنا وعدتك مش هسيبك."

تعلقت بعينيه: "والوعد مماثل."

قبلها وغرق في قبلتها، وضمها بحب، وهو يهمس بكلمات العشق

والاشتياق. وقبل أن يتمادى، أبعدته برفق: "تصبح على خير يا إيهاب."

صُدم من ردة فعلها. فمنذ لحظات كانت تستمتع بقبلاته، كيف تبعده بتلك الطريقة وتوليه ظهرها لتنام؟

أمسك ذراعها وسألها بدهشة: "تصبح على خير إزاي؟"

نظرت له من فوق كتفها: "زي الناس. نازلة شغلي بكرة ومش عايزة أتأخر، فتصبح على خير."

لم يترك ذراعها، وهو لم يستوعب بعد ما قالته. فجذبها لتواجهه: "وحتى لو، تصبح على خير؟ من إمتى بتديني ظهرك بالشكل ده؟"

دفعته في صدره برفق: "من ساعة ما سيبتني ومشيت. آه، تقبلت كلامك وتبريرك، بس من هنا لحد ما أنسى إنك سيبتني نايمة ومشيت، مش هتلمسني، ومش هنام في حضنك. أصلًا كده كده بصحى لوحدي وما بلاقيك. فطالما هصحى لوحدي، مالوش لازمة أنام في حضنك. تصبح على خير."

وضعت وسادتها فوق رأسها، تاركة إياه يتخبط في مشاعره، يلعن قراره الغبي، ليقضي بعدها ليلة مزعجة. كلما حاول الاقتراب منها، كانت تبتعد عنه.

استيقظت حنين بين ذراعي زوجها، فابتسمت وهي تنظر إليه بعشق واضح. قبّلته بخفة كي لا يستيقظ من لمساتها، واقتربت تتنفس أنفاسه. تمنت لو توقظه وتنعم بحضنه لأطول فترة ممكنة. اقتربت بوجهها لتوقظه، لكنها تذكرت شجارها معه فابتعدت على

مضض.

بدأت تستعد، وحين وقعت منها إحدى علب الزينة، استيقظ إيهاب يبحث عنها بعينيه: "صباح الخير يا روحي."

ردت حنين بحب: "صباح النور. معلش حبيبي، حاولت ما أصحيكش، بس غصب عني."

جلس إيهاب ونظر لهاتفه ثم إليها بابتسامة: "حبيبتي، نوري النور براحتك واستعدي عادي. النور مش بيفرق معايا أوي. انتِ ناسية إني كنت مشارك مازن؟ متخيلة ده بيلبس إزاي؟ ده كان بيتعمد يصحيني. وبعدين، عايزة تنزلي يعني من غير ما تصحيني؟"

نظرت إليه وهي تقف لتشعل إضاءة الغرفة: "صراحة، آه."

ابتسم وتحرك من مكانه، قبّل وجنتها بلطف: "هنزل أجيبلك فطار يا روحي، و..."

قاطعته وهي تمسك ذراعه تمنعه: "مش هتنزل دلوقتي. بقى أنا مش عايزاك تصحى من النوم أقوم أنزلك تجيب فطار؟"

علق بحب: "عادي، متعود. وبعدين، مش هتنزلي كده."

ابتسمت ووضحت له: "بفطر بساندوتش واحد فينو جبنة مع نسكافيه فقط لا غير. ده فطاري في بيت أبويا."

أومأ موافقًا: "تمام، هعملهولك."

حاولت إيقافه دون جدوى، فهتف بها: "اجهزي انتِ."

دخل إيهاب المطبخ ليعد لحنين ما طلبته، مبتسمًا، فوجودها في

حياته يكفيه. دندن بأغنية ما تذكرها، لينتبه على صوت والدته تهتف باستغراب: "بتعمل إيه يا إيهاب بدري كده؟"

نظر إليها مبتسمًا: "صباح الخير يا أمه. بعمل ساندوتش لحنين قبل ما تنزل شغلها. أعملك معايا ولا شوية وأنزل أجيب فطار ونفطر كلنا لما إخواتي يصحوا؟"

تخطت صدمتها وعلقت بتهكم: "الهانم نازلة شغلها فإنت صاحي بدري تعملها الفطار؟ ده غلب إيه ده يا ربي؟ هو الآية اتقلبت ولا الزمن اتبدل؟ الرجالة اللي بتعمل الفطار لمراتهم بدل العكس يا ابن بطني؟"

نظر إليها بضيق: "الفاضي يا أمه بيعمل للتاني. أنا مش نازل دلوقتي وهي نازلة. مش هيفرق مين يعمل لمين. وبعدين ما إنتِ بتصحيني من أحلاها نومة علشان أنزل أجيب الفطار لعيالك، وبتستخسري تنزلي مازن؟ ليه؟ ليبرد ولا يتهوى؟ ولا حلو ليكي ولعيالك ووحش لغيرك؟"

صاحت به: "إخواتك رايحين الجامعة مش..."

قاطعها: "مش إيه؟ وأيام الإجازة؟ أقولك روحي صحي ابنك دلوقتي ينزل يجيب فطار. يلا روحي صحيه."

تراجعت بغضب: "مش هتنزل توصل المحروسة؟ ابقى هات إنت الفطار معاك وسيبه نايم، بكرة يصحى غصب."

ابتسم بتهكم: "طالما سيبه نايم بكرة يصحى غصب، يبقى ما تدخليش في شغل المحروسة."

وضع ما أعده على الصينية وتوجه لغرفته. قابلته حنين بضيق: "مامتك معترضة على إيه؟ صوتكم عالي."

علق بابتسامة واسعة: "ما تشغليش بالك. المهم قدامك وقت ولا اتأخرتِ؟"

نظرت لساعتها ثم إليه: "الطريق من هنا لعند بيتنا ياخد وقت قد إيه؟ البنك هناك قريب مننا، ساعات كنت بتمشاه."

علق بتفكير: "ياخد بتاع تلت ساعة أو نصاية بالكتير."

ابتسمت وهي تجلس أمامه: "يبقى لسه بدري."

جلس بجانبها وعلق: "شكلك زي القمر، أسيبك إزاي تنزلي شغلك كده؟"

نظرت إليه بتوتر: "ده اليونيفورم بتاع الشغل وطويل و..."

قاطعها حين لاحظ توترها، ففهم أنه أمر ما متعلق بالماضي: "حبيبتي، عارف إن ده يونيفورم البنك، بس ده ما يمنعش إنك جميلة فيه. أصلًا إنتِ جميلة في كل حالاتك، فأعمل إيه بقى فيكِ؟ عايز أحطك جوه قلبي."

ابتسمت ثم عقدت حاجبيها: "افتكر كلامك ده لما عقلك يقولك سيبها وامشي."

نفخ بضيق: "يالله عليكِ يا حنين، إنتِ مش هتنسي بقى؟"

ضحكت: "مش بالسهل."

ارتدى ملابسه بسرعة لينزل برفقتها، وبالرغم من اعتراضها، أصر

أن يرافقها إلى عملها. وصفت له الطريق ليتوقف بعيدًا عن البنك، فتساءلت: "وقفت بعيد ليه؟"

ابتسم بحرج: "يعني بلاش أنزلك قدام الباب، والكل يسألك أسئلة كتير و..."

قاطعته بثقة: "إيهاب، أنا بجد مش من النوعية اللي بيهمها كلام الناس. وأصحابي المقربين كلهم عارفينك، وده المهم."

ابتسم وقبّل وجنتها: "أشوفك آخر النهار. كلميني، لو عرفت أعدي عليكي كان بها، ما عرفتش هتضطري تروحي لوحدك."

تركها، وراقبته حتى اختفى، ثم توجهت للداخل ليستقبلها الكل بفرحة وتهنئة.

راقبتها سارة بدهشة، متعجبة كيف تحولت تلك الكئيبة إلى إنسانة ناضحة بالحيوية والحب. هل الحب يصنع المعجزات فعلًا؟ ولمَ ذلك الغموض الذي يغلف زوجها؟

توجهت إليها لتهنئها، فتبادلا التهنئة، ثم سألتها بفضول: "هو ليه محدش فينا شاف جوزك؟ اسمه إيه؟"

ابتسمت حنين لترضي فضولها: "اسمه إيهاب. ولما نخرج أو نروح النادي هبقى أعرفك عليه بشكل شخصي."

عادت حنين أخيرًا إلى بيتها بعد يوم طويل، لتجد قدرية في انتظارها وهي تربط رأسها من الصداع وتخبرها بأنها لم تستطع إعداد الغداء. ابتسمت حنين مجاملة وتوجهت مباشرة لغرفتها لتبديل ثيابها، ثم دخلت المطبخ لتجده في حالة يُرثى لها. نظفته

أولًا، ثم شرعت في إعداد طعام سريع، فزوجها على وشك الوصول. أعدت مكرونة وقطع دجاج بجانبها.

بعدها، توجهت لغرفتها لتستعد لاستقباله. وصل إيهاب متأخرًا عن موعده، لتعقد قدرية حاجبيها بضيق وتعاتبه: "يعني الواحد هيقع من طوله من قلة الأكل، ومراتك مش عايزة حد ياكل من غير ما سيادتك تشرف؟"

خرجت حنين لتسمع آخر جملة وقالت بضيق: "هو أنا مش قلتلك يا حماتي، تحبي تاكلي بعد ما حضرت الأكل على طول وانتِ قلتِ ننتظر مازن وإيهاب؟"

شعر إيهاب بالضيق لأن والدته انتظرت حنين لتعد الطعام، فتساءل: "هو مازن فين وهبة؟"

أجابته والدته: "مازن جوه، وهبة خرجت مع صحباتها، بتقول هيشتروا حاجات للكلية ويستعدوا، وكده زمانها على وصول."

نظر إيهاب لوالدته بتهكم، فهو يعلم أن وجود مازن بالبيت يكفي لعدم الحاجة لانتظار أحد آخر.

التفت لحنين وسألها: "جيتي إمتى من شغلك؟"

أجابته بهدوء: "تقريبًا خمسة ونص، بابا وصلني فجيت على طول. إنت اتأخرت أوي ليه؟"

قبل أن يجيبها، خرج مازن بضجيجه المعتاد: "هو مش هنتغدى في يومكم ده ولا إيه؟" ثم نظر لحنين بتهكم: "هو مش جوزك جه أهو؟ حني علينا بقى!"

علقت حنين بضيق: "يدخل يغير هدومه بس ونحط على طول."

أمسك إيهاب يدها ونظر لأخيه: "ممكن تتشملل وتحط إنت الأكل عقبال ما نخرج؟"

أخذها بيده ودخل غرفتهما وقال لها: "كنتِ عرفتيني، طلبت أي حاجة جاهزة بدل ما تقفي تعملي إنتِ."

قاطعته حنين لتنهي الجدال المستمر: "بقولك إيه، والدتك ست كبيرة وخلاص. أنا هعمل الأكل فمفيش عندي أي مشكلة. مش كل مرة هتعمل مشكلة في الموضوع ده. وبعدين، إنت عايزها هي تقوم تعمل وتريحني أنا؟"

نفى بسرعة: "يا حبيبتي، مش كده خالص. بس مش عايزها تيجي عليكِ. يعني هبة مش موجودة، فهي ممكن تساعدك. أو حتى لو مش هتساعد، مجرد إنها تحسسني إن ده مش فرض عليكِ، مش بتعمله علشان تضايقك."

اقتربت منه ونظرت لعينيه: "اقفل الحوار ده لو سمحت، ومش عايزين نتكلم فيه تاني. ينفع تدخل تغير هدومك؟ الواحد جعان فعلًا."

أخذ ملابسه ونظر إليها قبل أن يخرج من الغرفة: "لما أتأخر بالشكل ده، ما تنتظروش ياريت. ما تذنبيش حد. عايزة إنتِ تنتظريني براحتك، لكن هم سيبيهم براحتهم."

أومأت موافقة وأوضحت: "أنا قلت لوالدتك، هي اللي كانت عايزة تنتظر مازن."

جلس إيهاب مع عائلته أمام التلفاز لمتابعة فيلم، بينما كان ذهنه منشغلًا. مازن، من جهته، كان منتبهًا للغاية، يشرح لوالدته تفاصيل الأحداث. أما حنين، فكانت تراقب الفيلم تارة، وإيهاب تارة أخرى.

انتبه إيهاب للفيلم قليلًا، ليتفاجأ بمشهد خارج. تخيل أن أخيه سيغير القناة، لكنه لم يتحرك، فصاح به: "ما تغير يا ابني القرف ده؟ أمك قاعدة وحنين، هو في إيه؟"

نظر مازن له بتعجب: "نعم؟ مفيش حد صغير قاعد علشان أغير. كلنا ناضجين هنا. أنا دكتور، فالمشاهد دي مش بتأثر فيا، وسيادتك متجوز. فأغير ليه؟"

نظر إيهاب له باستنكار: "تغير علشان حرام، مثلًا. إيه رأيك في السبب ده؟ تغير علشان لما يكون في حريم موجودين تحترمهم وما تحرجهمش بحاجة زي دي. تغير علشان ده الصح، مش تقولي دكتور وناضجين. ده إيه الهم ده؟" ثم وقف ونظر لزوجته: "قومي يا بنتي ننزل نتمشى شوية ونجيب هبة من على المحطة. خلينا نسيبهاله يتفرج براحته."

نزلا سويًا متماسكي الأيدي في هدوء، إلى أن قطعت حنين الصمت قائلة: "عجبك المشهد؟"

نظر إليها باستنكار، لتضحك هي، ثم يشاركها الضحك: "هتصدقي لو قلتلك ما بصتش ولا ركزت فيه؟"

سألته باستغراب: "ليه؟ وما تقوليش علشان حرام."

أجابها بهدوء: "عمري ما لفتت انتباهي المشاهد دي. ومش هقولك

علشان حرام. هقولك علشان الواحد لما بيتفرج على حاجة زي دي بيتمناها. بتشغل تفكيره وعقله، وهتخليه يدمنها ويدخل لسكتها أكتر وأكتر. فبدل ما هو هيشوف مشهد هيجرب حاجة وحاجة، ومش بعيد يغلط مع حد. فليه كل ده؟ نبعد أسهل."

أعجبها منطقه، لكنها سألته: "طيب ما ممكن يتجوز؟ ليه مخك راح للحرام؟"

أجابها بابتسامة هادئة: "علشان واحد بظروفي فكرة الجواز كانت مستحيلة يا حنين. لولا إنتِ، مكنتش هفكر أتجوز ولا خمس سنين تانين لقدام. فإنتِ ربنا بعتك ليا."

ابتسمت وتساءلت: "طيب دلوقتي ليه ما تتفرجش؟"

علق إيهاب بمرح: "بعيدًا عن الحرام والحلال برضه؟"

ضحكت وأومأت موافقة، فابتسم وقال: "هقولك علشان معايا حبيبتي. مش محتاج حاجة تثيرني أو أتفرج عليها." ثم نظر لها بحب وأكمل: "إنتِ موجودة، وإنتِ بالنسبة لي كفاية."

في آخر الليل، بغرفتهما، اقترب منها وهمس في أذنها: "بما إنك شوفتي المشهد إياه، ما تقوليلي كان عبارة عن إيه؟ ولا الأفضل تمثليه معايا؟"

ضحكت ثم علقت: "إنت عايز تنسيني إني زعلانة منك؟"

ابتسم بحب وهو يداعب شفتيها: "ما يكونش قلبك أسود بقى. حبيبك بيضيع من غيرك، هاه؟"

اقترب منها، ولم تعارضه، فاقتص من شفتيها لبعدها عنه طوال الأيام الماضية.

حدد زهير وسارة موعد الزفاف ودعوا جميع موظفي البنك. حاولت والدتها إقناعها أن تخبر زوجها بماضيها، لكن دون جدوى.

اتفقت حنين مع أصدقائها على حضور الزفاف وأقنعت إيهاب بالحضور معها. خرجت برفقة هايدي ودعاء إلى الكوافير، وانضمت إليهم حور لاحقًا.

اتصل عبدالقادر بإيهاب وطلب منه أن يمر عليه ليأخذ السيارة ويحضر حنين وحور من الكوافير، فوافق بسرعة.

استعد إيهاب ووقف أمام المرآة غير مقتنع بتلك الخطوة، لكنه أذعن لرغبة حنين. ألقى نظرة أخيرة على انعكاسه ودعا أن تمر السهرة على خير دون تعقيدات.

خرج من غرفته، ليصفر مازن بإعجاب: "تصدق الكل بيقول فنان وأنا كل يوم بقتنع أكتر إنك فنان فعلا في تركيب الحاجات على بعض. ذوقك عالي يا باشا، الجاكت بالقميص والبنطلون تحفة. رايح فرح ولا إيه؟"

أومأ إيهاب برأسه: "آه، رايح فرح."

خرجت هبة لتصفر هي الأخرى بإعجاب: "إنت هتتجوز تاني يا إيهاب ولا إيه؟ إيه الشياكة دي؟ حنون فين تشوفك كده؟"

ابتسم لها: "في الكوافير مع أختها وأصحابها. هروحلهم. ما كنتي جيتي معايا؟"

علقت قدرية بتهكم: "كنت وديتها هي كمان الكوافير، خليك تدفع دم قلبك فيه. تقدر تقولي لما تروح الكوافير تاخدهم هتدفع لمراتك بس ولا هي وأختها وصاحبتها؟ إنت عارف هتدفع قد إيه؟"

زفر بضيق: "يا الله منك يا أمه. إنتِ مش بتفكري غير في الفلوس والدفع وبس؟"

وقفت بسخرية: "وأفكر في إيه تاني؟ الفرح اللي هتروحله كله ناس من طينة غيرنا؟"

علق مازن بسخرية: "هتقولهم إنك نقاش ولا اتفقتوا على أعمال حرة؟"

أجابت قدرية على تهكم ابنها: "هيقولهم جوز الهانم."

تدخلت هبة دفاعًا عن أخيها: "يقولهم اللي يقوله، إنتو إيه مشكلتكم؟ بتحبوا تضايقوه وخلاص؟ والله يا إيهاب لو أنا مكانك لاسيبلهم البيت وأرجع كليتي تعليم مفتوح وأسيبهم يخبطوا دماغهم في أتخن حيط. يبقى ينزل الدكتور مازن يدور على شغل يصرف بيه على نفسه وكليته. ياما نفسي تعملها يا إيهاب."

ابتسم إيهاب لأخته بحب: "ربنا يخليكِ ليا يا بوبا. بس كل واحد يا حبيبة بيعمل بأصله وبأخلاقه مش بأخلاق اللي قدامه. أخوكِ من يومه واطي وأناني وده مش جديد. ما بيشوفش غير نفسه وبس. فأنا هتم جميلي معاه وهعمل بوصية أبوكِ الله يرحمه لحد ما يتخرج. وبعدها، الله يسهله. أما أمك، لما مازن يرميها ويدوس عليها، هتفوق إنها ربت شخص أناني اتكالي ما بيحبش غير نفسه. وأول

ما هيدوس، هيدوسها هي. بكرة الأيام هتقول كلمتها. يلا مش عايز أتأخر على حنين." نظر لأخيه وقال: "آه، هقولهم إني نقاش. واللي عاجبه يعرفني كده أهلًا بيه، واللي مش عاجبه مع السلامة. عمر ما المظاهر همتني زيك."

احتار إيهاب بين أخذ دراجته البخارية أو وسيلة أخرى، لكنه قرر الذهاب بالمواصلات العامة كي يتمكن من العودة مع حنين.

وجد عبدالقادر وزوجته ينتظرانه في السيارة. أشار له ليستقر خلف المقود وتحركوا إلى الموقع الذي أرسلته حنين.

اتصل بها ليخبرها بوصوله، فما هي إلا دقائق حتى لمحها تخرج هي وأختها محملة بالعديد من الأكياس. ترجل من السيارة لمساعدتهما، وفتح الصندوق ليضع متعلقاتهما. سلمت حور عليه ودخلت السيارة بجانب والدتها، بينما وقفت حنين بجانبه تنتظر.

ابتسمت واقتربت منه وهي تسأله: "مقولتش إيه رأيك؟"

اتسعت ابتسامته، ووضع يده على خصرها يجذبها ناحيته: "ما لاحظتيش من عنيا اللي طايرة عليكِ ولا إيدي اللي بتقع منها كل حاجة؟"

نظرت إليه بحب وتمتمت بحرج وهي تمسك ياقة قميصه: "لو اتعاكست مني هقتلك علشان ما اتفقناش تبقى أمور بالشكل ده."

علق برفض: "شوف، برضه هتقول أمور دي؟ يا بنتي الله يكرم أصلك، راضي تجامليني بس بالعقل."

أمسكت ياقة قميصه بيديها الاثنتين وجذبته ناحيتها: "شوف،

انت شايفني إزاي وعينك بتلمع إزاي؟ أنا شايفاك بنفس الطريقة. أوسم راجل في الدنيا دي كلها."

اقترب لتقبيلها، لكنه انتبه على نداء حور: "يلا يا حنين."

ابتعد عنها متنهدًا وسألها: "هنتحرك؟ باقي صحباتك فين؟"

تأبطت ذراعه بحب وأجابته: "هايدي علاء هيجيلها، ودعاء سمير أخدها."

علق باهتمام: "طيب، هتسيبي صحبتك وتمشي؟ مش تنتظري معاها ولا إيه؟"

أعجبت حنين باهتمامه ووقفت أمام شباك السيارة تطلب هاتفها من حور: "إيهاب بيقول ما ينفعش نسيب هايدي لوحدها ونمشي."

علقت صابرين بتهكم: "تلاقي أخوها هيجيلها ولا خطيبها. ننتظر ليه؟"

تدخل عبدالقادر: "اتصلي بيها يا حنين واطمني عليها. لاحسن يتأخروا عليها. جوزك عنده حق."

اتصلت بها لتخبرها أن علاء على وشك الوصول. انتبهت حنين إلى سيارة تتوقف ويترجل منها علاء، فصاحت بصديقتها: "وصل يا بت، لسه نازل أهو من عربيته. اطلعي!"

أغلقت المكالمة، ولاحظت خروج هايدي ليشيرا لبعضهما. نظرت لإيهاب: "شكلهم هيجوا يسلموا."

اقتربا منهما، وتولت البنات مهمة تعريفهما على بعضهما، قبل أن

تهتف صابرين من داخل السيارة: "اتعرفوا هناك يلا بقى!"

راقبت هدير زوجها وهو يستعد لتقف أمامه للمرة المائة وتترجاه: "خليني أروح معاك يا هشام، وأوعدك..."

قاطعها بتهكم: "ما وعدتيني المرة اللي فاتت عملت بيه إيه وعدك؟ لا يا هدير، مش مستغني عن شغلي."

وضعت يديها بخاصرها وقالت بإصرار: "خلاص بلاش تروح، تعال نروح نسهر أنا وانت في أي مكان تاني؟"

نظر تجاهها بنفاذ صبر: "حبكت السهر الليلة، هاه؟ طلباتك دايمًا غريبة وفي أوقات أغرب. لو سمحتِ، سيبيني أستعد براحتي."

دخل زيد ابنهما وقال بحماس: "بابا، أروح معاك يلا؟"

نظر هشام تجاهه مبتسمًا: "مش هينفع يا زيزو، وقت تاني."

صرخ زيد بضيق: "إنت على طول بتقول مش هينفع، إمتى هينفع دي تيجي؟"

نظر هشام لزوجته بلوم خفي وقال: "شيلي ابنك."

ربعت يديها أمام صدرها وعلقت بلامبالاة مصطنعة: "شيله إنت، هو مش ابنك زي ما هو ابني؟ ولا خلفته لوحدي؟ كفاية بربيه لوحدي."

نظر تجاهها مطولًا، ثم نظر لابنه وبلهجة صارمة: "مش هينفع دلوقتي يا زيد. دلوقتي ورايا مشوار مهم."

انخرط زيد في بكاء حاد، بينما جلست هدير على سريرها متصنعة

اللامبالاة، وقلبها يتمزق لبكاء صغيرها. انتظرت أن يتحرك زوجها أو يهتم بابنه، أو يحمله، أو يلاطفه قليلًا، لكنها كانت واهمة. فلقد انتهى من ارتداء ملابسه، ثم تعطر وألقى نظرة رضا لنفسه في المرآة قبل أن يخرج من الغرفة غير مبالٍ ببكاء ابنه أو صراخه. كان واثقًا تمام الثقة أنها ستحايله وتراضيه.

أحست سارة بالتوتر وهي بانتظار زوجها، فلا تصدق أنها ستتزوج من ذلك الشخص وستخرج من بؤرة الفقر مدى الحياة. زواجها من شخص كزهير سينقلها إلى مستوى آخر، مختلف تمامًا عن كل ما سبق وعاشته.

ازداد توترها حين أعلنت والدتها عن وصول زوجها. وضعت يدها على قلبها لتحاول تهدئة نفسها قليلًا. اتسعت ابتسامتها حين سمعت صوته وهو يناديها بفرحة.

وقف أمامها منبهرًا من جمالها، فانتظرته يتحدث أو يغازلها أو ينطق بأي حرف، لكنه كان صامتًا تمامًا. توترت، ورفعت عينيها إليه من تحت طرحتها الرقيقة: "مش هتقول أي حاجة؟ مش عاجباك؟ ولا في حاجة؟"

أخيرًا نطق وقاطعها: "مش عاجبني؟ إيه هو اللي مش عاجبني؟ أنا نسيت الكلام، ومش لاقي كلام أقوله. أصلًا مفيش أي كلام ممكن يتقال يوصف جمالك أو يديكِ حقك. مفيش كلام ممكن يتقال يا روحي. جمالك فاق الكلام. أنا عاجز عن الكلام."

اقترب منها، قبّل جبينها، ثم ضمها إلى قلبه بفرحة وحب. تأبطت ذراعه وخرجت برفقته.

وصلت سارة برفقة زوجها إلى قاعة الأفراح، واستقبلهم الجميع بالزغاريد والفرحة. توالت فقرات الفرح وسط أجواء مفعمة بالسعادة.

همس علاء لهايدي: "ماهو كويس أهو جوز صاحبتك، حسستيني إنه حد مش قد كده، الراجل ذوق وشيك واستايل جدًا ولبق في كلامه، ماله بقى؟"

نظرت إليه بتردد: "هو كويس، أنا مقولتش إنه مبهدل شكلًا مثلًا، قولتلك مستوى مش شكل."

علق علاء بابتسامة حائرة: "المستوى هو الشكل أعتقد."

رفضت هايدي: "لا يا حبيبي، المستوى ممكن يكون اجتماعي، تعليمي، مادي، لكن الشكل؟ أي حد ممكن يلبس كويس وهو زي ما سبق وقولتلك فنان، فهو ذوقه عالٍ جدًا."

علق بحيرة: "طيب مشكلته فين؟ ماديًا يعني؟ أعتقد ده شيء متغير مع الوقت، اللي مش معاه النهاردة بكرة هيبقى معاه وهكذا."

تنهدت هايدي باستسلام: "ربنا يرزقه يارب. الاتنين ولاد حلال ويستاهلوا كل خير؛ حنين تستاهل تعيش مرتاحة مع حد بيحبها، وإيهاب يستاهل كل الخير."

أمّن على كلامها: "ما تيجي نقف معاهم؟"

حذرته قبل أن تتحرك برفقته: "ما تسألوش شغال إيه، بلاش تحرجهم."

أومأ مبتسمًا قبل أن يضيف: "الشغل مش عيب، العيب إن الواحد يمد إيده ولا يعرفش يكفي بيته. ده العيب، لكن الشغل عمره ما كان عيب مهما كان نوعه."

وافقت ولكن أصرت: "ماشي بس برضه ما تسألش."

دعاء برفقة زوجها الذي غازلها: "ما تيجي نعمل فرح تاني وحفلة تانية ونتجوز تاني؟"

وجهت له نظرة استنكار وتهكمت: "نتجوز تاني مرة واحدة؟ قول نجوز رغد، مش نتجوز إحنا."

أكد رأيه: "رغد إيه؟ رغد لسه عيلة، وبعدين اللي بيتجوزا تاني ولا يجددوا جوازهم أحسن مننا في إيه؟ تعالي بس طاوعيني."

ضحكت ومازحته لكنها تفاجأت بأنه يتحدث بجدية، فعلقت لتغلق الحديث في هذا الموضوع: "في عيد جوازنا نعمل حفلة كبيرة إن شاء الله، واهو يكون لها سبب علشان بس العين والحسد يا حبيبي."

وافق بفرحة وبدأ التخطيط لتلك الحفلة من هذه اللحظة في عقله، ثم انتبه على اقتراحها: "تعالي نروح لحنين وجوزها، هايدي راحت تقف معاهم، يلا كلنا نقف مع بعض."

تحرك برفقتها، لكنها نبهته: "ما تسألش إيهاب عن شغله، هو شغله بسيط وبيتحرج علشان خاطر حنين."

أشار على عينيه بحب: "من عينيا يا روحي، بس الشغل مهما كان بسيط مش عيب ولا غلط، ولا هو اللي بيحدد قيمة وشخصية الإنسان. وهو شكله حد محترم، والأهم شخصيته قريبة من

شخصية حنين حسب كلامك، فالمهم يقدر يسعدها. ده أهم من نوع شغله إيه."

خرجت حور للشرفة تستنشق بعض الهواء الطلق فالجو بداخل القاعة مكتوم للغاية. أغمضت عينيها تستمتع بنسمة الهواء الباردة، وانتبهت من شرودها على صوته خلفها: "عقبالنا."

فتحت عينيها بسرعة ونظرت إلى حمزة خلفها: "قصدك إيه؟"

انبهر بجمالها البريء لكنه تدارك نفسه بسرعة: "ما قصدش، أقصد بس عقبالك وعقبالي، فبصيغة الجمع عقبالنا. ليه؟ انتِ فهمتيها إيه؟"

تكلم بلهجة بسيطة جعلتها تشك في فهمها، فنظرت لعينيه دون أن تجد أثرًا للمزاح. هل حقًا تفسيره صحيح؟

تنفس حمزة الصعداء حين تقبلت تفسيره على مضض وأشاحت بنظرها. غيرت الموضوع: "جيت إزاي؟ مين عزمك أقصد؟"

أجابها ببساطة: "صاحبتكم العروسة اتصلت بي وعزمتني. كلمت معتز وجينا مع بعض."

التفتت حولها تبحث عن معتز: "وهو فين معتز باشا؟"

نظر للداخل ليجده برفقة أخته وأصحابها: "أهو مع هايدي والشلة، يلا نقف معاهم واهو تعرفيني على جوز أختك اللي مش عارف كنتِ بتتكلمي عنه حسستيني إنه بيلبس مقطع ولا حالته صعبة مش بالشكل ده."

أعجبها اقتراحه وأشارت له بالدخول وهي تعترض: "مقولتش

إنه بيلبس مقطع ولا قولتلك أي حاجة غير إنه مش مناسب معاها. يلا نقف معاهم، بس لو سمحت ما تحرجش إيهاب بأسئلتك الكتير الغريبة وخصوصًا شغله."

اقترب منها ضاحكًا: "حاضر، مش هسأل أي أسئلة. اتفقنا؟"

لاحظت سارة تجمع الكل فأمسكت يد زهير: "تيجي نقف معاهم شوية؟"

نظر إلى أصدقائها وقال بلطف: "يا حبيبتي دول أصحابك وشلتك، روحي اقفي معاهم عادي، انطلقي."

جذبته من ذراعه بترجي: "أرجوك تعال معايا، يعني اعمل رئيسهم في البنك براحتك، بس هنا دول أصحابي."

ابتسم وأجاب بهدوء: "مش حكاية رئيس..." صمت بتفكير للحظات قبل أن يضيف: "تعالي، مش هزعلك. يلا."

انضمت إليهم هي وزهير وتولت تعريف أصدقائها عليه. أعجبت حنين بأغنية رومانسية فأمسكت يد إيهاب وهمست: "تعال نرقص عليها أنا وانت يا حبيبي؟"

نظر إيهاب حوله ثم لها: "العروسة والعريس معانا، هنسيبهم ونروح نرقص إحنا؟"

ضحك الجميع، وهي شددت يدها على ذراعه قائلة: "اللي غيران مننا يقلدنا." نظرت لسارة وأضافت بمزاح: "سوري يا سارة، هنرقص إحنا."

تحرك إيهاب معها وبدأا بالرقص سويًا، وتمايلا على أنغام الموسيقى الناعمة. لحظات وتبعهم الجميع.

انتهت السهرة وتوجه كل منهم إلى بيته. سارة تركها زهير لتبديل ملابسها بحرية تامة. وقفت أمام المرآة تتأمل ملابسها الرقيقة والغالية وتتأمل زينتها. قاطع تأملاتها طرقات خفيفة على باب غرفتها تبعها دخول زهير.

اقترب منها، أمسك يدها، وجلس برفقتها على طرف السرير ليشعر بتوترها الشديد. صليا سويًا ثم جلسا يتحدثان قليلًا. اقترب منها زهير ليشعر بجمودها.

تذكرت سارة ليلة زفافها الأول على ذلك الرجل البغيض. تذكرت اغتصابه لها، وكرهها له منذ اللحظة الأولى. تذكرت والدها وبكاءها تحت قدميه وتقبيلها ليديه كي لا يزوجها لذلك البغيض، دون جدوى.

أغمضت عينيها أمام تلك الذكريات السيئة، وانتبهت على صوته الحاني: "كل دي أفكار سوداوية فكرتي فيها؟"

نظرت إليه بذهول، فوضح لها: "باين أوي على شكلك إنك بتفكري في ذكريات مش لطيفة. بتفكري في جوازك الأول، صح؟"

تنهدت بحزن: "كنت مقررة ما اسمحلوش ياخد مني أكتر من اللي أخده، بس للأسف مش قادرة." نظرت لعينيه بأسف وأضافت: "مش قادرة يا زهير أكون معاك بأريحية، ومش عارفة أعمل إيه. أنا بحبك، بس مش عارفة..."

قاطعها بحب واضح: "ما تعمليش أي حاجة. خدي الوقت اللي يعجبك. ما تعمليش حاجة إنتِ مش مستعدة لها."

ابتسمت بفرحة ورضا: "بجد مش هتزعل مني؟"

ابتسم أمام فرحتها: "كفاية بجد وجودك معايا. خدي كل الوقت اللي تحتاجيه."

تمددت بجانبه بتوتر بدأ يختفي مع الوقت، ثم همست بعد فترة طويلة من الصمت: "زهير..."

أجابها بهمهمة، فسألته بخجل: "تتضايق لو قولتلك خدني في حضنك؟"

نظر تجاهها لوهلة ثم نطق بتهكم: "أتضايق بجد؟ إنتِ شايفة حضنك حاجة تضايق؟ بجد؟ تعالي يا روحي، تعالي."

اقترب زهير منها بابتسامة دافئة وفتح ذراعيه لتقترب منه. ضمها إلى صدره برفق، شعرت معه بالأمان الذي افتقدته طويلًا. تمتمت بخجل: "بحبك يا زهير، بس اديني فرصة أثبتلك إني لسه قادرة أكون زي ما انت تستاهل."

همس في أذنها: "إنتِ مش محتاجة تثبتي حاجة، كفاية إنك هنا معايا. ده أكبر دليل."

ضمها لقلبه بحب فأحست بتلك النيران تشتعل بداخلها وتوترت أنفاسهما، استغربت فيما قبل كانت تكره حتى مجرد التفكير في الاقتراب ولكنها الآن تتمنى أن يقترب منها أكثر ويصيغ عقد ملكيته لها.

قبلها برقة عدة مرات متتالية لتستسلم له بحب وهي تضع يديها حول رقبته تطلب منه المزيد والمزيد.

مر الوقت وهما يتحدثان عن المستقبل وخططهما، حتى غفت بين ذراعيه بهدوء، ليبتسم وهو يراقبها نائمة، ثم يغمض عينيه مستسلمًا للنوم.

في صباح اليوم التالي، استيقظت سارة على صوت زهير وهو يجهز الفطور. دخل الغرفة بابتسامة يحمل صينية مليئة بالطعام: "صباح الخير يا عروسة."

ابتسمت بخجل وردت: "صباح النور. ليه تعبت نفسك؟"

جلس بجانبها وهو يضع الصينية أمامها: "مافيش تعب بينا يا روحي. دي أول مرة نفطر سوا، ولازم تكون مميزة."

تناولا الفطور معًا وسط حديث بسيط وضحكات خافتة، لتشعر سارة للمرة الأولى بأن حياتها بدأت تأخذ شكلًا جديدًا مليئًا بالراحة والحب.

في منزل حنين، استيقظت برفقة إيهاب الذي كان يراقبها وهي تفتح عينيها بتثاقل. قبّل جبينها وهمس: "صباح الخير يا حبيبتي."

ابتسمت بتعب وردت: "صباح النور. كان يوم طويل مبارح."

علق بمزاح: "يوم طويل بس ممتع. مش ناسي الرقصة بتاعتنا، كانت أجمل لحظة."

ضحكت بخجل: "وأنا كمان مش ناسية، بس مش هكررها تاني

قدام الناس، كنت حاسة إنهم كلهم بيبصولنا."

ضمها برفق وهمس: "ياريت كل الدنيا تبصلنا وإحنا في لحظات الحب دي، مش فارقة معايا حد غيرك."

بينما كانت هايدي مع علاء، تناقشا حول الفرح وأحداثه. علقت هايدي بحب: "حنين وإيهاب كانوا جمال جدًا مع بعض. واضح قد إيه بيحبوا بعض."

أومأ علاء موافقًا: "صح، وده الأهم. الحب الحقيقي هو اللي بيصنع الفرق. بصراحة، بحب أشوفهم مع بعض، بيعطوا أمل إن الدنيا لسه بخير."

ضحكت هايدي وهي تنظر إليه: "وإحنا؟ مش إحنا أمل لبعض؟"

ابتسم علاء وهمس بحب: "إحنا مش بس أمل لبعض. إحنا كل حاجة لبعض."

في تلك الأثناء، كان هشام في مكان عمله، لكنه لم يتوقف عن التفكير في كلماته مع هدير في الليلة السابقة. شعر ببعض الذنب لأنه لم يستمع إليها أو يهتم بمشاعرها. قرر أن يعود إلى المنزل مبكرًا ليعتذر لها ويحاول تحسين الأمور.

وصل المنزل ليجدها منشغلة مع زيد. وقف يراقبهما للحظات قبل أن يقترب ويقول: "زيد، ممكن أتكلم مع ماما شوية؟"

نظر زيد إلى أمه ثم إلى والده وقال: "ماشي، بس متزعقوش لبعض."

ابتسم هشام بخجل: "لا تقلق، ما فيش زعيق."

جلست هدير تنظر إليه بتردد، ليبدأ حديثه: "أنا آسف لو كنت قسيت عليكِ مبارح. يمكن كنت مضغوط، بس ده مش مبرر إني ما أسمعكيش. إنتِ شريكة حياتي، والمفروض دايمًا نكون مع بعض."

ابتسمت هدير بخجل: "أنا كمان آسفة إني كنت بتصرف بطفولية ساعات. بس بجد، أنا بس نفسي نكون مع بعض أكتر."

وعدها هشام أن يحاول تخصيص وقت أكبر للعائلة، وأن يبدأ بسهرة تجمعهما في نهاية الأسبوع.

8

بدأت الدراسة أخيرًا، وبدأ الجميع يستعد لاستقبال سنة جديدة.

في بيت أميرة، استعدت وهي ترتدي ملابسها بأريحية، تتأمل انعكاسها في المرآة. شعرت بشيء غريب وهي ترى نفسها مختلفة. لم تكن تجد نفسها جميلة من قبل، لكنها الآن ترى شيئًا جديدًا في ملامحها. تساءلت في صمت: هل هذا حقيقي؟ أم أن حب أحمد هو ما جعلني أرى جمالًا لم أره من قبل؟ هل كنت أفتقد الثقة بنفسي؟ أم أن نظرته لي هي التي جعلتني أرى نفسي كما يراني؟

انتبهت على صوته بجانبها، فنظرت إليه بحيرة:

"قولت حاجة، حبيبي؟"

اقترب منها بخطوات هادئة، وكأنه يحاول أن يشاركها أفكارها دون أن يقطع خيط تأملها. وضع يديه حولها بحب، وقبّل رقبتها برفق:

"بقولك سرحانة في إيه كده لدرجة إنك هتتأخري على كليتك يا روح روحي؟"

أمسكت يديه بيديها، ونظرت لعينيه من خلال المرآة قائلة:

"هو ينفع أسألك سؤال؟ بس توعدني تجاوبني عليه بصراحة ومن غير مجاملة؟"

ضحك قليلًا من جديتها المفاجئة:

"أكيد، اسأليني يا روحي، وأوعدك هجاوبك بصراحة."

أدارت نفسها لتواجهه، وعينيها تحملان بعض التردد:

"هو أنا كنت حلوة ولا احلويت بعد ما اتجوزت؟"

نظر إليها للحظة، ثم انفجر ضاحكًا:

"ده سؤالك؟ وأنا اللي حطيت إيدي على قلبي وقلت استرها يا رب!"

ضحكت برفقته، لكنها أصرت وهي تضع يديها على صدره:

"معلش، علشان خاطري جاوبني بجد."

وضع يده على وجنتها بحب، ونظر في عينيها بعمق:

"يا ميرو، الجمال مش بس في الشكل. إنتِ جميلة بروحك، بابتسامتك، وبكل حاجة بتخليني أحبك أكتر. آه، احلويتي كتير بعد جوازنا، بس إنتِ على طول كنتِ حلوة."

نظرت إليه بامتنان، لكن ظلت في عينيها لمحة من الشك:

"بجد؟ يعني مش بس علشان إنت بتحبني وعايز ترفع معنوياتي؟"

تعجب من إصرارها، فهو لأول مرة يشعر بعدم ثقتها بنفسها رغم شخصيتها القوية. أمسك وجهها بكلتا يديه بحنان:

"أنا حبيتك من أول لحظة شوفتك فيها، كنتِ جميلة في نظري وقتها، وكل يوم بتحلوي أكتر وأكتر. الجواز ما زودش جمالك، بس عرفني أكتر على اللي جواك، وده خلاكي أجمل."

ابتسمت أخيرًا بثقة وفرحة تغمر قلبها. شعرت بأنها محبوبة كما

لم تشعر من قبل. بعد أن انتهت، توجهت إلى كليتها بصحبته، وهي تحمل في قلبها طمأنينة تغذيها كلماته وحبه.

في منزل عبد القادر، استعدت حور ليومها بفتور واضح. افتقدت وجود حنين بجانبها ومشاكساتها التي كانت تضفي الحيوية على صباحاتها. جلست برفقة والديها على مائدة الإفطار، تشعر بشيء ينقصها، وكأن غياب حنين ترك فراغًا يثقل الأجواء.

قطع والدها أفكارها بصوته الحنون:

"يا رب تكون سنة خفيفة وسعيدة عليكِ يا حور، وعقبال ما نحتفل بتخرجك يا روحي."

ابتسمت له بحب:

"يا رب يا بابا، على خير. نفسي أغمض عيني وأفتحها ألاقي السنة دي خلصت."

علّق والدها مبتسمًا:

"حالًا هتلاقيها خلصت، بس ليه مستعجلة عليها كده؟"

تدخلت والدتها، صابرين، قائلة بنبرة تحمل بعض المرح:

"علشان تتجوز بقى وتروح بيتها وتبني حياة خاصة بيها. هيكون شريكك سند ليكِ في حياتك."

عقدت حور حاجبيها بضيق وردت:

"جواز إيه اللي بتتكلمي عنه ده؟ مش بفكر في الارتباط نهائي. أنا تعبت من المذاكرة والدراسة، وعجبتني حياة الشغل والصيدليات.

عايزة يكون عندي صيدليتي الخاصة، أفتحها وأكبرها، مش تقولي اتجوز ومعرفش إيه؟"

نظرت إليها صابرين طويلًا قبل أن تقول:

"اختاري راجل كويس وهيساعدك في أحلامك دي، وساعتها ميولك هتتغير و..."

قاطعها عبد القادر بنبرة حازمة:

"اسمعيني يا صابرين، بنتي مش محتاجة حد يقول لها تعمل إيه في حياتها. هي ذكية وقوية كفاية عشان تحقق أحلامها بنفسها."

أشارت صابرين إلى فمها بتهكم:

"سكت خالص أهو."

قطع حديثهم رنين هاتف حور، فقامت بسرعة وأخرجته من حقيبتها. عقدت حاجبيها وهي تنظر للشاشة، مما دفع والدتها للسؤال:

"مين؟"

رفعت حور رأسها قائلة:

"ده حمزة. غريبة!"

علّق والدها بابتسامة:

"طيب ما تردي عليه يا بنتي."

أجابت حور المكالمة، وبعد السلام، قال حمزة بنبرة تحمل شيئًا من

الحرج:

"أكيد إنتِ مستغربة اتصالي، بس حبيت أقولك كل سنة وإنتِ طيبة، ويا رب تكون سنة سعيدة تخلصيها على خير."

أخذت نفسًا عميقًا قبل أن ترد، محاولة إخفاء توترها، لكنها لم تستطع منع نظراتها القلقة نحو والديها:

"وحضرتك طيب يا دكتور. مرسي لحضرتك."

ابتسم حمزة من نبرتها الرسمية وأيقن أن والديها بجانبها، فقال ليمنحها سببًا لتبرير المكالمة:

"والدي كان بيسألك إذا كنتِ هتقدري تستمري معانا ولا خلاص؟ يعني، لو تحبي تكملي هو هيكون مبسوط، واختاري المواعيد اللي تناسبك."

ابتسمت حور وعلّقت بثقة:

"بإذن الله يا دكتور. أشكر والدك جدًا، وأنا هكلمه قريب."

وقبل أن ينهي المكالمة، أضاف حمزة بصوت هادئ:

"تمام، حبيت أصبح عليكِ قبل ما تنزلي وأسمع صوتك. يومك سعيد. باي."

أنهى المكالمة بعد أن اطمأن عليها، بينما أعادت هي هاتفها إلى الحقيبة ونظرت إلى والديها قائلة:

"والده بيسألني لو هكمل معاهم ولا خلاص؟"

أجابت صابرين بسرعة:

"طبعًا خلاص. هتنتبهي لدراستك وكفاية الأجازة."

نظرت حور إلى والدها منتظرة رأيه، فقال بابتسامة هادئة:

"قراراتك ملكك يا حور. أنا واثق إنك دايمًا هتختاري الصح."

ابتسمت بحب وقبلت وجنته:

"ربنا ما يحرمني منك يا أحلى بابا. هشوف إيه المناسب وأبلغكم."

شعرت حور براحة غامرة، وكأن كلمات والدها أزاحت ثقلًا عن كاهلها. لكنها لم تستطع تجاهل إحساس غريب تركه صوت حمزة في قلبها، إحساسًا يثير فضولها أكثر مما تستطيع التعبير عنه.

بينما كانت حور تسير نحو باب الجامعة، شعرت بابتسامة خفية ترتسم على وجهها دون أن تدرك. "غريبة... هو أنا مبسوطة كده ليه؟" تذكرت صوت حمزة ومكالمته لها، وكلماته البسيطة التي جاءت فجأة، لكنها تركت أثرًا دافئًا.

وضعت يدها على قلبها وكأنها تحاول تهدئته، ثم همست لنفسها بابتسامة خجولة: "معقول كل ده بسبب مكالمة؟! لا، أكيد حاجة تانية...."

حاولت أن تطرد الفكرة من رأسها وهي تكمل طريقها، لكن السعادة الخفية بقيت ترافقها طوال الطريق.

دبّ النشاط في بيت إيهاب مبكرًا، فالكل يستعد لأول يوم في الجامعة. استيقظت حنين في غرفتها تبحث بعينيها عن إيهاب، لكنه

لم يكن بجانبها. نظرت لهاتفها، ولاحظت أن الوقت ما زال مبكرًا. تذكرت أنه أول يوم في الجامعة، وبالتأكيد استيقظ ليُحضّر الإفطار لعائلته.

عاد إيهاب إلى المنزل حاملًا الإفطار الذي اشتراه. توجه مباشرة إلى المطبخ، حيث تبعته والدته لتبدأ في إعداد الطعام بنشاط. راقبها وهي تحضّر الأطباق بوجه مبتسم، شعور غريب اجتاحه. كانت تلك الابتسامة شيئًا لطالما حلم أن تكون له وحده، موجهة نحوه في أمر يخصه. لكنها لم تكن له، ولم يتوقع أن تكون يومًا.

نفض إيهاب رأسه، محاولًا طرد هذه الأفكار المزعجة، وتحرك ليساعدها في إخراج الأطباق. فجأة، سمع صوتًا ناعمًا خلفه:

"صباح الخير لحبيبي اللي بيتعمد يقوم من جنبي ويحرمني من حضنه."

التفت إيهاب مبتسمًا. كانت حنين كافية بالنسبة له، عوضه الجميل عن حياة لم تمنحه الكثير. اقترب منها وضمها بحب، وهمس في أذنها:

"إنتِ أجمل عوض من ربنا يا حنين."

نظرت حنين لعينيه بتمعن، ثم رفعت يدها تلمس وجنته بحب. رأت الحزن المخفي في عمق عينيه، فسألته بقلق:

"مالك؟"

حاول المزاح ليهرب من الإجابة:

"بحب مراتي وبعشقها، مستغربة ليه؟"

تقبلت هروبه بصمت، لكنها ألقت نظرة على الطاولة خلفه وقالت بمزاح:

"ده الفطار اللي كنت عايز تنزل تجبهولي؟ أممم... العيش السخن المغري والفول والطعمية، ريحتهم حلوة أوي."

قبّل يدها بحب:

"خلاص، كل يوم هنزل أجيبلك..."

قاطعته بابتسامة خفيفة:

"مش هقدر أفطر بالشكل ده أبدًا بدري يا حبيبي. هتمسك بساندوتش الجبنة بتاعي وخلاص."

قبل أن يُعلّق على كلامها، خرجت والدته من المطبخ تنادي بصوت مرتفع:

"إخواتك صحيوا يا إيهاب؟"

نظرت إلى حنين بحاجبين معقودين قبل أن تضيف ببرود:

"شوف إخواتك جهزوا ولا لسه علشان يفطروا."

كانت كلماتها كافية لإطفاء اللحظة الجميلة التي شاركها مع حنين. تحرك بخطوات ثقيلة لتنفيذ طلبها دون تعليق.

تابعت حنين الأطباق التي أعدتها والدة إيهاب وما وُضع على الطاولة، ففهمت شيئًا من حزنه. والدته أعدت كل شيء بحب

لأبنائها، لكنها بالكاد وجهت كلمة دافئة لإيهاب. لم يكن هذا جديدًا عليها، لكنها شعرت بوجعه هذه المرة كأنه صار ملموسًا.

نظرت إليه بحنو وضغطت على يده بهدوء حتى ينتبه لها، ثم همست:

"هدخل أجهز علشان ما أتأخرش."

رد عليها وهو ينظر لعينيها:

"طيب، افطري الأول؟"

ابتسمت بحنان:

"قولتلك اللي فيها، حبيبي."

تركته لتستعد، بينما علت أصوات والدته تنادي بصوت مرتفع:

"مازن! هبة! قوموا بسرعة."

خرج مازن بابتسامة عريضة يتبعه ضحك هبة وهي تلقي دعابة أثارت المزيد من الضحك. المكان امتلأ بالضجيج، لكن إيهاب كان يراقب كل شيء بصمت.

كل شيء في هذا البيت يعكس حياة مشتركة، لكنه دائمًا شعر كأنه غريب. مازن يأخذ طبق الإفطار بمرح، وهبة تضفي الحيوية بدعاباتها، بينما هو، بالنسبة للجميع، مجرد عنصر خفي يضمن أن تدور الأمور بسلاسة.

انتبه على صوت والدته تسأله بلهجة باردة:

"اديتهم مصروفهم يا إيهاب؟ شوف إخواتك عايزين إيه."

تنهد إيهاب بوجع. تلك هي وظيفته في هذا البيت: أن يكون السند للجميع دون أن يكون هناك من يسنده.

مرت الأيام برتابة أثقلت على قلب إيهاب، كأنها تضيف عبئًا جديدًا إلى أعبائه اليومية. وفي أحد الأيام، عاد إلى المنزل بعد يوم عمل مرهق. عند عتبة الباب، استوقفته هبة بطلبها بعض المشتريات، فتوجه إلى السوبر ماركت دون تردد.

بينما كان يتجول بين الأرفف، وقعت عيناه على اللحوم المجمدة. توقفت خطواته للحظة، كأنما أعادت عقارب الزمن إلى يوم بعيد. ذلك اليوم الذي نزل فيه برفقة حنين وأختها في بداية تعارفهم، وشاهد حماس حنين وهي تختار تلك الأنواع من الطعام بابتسامة طفولية لم تفارق ذهنه منذ ذلك الحين. شعور دافئ اجتاحه، وكأنه وجد طريقة صغيرة ليعيد تلك الذكرى. دون أن يدري، وجد نفسه يضع كيسين من الطعام المجمد في عربته، كأنهما رسالة حب خفية يبعثها لزوجته.

عند وصوله إلى المنزل، فتحت هبة الباب وأخذت المشتريات التي طلبتها منه، بينما اقتربت حنين منه بابتسامة ناعمة، تحمل في طياتها مزيجًا من الترحيب والامتنان. بادلها الابتسامة وأخرج كيسًا من الأغراض قائلاً بحماس:

"تتوقعي جبتلك إيه؟"

نظرت إليه بفضول عفوي:

"قول يلا، مش بحب الفضول."

فتح الكيس وأشار إلى محتوياته بابتسامة فخور:

"استربس وكوردن بلو. مش دول اللي بتحبيهم يا روحي؟"

لمعت عينا حنين بسعادة غامرة، كأن ذكرى قديمة عادت لتضيء لحظة الحاضر. لكن، سرعان ما تسللت ملامح القلق إلى وجهها. فكرت في الضغط الذي يتحمله إيهاب يوميًا، ساعات عمله الطويلة، وإرهاقه المستمر، وكل ذلك ليوفر لهم حياة مستقرة. ازدحمت التساؤلات في ذهنها، لكنها اكتفت بالقول بهدوء:

"إيهاب، مش حابة إنك تضغط نفسك وتكلف نفسك فوق طاقتك."

قاطعها بابتسامة صافية، وكأنه يحاول طمأنتها:

"ما تكمليش علشان خاطري. بلاش تحسسيني إني مقصر أوي كده. يعني لو مش هعرف أجيبلك أكلة بتحبيها، يبقى لازمته إيه الشغل أصلاً؟"

أخذت الكيس منه بصمت، مشاعرها متضاربة بين الامتنان والحب والقلق، ثم أسرعت إلى المطبخ لترتب المشتريات.

أما إيهاب، فقد توجه إلى غرفته ليغسل تعب اليوم. وبينما كان يغتسل، فكر في ابتسامتها. كان يعلم أن حنين تحاول دائمًا إخفاء قلقها عليه، لكنه كان يراها، يقرأها ككتاب مفتوح. هي تعرف أنه يتحمل فوق طاقته، لكنه لا يستطيع أن يفعل أقل من ذلك. كان حبها يستحق كل هذا وأكثر، بالنسبة له على الأقل.

على طاولة الغداء، جلس الجميع بهدوء مشوب بالتوتر المعتاد. كانت الأطباق أمامهم شاهدة على الصمت الذي غلب الحوار. انتهت هبة من طعامها أولًا، فنهضت بحرج وهي تنظر إلى حنين قائلة:

"معلش، أنا تعبانة شوية. ينفع أدخل أرتاح؟ (نظرت إلى حنين بارتباك) ينفع تشيلي الأكل يا حنون، ولا أساعدك؟"

رسمت حنين ابتسامة مطمئنة وبنبرة هادئة حاولت أن تبدد توترها:

"ادخلي ارتاحي، يا روحي، ولا يهمك."

راقب إيهاب والدته وهي تتابع الحوار بين حنين وهبة بعينين تحملان برودًا ظاهرًا. قلبه غارق في تساؤلات لا تجد إجابات: لماذا تعامل والدته زوجته بهذه القسوة الباردة؟ لماذا تبخل عليهما بابتسامة أو كلمة طيبة؟

حين انتهى الجميع من الطعام، همّ مازن بالمغادرة إلى غرفته، فتبعته والدته وهي تقول باعتذار متصنع:

"هدخل أطمن على هبة. حنين، شيلي الأكل ونظفي السفرة. سيبي المواعين، أنا هبقى أغسلها بعد ما أرتاح شوية."

ساد الصمت بين الزوجين بعد مغادرة الجميع. كانت حنين منشغلة بجمع الأطباق، لكن نظراتها الحانية تسللت بين الحين والآخر نحو إيهاب. لاحظت انكساره الصامت، فأرادت أن تكسر هذا الحاجز الثقيل الذي بات يفصل بينهما. مدت يدها بهدوء وأمسكت يده، وهمست بابتسامة خافتة:

"حبيبي، الأكل مش عاجبك النهارده ولا إيه؟"

رفع إيهاب نظره إليها بسرعة، وكأنها انتشلته من دوامة أفكاره. ابتسم بخفة:

"لا، طبعًا جميل جدًا. تسلم إيديكِ يا روحي. المهم، احكيلي يومك كان عامل إيه؟"

فكرت حنين للحظات، ثم قالت بفتور:

"مفيش جديد. بس سارة رجعت من شهر العسل وعاملة نفسها هانم."

ابتسم إيهاب ابتسامة محايدة، لكن وجعًا خفيًا تسلل إلى قلبه:

"ليه يعني؟ هي مش هانم؟ جوزها نائب المدير، أعتقد حقها."

اندفعت حنين بالرد، وكأنها تبرر مشاعرها:

"لا طبعًا هي مش هانم، هي جاية من بيت بسيط وكانت بتضحك على الكل وتعمل نفسها من بيت غني. بس ربنا سهلها واتجوزت زهير. ما علينا، أنا مش عايزة أخوض في عرضها، لكن جوازها نقلها ليفيل تاني خالص."

لم يكن إيهاب في مزاج للجدال، فاكتفى بابتسامة بسيطة وعلّق:

"برضه حقها تعيش دور الهانم يا حنين. هي حلمت وحققت حلمها أهو. انتِ بقى يا روحي، حلمك إيه؟"

ضغطت حنين على يده بحب:

"حلمي؟ أعيش أنا وإنت لوحدنا في بيت صغير، ونخلف بنوتة حلوة أو ولد. اللي يجيبه ربنا كويس."

ارتسمت على وجه إيهاب ابتسامة حزينة. تخيل للحظة ذلك البيت الصغير، لكن ابتسامته سرعان ما تلاشت. كان حلمها بسيطًا، لكنه بدا له بعيدًا جدًا، وكأنه ينتمي لعالم لا يستطيع الوصول إليه.

شعر إيهاب بالضيق يزحف إليه كظل ثقيل، لا ينفك يلتف حوله. مصاريف البيت باتت عبئًا خانقًا، تتزايد يومًا بعد يوم، وكأنها تتحداه أن يصمد. لم يكن يدري على وجه اليقين ما الذي يقف وراء هذه الزيادة المفاجئة: هل هي طلبات أخيه التي لا تنتهي؟ أم المبلغ الذي يمنحه لوالدته، والذي شك أحيانًا أنها تدخر جزءًا منه من ورائه كما كانت تفعل سابقًا؟

كانت هذه الأفكار تطارده بلا هوادة، تزيد من وطأة إحساسه بالعجز، وتدفعه للبحث عن مخرج، حتى ولو كان واهيًا.

جلس على أريكته القديمة في سطوحه المقفر، واضعًا رأسه بين يديه. تداخلت الأفكار في عقله، تبحث عن مخرج. فجأة، خطر بباله يس، صديق الدراسة القديم، ذلك الشخص الذي كان دائمًا يعرف كيف يجد حلولًا خارج الصندوق. أمسك بهاتفه، وتردد للحظة، لكنه في النهاية ضغط على رقم يس.

بعد عدة رنات، أجابه يس بصوته المألوف: هوبا! أخبارك إيه يا راجل؟ محتاج حاجة ولا الاتصال ده علشان وحشتك؟

ابتسم إيهاب بخجل وهو يحاول السيطرة على توتره:

أكيد وحشتني يا عم يس، بس كنت عايز أسألك حاجة كمان... لسه بتعرف أو بتتواصل مع حد من الطلبة؟ ولا خلاص، اتخرجت وقطعت كل العلاقات؟

صمت يس للحظة وكأنه يحاول قراءة ما وراء السؤال، ثم أجاب بنبرة مرحة: إنت لسه بتشتغل في رسم اللوحات للطلبة؟

ابتسم إيهاب، لكن ابتسامته حملت إحساسًا بالحرج: لو في فرصة، مش هقول لأ.

أجاب يس بسرعة، وقد بدأ يفكر في جدية الأمر:

طيب، أنا لسه أعرف كام واحد في الكلية، وكمان عم مصلحي بتاع البوفيه ممكن يساعدني. هسأل وأرد عليك.

أغلق إيهاب الهاتف وهو يشعر ببصيص من الأمل. ربما يكون هذا هو الحل الذي يبحث عنه، باب جديد لرزق قد يخفف عنه هذا الحمل الثقيل.

قاطع أفكاره ظهور حنين بابتسامتها المشرقة التي كانت كفيلة بمحو كل همومه دفعة واحدة. اقتربت منه بخفة، وقالت بنبرة دافئة تعانق قلبه:

"حبيبي، يوم إجازتنا وأنت سايبني وقاعد فوق السطح؟ قولت أكيد بترسم، بس لقيتك قاعد وسارح وبس!"

ابتسم قليلاً وهو يستقبلها بين ذراعيه، يحاول أن يشرح حاله:

"معلش يا روحي... حاولت أرسم، بس حسيت إني مرهق ومش

قادر."

وضعت يديها على وجهه برفق، نظرت في عينيه بحنان كأنها تحاول أن تزيل عنه كل تعبه:

"إن لبدنك عليك حق، يوم الإجازة ده للراحة..." ثم أضافت بابتسامة خبيثة: "ولحضني طبعًا!"

ضحك وربّت على شعرها بحب،: "تعالي اقعدي جنبي."

لكنها أمسكته من يده، تمنعه من الجلوس:

"نطلع نقعد ماشي، بس الأول لازم ناكل. أنا جهزت الأكل تحت وطلعت أنادي عليك، يلا قبل ما مازن يخطف الأكل كله!"

ضحك بصوت عالٍ، وهو يتبعها بخطواته وكأن الحياة بدأت تعود لتدب في جسده من جديد، كما لو أن وجودها بجواره كان كفيلًا بأن يحمل عنه نصف أعباء الدنيا.

نزل إيهاب مع حنين إلى الطابق السفلي، حيث تفاجأ بأن حنين قد أعدت وجبة سريعة من الدجاج المجمد الذي كان قد أحضره مسبقًا: استربس وكوردون بلو. وقبل أن يجد فرصة للتعليق، ظهر مازن وهو يحمل زجاجة مشروب غازي، وضعها على الطاولة بابتسامة مرحة قائلاً:

"البيبسي أهو، أي خدمة؟"

لم تمر لحظات حتى اقتربت والدتهم، وكما كان متوقعًا، لم يعجبها المشهد. ألقت نظرة على الطاولة وعلّقت بنبرة تهكمية لا تخلو من

الاستياء:

"وهو ده بقى فطار ولا غدا؟ السندوتشات والبيبسي؟ ده هيشبع مين؟"

ابتسم مازن في محاولة لتهدئتها، فأمسك بذراعها برفق:

"يا أمه، مش هتفرق فطار من غدا، المهم ناكل."

ثم التفت إلى إيهاب وحنين وأضاف بابتسامة واسعة ونبرة مزاح:

"عايزين وجبة زي دي كل أسبوع، أبوس إيديكم!"

ضحك إيهاب وحنين على تعليق مازن، لكن نظرات الأم بقيت ثابتة على الطاولة، وكأنها تفكر في عواقب "هذا النوع من الأكل" أكثر مما تُظهر. ومع ذلك، لم تقل شيئًا آخر، ربما لأنها أدركت أن ابنها لن يسمح لها بإضافة المزيد.

رغم المزاح الذي دار على الطاولة، لاحظت حنين شرود إيهاب وقلة حديثه، فهو بالكاد شارك في المزاح المعتاد، بعكس طبيعته المرحة. بعد أن شكرها على إعداد الوجبة، نهض بصمت واتجه نحو غرفته.

تساءلت هبة بقلق وهي تنظر إلى حنين:

"هو إيهاب ماله يا حنين؟ في حاجة مضيقاه؟"

رفعت حنين كتفيها في حيرة، وقالت بصوت خافت:

"مش عارفة... اخدتي بالك إنه متضايق، صح؟"

لم تفوت قدرية الفرصة للتعليق بتهكمها المعتاد:

"مش يمكن من الأكلة اللي ملهاش تلاتين لازمة؟ وسعرها اللي كان ممكن يغدينا كذا يوم بدل ما نصرفه على الأستربس والاستعباط ده؟"

ردت هبة بنبرة عتاب وهي تلتفت نحو والدتها:

"سيبيها في حالها يا أمه! وبعدين إيهاب هو اللي جاب الأكل مش هي. وبصراحة، تسلم إيديكي يا حنون، الأكل كان لذيذ."

ثم أضافت وهي تنهض:

"أنا هروح أشوف ورايا إيه بعد إذنكم."

راقبت قدرية ابنتها هبة وهي تغادر الغرفة، ثم التفتت نحو حنين بنظرة تحمل اللوم والانتقاد. لم تنتظر طويلًا قبل أن تفجر كلماتها بنبرة جافة:

"يا أختي، لو كنتِ متعودة تأكلي الكلام ده في بيت أبوكِ، إحنا هنا مش متعودين عليه. ساندوتشين فينو مش هيشبعوا راجل شقيان زي جوزك، ولا شاب زي مازن. فلو صباع فينو هيأكلك ويشبعك، إحنا غيرك!"

نظرت إلى حنين بنظرة طويلة قبل أن تضيف بحدة أكبر:

"فبدل ما تعملي نفسك مهتمة وبتخافي عليه، وتضحكي عليه بحضن وتقوليله حبيبي، وفزي يا أختي تمن أكلة زي دي. ده الحب اللي أنا أعرفه! أما المياصة وقلة الأدب دي، مش حب."

لجمت الصدمة حنين للحظات، لكنها سرعان ما استعادت توازنها، محاولة الدفاع عن نفسها بصوت هادئ:

"أنا فعلاً كنت متعودة على كده في بيت بابا، بس من يوم ما اتجوزت إيهاب وأنا باكل اللي موجود ومبطلبش حاجة فوق طاقته. ومش أنا اللي طلبت منه يجيب ده."

علّقت قدرية بعدم تصديق، وهي ترفع حاجبيها بسخرية:

"وهو يا أختي يعرف الاستربس ولا التاني ده منين؟ هاه؟ وبعدين جابهم ونادى عليكِ وقال علشانك."

أوضحت حنين، تحاول السيطرة على انفعالاتها:

"أيام ما كان شغال في بيتنا، اشتريناهم مرة، وهو شافهم واتكلمنا عنهم. بس ده كان زمان، قبل حتى ما نتكلم مع بعض."

ضحك مازن بخبث وأضاف، بنبرة ساخرة:

"إيهاب يا أمه بيسجل جون عند حنين، فافتكر حاجة بتحبها من بيت أبوها وعمل نفسه سبع الرجال وجابها لها. تلاقيه دلوقتي شايل طاجن سته ومش عارف هيكمل الشهر منين."

قفزت حنين واقفة بغضب، ودافعت عن زوجها بشراسة:

"إيهاب سبع الرجال بجد، مش عامل نفسه. ولو في حد محسوب على الرجالة، فأكيد اللي بيقعد من غير شغل مش اللي شقيان وبيصرف على غيره. فقبل ما تتريق وتتكلم، ياريتك تبقى نصه حتى. تعرف تكون شبهه، بدل ما إنت قاعد تتمرمغ بفلوسه وبتتعلم بيها!"

وقف مازن غاضبًا، لكن قدرية أسرعت بإمساك ذراعه، تمنعه من الرد، وقالت بحدة:

"ما تردش عليها دلوقتي. هي عايزة توصّل إيهاب للمرحلة اللي يهدد فيها ويقول: ‹أسيبلكم البيت.› وده اللي هي عايزاه. تخرجه بره البيت، ويبطل يصرف علينا. هي مش جاية تعيش، جاية تولّع في البيت!"

رفعت حنين رأسها بعناد وبكل ثقة:

"أنا وافقت أعيش معاه في ظروفه، في أوضته. ولو كنت عايزة أسيبه أو أعيش بعيد، كنت عملتها من زمان. أنا بحب إيهاب، ومصاريفه مش فارقة معايا. يدي فلوسه لمين، أو يصرفها فين، ده قراره."

ضحك مازن بسخرية مريرة:

"طيب، لو إنتِ قادرة كده، ما تشمري وتساعديه. ولا هو كلام وبس؟"

نظرت إليه باشمئزاز و بصرامة:

"إيهاب راجل. مش هيقبل واحدة تصرف عليه أصلاً. فاهم يعني إيه راجل؟"

رد مازن ببرود:

"هو ده اللي بتقنعي نفسك بيه؟ لو كنتِ عايزة تساعديه بجد، كنتِ ساعدتي في مصاريف البيت من غير ما يعرف. اللي عايز يساعد،

بيساعد."

نظرت له حنين بذهول، مصدومة من بروده وجحوده. قبل أن تتحدث، قاطعتها قدرية:

"إنت مصدق إنها بتحبه؟ هي بس عجبها زي أي لعبة باباها كان يجيبها لها، أخدته لفة وتجربة. لو كان فيها خير، مكنش الدكتور اللي كانت متجوزاه طلقها!"

فتحت حنين فمها للرد، لكنها تفاجأت بصوت إيهاب يناديها من الداخل:

"حنين! كل ده مخلصتيش أكل؟"

نظرت للجميع بتحدٍ صامت، ثم قالت:

"جاية يا إيهاب."

أضافت بصوت منخفض وهي تهم بالمغادرة:

"خسارة تعب إيهاب علشانكم والله. خسارة."

ردت قدرية بتهكم:

"روحي يا أختي، اضحكِ عليه وخديه في حضنك."

استدارت حنين وقالت بصوت واثق:

"هاخده في حضني لأنه يستحق وهعوضه عن أمه اللي قست عليه. وما تخافيش، هو هيكمل دوره للآخر. وما تخافيش على النونو بتاعك، هيتم جميله معاه لحد ما يتخرج ويبقى دكتور. بس

يارب يستاهل تضحيتك باللي يسوى – ثم نظرت لمازن باشمئزاز وأكملت- علشان خاطر اللي ما يسواش."

داخل الغرفة، أغلقت حنين الباب خلفها وحاولت استعادة رباطة جأشها. ابتسمت لإيهاب محاولة إخفاء ألمها:

"أخيرًا ناديت عليا؟ عارف لو ما كنتش ناديتني كنت هاعمل إيه؟"

ابتسم إيهاب ومد يده ليحتويها:

"ليه ما جيتيش ورايا من الأول؟"

ردت حنين بخفّة:

"كنت بتكلم مع مامتك وهبة. قولت أستناك تناديني. جوزي حبيبي مش هينساني – أضافت بمزاح – بس سيادته دخل ونسيني.

ضحك على مزاحها وعلق بحب: معلش يا روحي، خوفت انادي عليكِ تكوني لسه بتاكلي وتتحرجي فقولت اسيبك براحتك.

أضافت هي بمزاح: لا يا حبيبي بعد كده تناديني على طول أو الأسهل رجلي على رجلك.

ضحكا سويًا، بينما تنهد إيهاب بحب يخالطه ثقل في صدره، يشعر بوطأة ما تخفيه حنين عنه من جدال دار مع عائلته. كان قد سمع نهاية الحديث، لكنه آثر الصمت. كان يدرك أن الحب الذي يجمعهما، رغم عمقه، لن يكون كافيًا دائمًا لإسكات أصوات الشك والتجريح التي تعشش في منزله.

قلبه كان يثقل بتلك المعرفة المؤلمة: أن أخاه وأمه لن يقتنعا يومًا

بحب حنين له. في نظرهما، هو مجرد رجل عادي، لا قيمة له تستحق أن تجعله محور حب امرأة مثلها. ومع ذلك، لم يكن إيهاب يستطيع أن يهرب من شكوكه الخاصة، تلك التي تراوده في لحظات ضعفه: كيف يمكن أن تحبه حنين بهذه الطريقة؟ وهل هو حقًا يستحق حبها العميق؟

كان يخشى من اليوم الذي قد تقرر فيه حنين الرحيل، ذلك اليوم الذي سيتركه وحيدًا في مواجهة أكبر مخاوفه: أن يفقدها. كان هذا الخوف ينمو بداخله ببطء، يلتهمه شيئًا فشيئًا، ويدفعه للشك في كل لحظة سعيدة يعيشانها معًا، وكأن السعادة أصبحت في عينيه هشة، لا تقوى على الصمود أمام واقعه.

بعد عدة أيام، قرر إيهاب أن يصنع لحنين ساندوتشات لتأخذها معها إلى عملها. فتح الثلاجة يبحث عن المجمدات التي اشتراها خصيصًا لها، لكن لم يجد لها أثرًا. قلب الأرفف بيديه بتوتر، وكأن اختفاء الطعام يعكس شعورًا دائمًا بالضياع بداخله.

توجه إلى والدته محاولًا أن يبدو هادئًا:

"أمي، ما شوفتيش كيس الاستربس اللي جبته من كام يوم معايا؟"

ردت والدته بنبرة حاولت أن تبدو طبيعية:

"أخوك رجع بالليل جعان، فقالي هيعمل منه. قولتله يعمل، هو وأختك اتعشوا بيه."

توقف للحظة، وكأن الكلمات صفعة خفيفة لكنه شعر بوقعها ثقيلًا

على روحه. سألها بهدوء يحمل تحته وجعًا دفينًا:

"مفضلش أي حاجة منه؟ حتى ساندوتش واحد لحنين تاخده شغلها؟"

قلبت شفتيها بتهكم واضح، وقالت ببرود:

"لا، ما فضلش. بعد كده اكتب عليه اسم حنين ومحدش هيقرب منه."

تنهد إيهاب، محاولًا قمع الغصة التي تزداد في صدره، ورد بصوت خافت، لكنه كان يرتجف من الداخل:

"يا أمه، ما قصدتش كده. بس اللي ياكل يعمل حساب الكل، ولا إيه؟"

أدارت وجهها عنه بتعبير يحمل سخرية واضحة:

"هقولهم المرة الجاية ما يشبعوش وسيبوا للهانم مراتك."

وقف للحظة، يحاول النطق، لكنه شعر أن الحديث معها أشبه بالجدال مع صخرة. أدار ظهره، يحمل إحساسًا بالخسارة المعتادة، ودخل إلى غرفته حيث كانت حنين تستعد للخروج.

رفعت رأسها نحوه بابتسامة مشرقة، وقالت وهي تدور أمامه:

"إيه رأيك؟ ناقصني حاجة ولا كده تمام؟"

نظر إليها، حاول أن يرسم ابتسامة تخفي ما يشعر به، أمسك يدها بلطف وقبّلها بحنان:

"كده فوق التمام. إيه رأيك نفطر سوا بره النهارده؟ وأوعدك مش هتأخري وهوصلك بسرعة."

نظرت له بتردد للحظة، لكنها قرأت شيئًا في عينيه، شيئًا لا تعرفه تمامًا لكنها شعرت بثقله. أجابت برفق:

"يلا، بس هتوصلني يا روحي؟"

في المطعم، حاول إيهاب الاستمتاع باللحظة المسروقة من الضغوط اليومية. طلب بعض الساندوتشات لعائلته دون أن يعلق، لكن حنين لاحظت ذلك. لم تستطع منع نفسها من التساؤل داخليًا: كيف يمنحهم كل هذا الحب، بينما لا يعطونه حتى كلمة شكر؟

بعد أن أوصلها إلى البنك، عاد إيهاب إلى المنزل ووضع الساندوتشات أمام والدته بهدوء:

"جبت ساندوتشات سخنة أهي، اتفضلي يا أمي، افطري."

تناولت الكيس دون أن تنظر إليه:

"شوية كده، ماليش نفس دلوقتي."

اخذت الكيس وتوجهت للمطبخ.

بعد لحظات، خرجت هبة من غرفتها، فاستوقفها بحب وابتسامة متعبة:

"تعالي افطري يا بوبا. الساندوتشات سخنة."

نظرت إليه بأسف صادق:

"سوري يا هوبا. فطرت وأخدت معايا كمان للجامعة. بس هاخد واحد زيادة، ربنا ما يحرمني منك"

أخذت الساندوتش وقبّلت وجنته قبل أن تغادر.

خرج مازن من غرفته بخطوات مسرعة، وعيناه تعبران عن ضيق لم يخفه:

"أخيرًا رجعت؟"

رفع إيهاب عينيه بهدوء رغم ثقل الأيام في صوته:

"خير؟ عايز حاجة؟"

رد مازن بسرعة كأنما يحمل طلبًا مستعجلًا:

"طقم من عندك ألبسه، ينفع ولا؟"

تنهد إيهاب دون أن يظهر ضيقه، ثم وقف متجهًا إلى غرفته، يتبعه مازن بخفة. فتح دولابه وأشار إليه بيده:

"اتفضل، خد اللي يعجبك."

قلب مازن الملابس بنشاط وابتسامة رضا تعلو وجهه، حتى اختار بنطلون جينز وقميصًا يناسبه. بينما كان على وشك المغادرة، أوقفه إيهاب بلطف:

"في ساندوتشات بره، ابقى افطر وخد معاك الجامعة."

ابتسم مازن دون اهتمام كبير، وقال بمرح:

"أمي عملتلنا أحلى ساندوتشات استربس. فطرنا كلنا بيها، وأخدت

معايا الجامعة، وحتى هبة أخدت معاها. حتى كان فاضل اثنين، شالتهم وقالت هتاكلهم بعدين."

قبل أن يغلق الباب خلفه، التفت إلى أخيه بنظرة فضولية:

"اه صح، انت جبت ساندوتشات ليه؟ أمي قالت إنكم فطرتوا إنت وحنين، وأخدتوا ساندوتشات كمان للشغل."

حاول إيهاب أن يرد دون أن يكشف عن وجعه الذي كان يملأ صدره. رسم ابتسامة باهتة و بهدوء:

"قولت يمكن تكونوا ما شبعتوش. أمي قالت إن الاستربس مش بيشبع حد."

تركه مازن وغادر، بينما أغلق إيهاب الباب ببطء. وقف وحيدًا في الغرفة، وكأن الجدران تضيق عليه. وضع يده على قلبه الذي بات ينبض بثقل لا يحتمل. كان يعلم أن أمه تعطي كل شيء لإخوته، بينما لا تمنحه سوى الفتات، لكنه لم يفهم أبدًا لماذا. لماذا يُعتبر دائمًا الزائد عن الحاجة في هذا البيت؟

كانت كلمات مازن كافية لتعيد فتح جرح يحاول اغلاقه كل يوم. حاول أن يتمالك نفسه، لكنه شعر وكأن الهواء يهرب من حوله. جلس على طرف السرير، يدفن وجهه في يديه، يحاول أن يجد في داخله أي تفسير يبرر قسوة والدته.

خرج إيهاب بعد لحظات من غرفته، متوجهًا إلى عمله. لمح والدته جالسة أمام شاشة التلفاز، تتابع برنامجًا بابتسامة هادئة كأن شيئًا لم يحدث. كان مشهدها يزيد من ثقل قلبه، وكأن كل وجعه يختبئ

خلف تلك الابتسامة.

جلس أمامها بصمت، عيناه مثبتتان عليها، وكأنهما تحملان أسئلة لا يستطيع التعبير عنها. انتبهت لنظراته وسألته بلامبالاة، دون أن تحول نظرها عن الشاشة:

"مالك؟ بتبصلي كده ليه؟"

اقترب منها، وكأن المسافة بينهما لا يمكن عبورها إلا بالوجع. جلس قبالتها، وصوته يخرج محملًا بكل ما لم يقله لسنوات:

"إنتِ ليه بطلتي تحبيني يا أمه؟ ليه بتستخسري فيا اللقمة حتى؟"

رفعت عينيها نحوه، وكأنها تفهم تمامًا ما يقصده. علّقت بنبرة باردة تحمل في طياتها استفزازًا متعمدًا:

"علشان هتطلعها من بوقك وتديها لمراتك، صح ولا غلطانة؟"

شعر بوجع يخترق صدره. لم يكن الأمر عن الطعام فحسب، بل عن كل مرة شعر فيها بأنه غير مرئي في هذا البيت. قال بحيرة، محاولًا أن يفهم:

"وإيه يعني؟ وده يضايقك ليه؟ يا ستي أنا مش هاكل ومش عايز. هديها نصيبي. إيه اللي يزعلك في ده؟"

هربت بنظراتها بعيدًا عنه، وكأنها لا تريد مواجهة عينيه، لكنها لم تتردد في الرد ببرود قاسٍ:

"مش بحبها، ومش هحبها. وطالما هتطلع وتديها، يبقى هستسخر فيك إنت كمان."

شعر كأن الأرض تسحب من تحت قدميه. لم يكن يتوقع أن تسمح لنفسها بالرد بهذا الشكل، حتى وإن كانت مشاعرها واضحة طوال الوقت. غص قلبه بوجع لا يستطيع احتماله، وحاول أن يحتفظ برباطة جأشه، لكنه لم يستطع كبح السؤال الذي خرج منه بصوت متحشرج:

"مش خايفة من ربنا على ظلمك ليا؟ على ظلمك لينا أنا وحنين؟"

نظرت إليه بحدة، وكأن كلماته كانت هجومًا لا تستطيع تقبله:

"ظلمي؟ ليه يا أخويا؟ طيب ما تخاف إنت من ربنا على غضبي عليك. اتجوزتها بدون رضايا. مش ده عقوق؟ قبل ما تكلمني عن ظلمي، شوف حقي عندك إيه."

ثم أضافت، بنبرة تحمل نهاية الحديث:

"قوم يا إيهاب، شوف شغلك. عايزني أرضى عنك؟ رجّعها بيت أبوها."

نظر إليها، وكأن شيئًا داخله قد انكسر بشكل لا يمكن إصلاحه. أدرك في تلك اللحظة أن جداله معها لن يغير شيئًا، وأن حبها المفقود لن يعود، وأن قبولها لحنين كان حلمًا بعيد المنال.

وقف بهدوء، رغم العاصفة التي اشتعلت داخله. لم يرد. لم يحاول حتى أن يرد. توجه إلى باب المنزل بخطوات مثقلة، وخرج متوجهًا إلى عمله. قلبه كان يتمزق، وكل سؤال يطرحه على نفسه يزيد من وجعه: كيف يمكن لشخص أن يقاوم كل هذا الجفاء، ويظل يعطي بلا مقابل؟ كيف يمكن أن يتهم بالعقوق فقط لأنه أحب؟

كان يعلم أن والدته لن تحبه كما تحب إخوته، ولن تعطيه يومًا ما يستحقه من تقدير. لكنه لم يستطع أن يمنع قلبه من التعلق بها، ولا أن يطفئ ألمه الذي صار رفيقه الدائم.

كان هشام يقف أمام المرآة في غرفة المعيشة، يرتب ربطة عنقه بعناية ويرش عطرًا نفاذًا يعكس اهتمامه المبالغ بمظهره. هدير كانت جالسة على الأريكة، تراقبه بصمت. ابنها يلهو بسيارته الصغيرة على الأرض، لكن ضحكاته لم تنجح في إخفاء الثقل الذي يسيطر على الجو.

عيناه كانتا ثابتتين على انعكاسه في المرآة، وكأنه يتأكد من كل تفصيلة أخيرة. بينما هي، كانت تغرق في أفكارها. تراقب تحركاته بعيون تحمل خيبة متكررة. كانت تعرف جيدًا أن هذا ليس شغلًا ورغم ذلك، لم تسأله. كانت قد سئمت السؤال وسئمت الكذب الذي يتبعه.

زيد، بريء كعادته، التفت نحو أبيه وقال بابتسامة واسعة:

"بابا، هتلعب معايا شوية؟"

انحنى هشام قليلًا وربت على رأس زيد بحنان، محاولًا إخفاء تململه:

"بكرة يا زيزو. بابا النهارده مشغول، لكن بكرة نلعب طول اليوم."

رد زيد بحماسة طفولية:

"وهنروح الملاهي كمان؟"

ضحك هشام بخفة، ثم استقام وهو يضع ساعته:

"هنروح الملاهي، وعد."

هدير لم تقل شيئًا، لكنها كانت تتابع المشهد بصمت. كم من مرة وعد زيد بشيء ثم انشغل عنه؟ وكم من مرة وعدها هي نفسها بشيء وتركها وحيدة؟

عندما انتهى من تجهيز نفسه، التقط هاتفه من الطاولة. التفت إليها، فوجدها تراقبه بعينين تحملان خليطًا من الحزن والخوف. شعر بثقل نظراتها، لكنه لم يكن مستعدًا للدخول في نقاش يعرف نهايته.

"مش هتأخر يا هدير. خلي بالك من زيد."

ابتسمت ابتسامة باهتة و بصوت هادئ:

"أكيد مش هتتأخر؟"

شعر بوخزة من كلمتها البسيطة. كانت تحمل في طياتها ما لم تقله، لكنه تجاهلها. اقترب منها وربّت على كتفها بحنان، محاولًا أن يمسح أثر الشك الذي يعرف أنه يزرعه فيها:

"أنا عارف إنك زعلانة مني. بس صدقيني، كل ده علشانكم. كل حاجة بعملها، بعملها علشانك إنتِ وزيد أنا محتاج العميل ده وعايزه يجي ينقل شغله عندنا في البنك ولو قدرت اقنعه هتبقى حاجة كويسه جدًا يا روحي، معلش يا ديرو حاولي تعذريني "

لم ترد، بل اكتفت بإيماءة صغيرة وهي تخفض نظرها إلى الأرض.

لم تكن الكلمات تعني شيئًا الآن. كانت تعرفه، تعرف هشام الذي تحبه والذي يخشى أن يخسرها، لكنها تعرف أيضًا هشام الآخر، ذلك الذي لا يستطيع أن يقاوم أهواءه.

تركها وخرج، وأغلق الباب خلفه ببطء.

ظلت هدير جالسة في مكانها، تحمل زيد الذي بدأ يشعر بالنعاس. وضعت يدها على بطنها المنتفخ قليلًا، ومررت أصابعها بلطف. كان طفلها القادم يمثل كل أملها بأن تتغير الأمور، لكنها كانت تخشى أن يكبر هذا الطفل أيضًا وسط الخذلان نفسه.

زيد، بنعاسه الطفولي، همس لها وهو يغفو في حضنها:

"بابا مش هيتأخر، صح؟"

أجابت بصوت خافت كأنها تطمئن نفسها قبل ابنها:

"لا يا حبيبي، بابا مش هيتأخر."

لكنها كانت تعرف الحقيقة. هشام سيعود متأخرًا، وربما برائحة عطر نسائي ليست لها، وربما بابتسامة يحاول أن يخفي بها شيئًا.

نظرت إلى الباب للحظة طويلة، ثم أغمضت عينيها. كانت تعلم أنها تحبه، وتعلم أنه يحبها، لكنها أيضًا تعلم أن حبهم وحده لا يكفي لإطفاء النار التي تشتعل داخل هشام كلما فكر في امرأة أخرى.

إيهاب في طريقه لمنزله آخر النهار، وقف أمام باب المسجد مترددًا، يتساءل في نفسه هل يتحدث مع الشيخ أم لا. حبه لحنين يشتعل في قلبه، لكن صوت والدته يثقل روحه ويزرع الشكوك. أخيرًا، جمع

شجاعته ودخل المسجد. وجد الشيخ يجلس في ركن بعيد، يقرأ في كتاب.

اقترب إيهاب بخطوات مترددة قبل أن يجلس أمامه ويسلم عليه: "السلام عليكم يا شيخنا."

رفع الشيخ نظره بابتسامة هادئة: "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. أهلا يا إيهاب يا ابني، اتفضل، خير يا ابني؟"

نظر إيهاب للأرض قليلًا قبل أن يتحدث: "كنت عايز أسألك في حاجة مهمة مطمنة قلبي. أنا متجوز، ومراتي الحمد لله طيبة، ومش بتعمل حاجة تضايق أمي، لكن أمي مش راضية عنها وبتقولي أطلقها... أنا... هل حبي ليها يبقى حرام لو أمي رفضاها؟"

ابتسم الشيخ بلطف وقال: "يا بني، الشريعة التي أمرتك ببر والدتك هي نفسها التي أمرتك بعدم ظلم زوجتك أو انتهاك حقها. إذا كانت زوجتك لا تؤذي والدتك ولا تقصر في حقها، فلا طاعة لوالدتك في طلاقها. قال النبي ﷺ: إنما الطاعة في المعروف."

نظر إيهاب إلى الشيخ بحيرة وسأله: "يعني لو أمي مش بتحبها، أعمل إيه؟ أطيع أمي؟"

هز الشيخ رأسه بحزم وأضاف: "المطلوب منك يا بني أن تؤلف بين القلوب، تسعى لجعل أمك وزوجتك على وفاق. لكن لا يجوز أن تظلم زوجتك وتفقدها بسبب موقف والدتك إذا لم تكن زوجتك مؤذية أو مقصرة في حقها. اجتهد في التوفيق بينهما، ولا تطع أحدًا على حساب الآخر إذا كان ذلك يؤدي إلى ظلم أو قطيعة."

أحس إيهاب براحة في قلبه، وشكر الشيخ بحب: "جزاك الله خيرًا يا شيخ. كلامك طمني."

ابتسم الشيخ: "ربنا يعينك يا بني، ويحفظ لك بيتك وأسرتك. لا تنس الدعاء لله أن يحنن القلوب."

نهض إيهاب وعاد إلى بيته، يشعر باليقين أن عليه أن يحارب للحفاظ على زواجه، دون أن يغفل عن حق والدته.

كان هشام جالسًا في الزاوية المعتادة بالكباريه، يُلقي بنظراته المليئة بالإعجاب نحو إيمي وهي تؤدي رقصة مثيرة على المسرح. كانت الأضواء الخافتة تعكس لمعة عينيه، وكأنها تخدر أي شعور بالذنب يحاول التسلل إلى قلبه.

إيمي، بضحكتها التي يعرفها جيدًا، نظرت إليه سريعًا من بين الحضور، ثم أكملت حركاتها الرشيقة. هشام كان يشعر وكأنها ترقص له وحده. في تلك اللحظة، نسي كل شيء: هدير التي تنتظره في المنزل، زيد الذي نام دون سماع حكاية والده، وحتى الطفل الذي ينمو في رحم زوجته.

بعد انتهاء الرقصة، انضمت إيمي إليه على الطاولة. جلست بجانبه، وضحكت وهي تسحب سيجارة من علبتها:

"مبسوط مني النهارده ولا أرقص تاني؟"

ابتسم بخفة، وأخذ رشفة من شرابه:

"دايمًا مبسوط منك، يا إيمي. اللي زيك يخلي الواحد ينسى هموم الدنيا كلها."

ضحكت بصوت ناعم وهي تميل نحوه:

"واضح إنك شايلها على كتافك بزيادة. ما تيجي نقلب الدنيا كلها ونهرب؟"

ضحك بصوت عالٍ، لكنه شعر بوخزة داخله. لم يكن يفكر في الهروب معها، لكنه يعرف أنها تمثل شيئًا يعجز عن مقاومته، قضى سهرة لطيفة معها قبل أن يتوجه لمنزله.

عاد إلى المنزل في ساعة متأخرة، متعبًا لكنه محمّل بآثار السهرة. كانت رائحة عطر إيمي تملأ أنفاسه، وكأنه لا يستطيع الفكاك منها. فتح باب الغرفة بحذر، ليرى هدير مستلقية على السرير.

كانت مستيقظة، لكنها أغلقت عينيها، تتظاهر بالنوم. لم تكن تريد مواجهته. مواجهة الحقيقة تعني الاعتراف بخيانته، والاعتراف بخيانته يعني مواجهة ضعفها أمام حبها له.

هشام وقف للحظة، يراقبها. كان يعلم أنها ليست نائمة. يعرفها جيدًا. شعر بوخزة خفيفة في قلبه، لكنه تجاهلها سريعًا. اتجه إلى الحمام، خلع ملابسه ودخل تحت الدش. الماء كان باردًا، لكنه أراد أن يمحو أي أثر لإيمي، رائحتها، ولمساتها التي ظلت عالقة به.

خرج بعد دقائق، يربط منشفة حول خصره، وعاد إلى السرير. هدير كانت ما زالت مستلقية بنفس الوضعية. اقترب منها بحذر، همس بصوت منخفض:

"هدير... إنتِ نايمة؟"

لم تجب. لكنه كان يعرف الإجابة. تمدد بجانبها، وبدأ يقترب منها، يضع يده على خاصرتها، يسحبها نحوه.

فتحت عينيها ببطء، لكن دموعها بقيت حبيسة. كانت تعرف ما يحدث، تعرف أين كان وماذا فعل. لكنها كانت تحبه، وكل ذرة في قلبها كانت ترفض أن تواجهه.

استدارت نحوه أخيرًا، عيناها تبحثان عن أي أثر للحب الذي وعدها به يومًا. ابتسم لها، قبل جبينها بلطف، ثم همس:

"وحشتيني."

أغمضت عينيها وهي تشعر بدفء كلماته فتغطي وجعها. كانت تعرف أنها تكذب على نفسها، لكنها لم تكن قادرة على تركه. حبها له كان أعظم من قدرتها على مواجهة خيانته.

سمحت له أن يأخذها إلى حضنه، أن يدخلها جنته. كانت تلك اللحظات الوحيدة التي تشعر فيها أن هشام ملكها وحدها، حتى لو كان ذلك وهمًا.

وفي الصباح، ستصحو كما تفعل كل يوم، تمسح دموعها، وترتدي قناع السعادة. لأنها، ببساطة، لا تعرف كيف تعيش دونه.

كان البيت هادئًا في ذلك الصباح. جلست دعاء على طرف السرير، تحتضن هاتفها بيدين مرتجفتين، تحدق في الشاشة التي لم تضيء بعد. قلبها كان ينبض بسرعة، وكأنها تعلم أن اللحظة التي تنتظرها ستجلب معها خيبة جديدة. في الخارج، كان سمير يجلس على الأريكة، يحاول إلهاء نفسه أمام شاشة التلفاز، لكنه كان يدرك أن ما

سيحدث قريبًا سيؤثر على قلب دعاء بشكل عميق.

رن الهاتف أخيرًا، فشعرت دعاء أن صوت الرنين وحده يكفي لإيقاظ كل مخاوفها. نظرت إلى الشاشة للحظة، ثم أجابت بصوت خافت بالكاد يُسمع:

"ألو؟"

جاء صوت الطبيبة من الجهة الأخرى هادئًا، لكنه لم يكن يحمل الأخبار التي تمنتها:

"أستاذة دعاء، أنا آسفة جدًا، بس تحليل الدم أكد إن العملية ما نجحتش المرة دي. عارفة إنه خبر صعب، بس هنكون مستنيينك لو حبيتي نعيد التجربة مرة تانية."

شعرت دعاء وكأن العالم توقف من حولها. أغلقت الهاتف ببطء، وعيناها امتلأتا بالدموع قبل أن تبدأ في الانسياب على وجنتيها. كانت تشعر بثقل في صدرها، وكأن قلبها قد تحطم تحت وطأة آمال لم تتحقق.

سمير، الذي كان يراقبها من بعيد، شعر بكل شيء قبل أن ترفع عينيها. دخل الغرفة على الفور، جلس بجانبها، ومد يده ليمسك يدها بلطف:

"الدكتورة كلمتك؟" سألها بصوت هادئ، رغم أنه كان يعرف الإجابة.

هزت رأسها دون أن تنظر إليه، ثم همست بصوت مكسور:

"فشلت... العملية فشلت."

مد سمير يده ليجذبها إلى صدره، واحتضنها بقوة، وكأنه يحاول أن يسحب منها الألم الذي شعرت به.

"يا حبيبتي... أنا آسف. كان نفسي يكون الخبر أحسن من كده، بس مش كل حاجة بإيدينا."

انفجرت بالبكاء بين ذراعيه، شهقاتها كانت مليئة بالخوف والخذلان:

"أنا كنت عايزة أجيبلك طفل تاني... مش علشاني، علشانك. علشان مامتك اللي دايمًا تقولك عايزة حفيد تاني... علشان الناس اللي مش بيسكتوا ويسألوا طول الوقت."

ظل سمير يمسح على ظهرها بحنان، يحاول أن يهدئها، ثم أبعدها برفق لينظر إلى عينيها، و بحزم:

"دعاء، اسمعيني. العملية دي أنا ما عملتهاش علشاني. أنا عملتها علشانك إنتِ. أنا مكتفي بيكي وبرغد. ماما والناس؟ والله مش فارقين معايا. إحنا عيلتنا كاملة، ومش محتاجين أي حد تاني، احنا اتفقنا ننهي القصة دي يا دعاء ونعيش حياتنا، ارجوكِ بقى خلينا نعيش حياتنا، كفاية لحد كده."

نظرت إليه بعينين مغرورقتين بالدموع، لكنها شعرت بصدق كلماته. همست وهي تكاد لا تستطيع الحديث:

"بس أنا حسيت إني فشلت... إني ما قدرتش أديك اللي تستحقه."

أمسك وجهها بين يديه، ونظر لعينيها بحب:

"فشلتي؟ فشلتي في إيه يا دعاء؟ إنتِ أحلى حاجة حصلتلي، وأحسن أم لرغد. إحنا كفاية على بعض، وده اللي يهمني. مش محتاج حاجة أكتر، احنا كفاية يا دعاء."

أغمضت عينيها، وشعرت بشيء من الطمأنينة يتسلل إلى قلبها. احتضنته مجددًا، وكأنها تحاول أن تزرع نفسها في دفء حضنه.

قضت دعاء ليلتها مستلقية على طرف السرير، ملتفة في غطائها وكأنها تحاول عزل نفسها عن كل شيء. دموعها لم تتوقف عن الانهمار، رغم محاولتها كتم صوت بكائها حتى لا يسمعه سمير. كانت تشعر أن قلبها ينهار، وأن كل آمالها في إنجاب طفل آخر قد تبعثرت.

كانت تبكي وكأن دموعها هي الطريق الوحيد لتتطهر من هذا الألم. حدثت نفسها بصمت "الليلادي بس. هبكي. بكرة هقوم أقوى، أكمل حياتي مع سمير ورغد، وما أبصش ورايا تاني."

في الجانب الآخر من الغرفة، جلس سمير على الكرسي بجانب النافذة، يراقبها بصمت. كان يعرفها جيدًا، ويعرف أنها تحتاج إلى هذه اللحظة لتفرغ مشاعرها دون مقاطعة أو كلمات عزاء. كان يتمنى لو يقترب منها، لو يخبرها أنه يحبها وأن كل شيء سيكون على ما يرام، لكنه اختار أن يترك لها المساحة التي تحتاجها.

تنهيدة طويلة خرجت منه وهو يشيح بنظره للحظة عن دعاء، ينظر إلى النجوم التي تملأ السماء. كان يتمنى أن يلتقط واحدة منها ويضعها في قلبها ليضيء عتمة الحزن التي تملكتها. لكنه أيضًا كان

يؤمن بأن الوقت وحده هو الذي سيمنحها القوة لتقف مرة أخرى.

عاد بنظره نحوها، رأى كتفيها يهتزان مع كل شهقة. كان حزنها يقتله، لكنه كان يعلم أنها ستقف أقوى. دعاء ليست امرأة تنهار بسهولة. إنها شريكته التي يعرف قدرتها على مواجهة الألم وتحويله إلى قوة.

"هتكوني كويسة، يا حبيبتي. يمكن مش دلوقتي، بس بكرة. وأنا هنا، مستني معاكِ الغد اللي هيكون أجمل." همس لنفسه بصوت بالكاد يسمعه.

مع مرور الوقت، بدأت شهقات دعاء تخفت تدريجيًا، وكأنها استنفذت كل دموعها. أغمضت عينيها، رغم الألم الذي لا يزال يغلي في صدرها، وقررت أن تنام، ولو قليلًا، لتجد في الصباح شجاعة جديدة تواجه بها الواقع.

أما سمير، فقد بقي مستيقظًا لفترة أطول، يراقب أنفاسها المنتظمة بعد أن غلبها النوم. نهض بهدوء، اقترب منها وقبّل جبينها بحنان. "بكرة يوم جديد، وهكون معاكِ فيه، مهما كان.

في داخله، كان يتمنى أن تبتسم له حين تفتح عينيها، وأن ترى في وجهه الطمأنينة التي تحتاجها لتكمل حياتها. لم يكن الأمر سهلًا عليه، لكنه كان واثقًا أن الحب الذي يجمعهما، هو ما سيجعلهما يعبران هذا الألم معًا.

في صباح اليوم التالي، كانت دعاء تقف أمام المرآة، تضع لمسات خفيفة من المكياج. ارتدت ملابسها الرسمية بعد غياب طويل. سمير،

الذي كان يجلس على السرير، لاحظ حركتها وسأل بدهشة:

"إيه؟ نازلة الشغل النهارده؟"

التفتت إليه بابتسامة صغيرة لكنها مليئة بالإصرار:

"آه، كفاية الغياب اللي فات. البنك وحشني، وحشتني حنين وهايدي. وبعدين، مش هفضل قاعدة في البيت طول الوقت."

اقترب منها ووضع يده على كتفها، ينظر إليها بحب وقلق:

"متأكدة؟"

أجابت بثقة، رغم الألم الذي لا يزال في أعماقها:

"جاهزة. لازم أكمل حياتي، مش هسيب حاجة توقفني."

ابتسم سمير بفخر، وأمسك يدها:

"طالما إنتِ معايا، الدنيا كلها هتبقى سهلة."

خرجا معًا من المنزل، ودعاء تشعر بأنها بدأت تستعيد نفسها شيئًا فشيئًا، رغم الجرح الذي لم يلتئم تمامًا. كانت تعلم أن الحزن سيبقى، لكنه لن يطغى على حبها لأسرتها أو قدرتها على المواجهة.

كانت الاستراحة قد بدأت للتو، وقررت حنين وهايدي الجلوس مع دعاء في الكافتيريا بجانب البنك. جلسن الثلاثة حول الطاولة، أطباق الغداء أمامهم، بينما كانت الأجواء بينهن مزيجًا من الراحة والتوتر. حنين وهايدي، اللتان لاحظتا غياب دعاء في الفترة الأخيرة، أصرتا على معرفة السبب.

حنين وضعت الشوكة على الطبق وأمالت رأسها نحو دعاء، و بابتسامة مشجعة:

"دعاء، بقالنا فترة ما شفناكيش. حتى خطوبة هايدي وفرح سارة، ما كنتيش موجودة... إنتِ كويسة؟"

هايدي، التي كانت تقطع الطعام بهدوء، رفعت نظرها و بصوت هادئ:

"أيوة، إحنا قلقانين عليكِ. لو في حاجة مضايقاكِ، إحنا هنا."

دعاء توقفت عن تناول طعامها، وضعت الشوكة برفق، ثم نظرت إليهما. شعرت بعيناهما الصادقة، وكان من الصعب أن تتهرب من سؤالهما. تنهدت بعمق:

"بصوا... أنا فعلًا كنت غايبة الفترة اللي فاتت علشان كنت محتاجة وقت لنفسي. الحقيقة، أنا وسمير كنا بنجرب آخر محاولة علشان الخلفة، جربت موضوع طفل الانابيب بس للإسف."

رفعت حنين حاجبيها بدهشة، بينما شعرت هايدي بأن الأمور بدأت تتضح.

حنين سألتها بحذر:

"يعني... العملية ما نجحتش؟"

دعاء هزت رأسها بنفى، وعينيها تلمعان بالدموع التي تحاول أن تكتمها:

"ما نجحتش. وده كان صعب عليا جدًا. كنت محتاجة أتعامل مع

الموضوع لوحدي، من غير أسئلة أو كلام مواساة. حتى أنتوا، ما كنتش عايزة أتكلم معاكم عن ده."

هايدي مدت يدها لتلامس يد دعاء بلطف:

"دعاء، إحنا فاهمين، ومش هنا علشان نحاصرك بأسئلة. بس إحنا موجودين علشانك، ومش هنتكلم في اللي يزعلك."

حنين أضافت بنبرة كلها حب:

"وطبعًا مسامحينك على أي غياب. إحنا عارفين إنك ما كنتيش بعيدة عننا بمزاجك بس حبينا نقولك اننا معاكِ."

ابتسمت دعاء ابتسامة صغيرة لكنها مليئة بالامتنان، و بصوت هادئ:

"شكرًا يا بنات. ده بالضبط اللي كنت محتاجاه منكم. أنا بحبكم أوي، بس خلينا نقفل الموضوع هنا. مش عايزة أتكلم فيه تاني."

تبادلت حنين وهايدي نظرات قصيرة، ثم ابتسمت هايدي بخفة محاولة تغيير الأجواء:

"ماشي يا ست الكل. بالمناسبة، مش قفشت علاء في شغله و واحدة مايصة بتحاول تلفت انتباهه...

قصت لهم الموقف بمزاح وشاركاها الضحك طوال الوقت، اتجهت الأنظار تلقائيا لحنين فالدور عليها الآن لتقص أي حكاية عن إيهاب فعلقت بمزاح:

"استني يا هايدي، إنتِ لسه على أول السطر. تعالي شوفي إيهاب،

وهو بيحاول كل ليلة يرسمني وتفضل الفرش تقع من أيديه وشوية ويرميهم على آخر دراعه ويقولي بعدين بعدين هرسمك.

استمر الضحك والمزاح عن إيهاب قبل أن تضيف حنين بصدق: رغم كل الضغوط، هو دايمًا جنبي، وأنا معاه حاسة إني أقوى واحدة في الدنيا."

ضحكت دعاء أخيرًا، وهي تشعر أن صديقتيها تفعلان كل ما بوسعهما لتخفيف الجو عنها. علقت بحب:

"أنا عارفة إنكم بتحاولوا تضحكوني بس صدقوني حبكم لوحده كفاية وقعدتكم معايا دي كفاية، ربنا ما يحرمني منكم.

استمر الحديث بينهن، بعيدًا عن أوجاع دعاء، وفي أجواء مفعمة بالدعم والحب. شعرت دعاء أن لديها عائلتها الصغيرة في سمير ورغد، وعائلة أخرى كبيرة في صديقتيها اللتين لن تتركاها أبدًا.

راقبت سارة عودتهم الثلاثة و الضحكات تعلو وجوههن، وعلاقتهن الواضحة والمتينة كانت مثل سهم أصاب قلبها. مهما حاولت التقرب منهن، تبقى دائمًا كالغريبة في مجموعتهن. شعور الغيرة سيطر عليها، وتسلل فضول متزايد حول حياتهن، وخاصة حنين وزوجها إيهاب.

عادت إلى مكتب زوجها زهير، الذي كان يراجع بعض الأوراق خلف مكتبه. استقبلها بابتسامة مليئة بالحب، لاحظ على الفور تجهم ملامحها.

"مالك يا روحي؟ مين مزعلك؟" سألها بقلق وهو يترك الأوراق جانبًا وينظر إليها باهتمام.

حاولت سارة الابتسام لتخفي اضطرابها، لكنها لم تستطع كبح تساؤلاتها:

"لا يا حبيبي، ما فيش حاجة... بس عندي صداع بسيط."

ثم تابعت بتردد:

"على فكرة... أنت تعرف جوز حنين شغال إيه؟ والدها قالك حاجة عنه؟"

رفع زهير حاجبيه بدهشة من سؤالها المفاجئ:

"لا يا قلبي، أنا ووالد حنين ما بنتكلمش في الأمور الشخصية. هو مديري وبحترمه جدًا، لكن إحنا مش أصحاب. ليه بقى شاغلة بالك بالموضوع ده؟"

أجابته بشرود، وكأنها تتحدث مع نفسها أكثر مما تتحدث معه:

"جوزها الأول كان دكتور، وسمعت إنه كان مريض بالغيرة بشكل مرعب، لدرجة إنه اتسجن. إنما جوزها الحالي؟ شكله مختلف تمامًا. مخليها طايرة فوق السما. فضولي أعرف بيشتغل إيه... لكن كل حاجة حواليه غامضة، تحسه زي سر حربي!"

زهير، الذي كان يتابعها بهدوء، جلس مجددًا على كرسي مكتبه و بنبرة هادئة لكنها حاسمة:

"حبيبتي، ما تشغليش بالك بحاجات تخص غيرك. لو حنين حابة تقولك حاجة، هتقولها بنفسها. ما تضغطيش عليها، سيبيها براحتها."

ابتسمت سارة، لكنها لم تستطع أن تخفي إصرارها الداخلي. رغم

حب زهير لها واهتمامه، كانت الغيرة والفضول يدفعانها لاستكشاف ما تخفيه حنين عن الجميع.

"عندك حق..." علقت بابتسامة زائفة قبل أن تنهض. "هروح مكتبي بقى."

تركته وغادرت الغرفة، لكن فكرة إيهاب لم تخرج من عقلها. كان هناك شيء غامض حول هذا الرجل، وحنين لم تكن تتحدث عنه أبدًا بتفاصيل واضحة. كلما حاولت الاقتراب، شعرت وكأن هناك حائطًا غير مرئي يمنعها من معرفة الحقيقة.

بينما عادت إلى مكتبها، كان الإصرار يزداد داخلها. سارة لم تكن من النوع الذي يترك الأمور تمر مرور الكرام، خاصة عندما تشعر أن هناك شيئًا مخفيًا يجب أن تعرفه.

كان إيهاب واقفًا على سلم خشبي، يدهن جدارًا بلون أبيض ناصع في إحدى الشقق. يده تتحرك بمهارة، لكنه كان غارقًا في أفكاره، يفكر في طريق جديد يخرج به من دائرة الروتين والضغط المالي. فجأة، رن هاتفه الموضوع على الأرض بين أدوات الطلاء.

نزل وتحرك بسرعة ليجيبه فربما تكون حنين ولكنه تفاجئ بصديقه يس، مسح يديه في قطعة قماش بجانبه بسرعة، ثم أجاب بصوت متعب لكنه مهتم:

"أيوه يا يس، عامل إيه؟"

جاء صوت يس مليئًا بالحيوية:

"إيهاب، كنت مستني أخلص شغلي وأكلمك. لقيت لك كام واحد

من صحابي الفاشلين ودول بيحتاجوا كتير حد يرسملهم لوحاتهم، اتكلمت معاهم وقالولي إنهم مستعدين يتواصلوا معاك."

شعر إيهاب ببصيص أمل، وسأل بحماس:

"بجد؟ طب قولي، هعمل إيه وأكلم مين؟"

أجاب يس بسرعة:

"في واحد اسمه يامن، هبعتلك رقمه واتس وهو مستني منك مكالمة، كمان عم مصلحي لو فاكره الراجل ده كل اللي بيحتاج حاجة من الطلبة بيطلبها منه كلمته واديته رقمك وقال أي حد هيحتاج لوحة هيكلمك أو هيديه رقمك على طول "

ضحك إيهاب بخفة:

"يا سلام، ده حتى عم مصلحي داخل في القصة. ابعتلي رقمه كمان."

أضاف يس بنبرة مليئة بالتشجيع:

"بص يا إيهاب، دي فرصة مش بس علشان الفلوس، لكن علشان ترجع تستغل موهبتك. أنا متأكد إنك هتنجح لو اشتغلت على ده بجدية."

ابتسم إيهاب بحب وامتنان:

"يس، والله مش عارف أشكرك إزاي. وقفتك دي هتفضل في بالي."

رد يس بتلقائية:

"ما تقولش كده. أنا عايز أشوفك ناجح ومبسوط. كلم يامن وعم مصلحي أول ما تفضى، وإن شاء الله خير."

أنهى إيهاب المكالمة، ووضع الهاتف بجانبه. ونظر إلى الجدار الذي كان يدهنه، لكنه هذه المرة شعر بأن هناك أملاً جديدًا يلوح في الأفق.

"يمكن تكون دي البداية اللي بدور عليها." همس لنفسه بابتسامة خفيفة، ثم عاد لعمله، لكن هذه المرة بيد تتحرك بروح جديدة، وكأنه يرى طريقًا مختلفًا أمامه.

خلال استراحة قصيرة من عمله، جلس إيهاب على الأرض بجانب أدوات الطلاء، متكئًا على الحائط، وأخرج هاتفه. نظر إلى الرقم الذي أعطاه إياه يس، ثم قرر الاتصال بيامن على الفور.

رن الهاتف لبضع ثوانٍ قبل أن يجيب صوت شاب مليء بالحيوية:

"ألو، مين معايا؟"

ابتسم إيهاب بخفة:

"أنا إيهاب، يس إداني رقمك وقال إنك محتاج لوحات."

سمع إيهاب صوتًا مبتهجًا يرد بحماس:

"هوبا الفنان! يس كلمني عنك، وقال إنك شاطر جدًا. بصراحة، إحنا محتاجين شوية لوحات لمعرضنا. ينفع نقابلك النهارده؟ أنا وصاحبي رامي وداري صحبتنا، هنحدد كل حاجة."

تردد إيهاب للحظة قبل أن يرد بسرعة:

"ماشي، تمام. قولي المكان وأنا هاجي."

حدد يامن المقهى القريب من الجامعة، واتفقا على اللقاء آخر النهار.

في نهاية اليوم، وبعد أن أنهى عمله، توجه إيهاب إلى المقهى. وجد يامن ورامي ودارين يجلسون حول طاولة في زاوية هادئة، يضحكون ويدردشون. بمجرد أن رأي يامن شخص يبحث بعينيه عن أحد ما وقف بابتسامة عريضة ولوّح له:

"هوبا الفنان! تعال، تعال، كنا مستنيينك."

جلس إيهاب معهم وبعد تعارفهم البسيط والسريع، بدأوا الحديث عن تفاصيل اللوحات المطلوبة. يامن كان يقود الحديث بحماس، بينما رامي يضيف بعض الأفكار الفنية، ودارين تنظر إلى إيهاب بنظرات مليئة بالإعجاب.

حاول إيهاب تجاهل نظرات دارين، مركزًا على العمل.

علق يامن:

"بص يا إيهاب، إحنا محتاجين 6 لوحات مبدئيا: كل واحدة ليها موضوع مختلف ومطلوب يكون فيها تفاصيل كتير. عارف إنك شاطر، وهنسيبك تشتغل براحتك."

أخرج رامي مفكرة صغيرة وبدأ كل واحد يشرح فكرة كل لوحة بالتفصيل، بينما إيهاب يدوّن الملاحظات. بعد انتهائهم، علق يامن بابتسامة:

"طيب، السعر؟ يس قال إنك بتشتغل شغل عالي، وده مش رخيص. بس عادي، إحنا مستعدين ندفع."

تفاجأ إيهاب من السعر الذي ذكره يامن، إذ كان أعلى بكثير مما كان يتوقع. أدرك فورًا أن يس قد تحدث معهم مسبقًا ورفع السعر عن عمد لمساعدته. شعر بامتنان عميق لصديقه، لكنه تمالك نفسه و بهدوء:

"ماشي، متفقين. أبدأ في اللوحات من بكرة، وهتكون جاهزة في الوقت اللي تحددوه."

بعد الاتفاق، ودعهم إيهاب وغادر المقهى. أثناء سيره في الشارع، أخرج هاتفه واتصل بيس على الفور.

"أيوه يا يس، أنا قابلت يامن وأصحابه."

رد يس بلهفة:

"طب كويس! اتفقتوا على كل حاجة؟"

ضحك إيهاب بخفة:

"اتفقنا. بس كنت هسألك حاجة... أنت اللي رفعت السعر؟"

ضحك يس ضحكة خفيفة بحرج:

"أيوه، كنت عارف إنك هتوافق على أي سعر يقولوه، فقلت أساعدك بالطريقة اللي أقدر عليها. مش لازم تتعب نفسك بالشغل من غير ما تاخد حقك، كفاية أنا كنت بضحك عليك زمان."

ضحكا سويًا وشعر إيهاب بدفء الصداقة الحقيقية في كلمات

يس، وقال بامتنان صادق:

"يس، والله مش عارف أقولك إيه. ربنا يخليك ليا، وقفتك دي مش سهلة عليا أنساها."

رد يس بابتسامة يمكن سماعها في صوته:

"ما تقولش كده، يا إيهاب. إحنا إخوات قبل أي حاجة. شوف شغلك كويس، وأنا واثق إنهم هيكونوا مبسوطين جدًا بالنتيجة."

أنهى إيهاب المكالمة بابتسامة على وجهه. لأول مرة منذ فترة طويلة، شعر بأنه على أعتاب شيء جديد قد يغير حياته. عاد إلى بيته تلك الليلة بروح مختلفة، ممتلئة بالأمل.

عاد إيهاب إلى المنزل متأخرًا، خطواته ثقيلة وذهنه مشغول بالأفكار التي دارت في المقهى مع يامن وأصدقائه. فتح الباب بهدوء، لكن نظرة واحدة إلى وجه حنين كشفت له غضبها المكتوم. كانت تقف في المطبخ، تنهي إعداد المائدة، ولم تكلف نفسها عناء النظر إليه.

جلست العائلة حول طاولة الطعام، وتظاهر إيهاب بالانشغال بالأكل، متجاهلًا تمامًا نظرات حنين التي كانت تحاول أن تفهم بروده.

بعد الانتهاء، وقفت حنين تجمع الأطباق بهدوء وابتعدت إلى المطبخ، ثم غادرت إلى غرفتها دون أن تنبس بكلمة، تاركة خلفها صمتًا مليئًا بالتوتر.

إيهاب لاحظ انصرافها، لكنه تعمد تجاهل الأمر. بعد فترة، غادر

المنزل دون أن يخبرها، مما زاد من حنقها.

في الغرفة، جلست حنين على طرف السرير، تمسك هاتفها بتردد. كلما همّت بمهاتفته، توقفت وأعادت الهاتف إلى مكانه. كانت مشاعر الغضب والحزن تتصارع بداخلها، تارة تلوم نفسها لأنها لم تواجهه، وتارة تلومه لأنه تجاهلها تمامًا.

خرجت من الغرفة لتتفقده، لكنها فوجئت بغيابه. شعرت بغصة في قلبها، وزاد غضبها عندما لاحظت ابتسامة قدرية، التي لم تفوت الفرصة للتعليق بتهكم:

"يا أختي، قالبة وشك علينا ليه؟ كل ده علشان نزل؟"

حنين حاولت إخفاء مشاعرها، وردت بنبرة حاولت أن تبدو طبيعية:

"ولا قالبة وشي ولا حاجة، بيتهيألك يا حماتي."

لكن قدرية، التي كانت تستمتع بإثارة التوتر، نظرت إليها بابتسامة مستفزة:

"ماشي يا ست حنين، اللي تقوليه."

عادت حنين إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها بعنف. جلست على السرير، تمسك هاتفها مرة أخرى، لكنها قررت بحزم:

"مش هكلمه. هو اللي يتصل ويبرر نفسه."

لكن كل لحظة تمر كانت تزيد من توترها، تشعر بأن إيهاب يتجاهل غضبها عمدًا، وأن بروده يقتلها.

عاد إيهاب إلى المنزل بعد أن تأخر كثيرًا، وتوجه مباشرة إلى غرفته. كان يعلم أن حنين لن تسامحه بسهولة على تجاهله لها وخروجه دون إخبارها. فتح الباب بهدوء، ليجدها جالسة على السرير، ذراعاها متشابكتان وصمتها أبلغ من أي كلمات.

ابتسم برفق، واقترب منها بحب، محاولًا التخفيف من حدة توترها، لكنه بالكاد اقترب أكثر حتى دفعته بعيدًا بغضب

وقف أمامها مبتسمًا، رافعًا حاجبيه ببراءة مفتعلة:

"ينفع تيجي معايا؟"

نظرت إليه بعينين ممتلئتين بالغيظ، وقالت بحدة:

"لا، مش هاجي. ومش عايزة أتكلم معاك. ومخصماك كمان!"

ضحك إيهاب بخفة، مدركًا أن غضبها نابع من حبها. ضحكته زادت من غضبها، مما جعلها تفتح فمها وكأنها ستقول شيئًا حادًا، لكنه لم يمهلها الفرصة. جذبها نحوه، محتضنًا يدها برفق، وهمس لها بنبرة دافئة:

"قبل ما تقرري تزعلي وتغضبي، تعالي معايا. هوريكي حاجة، وبعدها عايزة تزعلي براحتك، عايزة تخاصميني زي ما تحبي. ينفع؟"

نظرت إليه بشك وفضول، حائرة بين رغبتها في الاستمرار في الخصام وفضولها الذي بدأ يسيطر عليها. رفعت وجهها بشموخ مصطنع و بجدية:

"ماشي، هاجي. بس لو ما عجبنيش اللي هشوفه، هفضل مخصماك

للأبد."

ضحك مرة أخرى، وضغط على يدها بحب:

"روح قلبي إنتِ... وبحبك حتى لو غضبانة."

فتح الباب وخرج من الغرفة، وهي تسير خلفه، تحاول أن تبقى على مظهر الغاضبة، لكن عينيها كانتا تلمعان بالفضول.

عندما وصلا إلى الصالة، نظر إيهاب بسرعة ليتأكد من عدم وجود والدته. تنفس الصعداء عندما وجد المكان خاليًا، ثم استدار نحو حنين، ممسكًا بيدها.

"ثقي فيا، هتعجبك." قالها بابتسامة مطمئنة وهو يقودها نحو المفاجأة التي أعدها لها.

حنين تبعته بصمت، لكنها شعرت أن دفء صوته ونظرته بدأا يذيبان جليد غضبها، رغم أنها لم تكن مستعدة للاعتراف بذلك بعد.

قادها إيهاب إلى سطح المنزل المقفر، حيث كان الظلام يغلف المكان باستثناء بقعة صغيرة أضاءتها بعض الشموع. توقفت حنين فجأة عند رؤيتها للطاولة الصغيرة ذات الكرسيين البلاستك، وقد وُضعت عليها زجاجة من مشروبها الغازي المفضل وطبق مليء بالتسالي المتنوعة التي تعشقها.

وقفت للحظة مذهولة، ثم التفتت إليه بعينين تمتلئان بالمفاجأة:

"إنت عملت ده علشاني؟"

ابتسم إيهاب بود، ونظر إليها بحب:

"أنا عندي كام حنون في حياتي؟"

مد يده ليمسك يدها برفق، وعيناه تعكسان صدق مشاعره، ثم قال وهو يشير إلى الطاولة:

"كان نفسي يكون أفخم من كده..."

قاطعته وهي تضع إصبعها على شفتيه تمنعه من إكمال جملته:

"ده أجمل من أي حاجة ممكن تفكر فيها، إيهاب."

اقترب منها وقبّلها بحب ودفء، ثم همس:

"حقك عليا لو اتأخرت... بس كان ورايا مشوار مهم."

تقبلت اعتذاره بطريقته، لكنها لم تستطع منع فضولها من الظهور، فسألته:

"مشوار إيه؟"

حاول إيهاب ألا يثقل عليها بذكر همومه، فاكتفى بقوله:

"واحد من أيام الجامعة، صاحبي يس، كلمني وطلب مني خدمة. أصحابه كانوا عايزين لوحات فقابلتهم علشان نشوف المطلوب."

شعرت حنين أن الموضوع يحمل أكثر مما يخبرها به، لكنها اختارت ألا تضغط عليه واكتفت بسؤال بسيط:

"وهترسم لهم اللوحات دي؟"

هز رأسه بالإيجاب، لكنه أمسك يدها قبل أن تسترسل في أسئلتها وقال بابتسامة:

"تعالي بس نقعد شوية الأول."

جلسا معًا عند الطاولة، وأخرج هاتفه ليشغل موسيقى هادئة ملأت المكان برومانسية ناعمة. صب مشروبها المفضل في الكأس، ثم ابتسم وكأنه تذكر شيئًا مهمًا. أخرج قطعة شوكولاتة من جيبه ورفعها أمام عينيها:

"دي اللي بتحبيها، صح؟"

صرخت بسعادة طفولية:

"جالكسي؟ بعشقها مش بس بحبها!"

لكن فجأة، خيمت لحظة من الشرود على ملامحها. تذكرت زوجها السابق الذي كان يحضر لها أغلى أنواع الشوكولاتة، مصالحة لها. تذكرت تلك الليلة حين أجبرها على تناولها رغمًا عنها، يضعها في فمها ويجبرها على ابتلاعها، كم كرهته في تلك اللحظة. أغمضت عينيها بامتنان لأن الله عوضها بإيهاب، رجل أحبها بصدق، زوجًا وحبيبًا.

لاحظ إيهاب شرودها، وكأنه يعرف أنها استدعت ذكرى سيئة من ماضيها. أمسك يدها بحنان، مما أعادها إلى الواقع، فابتسمت له ابتسامة ملؤها الحب وهمس لها:

"تعالِ نرقص مع بعض."

جذبها من يدها برفق، وقف معها وسط السطح المضاء بالشموع، وتحركا معًا على أنغام الموسيقى الناعمة. تذكرت حنين اغنيتها المفضلة ورنت في اذنها كلماتها المفضلة: "وأنا كالطفلة في يده،

كالريشة تحملها النسمات."

اتسعت ابتسامتها وهي تغمض عينيها وتدفن وجهها في تجويف عنقه بحب واطمئنان.

بعد لحظات، جلسا معًا على الأريكة المتهالكة، نظراتهما مليئة بالحب والرضا. كان كل شيء بسيطًا، لكنه حمل معنى عميقًا. كانا معًا، وفي هذه اللحظة، لم يكونا بحاجة إلى شيء آخر سوى بعضهما البعض.

راقب إيهاب وجهها الذي يحمل أثرًا واضحًا لشرود عميق. لم يستطع كبح فضوله، رغم خوفه من إثارة جروح قديمة، فسألها بصوت خافت مليء بالحنان:

"سرحتي في إيه لما شوفتي الشيكولاتة؟"

تنهدت حنين بحزن، وكأنها تحاول إخراج الكلمات من صدرها:

"إنت عارف."

اقترب منها أكثر، صوته يحمل طمأنينة ودعمًا:

"عارف... بس حابب أسمع التفاصيل منك."

نظرت إلى عينيه تستمد منه القوة، ثم بدأت حديثها بصوت مكسور:

"افتكرت مرة أمجد... كان جايب علبة شيكولاتة يصالحني بيها بعد ما ضربني. كان معور وشي ومبهدلني."

شدد إيهاب قبضته حولها، كأنه يحاول حمايتها حتى من الذكرى،

لكنها استمرت:

"رفضت هديته طبعًا. فطلع قطعة شيكولاتة وبيديهالي، ولما رفضتها، حشرها في بوقي بالقوة. كان دايمًا يجبرني على الأكل، حتى لو مش عايزة. كان بيحشر الأكل في بوقي وكأنه يعاقبني."

توقفت، ودمعة صغيرة انسابت على خدها، بينما أكملت بصوت مختنق:

"قد إيه بكرهه... قد إيه كنت بحس إني ماليش قيمة."

ضمها إيهاب إلى صدره بقوة، وكأنما يريد أن يمحو كل تلك الذكريات المؤلمة بحضنه. همس لها بصوت مليء بالحب والألم:

"إمتى هتنسي يا حنين؟ نفسي تبطلي تفتكري كل ذكرياتك دي معاه. امحي الفترة دي من حياتك خالص، إنتِ دلوقتي معايا، وأنا مش هسمح لأي حاجة تضايقك تاني."

نظرت إليه بابتسامة تحمل طمأنينة ومحبة، ثم قالت بصوت هادئ مليء بالإيمان به:

"كل حاجة إنت بتقدمهالي وبتعملها بحب... بتمسح ذكرى أليمة عندي. حبني وبس يا إيهاب، وأنا متأكدة إنك هتمحي كل ذكرياتي معاه."

تنهد إيهاب بحب عميق، وشدد احتضانه لها وكأنه يريد أن يحميها حتى من نفسها، وهمس بصوت مبحوح:

"أنا بعشقك، مش بس بحبك... عمري كله ليكِ."

رفعت رأسها لتنظر إلى عينيه، رأت فيهما كل ما تحتاجه من أمان وحب، ثم دفنت وجهها في عنقه، تاركة خلفها ذكريات مؤلمة لتحتضن واقعها الجديد الذي ملأه إيهاب بالحب والدفء.

في صباح يوم عادي، كانت سارة تتمشى في المحلات القريبة من بيتها، عائدة من شراء بعض الحاجيات. وقفت عند بائع صغير لتفحص بضاعته، وعيناها تلتقط حركة في الجانب الآخر من الطريق.

شخص يرتدي ملابس ملطخة ببقع الدهان يقف عند محل أدوات طلاء، يحمل علبًا وفرشًا وبعض المستلزمات. تجمدت في مكانها وهي تحدق في ملامحه. "مش ممكن... ده إيهاب؟!"

لم تصدق ما تراه. انتظرت للحظة، ثم رأت إيهاب يغادر المحل حاملًا أدواته، ويتوجه نحو إحدى العمائر القريبة.

"لازم أتأكد... يمكن بيعمل حاجة تانية."

بخطوات حذرة، تبعته سارة دون أن تلفت انتباهه. رأته يدخل العمارة ويبدأ بتجهيز أدواته عند المدخل. وقفت عند زاوية بعيدة، تتأمل ما يحدث، ثم اقتربت من البواب الجالس عند المدخل وسألته بنبرة فضول عفوية:

"صباح الخير، هو الراجل ده بيعمل إيه هنا؟"

رفع البواب رأسه من فوق الجريدة، ورد بنبرة عادية:

"ده النقاش يا هانم. جاي يشتغل في شقة فوق تبع الاسطى طلعت، بس واد إيه؟ ايديه تتلف بحرير."

شعرت سارة وكأن صدمة صغيرة ضربتها، لكنها أخفت دهشتها وردت بابتسامة صغيرة:

"آه... فهمت. شكله شاطر في شغله."

أومأ البواب دون اهتمام:

"آه طبعًا. الراجل ده بيشتغل بشرف وبيأكل عيش من تعبه."

سألته بفضول أكبر: تعرف اسمه إيه؟

اجابها بسرعة: بيسموه إيهاب الفنان يا هانم، لو عندك أي شغل عايزة تعمليه كلمي الأسطى طلعت، تحبي تاخدي موبيله؟

أخرجت هاتفها بسرعة لتدون رقم طلعت ثم ابتسمت بخبث

ابتعدت سارة عن المكان ببطء، وراسها يعمل بأقصى سرعته. "ده إيهاب جوز حنين؟ نقاش؟ وحنين بتتكلم عنه كأنه أنجح راجل في الدنيا؟!"

بدأت الأفكار تتوالى في ذهنها، محاولة ربط بين حياة حنين الراضية البسيطة وزوجها الذي يعمل كدهان. شعرت بمزيج من الدهشة والفضول، وتساءلت في سرها:

"إزاي قادرة تعيش معاه كده وهي بنت مدير البنك؟ ده لازم أعرف أكتر."

وقفت للحظات، تراقب العمارة من بعيد، ثم استدارت عائدة إلى بيتها، لكنها قررت أن هذه القصة لم تنتهِ هنا، وأنها ستبحث عن طريقة أخرى لمعرفة المزيد عن حياة حنين وزوجها.

لم تستطع سارة منع نفسها من مقارنة حياتها بحياة حنين. رغم أن زهير منحها حياة مرفهة، إلا أنها شعرت بشيء من الغيرة تجاه الحب الذي يبدو أن حنين تنعم به مع إيهاب. "أنا لازم أعرف أكتر... لازم أفهم هي إزاي راضية بده كله." فكرت سارة، بينما كانت خطط الفضول تبدأ في التبلور داخل عقلها.

كان منزل رقية بسيطًا لكنه مرتب، ورائحة الطعام تملأ المكان. تحركت رقية بين المطبخ وغرفة المعيشة، ترتب الطاولة بعناية، تختار أفضل الأطباق لتترك انطباعًا مثاليًا. جلست أختها رئيسة على الكنبة، بينما وقفت دينا أمام المرآة الصغيرة التي أخرجتها من حقيبتها، تتأكد من أن تسريحتها ومظهرها في أفضل حالاته.

"خالتو، شكلي كده كويس؟" سألت دينا، وهي تدير رأسها بفخر، وكأنها تنتظر مجاملة من خالتها.

رفعت رقية رأسها من ترتيب الطاولة، ونظرت إليها نظرة إعجاب صادقة:

"ما شاء الله، دينا، إنتي زي القمر. سمير لو ما شافش نفسه معاكي، يبقى عمره ما شاف حاجة عدلة في حياته."

ابتسمت دينا بتفاخر، ونظرت إلى خالتها بتحدٍ واضح:

"مشكلته إنه مش ملاحظني أصلًا. دعاء عاملة حواليه حيطان ما بتتكسرش. بس أنا مش ناوية أتنازل بسهولة."

رئيسة، التي كانت تتابع الحوار بصمت، وضعت كوب الشاي على الطاولة وقالت بنبرة ساخرة:

"ده لو ساب دعاء أصلًا. الولد باين عليه متعلق بيها بشكل غريب."

تنهدت رقية بضيق، وجلست بجانب أختها، نظرة تصميم تملأ عينيها:

"سمير ابني، وأنا عارفة مصلحته. دعاء دي هتدمره. عايزاه يفضل طول عمره مربوط بيها؟! ما قدرتش تخلفله غير بنت واحدة، وبتاخد منه أكتر ما بتديه. دينا، إنتي أحسن منها مليون مرة."

دينا رفعت حاجبيها بمكر، وألقت نظرة سريعة على الطاولة التي أعدتها خالتها:

"طب وبعدين؟ أعمل إيه علشان ألفت نظره؟"

رقية وقفت فجأة، وأشارت إلى الطاولة بابتسامة مليئة بالثقة:

"هييجي يتعشى معانا الليلة. دي فرصتك. خليكِ طبيعية وخفيفة الدم، واظهري قد إيه إنتي بنت مريحة ومرحة. سمير بيتعب طول النهار في البنك، وبيحتاج حد يشوف الراحة معاه، مش مشاكل."

رئيسة أضافت وهي ترتشف الشاي:

"وأوعي تسيبي دعاء تتحكم فيه. كفاية إنها شغلاه عن نفسه وعن عيلته."

دينا عدلت تسريحتها للمرة الأخيرة، ونظرت إلى المرآة بابتسامة واثقة:

"ما تخافيش يا خالتو، أنا عارفة أتصرف."

رقية تفقدت كل التفاصيل على الطاولة، ثم مسحت يديها في مريولها وهي تراقب الساعة. بالنسبة لها، هذه الليلة لم تكن مجرد عشاء، بل بداية لخطة محكمة لإقناع سمير أن دينا هي الزوجة المثالية له.

"كل حاجة هتتغير الليلة. وسمير هيشوف بنفسه مين اللي تستحقه." فكرت رقية، وهي تحاول جاهدة إخفاء مكرها تحت قناع الأمومة.

دخل سمير منزل والدته، الإرهاق واضح على ملامحه بعد يوم طويل في العمل. رائحة الطعام تملأ المكان، والصالة مرتبة بعناية تفوق المعتاد. في منتصف الغرفة جلست خالته رئيسة، بينما تجلس بجانبها دينا بفستان أنيق ومظهر مرتب للغاية. توقف سمير عند الباب للحظة، ثم ألقى نظرة سريعة على والدته، عتاب واضح في عينيه، قبل أن يرحب بخالته وابنتها ثم يجلس بهدوء على الكرسي المقابل.

رقية ابتسمت بنبرة حاولت أن تبدو طبيعية:

"نورت البيت يا سمير، كنت مستنية ترجع علشان نتعشى سوا. خالتك ودينا كانوا حابين يشوفوك."

سمير تناول كوب الماء أمامه، لم يظهر أي انفعال سوى كلمات مقتضبة:

"أهلاً وسهلاً."

رئيسة تحركت لتكسر الصمت الثقيل:

"إيه الأخبار يا سمير؟ بسمع عن شطارتك في البنك، بجد فخر للعيلة كلها."

"الحمد لله، الشغل ماشي."

دينا، التي لم تكن تفوت فرصة، حملت طبقًا صغيرًا من التسالي ووضعته أمامه بابتسامة واسعة:

"إنت أكيد محتاج حاجة تخفف عنك بعد يوم طويل زي ده. اتفضل، دي معمولة مخصوص."

نظر إلى الطبق للحظة، ثم أعاد بصره إليها بابتسامة باهتة:

"متشكر، مش محتاج حاجة دلوقتي."

رقية تنهدت بصوت مسموع، ثم حاولت إدخال دينا في الحديث:

"دينا بقت شاطرة أوي في المطبخ. تخيل النهارده ساعدتني في كل حاجة، لازم تاخد بالك منها."

سمير رفع حاجبيه ونظر إلى دينا بإيماءة بسيطة. دينا شعرت بخيبة أمل صغيرة، لكنها حاولت مجددًا.

"على فكرة يا سمير، أنا دايمًا بسمع عنك كلام حلو من خالتو. أكيد أي حد محظوظ يشتغل معاك أو يكون قريب منك."

سمير وقف ليتوجه لطاولة العشاء، ثم نظر إلى دينا مباشرة:

"شكراً يا دينا، لكن بلاش تبالغي في الكلام. أنا شخص عادي زي أي حد."

استمر العشاء في جو متوتر وكل محاولة منهم يقابلها سمير بالصد المباشر

رئيسة، التي كانت تتابع الحوار بصمت متوتر، وضعت المعلقة على الطاولة بقوة:

"واضح إننا مش مرغوب فينا هنا. يلا يا دينا، مش محتاجين نقعد أكتر من كده."

دينا حاولت التماسك، لكنها رمقت سمير بنظرة مختلطة بين الغضب والخذلان، ثم وقفت لتتبع والدتها.

رقية حاولت منع أختها من المغادرة، لكنها لم تفلح. رئيسة غادرت برفقة دينا، وأغلقت الباب خلفها بعنف، تاركة الصالة في صمت ثقيل.

رقية لم تنتظر طويلًا، نظرت إلى ابنها بحدة، وجهها مليء بالغضب:

"إيه الطريقة دي؟ دينا بنت ممتازة، وكل ده وإنت بتتجاهلها بالشكل ده؟ ليه يعني وعلشان إيه؟ هاه "

سمير، الذي بدا عليه الإرهاق والضيق، وضع الملعقة بهدوء على الطاولة:

"ماما، الموضوع ده انتهى. أنا متجوز ومرتاح مع مراتي. ليه بتفتحي الموضوع ده كل شوية؟"

"مرتاح؟ مع واحدة ما قدرتش تخلفلك غير بنت واحدة؟ بتضيع حياتك عليها، دي أرض بور معندهاش أي حاجة تقدر تضيفها

لحياتك؟"

سمير وقف بضيق، نظر إلى والدته نظرة طويلة مليئة بالحزن والغضب:

"دعاء مراتي، وأنا اخترتها لأنها بتفهمني وبتحبني. عمرها ما كانت عيب في حياتي. المشكلة عندك إنتِ، مش قادرة تشوفيها غير من منظورك."

"وأنا أمك! أنا اللي شايفة مصلحتك. مش هفضل أشوفك بتضيع حياتك كده بسبب واحدة مش قدك."

"مصلحتي عندك تبقى إني أسيب مراتي وأخرب بيتي؟ إنتِ مش قادرة تفهمي إن أنا سعيد معاها؟ خلاص، مش مهم تفهمي. بس أنا مش هسمح لحد يتدخل في حياتي."

غادر سمير الطاولة وهو يشعر بأنه فقد الأمل في تغيير رأي والدته. فتح الباب بهدوء وصعد إلى شقته في الطابق العلوي.

في شقة سمير ودعاء

دخل سمير شقته بصمت، ليجد دعاء تنتظره بابتسامة هادئة. كانت ترتدي ثوبًا بسيطًا، وحملت كوبًا من العصير الذي أعدته له: كان نفسي نتعشى مع بعض بس بالهنا يا حبيبي مع والدتك.

جلس على الأريكة، مرهقًا، ورمى رأسه للخلف:

"العشا كان تحت... كالعادة، نفس الموضوع ونفس المحاولات."

دعاء جلست بجانبه، وضعت يدها على يده، وضغطت عليها بحب:

"تعال نشرب العصير مع رغد. وعدتها نشوف الفيلم اللي بتحبه. ولا نسيت؟"

نظر إليها بابتسامة صغيرة، وكأنه شكرها دون أن يتحدث. وقف معها ليتوجه إلى غرفة المعيشة، حيث جلست رغد تنتظرهما بحماس.

قضى الليلة بين ضحكات خفيفة وحكايات عائلية بسيطة، وكأن كل ثقل يومه قد تلاشى في لحظة دفء مع أسرته الصغيرة.

كانت الأضواء خافتة في غرفة النوم، و رغد في غرفتها المجاورة، حيث غفت بعد مشاهدة الفيلم العائلي. دعاء كانت تجلس على طرف السرير، تجمع شعرها بخفة وتستعد للنوم. دخل سمير الغرفة بهدوء، أطفأ الأنوار الرئيسية، ثم جلس بجانبها، يتأملها بصمت.

رفعت نظرها إليه بابتسامة صغيرة:

"مالك؟ بتبصلي كده ليه يا حبيبي؟."

أخذ يدها بين يديه، ضغط عليها بحنان وهو يهمس:

"بحاول أرتب الكلام اللي عايز أقوله."

نظرت إليه بفضول، لكنها لم تتعجل الرد. اقترب أكثر، ملامحه تحمل مزيجًا من الحب والعزم:

"أنا عارف إنك عارفة كل اللي بيحصل، وإنك بتستحملي أكتر من اللازم من ماما ومن محاولاتها. بس أنا محتاج أقولك حاجة دلوقتي... حاجة لازم تسمعيها مني."

حركت رأسها بهدوء، عيناها معلقتان بعينيه:

"أنا معاك، قول اللي في قلبك."

تنفس بعمق، ثم أمسك وجهها بين يديه، نظر إليها وكأن العالم كله توقف:

"بحبك، دعاء. بحبك من قلبي، ومش ممكن أحب غيرك. إنتِ مش بس مراتي وأم بنتي... إنتِ حياتي كلها. مفيش حاجة أو حد ممكن يغير ده، ومش هسمح لحد يحاول."

دمعة صغيرة تسللت إلى عين دعاء، لكنها لم ترد. اكتفت بالنظر إليه وهي تشعر بالسكينة في كل كلمة قالها.

اقترب منها أكثر، احتضنها وكأنما يحاول أن يضعها بين ضلوعه:

"إنتِ سندي يا دعاء، ومهما حصل، أنا وإنتِ هنكمل سوا. محدش في الدنيا دي كلها هيقدر يفرق بينا، ولا حتى الظروف."

شعرت بحرارة كلماته تسري في قلبها، ثم همست وهي تضم رأسها إلى صدره:

"وأنا كمان بحبك يا سمير. طول ما إنت جنبي، أنا مش محتاجة حاجة تانية."

بقيت بين ذراعيه، يغمرها دفء حبه، بينما غطى الليل تفاصيلهما الصغيرة بحنان. كانت اللحظة أشبه بوعد جديد، أن الحب بينهما أقوى من كل محاولات العالم لإضعافه.

***

9

وقفت حور أمام باب الصيدلية تتأمل الواجهة الزجاجية، مسترجعة ذكرياتها القديمة هنا. دفعت الباب بخفة ودخلت، فاستقبلها الدكتور محي الدين بابتسامة واسعة وهو يرتب الأدوية.

"أهلاً بالدكتورة حور! أخيرًا رجعتي تنوري الصيدلية."

ابتسمت حور بخجل وهي ترد بهدوء:

"شكراً يا دكتور محي، حبيت أرجع أشتغل كام ساعة بعد الجامعة. بحس إن الشغل هنا بيفيدني جدًا."

ربت الدكتور محي الدين على كتفها بود:

"وجودك معانا إضافة كبيرة، وأكيد الزباين كمان هيفرحوا برجوعك."

بدأت حور في ترتيب بعض الوصفات الطبية، غارقة في عملها، بينما مر الوقت سريعًا. قرب موعد انصرافها، ظهر حمزة عند الباب، وهو ينظر داخل الصيدلية بابتسامة:

"السلام عليكم!"

رفعت حور رأسها بتفاجؤ، وعلامات الدهشة تكسو وجهها:

"حمزة؟ إيه اللي جابك هنا بدري مش عوايدك؟"

دخل حمزة، وتوجه نحو والده يلقي عليه السلام أولًا، ثم التفت لحور بابتسامة:

"زي ما إنتِ عارفة أنا كل يوم بالليل هنا، أساعد بابا. بس النهارده قلت لازم أرحب بيكِ رسميًا علشان كده جيت بدري."

ابتسمت حور بخفة وهي تحاول إخفاء خجلها:

"مش لايق عليك إنك تيجي بدري صراحة."

رد حمزة، وهو يضع بعض الادوية في أماكنها:

"أهو مرة بقى، المهم وجودك هنا أحلى حاجة حصلت للصيدلية."

ضحك الدكتور محي الدين وهو ينظر لابنه:

"شكلك هتفضل واقف هنا تتكلم مع حور بدل ما تساعدني زي كل يوم اتفضل رص الطلبية دي."

ضحك حمزة ونظر لحور مازحًا:

"بابا ما بيضيعش فرصة. طيب أهو هشتغل حاضر."

ابتسمت حور بخجل وهي تتابع ترتيب الأدوية في أماكنها، بينما شعر حمزة بسعادة غامرة لوجودها. وبدا واضحًا أن عودتها للصيدلية ستضيف لحياته سببًا جديدًا ليأتي هنا كل يوم.

مرت الأيام وحنين تستيقظ كل ليلة لتجد نفسها بمفردها، وكأن حضن إيهاب الذي يضمها دائمًا صار ذكرى بعيدة. شعرت بوحدة قاسية تتسلل إلى قلبها كل ليلة، حتى أصبحت الليالي أطول من أن تحتملها.

في إحدى الليالي، لم تعد قادرة على تحمل هذا الغياب. جلست في سريرها للحظات، ثم قررت النهوض. ارتدت عباءتها سريعًا، فتحت

باب غرفتها بهدوء، لتتفاجأ بمازن يقف أمامها، ينظر إليها باستغراب:

"رايحة فين كده؟ هو إيهاب مزعلك ولا إيه؟"

أجابت باقتضاب وهي تحاول كتم غضبها:

"أكيد لأ. أنا طالعة أشوفه فوق السطوح، تقريبًا بيرسم."

رفع حاجبيه بسخرية، عاقدًا ذراعيه:

"على طول بيلزق فوق السطوح، بس أنا قولت هيبطل بعد ما يتجوز. طلعتي إنتِ اللي مطفشاه بقى؟ تقلانة عليه ليه؟ مش قد المقام، صح؟"

نظرت إليه بنظرة حادة، نبرتها تحمل استياءً واضحًا:

"إيه رأيك تخليك في حالك شوية؟ خليك في حالك بعد إذنك."

تجاوزته بخطوات سريعة، لكنه أوقفها بصوت مستفز:

"طب ولنفترض ما لقيتهوش فوق؟ هتنزلي تخبطي؟ هتصحي البيت كله؟"

رفعت يدها وأشارت بميدالية المفاتيح التي تحملها:

"معايا مفاتيحي، ما تشغلش بالك."

تركت مازن خلفها، وهي تكتم غضبها لتواصل طريقها إلى السطح، لا تفكر إلا في رؤية إيهاب وإخراج نفسها من دوامة الغضب التي أثارها مازن بكلماته.

صعدت حنين السلالم بخفة، الهواء البارد يلفح وجهها، وقلبها

ينبض بسرعة. فتحت باب السطح بحذر لتجد إيهاب على أريكته المتهالكة، يغرق في نوم عميق غير مريح بالمرة، وأمامه لوحات عدة منتهية.

تأملت اللوحات بشغف، كل واحدة تبدو كأنها تحكي حكاية مختلفة. شعرت بالشوق إليه أكثر، نظرت نحوه لتجده يضم جسده وكأنه يحاول الاحتماء من البرد.

اقتربت منه بحب وجلست أمامه، مدت يدها برفق لتوقظه وهمست:

"إيهاب... إيهاب."

فتح عينيه ببطء، ثم انتفض جالسًا بفزع:

"في إيه؟ الوقت كام؟ إنتِ كويسة؟"

أمسكت يده بحب، تهدئ من روعه:

"أنا كويسة، حبيبي. قوم، تعال ننزل أوضتنا."

وقفت وهي تجذبه برفق، لكنه أوقفها يدلك رقبته بتعب ظاهر:

"حنون، يا روحي، انزلي إنتِ وأنا شوية وهحصلك."

رفضت تمامًا، نظرت إليه بحزم:

"هتنزل معايا. كفاية البرد ده."

وقف أمامها يحاول إقناعها:

"روح قلبي، فاضل لوحة لازم أخلصها وأسلمهم الصبح. معلش،

انزلي إنتِ وأنا هخلص وأجي."

أمسكت وجهه بحب، ونظرت إلى عينيه مباشرة:

"مش هنزل. هتصمم تفضل هنا؟ يبقى هفضل معاك. يلا يا إيهاب. كل ليلة تقضيها هنا بعيد عني، هو أنا مش مهمة زي اللوحات دي؟"

حاول أن يبتسم ليخفف من وقع كلماتها، لكنه أمسك يديها الاثنتين بوجع حاول إخفاءه:

"وهي اللوحات دي بعملها ليه؟ حنين، مفيش أهم منك في الكون كله. سامحيني، بحاول أكون معاك أكتر، لكن غصب عني... الشغل محتاجني وأنا محتاجه أكتر."

قبّلت يديه بحب، صوتها يخرج مليئًا بالحنان:

"إيهاب، اللي بتعمله ده بيوجعني. لو محتاج ترسم، يبقى جنبي، مش هنا. مش في البرد ده، ولا لوحدك. أنا ممكن أحط حاجة على عيني لو النور مضايقني، بس طلوعك هنا للفجر كل يوم مرفوض. قرر، يا ننزل سوا يا نسهر هنا مع بعض."

تنهد باستسلام، شعر بحبها وقلقها عليه. جمعا الأدوات واللوحات معًا، نزلا معًا إلى الشقة، حيث وجد إيهاب أخاه مازن جالسًا أمام التلفاز، عيونه على الشاشة. لكن سرعان ما لاحظهما ودارت عينيه نحوهم بابتسامة مستفزة:

"عرفتي تنزليه أخيرًا. كنت لسه بسألها، مطفشاك ليه كل ليلة كده؟"

صمتت حنين، تكتفي بمراقبة زوجها الذي ابتسم بخفة، ثم نظر

إلى أخيه بتهكم:

"إيه رأيك تخليك في حالك وما تشغلش نفسك بينا؟"

مازن لم يفوت الفرصة ليعلق بسخرية:

"نفس ردها، ما شاء الله عليكم... ما جمع إلا ما وفق."

إيهاب ابتسم، نظراته تحمل صبرًا يكاد ينفد:

"طيب هي قالت خليك في حالك، وأنا بقولك ياريت نخلينا في حالنا شوية."

مازن، دون أن يرفع عينيه عن الشاشة، أشار بيده بلا مبالاة:

"طريقكم أخضر، يلا."

تركه إيهاب وحنين، دخلا غرفتهما بصمت، وأغلق إيهاب الباب خلفهما بحذر، وكأنما يترك خلفه كل الاستفزازات والضجيج.

في الغرفة، وضع إيهاب اللوحات والأدوات في مكانها، ثم التفت إلى حنين بابتسامة هادئة، كأنه يحاول نسيان لحظات الاستفزاز السابقة:

"طيب يا روح قلبي، عايزة تعملي إيه دلوقتي؟"

حنين اقتربت منه، وضعت يديها حول عنقه بابتسامة دافئة:

"عايزة أشوفك مرتاح، ولو حابب تكمل اللوحة اللي فاضلة كملها. أنا بحب أشوفك وانت بترسم."

إيهاب قبّل أرنبة أنفها بحنان:

"بس مش بعرف أركز وانتِ موجودة. أعمل إيه؟"

ضحكت بخفة:

"تعمل نفسك مش واخد بالك مني خالص. يلا قولي اللوحة دي قصتها إيه؟"

ابتسم بدهشة خفيفة:

"قصتها؟ هي اللوحات بتحكي قصص؟"

أكدت بحماس:

"أماال، طبعًا بتحكي. حاسة كل لوحة بتحكي حكاية، إيهاب، بجد... أنا شايفة إن كل لوحة ليها قصة. مش كأنها بتحكي حاجة من حياتنا أو حياة حد؟"

رفع رأسه نحوها، ثم نظر إلى اللوحة بابتسامة صغيرة:

"ممكن... بس أنا ساعات برسم وأنا مش مدرك إن اللوحة فعلاً ليها معنى. يمكن هو إحساس داخلي، بيطلع من غير ما ألاحظ."

حنين ضحكت بخفة، ثم أشارت إلى اللوحة:

"طيب دي، فكرتك إيه فيها؟"

مسح يديه بمنديل بجانبه، ثم أشار إلى بعض الخطوط:

"دي عن الوحدة، عن الناس اللي بيعيشوا وسط زحمة كبيرة بس جواهم فراغ."

ابتسمت وهي تنظر إلى التفاصيل:

"زيك لما تطلع فوق السطوح وتسيبني كل ليلة؟"

نظر إليها بدهشة ممزوجة بابتسامة، ثم اقترب ليطبع قبلة على جبينها:

"مش هسيبك تاني، وعد."

حنين أخرجت هاتفها، وبدأت بالتقاط صور له وهو يرسم. التقطت صورة ليده وهي تمسك الفرشاة، ثم أخرى للوحة عن قرب، ثم وجهت كاميرا الموبيل لنفسها وأخذت صورة سريعة مع إيهاب في الخلفية.

"حنين، إيه اللي بتعمليه ده؟" سألها بابتسامة وهو يراقبها تتنقل بالهاتف حوله لتلتقط لهما بعض الصور الجميلة والمجنونة حقًا، كرر سؤاله لها عما تفعله فأجابته بحب:

"بحب أوثق كل حاجة جميلة، وإنت بالنسبة لي أجمل حاجة. خليني أحتفظ باللحظة دي."

اقترب منها، أمسك يدها بلطف ليخفض الهاتف، ثم نظر إلى عينيها:

"اللحظة دي مش هتحتاج صورة عشان تفتكريها. طول ما إحنا مع بعض، كل حاجة جميلة هتفضل موجودة."

حنين وضعت يدها حول عنقه مرة أخرى، نظرت إليه بعينيها الممتلئتين بالحب:

"طالما إنت معايا، مفيش حاجة في الدنيا تقدر تبعدنا عن بعض."

استمر إيهاب في العمل على لوحته، وحنين تجلس بجواره، تراقبه

وتستمتع بكل لحظة. كانت تلك الليلة بداية جديدة، مليئة بالتفاهم والدفء، حيث استعادا قربهما وأكد كل منهما للآخر أن الحب هو ما يجعل كل شيء يحتمل.

كانت حنين تجلس على مكتبها، مشغولة ببعض الأوراق، لكن الابتسامة لم تفارق وجهها. بين الحين والآخر كانت تنظر إلى هاتفها، تضغط على الشاشة ثم تضعه جانبًا بابتسامة أعمق، وكأن رسالة خفية تأتيها من عالم آخر.

عندما رن هاتفها، أجابت بنبرة دافئة، صوتها منخفض لكنه مليء بالحب:

"حاضر يا حبيبي، خلص شغلك وما تتأخرش عليا."

أنهت المكالمة وهي ما زالت تبتسم، وكأنها تحمل في قلبها فرحة صغيرة لا تعرف الزوال.

من بعيد، كانت سارة تراقبها، حاجباها معقودان بغيظ. انشغلت حنين في العمل، لكن ذلك لم يمنع سارة من التحديق بها باستمرار.

"إيه اللي بيخليها مبتسمة كده طول اليوم؟ ده جوزها نقاش، بالكاد بيكسب قوت يومه. إيه السر اللي مخليها عايشة وكأنها ملكة؟" فكرت سارة، وملامح الغضب تزداد وضوحًا على وجهها.

تقدمت نحو مكتب حنين بخطوات مترددة، توقفت في منتصف الطريق، شعرت بأنها لا تملك مبررًا حقيقيًا للتدخل. عادت إلى مكتبها، لكنها لم تستطع كبح تلك الغيرة التي تأكل قلبها ببطء، متسائلة عن ذلك الشيء الخفي الذي يجعل حنين تبدو سعيدة

بشكل لا يُفهم.

لم تستطع سارة كبح فضولها أكثر فاقتربت من مكتب حنين، جلست على طرفه بابتسامة خفيفة تخفي وراءها فضولها المتزايد:

"أخبارك إيه يا حنون؟"

رفعت حنين رأسها بابتسامة صافية:

"الحمدلله يا سارة، بخير. إنتِ عاملة إيه؟ مبسوطة أكيد مع الأستاذ زهير، هو شخصية محترمة جدًا."

رفعت سارة رأسها بتفاخر:

"ده حقيقي. زهير محترم وكويس جدًا، ومرتاح ماديًا، وفوق كده، بكرة يبقى مدير بنك."

تعجبت حنين قليلًا من أسلوبها، لكنها لم تُظهر ذلك. حاولت سارة تبرير كلامها سريعًا:

"ما أقصدش طبعًا مكان باباكي، بس قصدي..."

قاطعتها حنين بابتسامة متفهمة:

"فاهماكِ طبعًا. ربنا يوفقكم يا روحي."

ابتسمت سارة ثم سألتها بفضول لم تستطع كتمانه:

"أخبار إيهاب جوزك إيه؟ مش بشوفكم مع بعض خالص. مش بيجي يوصلك ولا ياخدك؟ للدرجة دي مشغول عنك؟ طمنيني، مبسوطين مع بعض يا حنين؟"

اتسعت ابتسامة حنين وهي ترد بثقة:

"الحمدلله يا روحي، مبسوطين جدًا كمان."

لم تتمكن سارة من كبح فضولها أكثر:

"ما شوفتش صور فرحكم. ما عزمتوش حد ولا عملتوا فرح؟ إيه اللي حصل؟"

ابتسمت حنين وهي تتذكر:

"عملنا فرح، بس صراحة يا سارة، مكنتش متخيلة إني هكون بالسعادة دي كلها مع إيهاب. كنت متوقعة حياة عادية، لكنه رجّعلي أحلامي وفرحتي. بعدين، صورنا في الفرح مش زي صورنا دلوقتي."

أخرجت هاتفها وبدأت بعرض الصور. أولًا، صورة من يوم الفرح، بدا كلاهما فيها بجمود وكأنهما غريبان. ثم عرضت صورة من ليلة أمس، حيث كانت تمازحه وهو يرسم:

"بصي هنا بقى، صورنا دلوقتي... مجانين."

سارة نظرت إلى الصور بعينين مليئتين بالغيرة التي حاولت إخفاءها:

"هو بيرسم لوحات؟ رسمه حلو ولا عادي؟"

أجابت حنين بحماس يضيء عينيها:

"إيهاب فنان، مستحيل تشوفي لوحة له وما تعجبيش بيها. رسمه يخليكِ تحسي بكل حاجة."

ضحكت سارة في داخلها بسخرية، تفكر بتهكم: "فنان؟ ما تقولي نقاش، ولا إنتِ بتستعري من شغله؟"

قطع أفكارها صوت زوجها زهير وهو يناديها بصوت صارم:

"أستاذة سارة، معندكيش شغل ولا إيه؟ من بدري قاعدة هنا."

وقفت سارة بارتباك، نظرت إليه وحاولت الرد، لكنه لم يمنحها فرصة:

"يلا، شغلك مستني."

تحركت بتوتر نحو مكتبها، حاجباها معقودان بغضب. في داخلها، كانت تتوعد بالانتقام من زهير، لكنها في الوقت نفسه، كانت تغلي من الغيرة تجاه حنين، التي بدت وكأنها تعيش سعادة لا تستحقها في نظرها.

عادت سارة إلى بيتها، غاضبة ومتوترة. دخل زهير بعد قليل، يخلع ربطة عنقه بهدوء، لكن نظرات سارة كانت تحمل الكثير من العتاب.

"زهير، ممكن أفهم إيه اللي حصل النهارده؟" قالت بنبرة متوترة.

زهير توقف للحظة، ثم رد بنبرة هادئة:

"إيه اللي حصل يا سارة؟ لو تقصدي اللي في البنك، كنت بوضح شغل مش أكتر."

سارة رفعت حاجبيها بحدة:

"توضح شغل؟ قدام حنين وكل الموظفين؟ كان لازم تعاملني بالطريقة دي؟"

تنهد زهير، ووضع يده في جيبه:

"سارة، إنتِ عارفة إننا في مكان عمل، ولازم الكل يشوف إننا بنشتغل بمهنية. أنا ما قصدتش أحرجك، لكن ما ينفعش أتغاضى عن الشغل عشان إنتِ مراتي."

سارة نظرت إليه بعينين متسعتين:

"أنا مش بطلب منك تميّزني، بس على الأقل ما تقللش مني قدام الناس. أنتَ جوزي قبل ما تكون مديري!"

اقترب زهير منها، نبرته ازدادت دفئًا:

"وأنا ما نسيتش إنك مراتي. بس يا سارة، إحنا لازم نفصل بين الشغل وبين حياتنا الشخصية. لو فكرت إن كل كلمة بقولها هتزعلك، الشغل هيبقى صعب."

تراجعت خطوة للخلف، لكنها ما زالت تحمل الغضب في صوتها:

"أنا مش زعلانة من الشغل... أنا زعلانة لأنك كنت تقدر تقول نفس الكلام بطريقة أهدى، لكن اخترت تحسسني إنك مش في ضهري."

نظر إليها للحظة طويلة، ثم قال بهدوء:

"يمكن عندك حق، كان ممكن أكون أهدى شوية. بس كمان إنتِ لازم تفهمي إننا في مكان عمل، وأي تعامل مختلف هيبان للكل. وأنا ما ينفعش أبين كده."

سكتت، لكن الضيق لم يترك ملامحها بالكامل.

"أنا متفهمة، بس كان ممكن تبقى أحن شوية. أنا مراتك مش مجرد موظفة."

ابتسم زهير وربت على كتفها بحب:

"وإنتِ مش مجرد زوجة، إنتِ شريكتي في كل حاجة. لو كنت شددت، فده لأن الشغل لازم يتعمل صح. بس أنا دايمًا في ضهرك، حتى لو ما بينتش ده قدام الناس."

شعرت سارة بشيء من الهدوء، لكنها همست بخفوت:

"طيب... بس حاول تخلي كلامك معايا أهدى المرات الجاية."

وافقها بإيماءة، واقترب منها وهو يضع يده على كتفها:

"وإنتِ كمان، خليكي معايا. إحنا فريق، ما تنسيش ده."

ابتسمت قليلًا، واقترب هو منها ليصالحها بشكل عملي.

جلس زهير وسارة على طاولة العشاء في منزلهما. كان الجو هادئًا، وصوت الملاعق على الصحون هو الصوت الوحيد. قطعت سارة الصمت بنبرة بدت عادية، لكنها حملت نوايا خفية:

"زهير، سمعت في البنك النهارده إن الدور اللي تحت هيتجدد. صحيح؟"

رفع زهير حاجبيه قليلًا وهو يمضغ لقمة من طعامه:

"أيوة، ده جزء من خطة التطوير. بس إحنا لسه بندور على حد يشتغل فيه. ليه؟"

ابتسمت سارة بخبث داخلي لكنها حاولت إظهار الاهتمام:

"كنت بفكر... ما تجيب إيهاب، جوز حنين؟ سمعت إنه شاطر جدًا في الدهان والرسم وكده. ممكن يبقى اختيار مناسب، وكمان يبقى كنوع من الدعم والمساعدة لحنين بشكل غير مباشر."

زهير توقف للحظة، ثم أومأ برأسه بتفكير:

"فكرة كويسة بصراحة. لو شغله بالجودة اللي بتقولي عليها، ليه لأ؟"

سارة، محاولة إخفاء نواياها الحقيقية، أكملت بابتسامة هادئة:

"أكيد. وإنتَ عارف حنين مش بتحب حد يعرف حاجة عن حياتها، فلو الموضوع حصل بشكل طبيعي من غير ما يبقى في حزازيات، هيكون أفضل."

زهير نظر إليها مستفسرًا:

"يعني تقصدي إيه؟"

وضعت سارة شوكتها برفق وقالت:

"يعني، أديك رقم الاسطى بتاعه اسمه الاسطى طلعت، واحد من أشهر الأسطوات في شغله. طلعت سمعته كويسة وكتير ناس بتتعامل معاه، وإيهاب جزء من فريقه. لو هتتعامل مع طلعت، يبقى بتتعامل مع ناس محترفين."

أعجب زهير بالفكرة، وأومأ برأسه:

"تمام. لو عندك رقمه، ابعتيه ليا وأنا هكلمه. "

ابتسمت سارة، وهي تشعر بانتصار داخلي، لكنها أخفته خلف نبرة عادية:

"تمام هبعتهولك وأنت كلمه واتفق معاه زي ما تحب بس بلاش تعرف طلعت إنك تعرف إيهاب علشان ما يتحرجش ولا تعرف أ/ عبدالقادر برضه علشان ترفع عنه الحرج."

أمسك يدها يقبلها بحب:

" تمام يا روحي، هكلم طلعت اتفق معاه يجي ومش هعرف حد – داعبها بحب- حبيبي اللي بيحب الخير لأصحابه "

تألقت ملامحها بابتسامة ودودة، بينما كان زهير يفكر في تلك الفكرة. أما سارة، فقد شعرت بالرضا عن خطتها، وهي ترى أنها وضعت أول خطوة لإظهار إيهاب أمام الموظفين بشكله البسيط الذي تعتقد أنه سيحرج حنين.

كان معتز يقف خلف الكاونتر في صيدليته الجديدة، يرتب الأدوية على الرفوف، حين دخلت نورا بسرعة واندفاع، تحمل ملفًا وبعض الأوراق في يدها.

"صباح الخير! أنا نورا، سمعت إنك محتاج دكتورة تشتغل معاك في الصيدلية!" قالتها بحماس، لكنها فورًا تعثرت بعتبة الباب، وسقط الملف والأوراق على الأرض.

رفع معتز حاجبيه، ينظر إليها بدهشة:

"يا ساتر، انتِ بخير؟"

ابتسمت نورا بخجل، وهي تجمع أوراقها بسرعة:

"آسفة جدًا... أنا مش عارفة إيه اللي حصل. يمكن العتبة متآمرة عليا!"

ضحك معتز بخفة، وقدم لها يد المساعدة:

"أهلًا يا دكتورة نورا. بس الصيدلية مش ناقصة خسائر، خلي بالك شوية."

وقفت نورا متوترة، تمسح على معطفها الأبيض بسرعة:

"آه طبعًا، أكيد. أنا طبيعية جدًا، صدقني."

لم تمضِ دقائق من التعارف حتى تقبل معتز لشخصيتها المرحة و وافق على عملها معه.

كانت نورا خلف الكاونتر، تساعد في ترتيب الأدوية. لكنها فجأة أمسكَت بزجاجة دواء، وما هي إلا لحظات حتى انزلقت الزجاجة من يدها وتحطمت على الأرض.

"يا نهار أبيض!" قالت نورا وهي تضع يديها على رأسها بارتباك:

"أنا... أنا متأكدة إن الزجاجة دي كانت بتحاول تهرب مني!"

معتز وقف ينظر إلى الكارثة، ثم أغمض عينيه للحظة قبل أن يفتحها مجددًا ويقول بنبرة مازحة:

"واضح إنك مش دكتورة، إنتي إعصار دخل علينا!"

حاولت نورا تبرير الموقف وهي تجمع القطع المكسورة بحذر:

ابتسمت نورا بخجل، وهي تجمع أوراقها بسرعة:

"آسفة جدًا... أنا مش عارفة إيه اللي حصل. يمكن العتبة متآمرة عليا!"

ضحك معتز بخفة، وقدم لها يد المساعدة:

"أهلًا يا دكتورة نورا. بس الصيدلية مش ناقصة خسائر، خلي بالك شوية."

وقفت نورا متوترة، تمسح على معطفها الأبيض بسرعة:

"آه طبعًا، أكيد. أنا طبيعية جدًا، صدقني."

لم تمضِ دقائق من التعارف حتى تقبل معتز لشخصيتها المرحة و وافق على عملها معه.

كانت نورا خلف الكاونتر، تساعد في ترتيب الأدوية. لكنها فجأة أمسكَت بزجاجة دواء، وما هي إلا لحظات حتى انزلقت الزجاجة من يدها وتحطمت على الأرض.

"يا نهار أبيض!" قالت نورا وهي تضع يديها على رأسها بارتباك:

"أنا... أنا متأكدة إن الزجاجة دي كانت بتحاول تهرب مني!"

معتز وقف ينظر إلى الكارثة، ثم أغمض عينيه للحظة قبل أن يفتحها مجددًا ويقول بنبرة مازحة:

"واضح إنك مش دكتورة، إنتي إعصار دخل علينا!"

حاولت نورا تبرير الموقف وهي تجمع القطع المكسورة بحذر:

"آسفة جدًا... بس والله أنا شاطرة في شغلي! دي البداية بس."

رد معتز بابتسامة وهو يحاول تهدئتها:

"ما تقلقيش، أنا متعود على الكوارث... مش أول مرة تحصل معايا. بس ركزي شوية، علشان مش كل الأدوية هتسامحك زي الزجاجة دي."

ابتسمت نورا بخجل وهي تنظر إليه:

"ماشي، وعد مني. المرة الجاية الزجاجة هتعيش!"

ضحك معتز بصوت عالٍ، وبدأ يساعدها في ترتيب المكان، بينما شعر أن اليوم قد بدأ بشكل غير متوقع، لكنه بالتأكيد سيكون ممتعًا مع نورا.

كان معتز يراقب نورا وهي تحاول ترتيب الأدوية، تتحدث لنفسها وتتحرك بحيوية زائدة، فسقطت عبوة صغيرة من يدها.

"نورا دي زي الإعصار... ما فيش حاجة بتثبت معاها."

استعاد في ذهنه صورة حور، بجديتها وصمتها الدائم:

"حور... ساكتة ومركزة، دايمًا عارفة هي بتعمل إيه."

هز رأسه بخفة وهو ينظر لنورا تلتقط العبوة بخجل:

"فرق السما والأرض."

التفتت نورا نحوه وقالت بابتسامة عريضة:

"في حاجة يا دكتور؟"

رد بجدية:

"لا، كملي شغلك."

عاد لعمله، متجاهلًا حيويتها، وأكمل يومه دون تعليق.

كانت هايدي تقف على الشرفة تتحدث عبر الهاتف مع علاء، الهواء البارد يلفح وجهها بخفة، لكنه لم يكن كافيًا لتخفيف حرارة خجلها من كلماته.

"طيب، ما تجيش بسرعة كده! أنا لسه مش جاهزة، ومش عارفة إيه اللي هلبسه أساسًا."

ضحك علاء من الطرف الآخر، صوته مليء بالدفء:

"هايدي، إنتِ دايمًا جاهزة بالنسبة لي، مهما كنتِ لابسة. مش المهم اللبس، المهم إني أشوفك."

ابتسمت، تحاول إخفاء تأثرها بكلماته، لكنها لم تستطع:

"علاء، إنت مش طبيعي، دايمًا بتقول كلام يخلي قلبي يدق أسرع."

علاء رد بنبرة جادة ومليئة بالحب:

"لأنك أغلى حاجة في حياتي يا هايدي. أنا مش بعرف أرتاح غير لما أسمع صوتك وأطمن إنك بخير."

سكتت للحظة، ثم همست بخجل:

"وأنا كمان، مش بعرف أكون سعيدة غير لما تكون قريب مني."

ضحك برقة:

"خلاص، اعتبري نفسك أسعد واحدة دلوقتي، أنا على بعد دقائق وهكون عندك."

أغلقت المكالمة وهي تضع يدها على قلبها، تشعر بدفء كلماته يغمرها. علاء كان لها الأمان والحب، وكان يكفي أن تسمع صوته لتعلم أن العالم بخير.

وقف علاء أمام متجر المجوهرات، يمسك يد هايدي بحنان. نظراته تتنقل بين واجهة العرض ووجهها الذي ازداد تألقًا تحت أضواء المحل.

"طيب يا عشق الروح، قوليلي... إيه اللي عاجبك؟" سألها بابتسامة واسعة، مفعمة بالحب.

نظرت هايدي إلى الواجهة بخجل، ثم ردت بصوت خافت:

"أنا مش عايزة حاجة غالية... أي حاجة بسيطة تكون من اختيارك."

ضحك علاء وهو يشد على يدها بخفة:

"بسيطة إيه؟ الشبكة دي رمز لحبنا، لازم تكون مميزة زيك."

أشار للبائع ليخرج خاتمًا أنيقًا مرصعًا بحجر ألماس صغير، ثم أمسك بيدها ليضعه في إصبعها. وقف للحظة يتأمل كيف يبدو عليها، ابتسامته لم تفارق وجهه:

"هايدي، الخاتم ده مش زينتك... إنتِ اللي زينتيه."

نظرت للخاتم بحب، ثم رفعت عينيها إليه وهمست:

"علاء، أنا مش محتاجة خاتم علشان أحس إنك معايا. وجودك وحده يكفيني وبعدين إحنا سبق ولبسنا قبل كده و."

قاطعها بحب:

" قبل كده مكناش بنحب بعض زي النهاردة يا هايدي، النهاردة إحنا بنحب بعض، قبل كده كنا يدوب اخترنا بعض، تفرق كتير يا روحي."

علاء لم يكتفِ بالخاتم، أشار للبائع مرة أخرى ليُخرج طقمًا ماسيًا بسيطًا وأنيقًا، يناسب شخصيتها تمامًا. وضع العقد بين يديها بابتسامة خبيثة:

"وده بقى، علشان كل مرة تلبسيه تفتكري إنك أجمل حاجة حصلت في حياتي."

هايدي نظرت إلى العقد بدهشة، صوتها مليء بالانفعال:

"علاء! ده كتير أوي... أنا مش عايزة كل ده."

قاطعها بنبرة حانية:

"أنا اللي عايزك تكوني دايمًا متألقة. إنتِ تستاهلي أكتر من كده بكتير."

وضعت يدها على الخاتم والعقد بحب، عيناها تلمعان بامتنان:

"ربنا يخليك ليا، مش عارفة أقولك إيه."

اقترب منها، بصوت خفيض ومليء بالحنان:

"ما تقوليش حاجة... كفاية إنك معايا."

خرجا من المتجر، يدها في يده، والخاتم والطقم يزينانها كأنهما يعكسان الحب الكبير الذي يملأ قلبه. كانت لحظة مليئة بالسعادة والامتنان، وكأنها بداية جديدة لحياتهما معًا.

كانت عائلة هايدي مجتمعة في غرفة المعيشة، الجو مريح وهادئ. هايدي جلست في منتصفهم، تخرج علبة الشبكة بحماس.

"شوفوا يا جماعة، دي الشبكة اللي اخترتها مع علاء!" علقت بسعادة وهي تفتح العلبة.

داليا، والدتها، نظرت إلى الطقم الألماسي بتقدير:

"ما شاء الله يا هايدي، اختيار رائع! علاء عنده ذوق فعلاً."

علق اللواء محمود، والدها، بابتسامة:

"واضح إنه بيحاول يرضي المدام من دلوقتي، كويس جداً. بس الشبكة مش أهم حاجة، المهم تبقوا متفاهمين زي ما إحنا متفاهمين."

ضحكت هايدي:

"أيوة يا بابا، كله تمام الحمدلله."

التفت اللواء محمود إلى معتز الذي كان منشغلًا بهاتفه:

"وأنت يا سي معتز، إيه أخبار الصيدلية؟"

رفع معتز رأسه بابتسامة واسعة:

"الصيدلية زي الفل، بس دخلت صيدليتي إعصار اسمه نورا."

استغربت داليا وضحكت:

"إعصار؟ مين نورا دي؟"

أجاب معتز بنبرة مرحة:

"الدكتورة الجديدة اللي شغالة معايا. أقولكم إيه؟ من أول يوم وقعت قزازة دوا وكسرتها، بتكلم الأدوية يمكن تتحرك لوحدها، وأحيانًا تحلف إن الرفوف بتتآمر ضدها."

انفجرت العائلة ضاحكة، وعلقت هايدي وهي تضحك:

"شكلك هتتعب معاها يا معتز."

رد معتز مازحًا:

"دي شغالة على أعصابي، بس مش هقولكوا إن الصيدلية عمرها ما كانت مسلية كده."

ضحك اللواء محمود وضرب على كتف ابنه بخفة:

"أهو خلي الجو مرح في الشغل يا معتز، بس ما تنساش تهتم بالزبائن."

بينما استمرت العائلة في الضحك والمزاح، لم تستطع داليا إخفاء شعور الرضا في داخلها. أخيرًا، ابنها يتحدث عن شخص آخر غير حور. رغم حبها لحور الا إنها متيقنة أن حور لا ترى معتز سوى أخ كبير لها فقط، الآن، على الأقل، ربما هناك بداية جديدة لشيء مختلف في حياة معتز.

استمرت الأحاديث والمزاح بين العائلة في أجواء مليئة بالحب والمرح، تعكس التفاهم الكبير بينهم.

تلقى إيهاب اتصالًا غير متوقع من فايز لبيب، صاحب محل المجوهرات. كان يتحدث بنبرة ودودة ومباشرة:

"إيهاب، بكلمك لو تقدر تعدي عليا؟ عندي زبون تقيل عايز حاجة مميزة، وإنت جيت في بالي لو ينفع تساعدني."

شعر إيهاب ببعض الحرج لكنه رد بلطف:

"طبعًا، من عنيا. تحب أعدي عليك إمتى؟"

رد فايز بسرعة:

"دلوقتي لو ينفع؟"

ابتسم إيهاب معتذرًا:

"معلش، أنا في شغلي دلوقتي. ممكن آخر النهار أمر عليك؟"

وافق فايز فورًا، مما جعل إيهاب يشعر بأن هناك فرصة جيدة قد تفتح له باب رزق جديد.

بعد انتهاء يوم عمله، اتصل بزوجته حنين ليخبرها أنه سيتأخر قليلًا، ثم توجه إلى محل المجوهرات حيث استقبله فايز بترحاب كبير:

"إيهاب، ألف شكر على إنك جيت. عندي عميل عايز حاجة معمولة مخصوص، وافتكرت شغلك المميز."

أجرى فايز مكالمة سريعة مع العميل، ثم نظر إلى إيهاب وهو يوضح الطلب:

"عايز طقم كامل مش مجرد تصميم على خاتم أو كتابة بسيطة. حاجة مميزة تعبر عن العلاقة بينه وبين مراته."

شعر إيهاب ببعض التردد:

"طقم كامل؟ يعني تصميم من الصفر؟"

ابتسم فايز بتأكيد:

"بالظبط. على فكرة، هو شاف الخاتم اللي عملته للأستاذة حنين وعجبه جدًا. حب الفكرة وقرر يهادي مراته بحاجة معمولة بحب. فارسم لي حاجة حلوة – وأضاف بمزاح – اعتبرها لحنين يا سيدي."

ابتسم إيهاب بخجل، أخرج دفتره، وبدأ بالتخطيط. استغرق ساعة كاملة في الرسم حتى استقر على تصميم بسيط لقلبين متعانقين يحملان الحروف الأولى من إسم الزوجين.

أعجب فايز كثيرًا بالتصميم، أرسله على الفور للعميل الذي وافق عليه بحماس. بعد انتهاء الأمر، اقترب فايز من إيهاب بابتسامة:

"شغلك عظيم، عايزك تعمل لي كذا تصميم الفترة الجاية. وصدقني، كل تصميم هتعمله هيبقى بسعر كويس. وكمان لو تقدر تيجي كل يوم ساعتين بعد شغلك، تساعدني في الكتابة على المشغولات وتصميمها في الورشة."

وافق إيهاب بامتنان وشكر فايز على الفرصة، ثم عاد إلى بيته متأخرًا بعض الشيء. وجد حنين تنتظره فهي لم تتناول الغداء مع عائلته بل انتظرته، تغديا سويًا بهدوء وحين وقفت لتخرج صينية الطعام أخذها إيهاب من يدها و اخرجها هو ثم عاد لغرفته.

جلس إيهاب على سريره بجانب حنين، يحكي لها عن تفاصيل عمله الجديد، محاولًا أن يبدو طبيعيًا قدر الإمكان:

"حنين، بصراحة لقيت فرصة شغل بعد الشغل الأساسي بتاعي. هي ساعتين يوميًا بس، وفلوسها كويسة."

نظرت إليه حنين بقلق، وملامحها تحمل تساؤلات كثيرة:

"طيب وإنت هتقدر؟ يعني شغلك الأساسي بيتعبك كفاية، وبعدين هتتأخر كل يوم عن البيت."

إيهاب ابتسم، محاولًا طمأنتها:

"متقلقيش، الشغل بسيط ومش هيتعبني. بالعكس، هيساعدنا في مصاريف البيت شوية، وهنقدر نرتاح أكتر."

صمتت للحظة، تفكر في الأثر الذي قد يتركه هذا العمل الإضافي عليه، لكنه بدا سعيدًا ومتحمسًا.

"طيب، أنا مش هقدر أقولك لا، بس أوعدني تهتم بصحتك وما تضغطش على نفسك."

مد يده ليمسك يدها بحب:

"وعد، يا روحي. مش هعمل حاجة تضايقك أو تضغط عليا. الشغل

ده فرصة حلوة وهنستفيد منه كلنا."

ابتسمت حنين بخجل وهي تمسك يده بقوة، تحاول أن تخفي قلقها.

"ربنا يوفقك يا إيهاب، وأهم حاجة تكون بخير."

أومأ برأسه، وعيناه مليئتان بالامتنان لها. لم يخبرها أن عمله الجديد سيكون مع لبيب فايز ربما لرفع الحرج عنها كون انه صديق لوالدها، لكنه كان عازمًا على استغلال هذه الفرصة لتحسين ظروفهما.

بينما تمنت حنين أن يخفف هذا العمل الجديد من عبئه، شعرت بثقل المسؤولية يزداد عليه خصوصًا رفضه المستمر لمساعدتها أو أن تطلب من والدتها كرت البنك الخاص بها. همست لنفسها:

"كل اللي يهمني إنك تكون مرتاح، يا إيهاب."

في كلية الفنون الجميلة جلس د. كمال الشريف في مكتبه، يمرر نظراته المتفحصة على اللوحات التي قدمها طلابه رامي ويامن ودارين. كانت الألوان والتفاصيل تلفت النظر، لكن أكثر ما أثار انتباهه هو الانسجام الغريب بينها، وكأنها تعبر عن فكرة واحدة بروح واحدة.

أمسك اللوحة الأولى، تأمل الخطوط الدقيقة والألوان المختارة بعناية، ثم انتقل للثانية والثالثة والرابعة وكل اللوحات. توقف للحظة، ثم أعاد النظر إلى اللوحات مجددًا.

همس لنفسه، وهو يضع القلم جانبًا:

"ده غريب جدًا... كل لوحة فيها نفس الإحساس، نفس الروح. معقول ده شغل ثلاثة أشخاص مختلفين؟"

أعاد النظر إلى التفاصيل، لاحظ تشابهًا في طريقة التظليل، واختيار الزوايا، وحتى دقة ضربات الفرشاة. كل شيء يصرخ بأن يدًا واحدة رسمت هذه اللوحات، وليس ثلاث أيادٍ كما هو مفترض.

جلس إلى الوراء في كرسيه، يخلع نظارته ويفرك جبهته بتوتر:

"هل ممكن يكونوا استعانوا بشخص واحد؟ طيب، لو كده... مين هو؟"

حمل اللوحات مرة أخرى، أعاد فحصها بتأنٍ، لكنه لم يجد سوى المزيد من التشابهات التي أكدت شكوكه.

"لو فعلاً نفس الشخص هو اللي رسمها... يبقى فنان حقيقي. "

ظل د. كمال غارقًا في حيرته، يقلب اللوحات بين يديه، عاجزًا عن تجاهل الانسجام المذهل بينها. فكرة واحدة ظلت تسيطر على ذهنه:

"لازم أفهم... هطلب منهم لوحات أكتر يمكن أكون ظالمهم."

وضع اللوحات جانبًا، لكنه لم يستطع أن ينحي فضوله جانبًا، منتظرًا المزيد من اللوحات.

استمرت حيرة د. كمال الشريف، فهو ينظر إلى اللوحات التي قدمها رامي ويامن ودارين. رغم إعجابه الشديد بها، إلا أن الحيرة لم تفارقه. كان هناك شيء غريب، شيء يوحي بأن هذه اللوحات لا يمكن أن تكون لثلاثة أشخاص مختلفين.

قرر استدعاء الثلاثة، فالتقط هاتفه واتصل بهم على الفور، طالبًا منهم الحضور إلى مكتبه بعد انتهاء المحاضرات.

بعد قليل، دخل الثلاثة المكتب، وقد ارتسمت على وجوههم ملامح الحيرة والقلق. وقف د. كمال بابتسامة ودودة، ثم أشار لهم بالجلوس.

"أهلاً يا شباب، بصراحة اللوحات اللي قدمتوها رائعة جدًا. شغل ممتاز ومليان إحساس."

رامي تحدث بحماس:

"شكراً يا دكتور، تعبنا فيها كتير."

هز د. كمال رأسه بابتسامة غامضة:

"وده واضح جدًا. علشان كده، أنا عايز منكم شوية شغل إضافي. محتاج لوحات جديدة بنفس المستوى، يمكن خمس لوحات لكل واحد فيكم. عندي فكرة لمعرض الجامعة وعايز أعرضها هناك."

تبادل الثلاثة النظرات سريعًا، قبل أن يجيب يامن:

"أكيد يا دكتور، بس الوقت ممكن يكون ضيق شوية."

د. كمال رد بثقة:

"أنا واثق إنكم تقدروا. وأكيد ده هيكون إضافة قوية لأعمال السنة بتاعتكم."

وافق الثلاثة على طلبه، رغم شعورهم بالارتباك، وغادروا المكتب بعد وعد بتقديم اللوحات في أقرب وقت.

بينما جلس د. كمال مرة أخرى أمام مكتبه، ناظرًا إلى اللوحات بابتسامة خفيفة:

"دلوقتي هنشوف الحقيقة. هل فعلاً نفس الشخص وراء كل ده ولا أنا ظلمتكم؟"

بعد مغادرة مكتب د. كمال، تجمع رامي ويامن ودارين للحظات في زاوية هادئة من الكلية. كان القلق واضحًا على وجوههم بعد طلب الدكتور خمس لوحات لكل واحد منهم.

رامي تنهد بعمق وهو يخرج هاتفه:

"مفيش حل غير إيهاب. هو الوحيد اللي ممكن يساعدنا بالسرعة دي."

يامن وافقه برأسه:

"ما عندناش وقت نضيعه، وكمان الدكتور مستني حاجة بنفس المستوى."

دارين علقت بحذر:

"بس مش هيحس بحاجة لما يشوف اللوحات؟ الدكتور شكله دقيق أوي."

رامي هز كتفيه:

"إحنا معندناش حل تاني، خليني أكلمه."

ضغط على اسم إيهاب في هاتفه، وانتظر حتى أجاب إيهاب

بصوت واثق:

"أيوة يا رامي، إيه الأخبار؟"

رامي ابتسم بارتباك:

"إزيك يا إيهاب؟ كنت عايز أطلب منك خدمة، الحقيقة الدكتور كمال طلب مننا خمس لوحات لكل واحد... ومستوانا زي ما إنت عارف مش زي شغلك."

إيهاب صمت للحظة ثم سأل:

"يعني عايزني أعمل 15 لوحة؟"

ضحك رامي بخفوت:

"مش لازم مرة واحدة، بس محتاجين نبدأ فيهم بسرعة. الدكتور مستني حاجة بنفس مستوى الشغل اللي فات."

إيهاب فكر للحظات، ثم قال بهدوء:

"ماشي يا رامي، بس لازم تكونوا فاهمين إن ده هيحتاج وقت ومجهود كبير."

رامي شكر إيهاب بحماس:

"طبعًا يا إيهاب، إحنا مقدرين جدًا تعبك. هنتواصل معاك كل خطوة."

أنهى المكالمة، ونظر إلى يامن ودارين بابتسامة:

"إيهاب موافق. نبدأ نحضّر الأفكار اللي عايزها الدكتور."

وضع إيهاب هاتفه جانبًا وتنهد بعمق. كان يعلم أن هذا الطلب سيأخذ منه وقتًا طويلاً، لكنه لم يستطع رفضه. في داخله، شعر أن هذا التحدي ليس مجرد عمل إضافي، بل فرصة لتطوير موهبته وربما فتح أبواب رزق جديدة له.

ابتسم بخفة وهو يفكر في السبب الحقيقي الذي يجعله يقبل أي عمل إضافي في هذه الفترة. عيد ميلاد حنين يقترب، وهو يدخر منذ أسابيع ليشتري لها هدية تليق بها. أراد أن يكون الاحتفال مميزًا، ولو بشيء بسيط يعبر عن حبه وتقديره لها.

نظر إلى الزاوية الصغيرة التي يرتب فيها أدواته ولوحاته، ثم همس لنفسه:

"لازم أبدأ من دلوقتي. هعمل أحسن شغل ممكن... علشانها."

بدأ بترتيب أدواته، مستعدًا للسهر تلك الليلة. كان إيهاب مدفوعًا بحب كبير، وحلمه بأن يرى الفرحة تملأ عيون حنين حين يقدم لها هديته المنتظرة.

في استراحة الغداء بالبنك، جلست حنين مع دعاء على الطاولة تتحدثان، حين دخلت هايدي تحمل كوبًا من القهوة، ملامحها تعكس إرهاقًا واضحًا.

حنين نظرت إليها بابتسامة:

"إيه يا هايدي؟ شكلك كأنك لسه راجعة من معركة مش بتجهزي للفرح!"

هايدي وضعت كوبها على الطاولة وجلست بتنهيدة:

"بالظبط، كل حاجة أقولها لعلاء عن تجهيزات الفرح، يرد بكل بساطة: ‹مش مهم التفاصيل، المهم إنك تكوني مبسوطة.›"

دعاء ضحكت وهي تميل بجسدها للأمام:

"ده النوع اللي بيرمي كل حاجة عليكِ ويعمل نفسه روميو!"

هايدي رفعت حاجبيها بضيق:

"روميو إيه؟ ده فاكر إن الفرح مجرد عشا خفيف ونتجوز على طول. وكل ما أتكلم عن قائمة الضيوف، يقولي: ‹اختاري اللي يعجبك، أنا مليش في التفاصيل.›"

حنين ضحكت وهي تضع كوب العصير جانبًا:

"طب على الأقل أحسن من إيهاب! تصدقوا؟ كل ما أطلب منه يقعد معايا شوية في آخر اليوم، يقولي: ‹حنون، تعالي جنبي وأنا برسم... كفاية إنك معايا بس.›"

دعاء أضافت بابتسامة واسعة:

"وده لسه أرحم من سميرا أول ما قلت له نفسي أغير ترتيب البيت، قالي: ‹مفيش داعي، البيت ده بيحكي تاريخنا. حتى الكنبة دي مكانها استراتيجي!›"

انفجرن ثلاثتهن بالضحك، ثم علقت هايدي وهي تأخذ رشفة من قهوتها:

"الرجالة دي يا بنات... لازم يتحطوا في موسوعة عن فن الهروب من المسؤولية!"

حنين أكملت بمزاح:

"عنوان الموسوعة: ‘كيف تبهر زوجتك بالكلام الحلو عشان ما تعملش حاجة!›"

دعاء وضعت يدها على قلبها تمثيلًا:

"ماشي، بس أهم حاجة إنهم معانا ومش هربانين بجد!"

حنين ردت بابتسامة دافئة:

"بس بصراحة، عارفين؟ لما بشوف إيهاب بيحاول يوازن بين شغله وأحلامه، بحس إن أي حاجة تانية مش مهمة. كفاية أشوفه سعيد."

اكدت دعاء بحب:

"ده حقيقي، كفاية السعادة علينا،ربنا يدمها نعمة جميلة"

امنوا على دعوتها، ونسيّن هموم العمل لبضع دقائق، وكأن هذه اللحظات البسيطة كانت كافية لملء يومهن بالطاقة والفرح.

كان منزل الحاج محمد سليمان والد أحمد يعج برائحة الطعام اللذيذ وصوت الضحكات. أميرة وسط عائلة زوجها، تشعر بالدفء الذي لطالما افتقدته. كانت تحاول نسيان الماضي المظلم الذي عاشته في بيت أخيها، خصوصًا مع قسوة شقيقها أمجد، وتغرق في الحاضر الذي صنعه أحمد لها، جلست بجانبه تتبادل معه نظرات حب وطمأنينة، بينما فاطمة، والدته، كانت تتنقل بين الطاولة والمطبخ لتنهي التحضيرات الأخيرة.

"أميرة يا بنتي، شوفي لو عايزة أي حاجة من المطبخ قوليلي، ما تتكسفيش." عبرت فاطمة بابتسامة حانية وهي تضع صينية المحشي على الطاولة.

ردت أميرة بابتسامة دافئة:

"تعبتك معانا يا طنط... أقصد يا ماما."

فاطمة ضحكت:

"يا شيخة! لسة بتقولي طنط؟ من يومك بنتي يا أميرة."

علق رامز، شقيق أحمد، وهو يأخذ طبقًا من الطاولة:

"أميرة دلوقتي واحدة مننا خلاص، البيت من غيرها كان ناقص حاجة."

رحمة، شقيقة أحمد، أضافت بابتسامة وهي تقرب طبق السلطة:

"صح، وبعدين أحمد من يوم ما تجوزك بقى بني آدم تاني. كنتِ فين من زمان يا أميرة؟"

أحمد ضحك وأمسك بيد أميرة تحت الطاولة:

"ما تقوليش كده يا رحمة، أحسن أميرة تصدق وتفكرني كنت وحش زمان."

نظرت أميرة إليه بابتسامة خجولة وردت:

"إنت دايمًا كنت كويس يا أحمد... أنا اللي محظوظة بيك وبعيلتك."

أحمد شد على يدها بلطف وقال بصوت خافت يكاد لا يُسمع:

"وأنا ما شفتش السعادة غير معاكِ."

بينما كان الجميع يتناولون الطعام ويمزحون، شعرت أميرة أن الحياة أعطتها فرصة ثانية للسعادة، وسط عائلة تحبها وزوج يقدرها. كانت ابتسامتها لا تفارق وجهها، وهي تشعر بأنها أخيرًا تنتمي لهذا المكان.

كان إيهاب يجلس في غرفته الصغيرة محاطًا بلوحات ملونة، يده تتحرك بسرعة وثبات، يرسم بتركيز شديد كأنما ينقل روحًا من داخله إلى الورق. خطوطه كانت حية، تتناغم مع الألوان التي يختارها بحذر، لكنه كان منهكًا. عينيه تحملان تعب الأيام، وكتفاه ينحنيان مع كل ضربة فرشاة كأنه يحمل العالم.

بعد انتهاء يومه الطويل كنقاش، يتوجه إلى محل لبيب مساءً ليعمل على كتابة النقوش الدقيقة وتصميم القطع المميزة. كانت عيناه تحاولان مواكبة التفاصيل الصغيرة، وأصابعه المتعبة تعمل بدقة عالية، لكن جسده كان يصرخ بالإنهاك.

في المنزل، كانت حنين تراقب حالته بقلق متزايد. صمته الطويل وإرهاقه الذي لا يستطيع إخفاءه جعلا قلبها يضيق. حاولت دعمه بكل الطرق الممكنة، تعد له كوبًا من الشاي الساخن، تسهر بجانبه وهو يعمل، وتشجعه بكلماتها اللطيفة.

"إيهاب، أنت فنان حقيقي. كل لوحة منك تحكي حكاية، بس ما تنساش إنك إنسان كمان، محتاج ترتاح." كانت تقول له بابتسامة

تخفي قلقها.

ورغم محاولاتها، كان قلبها يعتصر خوفًا عليه، لكنها لم تظهر ذلك، فكانت تعرف أن إيهاب يحتاج دعمها أكثر من أي وقت مضى.

في إحدى الأمسيات، كان الاسطى طلعت جالسًا في ورشته يتابع حساباته اليومية، عندما رن هاتفه. أجاب بسرعة بنبرة ودودة:

"ألو، مين معايا؟"

جاءه صوت هادئ ومهذب:

"مساء الخير، معاك دكتور ماهر. كنت عايز أجدد شقتي وسمعت عن شغلك الممتاز من حد جربك قبل كده."

ابتسم طلعت:

"أهلًا وسهلًا يا دكتور ماهر. تحت أمرك. إمتى تحب نعدي نشوف الشقة ونتكلم عن التفاصيل؟"

حدد ماهر موعدًا في اليوم التالي، وبالفعل توجه طلعت مع إيهاب إلى العنوان.

فتح ماهر لهم الباب بنفسه. بدا كرجل بسيط وأنيق، يرتدي قميصًا كلاسيكيًا ونظارات طبية تضيف لمظهره هدوءًا واحترافية. استقبلهم بابتسامة:

"أهلًا وسهلًا. اتفضلوا. الشقة محتاجة تجديد كامل، من دهانات لتعديلات بسيطة في بعض الغرف."

بدأ طلعت يتجول معه في الشقة، يناقش التفاصيل، لكن إيهاب

توقف فجأة ونظر حوله بحيرة:

"الشقة شكلها جديدة، حضرتك عايز تجدد ليه؟"

ماهر ابتسم ابتسامة صغيرة كأنما يشرح أمرًا بديهيًا:

"عارف إنها جديدة، بس الصراحة عندي ذكريات سيئة فيها. عايز أبدأ صفحة جديدة، أغير كل حاجة حواليا."

طلعت هز رأسه بتفهم:

"تمام جدًا. التغيير أوقات بيبقى مهم. بس بصراحة، عندنا شغلانة صغيرة في البنك هنخلصها الأول وبعدها نتفرغ تمامًا لشقتك."

ماهر أومأ برأسه بابتسامة هادئة:

"ولا يهمك. خدو وقتكم، أهم حاجة الشغل يطلع مضبوط."

أثناء تفقدهم، أشار ماهر إلى غرفة النوم بنبرة هادئة:

"الغرفة دي بالذات مهمة بالنسبة لي. عايزها تكون رومانسية وهادية. يمكن أضيف حاجة زي لوحة مميزة."

طلعت علق بابتسامة وهو يشير لإيهاب:

"إيهاب ممتاز في شغل اللوحات. ممكن يفيدك جدًا."

ماهر نظر لإيهاب بابتسامة ودودة:

"كويس جدًا. خلينا نخلص الأساسيات الأول، وبعدين نبقى نحكي عن التفاصيل."

ظل النقاش يدور حول التجديدات، وكل شيء بدا عفويًا وطبيعيًا

تمامًا.

بعد مغادرتهم، وقف ماهر في شرفته يراقبهم يغادرون، عيناه تحملان مزيجًا من التفكير والتخطيط. ابتسم لنفسه وقال بصوت منخفض:

"تغيير كل شيء... خطوة خطوة."

كان إيهاب في قمة الإرهاق بعد ليلة طويلة قضاها في رسم اللوحات المطلوبة. مع ذلك، استعد صباحًا للذهاب مع فريق طلعت إلى العمل الجديد. جلس في السيارة بجوار خالد، محاولًا التغلب على النعاس، لكنه استسلم سريعًا وغرق في النوم.

خالد نظر إليه بابتسامة هادئة:

"خليك نايم يا صاحبي، محتاج ترتاح شوية."

عندما توقفت السيارة عند البوابة الخلفية للبنك، أوقفها طلعت بهدوء. نزل الجميع لبدء العمل، لكن طلعت التفت نحو خالد وقال بصوت خافت:

"صحيه يا خالد، خلينا ندخل نشوف أكل عيشنا."

اقترب خالد من إيهاب، وأيقظه بهدوء:

"إيهاب، وصلنا."

استيقظ إيهاب ببطء، يفرك عينيه وهو يحاول فهم المكان من حوله. لم يتعرف على المدخل الخلفي للبنك، لكنه أمسك أدواته وتبع الفريق إلى الداخل.

عبر الممر الخلفي، دخلوا القاعة الضخمة التي كانت تعج بالتفاصيل المبهرة. وقف إيهاب للحظة يتأمل السقف العالي والزخارف الفاخرة، لكنه لم يربط المكان بأي شيء يخص حنين.

على الجانب الآخر من القاعة، كانت حنين جالسة على مكتبها، تدرس بعض الأوراق. بجوارها، هايدي تسألها عن بعض تفاصيل العمل. كانت حنين تبدو مشغولة، لكن ملامحها أظهرت السكينة المعتادة.

فجأة، ظهرت سارة قادمة من بعيد. توقفت للحظة عندما رأت إيهاب، نظرت إليه بتلك الملابس البسيطة الملطخة بالدهان. شعرت برضا داخلي وهي تقترب بخطوات مسرعة نحو حنين.

"حنين! هو ده جوزك؟" سألت سارة بصوت يحمل دهشة مصطنعة، وهي تشير بيدها نحو إيهاب.

رفعت حنين رأسها بدهشة، واستدارت لتلتقي عيناها بعيني إيهاب. كانت الصدمة واضحة على وجهها كما كانت على وجهه.

سارة، بابتسامة خبيثة:

"جوزك بيشتغل نقاش يا حنين؟!"

شعر إيهاب وكأن الكلمات اخترقت قلبه. نظر سريعًا إلى حنين، ثم أمسك أدواته وخرج بخطوات سريعة عبر البوابة الخلفية، يحاول الهروب من الإحراج.

حنين، التي شعرت بصدمة زوجها ووجعه، نهضت من مكانها فورًا وتبعت إيهاب، تنادي عليه:

"إيهاب! استنى!"

ركضت خلفه عبر الممر المؤدي للخارج، تحاول اللحاق به قبل أن يغادر تمامًا.

كان إيهاب يخطو خارج البنك بخطوات ثقيلة، وكأن كل ذكرى مؤلمة تسابق الزمن لتعود وتضربه دفعة واحدة. شعور بالاختناق يحيط به، وكأن القاعة التي غادرها للتو تحولت إلى قيد يشد عليه بقسوة.

لم يكن الموقف مجرد إحراج عابر، بل أشبه بانكشاف كامل لكل ما حاول إخفاءه طوال حياته. كان يرى نفسه، ذلك الطالب الجامعي الذي كان يحلم بمستقبل مشرق، يتخيل تخرجه من الجامعة ووالده يبتسم بفخر. لكن الحياة لم تكن رحيمة.

تذكر يوم وفاة والده، وكيف اضطر للتخلي عن أحلامه، أن يضع كتبه جانبًا، ويأخذ مكانه كرجل البيت. ترك كل شيء وراءه، جامعته، أحلامه، وحتى نفسه. وكل ذلك ليصطدم اليوم بحقيقة حياته الحالية، حياة لم يخترها، لكنه عاشها لأنه لم يكن يملك خيارًا آخر.

توقف للحظة، ورفع رأسه نحو السماء، وكأن الهواء الثقيل حوله يرفض أن يدخل إلى رئتيه. أحس بشيء أشبه بالاحتقار لنفسه، كيف وصل إلى هنا؟ كيف أصبح هو ذلك الرجل الذي ينظر الناس إليه بعين الشفقة أو السخرية؟

لكنه فجأة، ومن وسط كل ذلك الحزن والمرارة، شعر بوجع مختلف، وجع أعمق. تذكر وجه حنين. تذكر ابتسامتها التي كانت

تضيء حياته، وتخيل كيف قد تكون الآن، مشوشة وحرجة أمام زملائها.

"أنا خذلتها"، تمتم لنفسه وهو يشعر بطعنة في صدره. لم يكن يخاف على صورته أمام الآخرين بقدر خوفه على مشاعرها. هي التي تركت كل شيء من أجله، وقبلت بحياته رغم صعوبتها، يستحق أن يرد لها الحب بدلاً من أن يضعها في مواقف كهذه.

أغمض عينيه للحظة، محاولًا تهدئة أفكاره. كان عليه أن يجد طريقة لإصلاح هذا. لن يسمح لتلك اللحظة بأن تهدم شيئًا بنوه معًا. مهما كان الألم الذي يشعر به، كان يعرف أن ألم حنين سيكون أكبر، وهذا ما لا يستطيع تحمله أبدًا.

فجأة، شعر بيد دافئة تمسك يده بإصرار، فالتفت ليجد حنين أمامه. أنفاسها كانت متسارعة ووجهها يعكس مزيجًا من القلق والحب.

نظر في عينيها مباشرة وقال بصوت مرتجف:

"حنين، والله ما كنت أعرف إن ده مكان شغلك. ما كنتش عارف إن البنك هو ده بتاعك. طلعت قال لنا شغلانة جديدة وأنا... أنا حتى نمت في الطريق، تعبان ومش مركز."

أمسك يديها وأضاف بحزن:

"أنا أسف... ما كنتش هسمح لنفسي أحطك في الموقف ده. أقسم بالله ما كان قصدي. سامحيني."

حنين نظرت إليه بحنان، اقتربت منه ووضعت يديها على وجهه

برفق، ثم قالت بصوت ملؤه الحب والثقة:

"إيهاب، بطل تعتذر عن حاجات مش ذنبك. أنا عمري ما خجلت منك ولا من شغلك، ولا لحظة! أنت أحسن راجل شافته عيني، وأحسن حاجة حصلت في حياتي. أنا فخورة بيك، فخورة بكل حاجة فيك، ولو الزمن يرجع بيّا ألف مرة، هختارك كل مرة، إيهاب إنت مش بس جوزي، إنت رجعتني أعيش من تاني، صحيت أحلامي الميتة، رجعت قلبي ينبض من تاني، إنت رجعت الألوان لحياتي بعد ما كنت شيفاها أبيض واسود وبس."

امتلأت عينيه بالدموع، لكنه قبل يديها بحب. شدّت يده بحزم وقالت بابتسامة مشجعة:

"تعالى معايا."

أوقفها بحب: صدقيني أنا أسعد راجل في الدنيا بس ارجوكِ بلاش، مش محتاج منك تثبتيلي أي حاجة، أنا مكتفي باللي سمعته منك.

ضغطت على يده بحب: حبيبي متعودتش عليك بتهرب أو بتتحرج من شغلك، إنت مش كده فأرجوك ما تبقاش كده علشاني، إنت أقوى راجل أنا شوفته في حياتي، تعالى معايا يلا."

قادته بخطوات ثابتة نحو البنك، يدها في يده، كأنها تعلن للعالم بأسره أن هذا هو الرجل الذي تحبه وفخورة به.

عندما دخلا القاعة، كانت الأنظار متجهة نحوهما. سارة وقفت في الخلف تراقب المشهد بعينين ممتلئتين بالغيرة والترقب، بينما هايدي

ودعاء ينظران بدهشة وحب.

تقدمت حنين بثبات إلى منتصف القاعة، نظرت إلى زملائها وقالت بصوت واضح وواثق:

"عايزة أعرفكم على إيهاب... جوزي، الفنان اللي بعشقه، واللي كل يوم يثبت لي إن الحب الحقيقي مش بالكلام، بالحياة اللي بيعيشها علشاني. واللي لو الزمن يرجع بيّا ألف مرة، مش بس هختاره، ده أنا هحارب علشانه زي ما بيحارب كل يوم علشاني."

التفتت له، عيناها تفيض بحب لا يوصف، وابتسمت وهي تضغط على يده برفق. إيهاب كان عاجزًا عن الكلام، لكنه شعر بأن كل ألم وكل إحراج تبخر أمام ثقتها به وحبها الذي لا يتزعزع.

هايدي اقتربت سريعًا محاولة كسر التوتر:

"إيهاب، ازيك؟ كده واخد مننا حنين، بتخلص شغل وتطلع جري، كنا بنصيع زمان."

ابتسم إيهاب وهو يرد بود:

"ازيكِ أستاذة هايدي؟ صراحة، مش عارف مين واخد مين من مين."

هايدي رفعت حاجبيها بمزاح:

"إيه يعني لما نتكلم خمناشر ساعة؟ ما تبقاش قفوش."

ضحك معها، ثم اقتربت دعاء بصحبة سمير، مرحبين بإيهاب. الجو بدأ يهدأ، لكن سارة، التي شعرت بفشل خطتها، وقفت في الخلف

تعقد حاجبيها بضيق.

قبل أن تنسحب لمكتبها، نادت حنين عليها:

"سارة؟"

التفتت سارة بابتسامة مقتضبة:

"خير يا حنين؟"

أشارت حنين إلى زوجها بفخر:

"كنتِ عايزة تتعرفي على إيهاب بشكل أقرب، تعالي."

اقتربت سارة، محاولَة أن تبدو طبيعية:

"أستاذ إيهاب، أهلاً بحضرتك."

علق إيهاب بود:

"أهلاً أستاذة سارة، ما شوفتكيش قبل كده مع حنين."

نظرت سارة إلى حنين بلوم:

"أنا صاحبتها آه، بس مش زي هايدي ودعاء. المثلث ده محدش بيعرف يخترقه."

من بعيد، كان زهير يراقب الموقف بصمت، حاجباه معقودان بينما عيناه تتابعان كل تفصيلة. لاحظ الغضب الذي اعتلى وجه سارة وهي تعود بخطوات متوترة إلى مكتبها. تصرفاتها التي بدأت في البداية كمحاولة للمساعدة، انتهت بوضوح بمحاولة إحراج حنين أمام الجميع.

تساءل في داخله: كيف يمكن لشخص أن يمد يدًا للمساعدة ثم يسحبها بقسوة؟ كيف يمكن أن تكون سارة، زوجته التي ظن أنها نقية النوايا، تخطط لإذلال صديقتها؟

في لحظة، التقت عيناه بوجهها المرهق من الغضب، وكأنه يعكس صراعًا داخليًا. تلك اللحظة كانت كافية ليشعل في ذهنه فكرة خفية بدأت تتكون ببطء: ربما، فقط ربما، لم تكن سارة تسعى للمساعدة من البداية. ربما كان الهدف الحقيقي هو إظهار حنين في صورة أقل شأنًا، وتشويه صورة حياتها المثالية أمام زملائها.

شعر بقلبه ينقبض، لمجرد التفكير في احتمال أن تكون سارة قد فعلت كل ذلك عن عمد. "هل تلك هي شخصية زوجتي حقًا؟" همس لنفسه، وهو يشعر أن هذا السؤال يثقل على صدره.

غامت عيناه للحظة، ووجد نفسه يستعيد ذكريات صغيرة، مواقف عابرة ربما كان يتجاهلها من قبل. لحظات من الغيرة غير المبررة، أو كلمات أطلقتها سارة بسخرية عن الآخرين. هل كانت تلك مجرد ملاحظات عابرة، أم كانت إشارات على جزء أعمق وأكثر تعقيدًا من شخصيتها؟

ازدادت وتيرة تنفسه وهو يشعر بتلك الأفكار تتزاحم في عقله. لا يريد أن يتسرع في الحكم، لكنه أيضًا لم يستطع تجاهل ما رآه للتو.

"هل كنت أعمى طوال الوقت؟" تساؤل آخر أضافه إلى سلسلة من الأفكار التي بدت وكأنها لن تنتهي قريبًا.

بقي زهير واقفًا، عينيه تتابعان سارة وهي تضع رأسها بين يديها

في مكتبها. شعور بالخذلان تملكه، ليس لأنه اكتشف أن سارة قد تكون أخطأت، بل لأنه لم يكن يتوقع أبدًا أن يراها بهذه الصورة.

قرر بصمت أن يراقب أكثر، أن يفهم أكثر. لكنه في قرارة نفسه، كان يعلم أن تلك اللحظة قد تركت أثرًا لا يمكن محوه بسهولة.

بعد أن انتهت حنين من تعريف إيهاب أمام زملائها، كانت تشعر ببعض القلق مما قد يقوله والدها عندما يعلم بتواجد إيهاب في البنك. لكنها لم تحتج للانتظار طويلًا، إذ ظهر عبد القادر بنفسه في القاعة، توقف للحظة ونظر نحو الفريق قائلاً بصوت واضح:

"إيه المفاجأة الحلوة دي؟ ده أنا شايف وشوش مألوفة!"

التفت فريق طلعت نحوه بابتسامة واسعة، ووقف طلعت أولهم قائلاً:

"أستاذ عبد القادر! تشرفنا يا باشا."

مد عبد القادر يده ليسلم على طلعت وباقي الفريق فردًا فردًا، قائلاً لكل منهم:

"أخباركم إيه؟ مش مصدق إني بشوفكم هنا بعد شغل بيتنا." مد يده إليه بابتسامة عريضة:

"إيهاب! شرفتنا يا بني. أخيرًا شفت جوز بنتي هنا."

صافحه إيهاب باحترام، محاولًا إخفاء ارتباكه:

"أهلاً أستاذ عبد القادر، آسف لو وجودي فاجأ حضرتك."

ضحك عبد القادر بخفة وربت على كتفه:

"تفاجأت إيه يا بني؟ بالعكس، ده أنا فخور بيك وبشغلك. أنت مثال للشخص اللي بيعرف يبني نفسه بعرقه وتعبه."

نظر عبد القادر نحو الفريق وقال بابتسامة فخر:

"شغل طلعت ورجالته دايمًا في مستوى تاني، وأنتوا مش بس حرفيين، أنتوا فنانين. إيهاب ده مثال حي على كده."

شعر إيهاب بالراحة وسط هذا الجو الودي، بينما أضاف عبد القادر بابتسامة مازحة وهو يلتفت نحو طلعت:

"يعني مش هقبل غير شغل يليق باسم البنك، فاهمني؟"

ضحك طلعت وقال:

"من عنينا يا أستاذ عبد القادر. البنك ده هيكون لوحة فنية، زي ما طلبت حضرتك."

قبل أن يغادر، وضع عبد القادر يده على كتف إيهاب قائلاً:

"إيهاب، شرفتنا يا بني، ولما تخلص شغلك، لازم تطلعلي على مكتبي."

رد إيهاب باحترام:

"إن شاء الله، أستاذ عبد القادر."

ابتسم عبد القادر وتركهم ليعود إلى مكتبه، بينما تبادل فريق طلعت وإيهاب النظرات، يشعرون بالتقدير الكبير الذي أبداه عبد القادر تجاههم. حنين التي كانت تراقب الموقف من بعيد شعرت

بفخر لا يوصف بوالدها وزوجها.

بعد نزولهم للطابق السفلي وبدء تفقد المكان، اقترب طلعت من إيهاب بحرج:

"إيهاب، أنا لازم أقولك حاجة... أنا ما كنتش أعرف إن ده البنك اللي حنين بتشتغل فيه، والله ما كان قصدي أحطك في موقف زي ده."

نظر إيهاب إليه بابتسامة بسيطة، ربت على كتفه:

"ما فيش حاجة يا عم طلعت، كله نصيب. إحنا هنا للشغل، خلينا نبدأ وبعدين زي ما شوفت حصل خير والحمدلله إن الموضوع ده خلص كده وانزاح."

شعر طلعت براحة بعد رد إيهاب، فهز رأسه بتقدير، ثم التفت للجميع:

"يلا يا شباب، نبدأ الشغل."

بدأ الجميع العمل بانسجام، بينما حمل إيهاب أدواته وركز في مهمته، وكأن شيئًا لم يكن.

كان الجميع في استراحة الغداء، ودعاء تجلس مع هايدي في انتظار حنين التي اقبلت عليهم:

" كلوا انتو أنا نازلة لهوبا."

هايدي رفعت حاجبها بمكر:

"أيوه كده، هتسيبينا يا حنون؟"

حنين ابتسمت:

"طبعًا هروح اتغدى معاه...."

دعاء لم تفوت الفرصة وأضافت بمزاح:

"آه طبعًا..جوزك تحت، ما ينفعش نستحوذ عليكِ أكتر من كده. روحي يا روحي."

ضحكت حنين وقالت وهي تنهض:

"أنا نازلة فعلاً... بس كفاية تريقة بقى."

هايدي بمرح:

"ما نقدرش... اتفضلي."

نزلت حنين للطابق السفلي حيث كان طلعت ورجاله يجلسون لتناول وجبتهم. اقتربت بابتسامة:

"السلام عليكم يا جماعة."

طلعت رد بابتسامة:

"وعليكم السلام، أهلًا أستاذة حنين. شرفتينا."

نظرت حنين بابتسامة إلى إيهاب الجالس بجوار خالد، وقالت بلطف:

"ممكن أخد إيهاب شوية؟ خمس دقايق بس."

رد خالد بمزاح:

"خديه، بس لو أكتر من خمس دقايق، هنحسبها غرامة."

ضحكت حنين، بينما قام إيهاب على الفور:

"يلا يا روحي، خمس دقايق عندك بعمر."

أخذته إلى زاوية هادئة بجانب النافذة، جلسا معًا على كرسيين متقابلين. وضعت يديها على يده، ونظرت إلى عينيه بحب:

"إيهاب... أنا كنت مستنية الاستراحة دي علشان أشوفك."

ابتسم إيهاب، ثم أمسك يدها وقبّلها بخفة:

"وأنا طول ما أنا هنا، مشغول أفكر فيكِ. لما شفتك فجأة في القاعة فوق... حسيت كأن الدنيا كلها وقفت."

ضحكت بخفة:

"وأنا كمان،طول الوقت بتخيل نفسي معاك وبشوفك فاتفاجئت إن خيالاتي بقت حقيقة وإنت قدامي بجد."

اقترب منها قليلًا وهمس:

"الشغل كله ليه طعم تاني لما تبقي قريبة مني. حنين، أنتِ أحلى حاجة حصلت في حياتي."

احمر وجهها بخجل، لكنها ردت بمزاح:

"حتى وإنت تعبان وشكلك مرهق، تعرف تخلي قلبي يدق."

ابتسم إيهاب وهو يمسك يدها بقوة أكبر:

"طول ما إنتِ جنبي، التعب كله بيتبخر."

جلسا يتحدثان لبضع دقائق عن يومها ومزاح أصدقائها في الأعلى وتناولا غداؤهما سريعًا، ثم وقف إيهاب:

"خلينا نرجع قبل ما يقولوا إني خطفتك أنتِ كمان."

قبل أن تعود، وقف أمامها ورفع يدها ليقبّلها مرة أخرى، ثم همس:

"حبك بيخليني أنسى كل حاجة."

عادت حنين بخطوات سعيدة وواثقة إلى الطابق العلوي، بينما عاد إيهاب إلى فريقه، لكن روحه أصبحت أكثر خفة وراحته أكثر وضوحًا.

كان إيهاب يسير بجانب حنين بعد انتهاء اليوم، يرافقها نحو البوابة الجانبية للبنك. كانت خطواتهما هادئة، يتبادلان الحديث عن يومهما بنبرة خفيفة.

فجأة، ظهر هشام عند الباب الأمامي، هاتفه في يده، وهو يتحدث بصوت عالٍ. لاحظ وجودهما فتوجه نحوهما بابتسامة واسعة.

"إيه ده؟ ده إيهاب مش كده؟" قالها هشام وهو يقترب.

توقف إيهاب ونظر نحوه باستغراب، بينما أجابت حنين بلطف:

"أيوه يا أ/ هشام، ده إيهاب جوزي."

مد هشام يده لإيهاب بابتسامة:

"تشرفنا يا إيهاب، أنا هشام، زميل حنين. كتير سمعت عنها وعنكم."

صافحه إيهاب بتحفظ، و بهدوء:

"أهلاً بيك

نظر هشام إلى حنين ثم قال بابتسامة خفيفة:

"ما شاء الله، حنين مميزة فعلًا، وأكيد إنت محظوظ بيها."

شعر إيهاب بلمحة غير مريحة، لكنه لم يظهر أي انزعاج و بابتسامة مقتضبة:

"الحمد لله، كلنا محظوظين بالنِعم اللي معانا."

ابتسم هشام، محاولًا تلطيف الأجواء:

"فعلًا، وأنا شايف إنكم لايقين على بعض جدًا."

رد إيهاب بهدوء:

"شكرًا، ربنا يكرم الجميع."

انسحب هشام بعد أن ألقى التحية مجددًا، بينما نظرت حنين لإيهاب بابتسامة محاولة تهدئته:

"بلاش تشغل بالك، هشام دايمًا كده."

رد إيهاب باقتضاب، وهو يشيح بنظره بعيدًا:

"شخصيته مش مريحة، لا هو ولا سارة دي، الاتنين محبتهمش صراحة."

ابتسمت حنين وهي تحاول تخفيف الجو:

"تعرف إن سارة حاولت ترتبط بيه؟ كانت فكراه بيحبها، بس كلنا اتفاجئنا إنه متجوز ومخلف. سارة كمان كنا فاكرينها حد استايل، بس اتصدمنا إنها إنسانة بسيطة من عيلة بسيطة."

رفع إيهاب حاجبه بتعجب واضح:

"وإيه اللي يصدمكم إنها من عيلة بسيطة؟"

وضحت حنين بابتسامة خفيفة، بينما أطالت النظر إلى الأرض للحظة:

"اللي صدمنا إنها عطتنا انطباع إنها غنية، مع إنه مش هيفرق معانا. المهم، حاولت تصطاد هشام اللي كان بيتسلى بيها، والموضوع كان شبه فضيحة."

استغرب إيهاب، وهو يحك مؤخرة رأسه، ثم أغلق الحوار بنبرة هادئة فهو لا يحب الخوض في أعراض الناس:

"ما علينا، مش اتجوزت راجل تاني؟ خلاص... دع الخلق للخالق، الله يسهلهم الاتنين بعيد عننا."

ابتسمت حنين وتأبطت ذراعه بحب، ونظرت له بابتسامة مطمئنة قبل أن يكملا طريقهما معًا. نسمة هواء خفيفة لامست وجهيهما، وكأنها تهمس بسلام يليق بهما.

كان إيهاب مشغولًا مع فريق طلعت في الطابق السفلي للبنك، لكنه لم يفوّت أي فرصة ليمر بجانب مكتب حنين في كل استراحة. كل مرة كان يختلق سببًا للاقتراب، سواء ليسألها عن كوب ماء أو ليلقي تعليقًا عابرًا:

"هو أنا لازم الاقي حجة عشان أقولك إنك وحشتيني؟"

حنين كانت تبتسم بحب، بينما هايدي ودعاء تضحكان على خجلهما الواضح. أما سارة، فكانت تراقب المشهد من بعيد، تشد يديها على الطاولة، وعيونها تمتلئ بالغيرة.

"مش كفاية إنه في البنك! لازم كل شوية يقرب منها كده قدامنا؟" فكرت سارة بغيظ وهي تحاول الحفاظ على مظهرها الهادئ.

اقتربت دعاء من حنين تهمس لها مازحة:

"لو لسه في حب كده بعد عشر سنين، هتبقي قدوة لينا كلنا يا حنين."

حنين ضحكت بخفة وردت وهي تنظر لإيهاب الذي ألقى لها قبلة في الهواء:

"إيهاب بقى دنيتي كلها."

ازدادت غيرة سارة، لكنها لم تجد ما تقوله سوى ابتسامة باردة حاولت أن تخفي بها شعورها المتصاعد بالضيق.

في صباح يوم الإجازة، كانت حنين تحاول إقناع إيهاب للذهاب إلى منزل والدها.

"إيهاب، ده بابا بنفسه اللي طلب منك تيجي. أرجوك ما تقولش لا."

نظر إليها إيهاب بتردد، يعلم أن وجوده في هذا المنزل ليس مرحبًا به من قِبَل صابرين. لكنه قال بتنهيدة:

"طيب، علشانك وعلشان عمي، بس لو حسيت إن وجودي مش مريح، همشي فورًا."

ابتسمت حنين بامتنان، ووضعت يدها على يده بحب:

"إنت هتكون معايا، وده كفاية."

عندما وصلا إلى منزل والدها، فتح عبدالقادر الباب بنفسه، مبتسمًا بحرارة.

"إيهاب، نورتنا يا بني. كنت مستني اليوم ده من زمان."

صافحه إيهاب باحترام:

"تسلم يا عمي."

اقتربت حور لتحتضن أختها بحب، وهمست لها:

"إيه الجمال ده؟ كنت متحمسة أشوفكم مع بعض هنا."

ابتسمت حنين رغم ارتباكها الواضح:

"وأنا كمان يا حور."

من بعيد، كانت صابرين تراقب، متكئة على مدخل الصالة ترسم ابتسامة فاترة بالكاد تخفي ضيقها.

"أهلًا يا إيهاب. نورت البيت."

رد إيهاب بلطف، محاولًا تجاهل نبرة صوتها:

"الله يخليكِ يا طنط."

على طاولة الغداء، جلس الجميع، ووضعت صابرين الأطباق بعناية أمام حنين.

"عملتلك كل الحاجات اللي بتحبيها يا حنين. قلت أشوفك مبسوطة، محدش عارف بتاكلي ايه في البيت اللي انتِ فيه."

توقف إيهاب عن تناول طعامه للحظة، لكنه لم يتكلم. ردت حنين بابتسامة حاولت تهدئة الجو:

"باكل اللي نفسي فيه كله أكيد يعني يا ماما."

حنين نظرت إلى إيهاب بخجل وقلق، تحاول قراءة تعابير وجهه. همست له:

"كل شوية، معلش."

رد إيهاب بصوت منخفض:

"مافيش حاجة يا حنين، متقلقيش."

لكن صابرين استمرت:

"الأكل ده أنا عملته مخصوص، لأن أكيد حنين وحشها الأكل اللي بتحبه. مفيش حاجة زي أكل البيت، مش كده؟"

إيهاب شعر أن صبره ينفد. وضع الملعقة برفق:

"اللي بتحبه حنين متوفر دايمًا، وبتاكل اللي هي عيزاه في أي وقت، أكيد مش مجوعينها يعني."

حنين ابتسمت له بحب، محاولة تهدئته، لكن كلمات والدتها التالية

كانت القشة الأخيرة:

"أكيد مش مجوعينها بس باقي مصاريفها يا ترى؟ البنات ذوقهم عالي اليومين دول. ربنا يعين الراجل اللي يقدر على طلباتهم."

إيهاب نظر إلى عبدالقادر، ثم قال بهدوء يكتم وجعًا عميقًا:

"عمي، متشكر على دعوتك، سفرة دايمة يارب – نظر لحنين- حبيبتي خليكِ براحتك بس أنا عندي شغل ضروري لازم أخلصه."

عبدالقادر وقف محاولًا منعه:

"يا إيهاب، ما ينفعش كده. إنت في بيتك."

لكن إيهاب رد بابتسامة باهتة:

"تسلم يا عمي، وأنا عارف صدقني، حنين هنا مع أهلها. أنا هرجع آخدها بعد شوية."

حنين نظرت له بتوتر:

"إيهاب، ممكن نتكلم؟"

رد بهدوء، محاولًا تخفيف قلقها:

"حنين، كملي مع أهلك، أنا مش هتأخر."

تركهم وخرج من المنزل،وقف عبدالقادر ينظر إلى صابرين بغضب مكبوت، ثم نظر لابنته بحزم:

"حنين، روحي مع جوزك."

لحقت حنين بإيهاب في الخارج، لتجده يقف بجوار دراجته

النارية، ينظر إلى الأرض كأنه يحاول كتم مشاعره.

"إيهاب..." نادته بصوت مرتجف.

رفع رأسه ونظر إليها بعينين تمتلئان بالوجع ولكنه حاول رسم ابتسامة:

"حنين، ورايا شغلانة بسيطة هعملها وأجيلك يا روحي، ماشي."

أمسكت وجهه بحنان، ووضعت جبينها على جبينه:

"إيهاب، أنا بحبك، وجودك في حياتي كفاية، ولا مرة فكرت إنك مش كفاية."

أغمض عينيه للحظة، وكأنه يحاول تصديق كلماتها. بصوت مختنق:

"أنا آسف لو بحطك في مواقف محرجة، بس صدقيني غصب عني."

ردت بحب:

"مفيش إحراج، إنت أهم حاجة عندي. إحنا مع بعض وده اللي يهمني، فاهم؟"

أمسكت يده بحزم:

"تعالى نرجع. خليك معايا النهاردة."

نظر إليها بإعجاب، ثم ضم يدها بامتنان.

" معلش يا روحي أنا بجد ورايا شغلانة صغيرة خليني أخلصها

واجيلك نكمل باقي اليوم مع بعض – استسلمت لرغبته وقبل أن تتحرك أمسك يدها بحب قبلها- قوتك هي اللي بتخليني أكمل، أقعدي مع حور شوية، وهكون معاك قبل ما تحسي."

لم تستطع الرد سوى بهزة خفيفة برأسها، وعيناها لا تفارقان وجهه. ترك يدها بلطف، واستدار ليذهب.

دخلت حنين البيت جلست بجانب حور أختها بينما وقف عبدالقادر في زاوية غرفة المعيشة يراقب حنين، تحاول أن تخفي قلقها بابتسامة مصطنعة.

صابرين دخلت المطبخ لترتب الأطباق، لكنها تفاجأت بعبدالقادر خلفها، نبرته هادئة لكنها تحمل غضبًا مكتومًا:

"صابرين، عاجبك اللي عملتيه النهاردة؟"

تظاهرت بالبرود وهي تتابع ترتيب الصحون:

"عملت إيه؟ أنا بس كنت بأحاول أفوق إيهاب شوية. الحياة مش سهلة ولازم يعرف ده."

اقترب منها بخطوات ثابتة و بنبرة صارمة:

"هو فايق كويس وعارف بيعمل إيه، إيهاب محتاج مننا دعم مش تلميحات سخيفة. ده راجل مكافح، وحنين بتحبه وعايشة معاه وهي مبسوطة. إنتِ ليه بتحاولي تكسريه؟"

ردت بحدة وهي تلتفت إليه:

"أنا مش عايزة أكسره هو مكسور لوحده، لكن حنين بنتي، وأحسن

حاجة عندي. مش هسكت طول ما أنا شايفة إنها عايشة حياة أقل من اللي تستحقها."

نظر إليها بنظرة حازمة:

"اللي حنين تستحقه هي لاقيته في إيهاب. الحب، الاحترام، والرجولة. لو استمريتي بالطريقة دي، مش بس هتخسري إيهاب... هتخسري بنتك كمان."

صمتت صابرين، لكنها لم تستطع إخفاء نظرة القلق التي مرت على وجهها. أكمل عبدالقادر بتحذير أخير:

"أنا مش هسمح لك تجرحي حد في بيتنا مرة تانية، خصوصًا إيهاب. اعتبري ده آخر مرة يحصل فيها اللي حصل النهاردة."

تركها عبدالقادر وخرج بهدوء، تاركًا إياها تفكر في كلماته ونظراته التي لم تعهدها من قبل.

في الطريق، حاول إيهاب أن يطرد مشاعر الغضب والضيق التي تركتها كلمات صابرين. عندما وصل إلى محل لبيب، دخل بابتسامة مصطنعة.

استقبله لبيب بحفاوة:

"إيهاب! كنت مستنيك، عندي شغل محتاج إيديك فيه."

رد إيهاب بصوت خافت:

"أكيد، أنا جاهز."

جلس إيهاب على مكتبه الصغير وبدأ العمل على التصميمات

الجديدة. انغمس في التفاصيل محاولًا تفريغ طاقته السلبية، لكنه لم يستطع منع عقله من التفكير في حنين، وكيف تركها في موقف محرج مع والدتها.

بعد ساعات قليلة، أنهى إيهاب عمله سريعًا، وشكر لبيب قبل أن يغادر. ركب دراجته النارية وعاد إلى بيت عبدالقادر. عندما وصل، وجد حنين جالسة مع حور في الشرفة، تضحكان على شيء ما.

اقترب بهدوء، ثم نادى بحب:

"حنين"

وقفت بسرعة تنظر إليه من الأعلى بابتسامة مشعة، وكأن حضوره أزاح كل ثقل عن قلبها:

" هتطلع يا حبيبي ولا أنزل؟"

أشار لها:

" انزلي يا روحي يلا"

"تمام يا إيهاب. استنى لحظة."

وقفت لتودع أختها، ثم أسرعت نحوه. عندما وقفت بجانبه، همست بابتسامة:

"وحشتني."

نظر إليها بدهشة خفيفة، ثم بابتسامة هادئة:

"ما غبتيش عن بالي لحظة."

أمسكت يده وجلست خلفه وضعت ذراعيها حوله بحب، وتحرك بها بسرعة مقبولة وهو يغلق بابًا على كل الضيق الذي مر بهما هذا اليوم.

في البنك، توجه إيهاب لمكتب زهير ليجد سارة برفقته. تردد للحظة قبل أن يقول بحرج:

"هاجي لحضرتك وقت تاني."

أوقفه زهير على الفور بابتسامة:

"تعال يا إيهاب، اتفضل. سارة كانت رايحة مكتبها."

ابتسمت سارة بابتسامة مشوبة بالاستياء، ثم ألقت تحية مقتضبة على إيهاب، وغادرت ببطء، متظاهرة بالهدوء، لكنها كانت تراقبهما بفضول حتى أغلقت الباب خلفها.

أشار زهير إلى إيهاب بالجلوس، لكنه رفض بلطف:

"معلش، هي كلمة ونازل لشغلي."

تعجب زهير من توتره وسأله بفضول:

"خير، اتفضل، أقدر أساعدك إزاي؟"

تنهد إيهاب محاولًا ترتيب أفكاره، ثم أجاب بخجل:

"لو ينفع أفضل ساعتين بعد الشغل أو أجي يوم أجازة... أو أي وقت مناسب؟"

حرك زهير رأسه برفض وهو يفكر:

"ما ينفعش البنك يفضل فيه حد بعد ساعات العمل، دي مسؤولية كبيرة. بس ليه؟ يمكن أقدر أساعدك بطريقة تانية."

تردد إيهاب للحظات، لكنه شجعه زهير:

"قول يا إيهاب، فكر معايا بصوت عالي."

ابتسم إيهاب بحرج وهو يحاول الشرح:

"كنت عايز أرسم كام رسمة صغيرة في الدور اللي فوق... حاجة مش تبع الشغل، يعني..."

توقف وكأن الكلمات تخونه، لكن زهير فهم مقصده وابتسم:

"هدية لمراتك؟ عايز ترسم إيه؟"

ابتسم إيهاب بامتنان وأكمل بحماس:

"حاجة بسيطة، كام وردة وفراشة زي تابلوه، قصاد مكتبها وجنبها. محتاج بس كام ساعة."

فكر زهير للحظات قبل أن يقترح:

"تعالى السبت، هي أجازة وأنا هكون موجود عشان شغل تاني. تقدر تستغل الوقت ده."

تهللت أسارير إيهاب وشكره بحرارة. لكنه قبل أن يغادر، استوقفه زهير وسأله:

"ليه ما روحتش للأستاذ عبدالقادر؟ هو حماك وصلاحياته أكبر مني. يقدر يخليك تقعد ساعتين بعد الشغل بسهولة."

رد إيهاب بصدق:

"عشان هو حمايا. مش عايز أحرجه بحاجة ممكن ما تنفعش. لو وافق، الناس ممكن تقول إنه عمل كده لأنه جوز بنته، أو هيحس إنه مجبور. قلت أجي لحضرتك أفضل."

نظر زهير إلى إيهاب بإعجاب واضح وعلق بابتسامة صادقة:

"انت راجل محترم،وهو محظوظ كونك جوز بنته، ربنا يكرمك."

خرج إيهاب عائدًا إلى عمله، بينما دخلت سارة المكتب مسرعة بفضول واضح:

"كان عايز إيه منك إيهاب؟ طلب فلوس؟"

نظر إليها زهير باستغراب وبحدة:

"فلوس إيه يا سارة؟ لو سمحتي، روحي مكتبك، وبطلي فضول. سيبي الناس في حالها."

شعرت بالإهانة من نبرته الجافة وكادت ترد، لكنها تراجعت. وبينما كانت تستدير للخروج، أوقفها زهير بنبرة حازمة:

"وإياك تفكري تسألي حنين جوزها كان عايز مني إيه. لو عرفت إنك عملتِ كده، حاجة من الاتنين: يا إما هننقلك من هنا، يا إما أنا اللي هسيب الفرع."

التفتت إليه بحدة وعلقت بغضب مكبوت:

"كل ده علشان سألتك سؤال؟"

رد زهير بغضب مكبوت:

"سألتيني عن جوز صاحبتك؟ أنا هنا كنائب مدير، مش جوز صاحبة مراته. لو مش عارفة تفرقي بين الاتنين، يبقى شغلنا مع بعض مش هينفع."

أدركت سارة أنها تجاوزت حدودها، فخفضت رأسها و بأسف:

"خلاص، آسفة يا زهير. مش هتدخل تاني في أي حاجة تخص البنك. سوري، حبيبي."

تقبل زهير اعتذارها، لكنه ظل يراقبها وهي تعود لمكتبها. جلس على مكتبه، غارقًا في أفكاره. هل كانت هذه طبيعة سارة دائمًا؟ وهل يمكن أن يستمر معها بهذا الشكل؟ تساؤلات أزعجته ولم يجد لها إجابة واضحة.

يوم السبت، توجه إيهاب إلى البنك في الموعد المتفق عليه. استقبله زهير بابتسامة مرحبة، ثم استأذنه بحرج:

"بص يا إيهاب، هيكون معاك مسؤول أمن أثناء الرسم. مش قصدي أضايقك، بس الإجراءات..."

ابتسم إيهاب مطمئنًا:

"مافيش مشكلة خالص يا أستاذ زهير، أنا فاهم حجم مسؤولياتك."

بدأ إيهاب بإخراج أدواته بسرعة، وبمهارة وهدوء، شرع في رسم الورود والفراشات بحب واضح، كأن كل لمسة من فرشاته تحمل

مشاعره لزوجته. جلس مسؤول الأمن يراقبه باندهاش قبل أن يقترب منه قائلاً:

"حاسس لو مديت إيدي همسك الوردة دي! إزاي بتعملهم كده؟"

ضحك إيهاب بخفة وهو يشرح:

"دي تقنية رسم الـ3D. الفكرة إنك تعرف تدي البروز والإضاءة الصحيحة، فتبقى الرسمة شبه حقيقية."

استمر إيهاب في العمل لساعات، يدقق في كل تفصيلة صغيرة. خرج زهير من مكتبه بعد الانتهاء، ليقف مبهورًا أمام الحوائط التي تزينت بالورود والفراشات الرقيقة. كانت الرسومات تضيف لمسة دفء وسحر للمكان.

نظر زهير إلى إيهاب باندهاش ثم قال بصوت مليء بالإعجاب:

"ده مش مجرد رسم... ده فن حقيقي. بجد موهبتك مدهشة."

ابتسم إيهاب بخجل وشكر زهير. لكن زهير لم يستطع كتمان شعور الأسف داخله، فقد رأى أمامه فنانًا حقيقيًا تضيع موهبته في عمل بسيط لا يليق بإبداعه.

في صباح اليوم التالي، توجهت حنين إلى البنك كعادتها. كانت تحمل حقيبتها وأوراقها، بينما ذهنها مشغول بجدول عملها لهذا اليوم. فور دخولها القاعة، لفت نظرها شيء مختلف. توقفت للحظة، عيناها تتفحصان الحوائط. الورود والفراشات التي زينت الجدران كانت تنبض بالحياة، وكأنها خرجت من عالم آخر.

شعرت وكأن أنفاسها توقفت للحظة، اقتربت من الجدار الأقرب، مدهوشة من التفاصيل الدقيقة التي تعرفها جيدًا. لم يكن هناك شك، هذا فن إيهاب.

مدت يدها بلطف تتحسس الفراغ بين الرسمة والجدار، وكأنها تريد التأكد أنها ليست حقيقة. كانت تعلم أن إيهاب يضع توقيعًا خاصًا في زوايا رسوماته، لذلك أخذت وقتها تبحث بعينيها بين الزهور. فجأة، رأت التوقيع الخفي، تلك اللمسة الصغيرة التي لا يعرفها سوى هي، رمز صغير يخفي فيه حبه لها.

ابتسمت، وتراجعت خطوة للخلف لتستوعب ما تراه. في تلك اللحظة، اقتربت منها هايدي بحماس:

"يا نهار أبيض! دي مش رسومات، دي شهادة حب، ده إيهاب؟ بجد؟ جوزك اللي عمل كده؟!"

دعاء اقتربت، عيناها مليئتان بالدهشة:

"حنين، إنتِ فاهمة إن كل ده عبارة عن اعتراف بحب قدام الكل؟ إيهاب مش بس بيحبك، ده بيعبّر عن حبه بفن، إحنا لازم نعمل له تمثال!"

حنين ابتسمت بخجل، لكن عيناها كانت تفيض بالسعادة. حاولت أن تبدو طبيعية وهي تقول:

"إيهاب دايمًا بيعبر بطريقته، بس دي... دي كانت مفاجأة حتى بالنسبة لي."

في تلك اللحظة، بدأ بعض الموظفين يلتفون حول الحوائط

ويتحدثون بإعجاب واضح:

"يا بختها... ده أكيد فنان مش عادي."

"مين يعمل حاجة زي دي لمراته؟ ده حب حقيقي!"

" ربنا عوضها بعد جوزها الأولاني بفنان، رومانسي كمان"

سارة كانت تراقب المشهد من بعيد، عيناها تضيقان بالغيرة المتزايدة. تقدمت بخطوات محسوبة و بنبرة متصنعة:

"واو... لطيف جدًا. بس... مش حاسة إن شغلكم مكان للرومانسية؟ يعني كان ممكن الرسمة دي تبقى في البيت أحلى."

رفعت دعاء حاجبها وردت بحدة خفيفة:

"سارة، الحب ما بيتجزأش، سواء في الشغل أو البيت، المهم إنه حقيقي."

هايدي أضافت بابتسامة جانبية:

"ده حب مش إعلان، سارة، مش كل حد يتعمل له حاجة زي دي عشان يحس بالفرق."

حنين التفتت لسارة بابتسامة هادئة، لكنها كانت تحمل كل معاني الفخر:

"إيهاب مش محتاج مكان معين يعبر فيه عن حبه ليا، لأنه بيعمل ده في كل مكان، سواء هنا أو في البيت."

سارة شعرت أن الكلمات كانت كطعنة خفية في قلبها. حاولت

تمالك نفسها وهي تبتسم ببرود:

"أكيد... كل واحد بيحب بطريقته."

بينما سارة انسحبت متوترة، وقفت دعاء وهايدي بجانب حنين، وأخذتا تمزحان معها.

دعاء قالت بمزاح وهي تشير للرسومات:

"أنا كمان عايزة جوزي يسيبلي بصمة في شغلي كده!"

هايدي أضافت وهي تضغط على يد حنين بحب:

"ده إيهاب بيقولك قدام الكل: دي مراتي وأنا عاشقها. قوليلي، إحنا نلاقي حد زي ده فين؟"

علقت حنين بحب:

" علاء بيحبك ما تنكريش ده "

ابتسمت هايدي بخجل:

" بس مش فنان كده، أنا آسفة على كل مرة قولتلك فيها ما تتجوزيس إيهاب، كنت متخلفة"

حنين لم تستطع منع دموع السعادة التي تسللت لعينيها. لم تكن فقط فخورة بما فعله إيهاب، بل فخورة بأن يكون هو زوجها، ابتسمت لصديقتها بعشق:

"إيهاب مش بس عاشق، ده كل حياتي." قالتها بصوت خافت وهي تبتسم لنفسها، وقررت أن تشكر إيهاب بطريقتها الخاصة في أول

فرصة تجمعهما.

كان إيهاب في أول يوم عمل له بمنزل د. ماهر، ينتظر بفارغ الصبر اتصال حنين ليعرف رد فعلها على المفاجأة التي أعدها لها. لاحظ ماهر توتره وانشغاله بهاتفه، فاقترب منه بابتسامة:

"خير يا إيهاب؟ منتظر اتصال حد؟"

رفع إيهاب رأسه بابتسامة متوترة:

"آسف، بس مستني مكالمة... مش هتأثر على شغلي، ما تقلقش."

أشار ماهر بيده مهدئًا:

"لا يا راجل، أنا بس قلت يمكن عندك مشكلة أو حاجة أقدر أساعدك فيها."

ابتسم إيهاب شاكرًا:

"متشكر جدًا، الموضوع بسيط... مستني رد فعل مراتي على حاجة عملتها."

اقترب ماهر وهو يرفع حاجبيه باهتمام:

"رد فعلها؟ واضح إنك بتحبها جدًا!"

نظر إيهاب له للحظة، قبل أن يبتسم بخجل ويهز رأسه. لاحظ ماهر ارتباكه فقال بمزاح:

"الدكاترة شخصيات سهل الكلام معاها، يعني متعودين نسمع شكاوي المرضى فإحنا احسن ناس ممكن تتكلم معاها وتسمعك."

قبل أن يجيب إيهاب، رن هاتفه. نظر للاسم الذي يلمع على الشاشة، وارتسمت ابتسامة تلقائية على وجهه. رفع رأسه بحرج لماهر الذي ابتسم وتراجع خطوة: اطلع كلمها براحتك في البلكونة وابقى قولي المفاجأة كانت إيه ورد فعلها إيه؟"

ابتسم إيهاب:

"ثواني وراجع."

رد على المكالمة بحب:

"صباح الخير يا روحي."

جاءه صوت حنين متحمسًا، مليئًا بالسعادة:

"أنا بحبك! إيهاب، بحبك بحبك بحبك! مش قادرة أوصف لك قد إيه المفاجأة دي جميلة، أنا بعشقك يا ايهاب، إنت... إنت

عجز الكلام عن وصف مشاعرها ولكن احساسها وصل لإيهاب الذي ابتسم وهو يسمعها وهمس بحب:

"كده كل ما تكوني متضايقة أو مخنوقة، ترفعي عينيكي وتشوفي الورد والفراشات حواليكِ... تعرفي إن في راجل دايمًا بيعشقك، بيتمنى يرضيكِ، مستعد ينحت في الصخر علشانك، مستعد يقدم روحه بكل رضى قصاد ابتسامتك اللي متخيلها دلوقتي منورة وشك

هتفت بحب: إيهاب كان نفسي بجد تكون معايا وأنا بشوف الورد ده، أنا بحبك أوي أوي، اوعى تتأخر النهاردة، مش عارفة أوصف لك فرحتي."

سمع صوت عبدالقادر خلفها:

"إيهاب هو اللي عمل كده، صح؟"

ردت حنين بخجل:

"أيوه يا بابا."

ضحك عبدالقادر بحرارة:

"ربنا يخليكم لبعض. يا رب تحافظوا على الحب ده، بس خلو بالكم من العين ربنا يسترها عليكم يا حبيبتي."

انهى إيهاب المكالمة بعد كلمات دافئة ليتفاجئ بماهر خلفه فابتسم بحرج وهو يمد يده بكوبًا من القهوة:

"تشرب قهوة؟"

اعتذر إيهاب:

"متشكر جدًا، بس طلعت هيعلقني لو لقى في حاجة مأخرة الشغل."

ضحكا سويًا قبل أن يسأله ماهر بفضول:

"الهدية كانت إيه؟"

أجاب إيهاب بخجل:

"رسومات لورد وفراشات حوالين مكتبها."

أومأ ماهر بإعجاب وهو يتأمل إيهاب:

"فكرة مبتكرة. قولي بقى معاك رسومات على موبيلك ممكن اشوفها واطلب منك ترسملي حاجة في أوضة نومي مميزة لمراتي؟"

نظر إيهاب له باستغراب:

"حضرتك متجوز؟امال فين مراتك؟"

أجاب ماهر بهدوء:

" مراتي مسافرة حاليًا. كان بينا شوية خلافات، فقررت أجهز لها البيت بشكل جديد."

نظر إيهاب إليه بنبرة صادقة:

"اهم من الحيطان اللي بتجددها هو مشاعرك ومشاعرها، رمم جدران قلبها الأول. السعادة مش في شكل البيت، السعادة في المشاعر اللي بتشاركها."

تغيرت ملامح ماهر للحظة، ثم ابتسم قائلاً:

"معاك حق."

قبل أن يغادر إيهاب، أوقفه ماهر مجددًا:

"ما قولتليش، معاك صور على موبايلك؟"

أجابه إيهاب ببساطة وهو يمشي عائدًا إلى عمله:

"ادخل جوجل، شوف أي رسمة تعجبك، وأنا هنفذها لك."

تابعه ماهر بنظرة عميقة وهو يعود إلى عمله، تلك الابتسامة الواثقة أثارت في نفسه تساؤلات لا تنتهي. لم يكن إيهاب مجرد

رسام ماهر في عينيه، بل كان بوابة لشيء أكبر، شيء لم يفصح عنه بعد.

***

10

كانت الأجواء مليئة بالبهجة والضحك، ومع كل هدية كان الجميع يصفق ويضحك.

إلى أن جاء دور إيهاب، الذي وقف بثبات وهو يحمل صندوقًا مميزًا.وقدمه لها عندما فتحته حنين ورأت الكتاب (العنيد الجزء الرابع)الذي يحمل توقيع شيمووو كاتبتها المفضلة، لم تستطع التحكم في صرخات فرحتها، واحتضنته بحب.

ثم قدم السلسلة، التي جعلت قلبها يخفق بشدة. السلسلة كانت تحفة فنية تعكس عشق إيهاب وإبداعه. تصميمها بسيط لكنه مفعم بالمشاعر، حروف اسميهما متشابكة بتناغم بديع، كأنهما قلب واحد ينبض بالحياة. الحروف محفورة بخطوط ناعمة ومنحنية، تجعلها تبدو وكأنها تحتضن بعضها البعض برقة. في منتصف القلب، وضع إيهاب فراشة صغيرة منقوشة بدقة، رمزًا للحرية والحب الذي يجمعهما. كان كل تفصيل في السلسلة يروي قصة حبهم، بطريقة لا يستطيع أحدً أن يترجمها سوى قلب عاشق مثل إيهاب.

رفعت حنين شعرها للأعلي كي يستطيع إيهاب إغلاقها، شعرت كأن العالم بأسره توقف للحظة، وكل ما حولها اختفى، إلا هي وهو.

علقت حنين وهي تلمس السلسلة بحنان، بعد أن رفعت عينيها نحو إيهاب بابتسامة دافئة:

"أنا مش عارفة أقولك إيه... بس السلسلة دي مش مجرد هدية، دي شهادة عشق وحب، إيهاب إنت بتشوفني بعيون مختلفة، عيون

بتحبني بصدق. شكرًا يا إيهاب... على كل حاجة، مش بس على السلسلة، على حبك اللي مالي حياتي على دخولك أصلًا لحياتي."

نظر إيهاب إليها بابتسامة دافئة وعينين تلمعان بشغف:

"أنا اللي بشكرك يا حنين... بشكرك إنك موجودة في حياتي، إنك بتخلي كل تعب له معنى. السلسلة دي مش هدية... دي وعد، إنك دايمًا هتفضلي هنا، في قلبي، ومعايا، مهما حصل."

عبدالقادر نظر للسلسلة بدهشة وإعجاب، ثم قال بابتسامة فخورة:

"إيهاب، تصميم عبقري... ما شاء الله عليك يا ابني، ربنا يحفظكم يارب."

هايدي لم تتمالك نفسها من التصفيق بخفة:

"يا لهوي! دي تحفة فنية يا إيهاب! أنا اللي عايزة زيها، لازم تعملي حاجة كده أنا وعلاء."

نظرت لعلاء الذي ابتسم وأشار على عينيه:

" من عنيا يا روحي- نظر لإيهاب- عايزين تصميم خاص

ضحك إيهاب: حاضر بس كده

حور نظرت بإعجاب حقيقي:

"دي مش مجرد سلسلة... دي حاجة معمولة بحب. يا حنين، ربنا يسعدكوا ويخليكوا لبعض."

صابرين لم تفوت الفرصة لتتهكم بفتور:

"جميلة... بس يعني أنا كنت متوقعة حاجة أكبر من كده... طقم دهب مثلاً، مش سلسلة بسيطة."

قدرية نظرت إلى السلسلة باستخسار واضح:

"مش فاهمة ليه كل ده؟ سلسلة بإيدك وشغل وقت وتعب! ليه كل ده؟ مش في حاجات أولى بدل الشغل ده اللي لايودي ولا يجيب."

اخرجت صابرين هديتها، التي أجلت تقديمها للنهاية، وقفت لتقدم طقم ذهب فاخر. قالت بابتسامة فخر:

"ودي هديتي لبنتي. حاجة تليق بيها."

تردد التصفيق، لكن الجو بدا مشحونًا قليلاً بسبب التصادم غير المعلن بينها وبين قدرية.

بعد انتهاء الحفل، أمسك إيهاب بيد حنين برقة، و بابتسامة دافئة:

"لسه الليلة مخلصتش، عندي مفاجأة ليكِ."

قادها إلى السطح الذي كان مضاءً بإضاءة ناعمة، وحولهما النجوم تتلألأ في السماء. وقف أمامها وفتح الموبيل على أغنية "كلمات" لماجدة الرومي. عندما بدأت كلماتها: "يسمعني حين يراقصني كلمات ليست كالكلمات"، شعرت حنين وكأن الزمن توقف.

نظر إيهاب لعينيها بشغف، و بصوت خافت:

"كل لحظة معاكِ هي أغنية جديدة لحياتي، وكنت مستني الليلة دي من زمان."

أمسك بيديها بحنان، وقربها إليه، وبدأت خطواتهما البسيطة

تتمايل مع نغمات الأغنية. شعر كل منهما بأنهما وحدهما في العالم، وكأن كل كلمة في الأغنية تحكي قصتهما.

همست حنين، وعيناها تلمعان بدموع الفرح:

"إيهاب، دي كانت واحدة من أكبر أحلامي... إننا نرقص سوا على الأغنية دي."

رد بابتسامة، وقربها أكثر إلى صدره:

"وأنا وعدتك، كل حلم ليكي ربنا يقدرني احققهولك."

مع كلمات الأغنية: "يأخذني من تحت ذراعي يزرعني في إحدى الغيمات"، شعرت حنين وكأنها تطير معه إلى عالم آخر. ضحكت بخفة:

"إيهاب، أنا مبسوطة أوي."

رفع يده بحركة بسيطة، وأدارها حول نفسها بحب، ثم ضمها إليه مجددًا:

"وأنا أكتر منك."

أمسك بيدها وسحبها إليه برفق، وبدأت خطواتهما تتمايل بتناغم مع اللحن، وكأنهما في عالم منفصل عن كل شيء. ومع المقطع: "وأنا كالطفلة في يده، كالريشة تحملها النسمات"، همست حنين وعيناها تلمعان:

" أنا حاسة إني بحلم."

شعرت حنين كأنها تطير، كأن كل ما حولها مجرد خلفية لعالمها

الصغير الذي صنعه إيهاب. اقترب منها أكثر، ووضع يده على قلبها:

"أنتِ الحلم اللي مكنش عندي الجرأة أحلمه يا حنين... وكونك في حياتي هو أكبر نعمة ربنا وهبها لي."

في لحظة عفوية، ضحكت حنين بسعادة:

"إيهاب... لو الزمن يرجع بيّ ألف مرة، هختارك في كل مرة."

مع نهاية الأغنية، نظرت حنين في عينيه، وهمست بصوت مليء بالحب والامتنان:

"إنت مش مجرد جوزي، إنت الحلم اللي عشته... والحلم اللي هعيشه كل يوم."

نزلا لغرفتهما سويًا وبعد أن بدلا ثيابهما اقتربت حنين منه بعشق واضح:

"إيهاب، ما فيش كلام يوصف اللي عملته النهارده. إنت خليتني أعيش أجمل يوم في حياتي. كل لحظة كانت حلم. إنت مش بس حب حياتي... إنت حياتي كلها."

اقتربت منه أكثر، أمسكت يده بحنان وأضافت:

"أنا محظوظة بيك، وكل يوم بعيشه معاك هو أجمل عيد ميلاد."

ابتسم إيهاب، وقبّل جبينها بلطف وهمس:

"وأنا كل هدفي في الحياة أشوف الابتسامة دي على وشك."

ثم حملها إلى سريرهما، حيث اختتما الليلة بحب عميق، وكأنهما

يعيشان أول لحظة عشق مرة أخرى، ليصبح هذا اليوم بصمة لا تُنسى في حياتهما.

في صباح اليوم التالي، توجهت حنين إلى البنك كعادتها. كانت تحمل حقيبتها وأوراقها، بينما ذهنها مشغول بحفلة الأمس وليلتها الرائعة. فور دخولها القاعة، لفت نظرها شيء مختلف. توقفت للحظة، عيناها تتفحصان الحوائط. الورود والفراشات التي زينت الجدران كانت تنبض بالحياة، وكأنها خرجت من عالم آخر.

شعرت وكأن أنفاسها توقفت للحظة، اقتربت من الجدار الأقرب، مدهوشة من التفاصيل الدقيقة التي تعرفها جيدًا. لم يكن هناك شك، هذا فن إيهاب وهداياه الرائعة التي تمس قلبها.

مدت يدها بلطف تتحسس الفراغ بين الرسمة والجدار، وكأنها تريد التأكد أنها ليست حقيقة. كانت تعلم أن إيهاب يضع توقيعًا خاصًا في زوايا رسوماته، لذلك أخذت وقتها تبحث بعينيها بين الزهور. فجأة، رأت التوقيع الخفي، تلك اللمسة الصغيرة التي لا يعرفها سواها هي، رمز صغير يخفي فيه حبه لها.

ابتسمت، وتراجعت خطوة للخلف لتستوعب ما تراه. في تلك اللحظة، اقتربت منها هايدي بحماس:

"يا نهار أبيض! دي مش رسومات، دي شهادة حب، ده إيهاب؟ بجد؟ جوزك اللي عمل كده؟ اعتقد يا حنين ده أجمل عيد ميلاد حد عمله ودي أجمل هدايا!"

دعاء اقتربت، عيناها مليئتان بالدهشة:

"حنين، إنتِ فاهمة إن كل ده عبارة عن اعتراف بحب قدام الكل؟ إيهاب مش بس بيحبك، ده بيعبّر عن حبه بفن، إحنا لازم نعمل له تمثال!"

حنين ابتسمت بخجل، لكن عيناها كانت تفيض بالسعادة. حاولت أن تبدو طبيعية وهي تقول:

"إيهاب دايمًا بيعبر بطريقته، بس دي... دي كانت مفاجأة حتى بالنسبة لي."

في تلك اللحظة، بدأ بعض الموظفين يلتفون حول الحوائط ويتحدثون بإعجاب واضح:

"يا بختها... ده أكيد فنان مش عادي."

"مين يعمل حاجة زي دي لمراته؟ ده حب حقيقي سمعت كمان انه علشان عيد ميلادها!"

" ربنا عوضها بعد جوزها الأولاني بفنان، رومانسي كمان"

سارة كانت تراقب المشهد من بعيد، عيناها تضيقان بالغيرة المتزايدة. تقدمت بخطوات محسوبة و بنبرة متصنعة:

"واو... لطيف جدًا. بس... مش حاسة إن شغلكم مكان للرومانسية؟ يعني كان ممكن الرسمة دي تبقى في البيت أحلى."

رفعت دعاء حاجبها وردت بحدة خفيفة:

"سارة، الحب ما بيتجزأش، سواء في الشغل أو البيت، المهم إنه حقيقي."

هايدي أضافت بابتسامة جانبية:

"ده حب مش إعلان، سارة، مش كل حد يتعمل له حاجة زي دي عشان يحس بالفرق."

حنين التفتت لسارة بابتسامة هادئة، لكنها كانت تحمل كل معاني الفخر:

"إيهاب مش محتاج مكان معين يعبر فيه عن حبه ليا، لأنه بيعمل ده في كل مكان، سواء هنا أو في البيت."

سارة شعرت أن الكلمات كانت كطعنة خفية في قلبها. حاولت تمالك نفسها وهي تبتسم ببرود:

"أكيد... كل واحد بيحب بطريقته."

بينما سارة انسحبت متوترة، وقفت دعاء وهايدي بجانب حنين، وأخذتا تمزحان معها.

دعاء قالت بمزاح وهي تشير للرسومات:

"أنا كمان عايزة جوزي يسيبلي بصمة في شغلي كده!"

هايدي أضافت وهي تضغط على يد حنين بحب:

"ده إيهاب بيقولك قدام الكل: دي مراتي وأنا عاشقها. قوليلي، إحنا نلاقي حد زي ده فين؟"

علقت حنين بحب:

" علاء بيحبك ما تنكريش ده "

ابتسمت هايدي بخجل:

" بس مش فنان كده، أنا آسفة على كل مرة قولتلك فيها ما تتجوزيس إيهاب، كنت متخلفة"

حنين لم تستطع منع دموع السعادة التي تسللت لعينيها. لم تكن فقط فخورة بما فعله إيهاب، بل فخورة بأن يكون هو زوجها، ابتسمت لصديقتها بعشق:

"إيهاب مش بس عاشق، ده كل حياتي." قالتها بصوت خافت وهي تبتسم لنفسها، وقررت أن تشكر إيهاب بطريقتها الخاصة في أول فرصة تجمعهما.

كان إيهاب في أول يوم عمل له بمنزل د. ماهر، ينتظر بفارغ الصبر اتصال حنين ليعرف رد فعلها على المفاجأة التي أعدها لها. لاحظ ماهر توتره وانشغاله بهاتفه، فاقترب منه بابتسامة:

"خير يا إيهاب؟ منتظر اتصال حد؟"

رفع إيهاب رأسه بابتسامة متوترة:

"آسف، بس مستني مكالمة... مش هتأثر على شغلي، ما تقلقش."

أشار ماهر بيده مهدئًا:

"لا يا راجل، أنا بس قلت يمكن عندك مشكلة أو حاجة أقدر أساعدك فيها."

ابتسم إيهاب شاكرًا:

"متشكر جدًا، الموضوع بسيط... مستني رد فعل مراتي على حاجة

عملتها."

اقترب ماهر وهو يرفع حاجبيه باهتمام:

"رد فعلها؟ واضح إنك بتحبها جدًا!"

نظر إيهاب له للحظة، قبل أن يبتسم بخجل ويهز رأسه. لاحظ ماهر ارتباكه فقال بمزاح:

"الدكاترة شخصيات سهل الكلام معاها، يعني متعودين نسمع شكاوي المرضى فإحنا احسن ناس ممكن تتكلم معاها وتسمعك."

قبل أن يجيب إيهاب، رن هاتفه. نظر للاسم الذي يلمع على الشاشة، وارتسمت ابتسامة تلقائية على وجهه. رفع رأسه بحرج لماهر الذي ابتسم وتراجع خطوة: اطلع كلمها براحتك في البلكونة وابقى قولي المفاجأة كانت إيه ورد فعلها إيه؟"

ابتسم إيهاب:

"ثواني وراجع."

رد على المكالمة بحب:

"صباح الخير يا روحي."

جاءه صوت حنين متحمسًا، مليئًا بالسعادة:

"أنا بحبك! إيهاب، بحبك بحبك بحبك! مش قادرة أوصف لك قد إيه المفاجأة دي جميلة، أنا بعشقك يا ايهاب، إنت... إنت

عجز الكلام عن وصف مشاعرها ولكن احساسها وصل لإيهاب الذي

ابتسم وهو يسمعها وهمس بحب:

"كل سنة وإنتِ طيبة يا روحي دي كانت آخر هدية لعيد ميلادك يا روحي"

تنهدت حنين بعشق:

"كل هدية يا إيهاب أجمل من التانية، أنا بجد بعشقك"

ابتسم إيهاب بعشق مماثل:

"ياريت أقدر أعمل أكتر، فكرت بالرسمة دي إن كل ما تكوني متضايقة أو مخنوقة، ترفعي عينيكِ وتشوفي الورد والفراشات حواليكِ… تعرفي إن في راجل دايمًا بيعشقك، بيتمنى يرضيكِ، مستعد ينحت في الصخر علشانك، مستعد يقدم روحه بكل رضى قصاد ابتسامتك اللي متخيلها دلوقتي منورة وشك

هتفت بحب: إيهاب كان نفسي بجد تكون معايا وأنا بشوف الورد ده، أنا بحبك أوي أوي، اوعى تتأخر النهاردة، مش عارفة أوصف لك فرحتي."

سمع صوت عبدالقادر خلفها:

"إيهاب هو اللي عمل كده، صح؟"

ردت حنين بخجل:

"أيوه يا بابا."

ضحك عبدالقادر بحرارة:

"ربنا يخليكم لبعض. يا رب تحافظوا على الحب ده، بس خلو بالكم من العين ربنا يسترها عليكم يا حبيبتي."

انهى إيهاب المكالمة بعد كلمات دافئة ليتفاجئ بماهر خلفه فابتسم بحرج وهو يمد يده بكوبًا من القهوة:

"تشرب قهوة؟"

اعتذر إيهاب:

"متشكر جدًا، بس طلعت هيعلقني لو لقى في حاجة مأخرة الشغل."

ضحكا سويًا قبل أن يسأله ماهر بفضول:

"الهدية كانت إيه؟"

أجاب إيهاب بخجل:

"رسومات لورد وفراشات حوالين مكتبها."

أومأ ماهر بإعجاب وهو يتأمل إيهاب:

"فكرة مبتكرة. قولي بقى معاك رسومات على موبيلك ممكن اشوفها واطلب منك ترسملي حاجة في أوضة نومي مميزة لمراتي؟"

نظر إيهاب له باستغراب:

"حضرتك متجوز؟امال فين مراتك؟"

أجاب ماهر بهدوء:

" مراتي مسافرة حاليًا. كان بينا شوية خلافات، فقررت أجهز لها

البيت بشكل جديد."

نظر إيهاب إليه بنبرة صادقة:

"اهم من الحيطان اللي بتجددها هو مشاعرك ومشاعرها، رمم جدران قلبها الأول. السعادة مش في شكل البيت، السعادة في المشاعر اللي بتشاركها."

تغيرت ملامح ماهر للحظة، ثم ابتسم قائلاً:

"معاك حق."

قبل أن يغادر إيهاب، أوقفه ماهر مجددًا:

"ما قولتليش، معاك صور على موبايلك؟"

أجابه إيهاب ببساطة وهو يمشي عائدًا إلى عمله:

"ادخل جوجل، شوف أي رسمة تعجبك، وأنا هنفذها لك."

تابعه ماهر بنظرة عميقة وهو يعود إلى عمله، تلك الابتسامة الواثقة أثارت في نفسه تساؤلات لا تنتهي. لم يكن إيهاب مجرد رسام ماهر في عينيه، بل كان بوابة لشيء أكبر، شيء لم يفصح عنه بعد.

هدير كانت تجلس في غرفة المعيشة، تعبث بهاتفها بينما هشام في الحمام. فجأة، رن هاتف هشام الموضوع على الطاولة بجانبها. نظرت إلى الشاشة ورأت رقم غريب يتصل

بتردد رفعت الهاتف وأجابت: "ألو، مين معايا؟"

صوت المندوب كان مهذبًا: "مساء الخير، أنا المندوب ومعايا طلبية للأستاذ هشام، محتاج اللوكيشن عشان أسلمها."

هدير، دون تفكير، أرسلت اللوكيشن الخاص بالبيت. وضعت الهاتف مكانه وهي تفكر أن الطلبية قد تكون هدية لها بمناسبة حملها.

بعد وقت قصير، دق جرس الباب. فتحت هدير الباب لتجد المندوب يحمل حقيبة أنيقة، مد يده بالطلب إليها وبابتسامة: "اتفضلي، طلبية الأستاذ هشام."

شكرت المندوب وأغلقت الباب. وضعت الحقيبة على الطاولة وبدأت تشعر بالفضول. فتحت الحقيبة ببطء، لتتفاجأ ببدلة رقص مثيرة بألوان زاهية. ضدمت للحظة، وبدأت الأفكار تتسارع في عقلها.

خرج هشام من الحمام وهو ينشف يديه بمنشفة، لاحظ الهدوء في الغرفة وسأل: "مين كان على الباب؟"

التفتت هدير ببطء، نظراتها متوترة وهي ترفع بدلة الرقص بيديها: "ده جالك طلبية... إيه دي؟"

تجمد هشام للحظة، لكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه: "طبعًا ليكِ، كنت هفاجئك بيها. بس... فاكر إنك كنت بتقولي إنك نفسك تتعلمي ترقصي شرقي. فقلت أساعدك نرجع شوية شقاوة زمان بينا."

هدير ابتسمت ابتسامة مترددة، لكنها لم تشعر بالراحة. علقت: "بس أنا حامل، ومش بفكر في أي حاجة زي دي دلوقتي."

اقترب هشام منها ووضع يديه على كتفيها: "لما تولدي بالسلامة، كنت بفكر نقدم على حاجة جديدة. مش حلو نخلي حياتنا روتينية، صح؟"

هزت رأسها بالموافقة، لكنها شعرت بشيء غريب. وضعت البدلة جانبًا، محاولةً كتم شكوكها، لكنها بدأت ترى الأمور من منظور مختلف.

في محل لبيب للمجوهرات

كان رضا يتحرك داخل المحل بسرعة وهو ينظم بعض المجوهرات داخل الفتارين، لكن عيناه كانت تتابع إيهاب من بعيد وهو يشرح بفخر للعميل تفاصيل تصميمه الجديد.

اقترب لبيب من إيهاب وربت على كتفه بابتسامة واسعة:

"ما شاء الله عليك يا إيهاب، الزبون طاير من الفكرة اللي اقترحتها."

رد إيهاب بابتسامة متواضعة:

"الشكر لله ثم ليك يا أستاذ لبيب حضرتك اللي اديتني الفرصة دي."

توقف رضا عن العمل ونظر إليهما بتمعن، ثم همس لنفسه بغيظ:

"الفرصة! الفرصة دي كانت المفروض تكون لحد هنا من سنين، مش جاي دلوقتي وفاكر نفسه فنان."

اقترب منه أحد العمال وسأله:

"مالك يا رضا؟ شكلك متضايق."

رد رضا بحدة وهو يحاول التحكم بصوته:

"ولا حاجة، بس أنا مش فاهم إيه اللي خلى الاستاذ لبيب يهتم به بالشكل ده! أنا معاه من سنين عمري ما شفت منه الحماس ده لأي شغل عملته."

سمعه لبيب وهو يقترب منه بابتسامة هادئة:

"رضا، شغلك معايا دايمًا مميز، لكن لكل واحد طريقته. إيهاب عنده موهبة بتكمل شغلنا، وده في مصلحة المحل."

رد رضا بابتسامة مصطنعة:

"أكيد أستاذ لبيب، مصلحة المحل فوق أي حاجة."

عاد لعمله بصمت، لكن مشاعر الغيرة كانت تشتعل في داخله، يشعر بأن مكانته مع لبيب تتراجع شيئًا فشيئًا بسبب الوافد الجديد.

في منزل د. ماهر

كان إيهاب يجلس على الأرض يجهز أدواته ليبدأ اللوحة التي سيبدأ في تنفيذها في غرفة نوم د.ماهر،

لاحظ ماهر انهماكه واقترب منه بابتسامة صغيرة:

"إيهاب، أنا شوفت رسومات كتيرة جدًا على جوجل، مش قادر اتخيل شكلها على الحيط فلو ممكن توريني حاجات إنت رسمتها قبل كده؟ عايز أفهم أكتر إسلوبك وإزاي هيكون شكلها على الحيط وبناء عليه اقدر اختار."

رفع إيهاب رأسه بابتسامة بسيطة:

"أكيد، عندي على موبايلي حاجات نفذتها قبل كده. لحظة أوريك."

بدأ إيهاب يستعرض صور أعماله، من رسومات غرف الأطفال إلى لوحات ثلاثية الأبعاد نفذها على حوائط المنازل. كان ماهر يراقب الصور بإعجاب صامت، حتى ظهرت صورة بعينها توقفت عندها أنفاسه.

كانت اللوحة التي رسمها لحنين بغرفتها، تجسد فتاة تقف وسط الغيوم، محاطة بورود وفراشات، ظهرها للكاميرا، شعرها الطويل يتطاير بخفة، وملامحها الجانبية بالكاد مرسومة. اللوحة كانت تحمل جمالًا خاصًا وكأنها تحكي قصة دفينة.

أشار ماهر إلى الصورة بسرعة، محاولًا السيطرة على توتره:

"دي... اللوحة دي، تفاصيلها مختلفة. مين اللي طلبها؟"

إيهاب ابتسم تلك الابتسامة التي تحمل ذكريات خاصة:

"دي كانت أول رسمة رسمتها في بيت حنين، مراتي. أبوها هو اللي طلب مني أرسمها. قال لي إنه عايزني أرجعلها الحياة اللي اتاخدت منها، أرجعلها الألوان اللي ناقصة في حياتها."

ظل ماهر ينظر إلى اللوحة وكأنها تمسك شيئًا بداخله لا يريد لأحد أن يراه. سأل بصوت حاول أن يكون طبيعيًا:

"وبعدين؟ أثرت فيها فعلاً؟"

نظر إيهاب إلى الصورة وكأنها تحمل معه ذكرى سعيدة:

"أثرت جدًا. كانت بداية جديدة. وقتها، كنت بحاول أعمل حاجة تفرحها بعد كل اللي مرت بيه."

ماهر صمت للحظة، ثم ابتسم ابتسامة مصطنعة وهو يمد يده ليعيد الهاتف لإيهاب:

"إبداعك واضح جدًا. الرسمة دي أكيد معبرة جدًا."

إيهاب أومأ بفخر:

"الحمد لله. الرسمة دي كانت خطوة كبيرة لينا. أبوها كان عايز يشوفها سعيدة، وأنا كنت عايز أكون جزء من السعادة دي."

لكن ما لم يلاحظه إيهاب هو أن يد ماهر كانت ترتجف وهو يعيد الهاتف، وعينيه تلمعان بمشاعر مختلطة لم يستطع أن يخفيها تمامًا. ظل ينظر إلى إيهاب للحظة قبل أن يغير الموضوع بسرعة:

"فعلاً موهبتك نادرة... عندك صور تانية؟"

إيهاب انشغل مرة أخرى في استعراض الصور، بينما ظل ماهر عالقًا مع الصورة، كأنها مرآة تعكس ذكريات دفينة حاول دفنها طويلًا.

بدأ إيهاب يستعرض الصور على هاتفه، يشرح كل رسمة بحماس. ماهر كان يتابع الصور بصمت، يظهر إعجابه بين الحين والآخر. لكن فجأة، ظهر أمامه مشهد مختلف تمامًا.

كانت صورة سيلفي. إيهاب كان يلتقطها مع حنين وهي تقف بين ذراعيه، وجهها يشع بالسعادة وابتسامتها تضج بالحياة. شعرها

الطويل يتطاير بخفة، وملامحها تحمل جمالًا نادرًا. الصورة كانت مليئة بالحب العفوي.

ماهر شعر بأن الهواء اختفى من الغرفة للحظة. عيناه التصقتا بالشاشة، ويده ارتجفت قليلاً، لكنه تظاهر بأنه غير متأثر وبالرغم من أن إيهاب غير الصورة بسرعة لكن ماهر لمحها بوضوح.

"هي دي مراتك؟" سأل ماهر بصوت بدا طبيعيًا، لكنه كان محملاً بخيط رفيع من الفضول.

أجاب إيهاب بابتسامة خفيفة، محاولًا السيطرة على توتره:

"أيوه... دي حنين."

"واضح إنها مصدر إلهامك في شغلك." علّق ماهر، محاولًا أن يبدو عاديًا، بينما كانت عيناه تتجهان نحو الشاشة وكأن الصورة تركت أثرًا لا يمكن محوه.

ابتسم إيهاب بفخر:

"هي أكتر من مصدر إلهام. هي السبب اللي بيخليني أصحى كل يوم بحلم جديد."

ماهر أبقى ملامحه ثابتة، لكن يداه ارتختا بجانبه وكأن شيئًا ما داخله تحرك. للحظة، غابت ابتسامته قبل أن يعيدها بهدوء:

"ربنا يسعدكم... شكلك فنان حتى في حياتك الشخصية."

إيهاب لم يلاحظ توتره، واستمر يعرض الصور ويشرح القليل عن كل صورة.

بينما يكمل إيهاب حديثه، كان ماهر ينظر إليه دون أن يسمع كلماته. عيناه تحملان غموضًا خفيفًا، وكأنه يحاول فهم شيء ما. قطع الحديث بابتسامة مقتضبة:

"أعمالك كلها بتعبر عن حب قوي... واضح إنه حقيقي جدًا."

ابتسم إيهاب:

"الحمد لله، ربنا أكرمني."

تظاهر ماهر بعدم الاكتراث، لكنه كان يغرق في دوامة مشاعره، محاولًا الحفاظ على قناعه الطبيعي.

استيقظ من تأملاته على صوت ايهاب يستحثه لاختيار صورة

لم يفكر ماهر سوى في صورة الفتاة الحالمة، لم يستطع إخفاء انبهاره:

"الصورة دي مميزة جدًا... بتهيألي إنها الأنسب للوحة اللي كنت بفكر فيها. ينفع تعيد تنفيذها؟"

إيهاب، بنبرة جادة وحاسمة:

"للأسف ما ينفعش، اللوحة دي كانت خاصة جدًا. رسمتها كهدية لمراتي، فمش ممكن أعيدها لحد تاني آسف."

شعر ماهر بحرج خفيف، لكنه لم يُظهر ذلك، فأضاف بابتسامة محايدة:

"طبعًا، حقك. بس كنت متخيل إن فكرة زي دي ممكن تتنفذ بتفاصيل مختلفة."

إيهاب، بعد لحظة تفكير:

"ممكن. بس محتاج أعرف أكتر عنكم أو أي تفاصيل شخصية تبني أساس اللوحة. كل رسمة لازم تعكس روح المكان وصاحبه، فلو عندك فكرة أو حاجة معينة تحب تظهرها، قول لي."

تردد ماهر للحظة، وكأن هناك صراعًا داخليًا يحاول السيطرة عليه، قبل أن يجيب بنبرة هادئة:

"عايز حاجة تعبر عن بداية جديدة... حاجة فيها أمل وحب، بس بهدوء. زي ما تكون بترسم لوحة لحد عايز ينسى كل اللي فات ويبدأ من جديد."

أومأ إيهاب بتفهم، وأخذ ملاحظاته:

"هفكر في حاجة تناسب اللي وصفته. وأول ما أخلص الفكرة المبدئية، هعرضها عليك."

ماهر ابتسم بخفوت، بينما عينيه تعكسان مزيجًا من الرغبة والغموض:

"تمام. مستني أشوف إبداعك."

غادر إيهاب الغرفة بعد انتهاء الحديث، لكن عقله كان مليئًا بالتساؤلات حول الطلب الغريب، بينما ظل ماهر وحده، يتأمل الصورة التي رفض إيهاب إعادة تنفيذها، وكأنها بوابة لذكريات تحاول الانبعاث من جديد.

هشام قرر الخروج في إحدى الليالي بحجة لقاء أحد أصدقائه في

العمل لتسوية أمر مهم. لاحظت هدير أنه يرتدي ملابس أكثر أناقة من المعتاد، ورائحة عطر جديد تفوح منه لم تألفها من قبل. ارتسمت على وجهها علامات الحيرة والشك، لكنها لم تعلّق. بينما كان يستعد للمغادرة، نسى هاتفه على الطاولة، ليترك خلفه مفتاحًا لم يكن يعلم أنه سيكشف الكثير.

بينما كانت تجلس في الصالة، أضاء الهاتف بمكالمة واردة من رقم غير مسجل. شعرت بالتوتر، نظرت للهاتف بتردد قبل أن تقرر الرد. فتحت المكالمة وانتظرت بصمت.

إيمي بصوت مرح ومغرٍ: "إنت فين يا روحي؟ مستنياك على نار. قلتلي الساعة 9 وأنا جهزت كل حاجة."

شعرت بأنفاسها تتسارع، وحاولت جاهدة السيطرة على ارتباكها. أجابت بهدوء مصطنع: "حضرتك مين؟ عايزة مين؟"

ساد الصمت للحظة، تبعه صوت مرتبك من الطرف الآخر: "آسفة، الرقم غلط." أغلقت إيمي المكالمة بسرعة.

وقفت هدير مكانها، والهاتف يهتز في يدها من أثر الصدمة. كانت تحاول تهدئة أفكارها المتلاطمة، لكنها شعرت بشيء داخلي يخبرها أن هناك أمرًا غير طبيعي.

عاد هشام بعد لحظات، ووجهه شاحب وعيناه تبحثان بقلق عن الهاتف. نظرت إليه هدير بتوتر ورفعت الهاتف أمامه بتهكم: "بتدور على ده؟"

أسرع هشام ليأخذ الهاتف منها وهو يحاول التظاهر بالهدوء: "آه،

نسيته. حد رن ولا حاجة؟"

نظرت إليه بعمق، محاولة فهم ما يحدث، ثم أجابت بلامبالاة مصطنعة: "رقم غلط بس."

أخذ هشام الهاتف وخرج بسرعة، بينما وقفت هدير مكانها، تضغط على بطنها في محاولة لتهدئة توترها. بدأت تشعر أن هناك شيئًا أكبر مما تستطيع تجاهله.

خارج الشقة، أخرج هشام هاتفه واتصل بإيمي بسرعة: "اتصلتي بيا؟"

إيمي، محاولة تهدئته: "ما تقلقش، قولتلها الرقم غلط وقفلت. يلا، أنا مستنياك."

وقف هشام أمام باب شقته للحظة، يفكر في العودة لزوجته وابنه وقضاء الليل معهما، لكن رسالة جديدة وصلت من إيمي تحمل صورة مثيرة لها. ابتلع تردده وتحرك مسرعًا إلى بيتها، غير مدرك أنه يخطو خطوة أخرى نحو كشف خيانته.

هدير جلست بصمت على الأريكة بعد خروج هشام، أنفاسها ما زالت مضطربة وقلبها ينبض بعنف. الهاتف الذي أعادته له يحمل الآن وزنه آلاف الشكوك، ولم تعد تعرف كيف تواجه ما يحدث. وضعت يدها على بطنها المنتفخ بخفة، تحاول أن تستمد القوة من طفلها القادم.

في ذهنها: "أنا مجنونة لو كملت كده. إزاي أكون متأكدة من حاجة زي دي من غير ما أشوفها بعيني؟ لازم أعرف الحقيقة."

لم تستطع التوقف عن التفكير في المكالمة، وفي صوت المرأة الذي بدا مليئًا بالثقة والإغراء. شعرت بالخذلان والغضب، لكنها قررت التحرك بهدوء هذه المرة.

في منزل إيمي

إيمي فتحت الباب بابتسامة عريضة، ترتدي فستانًا أحمر قصيرًا كشف أكثر مما أخفى. عانقته بطريقة أقرب للمسرحيات، وقالت بمزاح: "كنت فاكرة إنك هتلغي السهرة بسبب المكالمة."

ابتسم هشام بتوتر مصطنع: "ما تقلقيش، اتصرفنا." جلس على الأريكة، يحاول أن يسترخي ويطرد من ذهنه فكرة أن هدير قد تشك في شيء.

إيمي جلست بجانبه وأحضرت كأسي شراب.و بمكر: "المرة الجاية بلاش نسيان، إنت عارف إن الست في أمور الخيانة بتكون أذكى مما تتخيل."

هشام ضحك بخفة و بثقة: "لا اطمني هدير. مستحيل تشك فيّ غير انها بتحبني وما تقدرش تستغنى عني اصلًا."

في منزل زهير

في إحدى الأمسيات الهادئة، كان زهير يجلس في غرفة المعيشة يراجع بعض الملفات على جهازه اللوحي. دخلت سارة بخطوات متأنية، ووجهها يحمل ابتسامة مصطنعة تخفي وراءها الكثير من الأفكار.

"زهير ينفع اتكلم معاك؟"

وضع جهازه جانبًا وانتبه إليها:

" اكيد طبعًا اتفضلي يا روحي "

علقت بتردد:

"أنا مش فاهمة ليه إنت اضايقت مني لما سألتك عن إيهاب. ليه حساك متغير؟ هو مش المفروض نساعد أصحابنا؟"

ابتسم زهير بسخرية خفيفة: "تساعديهم إزاي؟ بإنك تحرجيهم قدام زمايلهم؟ ولا إنك تروحي تسألي جوزها عن تفاصيل شخصية مالكيش دعوة بيها؟ولا إيه بالظبط وجه المساعدة دي يا سارة؟"

شعرت سارة بالارتباك، لكنها حاولت التماسك: "أنا مكنتش أقصد أحرجهم، أنا كنت عايزة أعرف... أصل إحنا أصحاب، وأنا بحب حنين."

نظر إليها زهير بحدة: "سارة، أنا لاحظت كل حاجة. تصرفاتك مع حنين مش طبيعية. بدل ما تكوني سند ليها كصاحبتها، بتدوري على طريقة تكسري بيها ثقتها. ليه؟"

تلعثمت سارة وهي تحاول الرد: "زهير، أنا بس كنت... كنت بحاول أفهم."

قاطعتها بهدوء لكنه كان يحمل نبرة تحذير: "وأنا كنت بحاول أفهمك. بس واضح إنك مش قادرة تفصلي بين علاقتنا وبين شغلنا. آخر مرة بقولك... شغلك في البنك لا يعني التدخل في حياتي الشخصية أو حياة زمايلنا. ولو ده هيفضل أسلوبك،وهتستغلي

منصبي لأغراض شخصية يبقى لازم نعيد تفكيرنا في شغلنا سوا."

صمتت سارة لثوانٍ، قبل أن تنهض وتغادر الغرفة دون أن تقول كلمة. زهير تابعها بعينيه، ثم عاد لعمله، لكنه كان يشعر أن هذا الحوار لم يكن النهاية، بل البداية لمزيد من المواجهات القادمة.

في منزل هشام الصاوي

بينما كانت هدير تنظف غرفة المعيشة، وقعت عيناها على إيصال صغير مدسوس بين بعض الأوراق على الطاولة. أخذت الإيصال بفضول لتتفاجأ أنه يحتوي على تفاصيل شراء من متجر خاص بملابس الرقص، مع وصف "بدلة رقص حمراء". شعرت بصدمة جعلت قلبها ينبض بسرعة.

تساءلت بصمت، "هل هو إيصال لبدلة أخرى؟ هل يعني أنه اشترى بدلة أخرى غير التي وصلتني؟" حاولت استيعاب الأمر، لكنها قررت التحرك بهدوء لتجنب أي مواجهة غير محسوبة.

أخذت الإيصال ومعها بدلة الرقص التي استلمتها سابقًا وتوجهت إلى المتجر. دخلت بابتسامة مصطنعة، توجهت نحو الموظفة عند الكاشير، وسألت بلهجة هادئة:

"لو سمحتِ، البدلة دي وصلتني أونلاين من المحل ده، اعتقد بالغلط. بس لقيت الإيصال ده ومش فاهمة حاجة. ممكن أعرف مين اللي اشتراها؟"

نظرت الموظفة للإيصال ثم للبدلة بتعجب:

"غريبة، الإيصال ده بتاعنا فعلاً، والبدلة من هنا برضه. لحظة أسأل

زمايلي."

أشارت لزميلتها القريبة وشرحت الموقف، فاقتربت الأخرى مستغربة:

"أيوة، دي اللي أخذها الراجل امبارح، وكان معاه الرقاصة اللي لها فيديوهات على اليوتيوب."

اتسعت عينا هدير في دهشة وصدمه لكنها حاولت الحفاظ على هدوئها. سألت بصوت خافت:

"اسمها إيه الرقاصة دي؟ تعرفيها؟"

فكرت الموظفة للحظات، ثم أخرجت هاتفها لتبحث فيه. بعد قليل، رفعت الهاتف أمام هدير:

"لحظة، أنا كنت اتصورت معاها! اسمها إيمي."

نظرت هدير للصورة التي أظهرت وجهًا مبتسمًا لإيمي، لكنها لم تتمكن من التعرف عليها سوى من الاسم. طلبت منها إرسال الصورة إلى هاتفها، وشكرتها سريعًا قبل أن تخرج من المحل، تتصارع في رأسها عشرات الأفكار.

في طريق العودة للبيت، كانت تمسك هاتفها وتنظر لصورة إيمي، تحاول إيجاد أي تفسير. شعرت بمزيد من الشكوك التي باتت تحاصرها دون دليل قاطع. عندما وصلت المنزل، وضعت الهاتف على الطاولة وجلست، تحاول تهدئة نفسها، لكنها كانت تعلم أن المواجهة أصبحت أقرب من أي وقت مضى.

في محل المجوهرات

كان الجو مشحونًا بشكل غريب، خاصة مع اكتشاف لبيب اختفاء عقد ألماس غالي الثمن. الجميع كان يعمل بجد، لكن رضا كان يراقب تحركات إيهاب عن كثب، وعيناه مليئة بمزيج من الحقد والغيرة.

لبيب بصوت حازم: "العقد مش موجود في مكانه، وده ما ينفعش يعدي كده. لازم نعرف مين اللي شاله."

رضا بتظاهر بالبراءة: "أستاذ لبيب، إحنا كلنا هنا ناس محترمة، بس علشان نريح دماغنا، خلينا نفتش كل حاجة وكل حد هنا؟ كلنا، علشان ما حدش يحس إن حد متهم."

تردد لبيب للحظة، ثم أومأ برأسه، محاولًا السيطرة على الوضع. بدأ العمال يفتحون حقائبهم ويخرجون ما بجيوبهم، واحدًا تلو الآخر، دون أن يجدوا شيئًا. وعندما جاء دور إيهاب، أخرج ما بجيوبه ثم فتح حقيبته الصغيرة المتربة، ليجد العقد موضوعًا بعناية بين ملابسه.

وقف إيهاب مشدوهًا للحظات، بينما سقط الصمت على المكان.

رضا بصوت مفتعل بالدهشة: "معقول يا إيهاب؟ ده عقد ألماس مش أي حاجة! إزاي ت..."

قاطعه إيهاب بحزم، محاولًا السيطرة على صدمته: "أنا ما عملتش حاجة، وما أعرفش العقد ده جيه هنا إزاي."

لبيب تنهد، وخيبة الأمل واضحة في عينيه: "إيهاب، عمري ما كنت أتخيل إن الموقف ده يحصل معايا، خاصة منك."

إيهاب رد بعنف: "أنا لا يمكن أمد إيدي على حاجة مش بتاعتي. حضرتك لازم تصدقني، أنا لو هاخد الطريق ده كنت اخدته من زمان، بس أنا..."

قاطعه رضا بسخرية خبيثة: "العقد في شنطتك هيدخل إزاي عندك؟"

حرك إيهاب رأسه بحيرة: "معرفش، بس مش أنا."

نظر لبيب نحوه منتظرًا تفسيرًا، لكنه أشاح بنظره بعيدًا وكأن ثقته قد تزعزعت.

إيهاب، رغم ألمه، لم يرفع صوته أكثر، واكتفى بالنظر للبيب بعيون تعكس الانكسار: "مش هحاول أقنعك بحاجة، بس اللي أنا عارفه إن اللي حصل ده مش أنا ومعرفش العقد وصل شنطتي إزاي."

رضا بنبرة ملؤها الحقد المصطنع: "أستاذ لبيب، الحكاية واضحة جدًا، واللي حصل لازم يتعاقب عليه، حتى لو وصلنا للبوليس."

لكن لبيب رفع يده، مقاطعًا: "مش عايز فضايح، وخصوصًا إن ده ممكن يضر اسم المحل. إيهاب، مش هتقدر تكمل معانا. اتفضل، ولولا إني عامل حساب للأستاذ عبدالقادر كان هيبقى ليا تصرف تاني معاك."

جمع إيهاب أغراضه بهدوء وتحرك ليخرج حاملًا وجعه معه. قبل أن يخرج تمامًا، التفت: "رجاءً... محدش يعرف اللي حصل أو إني اشتغلت هنا."

رفع لبيب رأسه ولكنه لم ينطق، بينما تدخل رضا بابتسامة ساخرة: "ليه، علشان تخدع غيرنا؟ الأستاذ لبيب من حقه يعرف الناس كلها وخصوصًا حماك وبنته."

وقف إيهاب للحظة، منتظرًا كلمة دفاع أو دعم من لبيب، لكنه أشاح وجهه. شعر إيهاب بأن ثقته قد تحطمت بالكامل.

خرج إيهاب من المحل يحمل وجع السنين الماضية كلها فوق كتفيه. كل ما مر به لم يكن شيئًا مقارنة بهذه اللحظة؛ اتهام السرقة كان كالصاعقة التي أحرقته من الداخل.

عند عودته إلى البيت، كانت حنين في انتظاره بابتسامة عريضة:

"حبيبي، اتأخرت ليه؟ كنت مستنياك ناكل سوا."

لكنه لم يرد، ودخل غرفته وأغلق الباب خلفه.

تبعت حنين خطواته بحيرة، وطرقت الباب بخفة:

"إيهاب، مالك؟ حصل حاجة؟"

لم يأتيها الرد. عندما فتحت الباب بهدوء، وجدته مستلقيًا على السرير، يحدق بالسقف بصمت، وعيناه ممتلئتان بالوجع.

جلست بجواره وأمسكت يده بحب ورعب:

"إيهاب، قولي حصل إيه؟ أنت ساكت ليه؟ بتخوفني عليك!"

لم يتحرك إيهاب، ولم ينطق بكلمة. حدقت بملامحه المرتخية، لكن عينيه كانتا تتحدثان بلغة مختلفة، مليئتين بالوجع والخيانة.

رفعت يدها لتلمس وجهه، محاولة جذب انتباهه:

"إيهاب، أنا هنا. مهما كان اللي حصل، احكيلي، إحنا مع بعض."

لكنه بقي صامتًا، وكأنه في عالم آخر، يهرب من الواقع الذي أصبح يضغط عليه.

ازدادت مخاوفها، واقتربت أكثر:

"إيهاب، إنت مش لوحدك، أنا هنا. إحنا اتفقنا نواجه كل حاجة سوا، فاهم؟ قولي أي حاجة، أرجوك."

شعرت وكأن الكلمات تخنقه، لكنها استمرت في تمسكها بيده، كأنها تعطيه قوتها ليتحمل.

وضعت رأسها بجانب رأسه، همست بصوت مرتجف لكنه ملؤه الأمان:

"أنا هنا يا حبيبي، مش هسيبك. أرجوك بس، اتكلم معايا يا ايهاب."

اقتربت منه ورفعت رأسه لتضعه على صدرها، تضمّه بحنان الأم التي تحتضن طفلها الصغير. بدأت تهدهده برفق، وتمسح بيدها على شعره:

"إيهاب، إنت مش لوحدك... أنا هنا، جنبك، ومش هسيبك أبداً."

وفي وسط هذا الصمت الثقيل، كانت دموع إيهاب تسقط بصمت، تعبر عن خيبة أمله ووجعه الذي لا يستطيع وصفه بالكلمات.

شعرت بثقل ألمه وكأنه يسري في عروقها، وعيناها تملؤهما الدموع، لكنها حاولت كتمها كي تبقى قوية من أجله. همست بصوت

متحشرج:

"فاكر وعدنا؟ دمت لي سندًا جميلًا... وأنا كمان سندك، مهما كان."

ظلّت تحتضنه وتهمس له بكلمات تهدئ ألمه، تمسح على رأسه وكأنها تحاول أن تنزع عنه كل الحزن. إيهاب بقي ساكنًا، مستسلمًا لدفء حضنها، وكأنها الملجأ الوحيد الذي يستطيع أن يهرب إليه من هذا العالم القاسي.

جلس لبيب في مكتبه بعد يوم شاق، لكن صوت ضمير يلاحقه لم يهدأ. صورة إيهاب وهو ينظر إليه بعيون مليئة بالوجع والانكسار لم تفارقه. شعر بأنه قد ظلم شابًا لم ير منه إلا كل احترام واجتهاد.

قرر أن يراجع كاميرات المراقبة في المحل ليقطع الشك باليقين. ضغط على زر التشغيل وبدأ يستعرض التسجيلات بتركيز، يراقب تحركات الجميع بدقة.

بدأ الشريط يكشف عن تفاصيل اللحظة. رأى رضا يمر بالقرب من حقيبة إيهاب ويقف بجوارها لفترة قصيرة. حركاته بدت متوترة ويداه تحوم حول الحقيبة. حاول لبيب التقدم بالشريط أكثر، ثم رأى بوضوح رضا وهو يفتح حقيبة إيهاب ويضع فيها العقد.

تراجع لبيب في كرسيه مصدومًا، لم يكن يتوقع أن يكون رضا، الذي يعتبره ذراعه الأيمن، هو من فعلها.

صوت لبيب كان مليئًا بالخذلان والغضب:

"إزاي يا رضا؟! إزاي تعمل كده؟"

أعاد المقطع مرة أخرى، لكنه هذه المرة شعر بثقل أكبر في صدره. صورة إيهاب وهو يخرج من المحل مطأطئ الرأس، وقلبه محمل بالوجع، عادت إليه.

نهض من مكانه بسرعة وخرج لرضا وسط العاملين في المحل جميعًا، وصوته يفيض غضبًا:

"رضا تعال هنا."

اقترب رضا و وقف متوترًا أمام لبيب الذي نظر إليه نظرة لم يرها من قبل. وضع لبيب اللابتوب أمامه وفتح المقطع، دون أن ينطق بكلمة.

حاول رضا التبرير بعد أن أدرك أنه كُشف:

"أستاذ لبيب، أنا كنت بس... كنت عايز...!"

قاطعه لبيب بصوت هادئ لكنه مليء بالغضب المكبوت:

"ما تتعبش نفسك بالتبرير، كل حاجة واضحة. كنت عايز تخلص من إيهاب، وفضلت تحط اسمه في الوحل علشان غيرتك منه."

حرك رضا رأسه بتوتر:

"أنا آسف، بس...!"

قاطعه لبيب مجددًا:

"مفيش بس. أنا مش هبلغ البوليس، مش علشانك، لكن علشان سمعة المحل. لكن إنت خلاص مفيش مكان ليك هنا."

خرج رضا من المكتب خاسرًا كل شيء، بينما أخذ لبيب نفسًا عميقًا وقرر أن يتصل بإيهاب.

في الفجر، استيقظ إيهاب على صوت الأذان، شعر بثقل قلبه لكنه قرر أن يخرج. ارتدى ملابسه بهدوء، غادر البيت متجنبًا إيقاظ أي شخص.

توجه للمسجد، وصلى الفجر بخشوع، لكنه لم يعد للبيت بعدها. جلس في زاوية المسجد، غارقًا في أفكاره حتى طلعت الشمس. شعر بالراحة في هذا الهدوء، وكأنه هروب مؤقت من وجعه. عندما اقترب موعد عمله، نهض واتجه مباشرةً للمكان دون أن يعود إلى البيت.

في البيت، استيقظت حنين ومدّت يدها بجانبها لتجد السرير فارغًا. رفعت هاتفها واتصلت به على الفور: " إيهاب حبيبي إنت فين؟ قلقتني عليك "

جاءها صوته المرهق:

"أنا كويس يا حنين، في الشغل دلوقتي."

شعرت حنين بغصة في حلقها، لكن حاولت أن تخفي قلقها:

"متأكد إنك كويس؟ كنت عايزة أطمن عليك."

رد بنبرة هادئة لكنها بعيدة:

"ما تقلقيش، كله تمام."

أغلقت الهاتف وهي تشعر بثقل أكبر على قلبها. نهضت، ثم ارتدت

ملابسها وقررت أن تذهب لعملها، لكنها لم تستطع منع الألم من مرافقتها طوال اليوم. حاولت التركيز، لكنها كانت تشعر بوجعه وكأنه جزء من روحها.

جلس لبيب في مكتبه في اليوم التالي، يفكر مليًا في الطريقة الأنسب لمواجهة إيهاب، بعدما رفض الأخير الرد على مكالماته المتكررة. قرر في النهاية أن يلجأ لعبدالقادر، فهو الشخص الوحيد القادر على حل هذه المشكلة.

رفع الهاتف واتصل بعبدالقادر الذي رد سريعًا:

"أستاذ لبيب، مساء الخير. خير؟ في حاجة؟"

تنهد لبيب بعمق و بنبرة جادة:

"مساء الخير يا أستاذ عبدالقادر. بصراحة، محتاج أشوف إيهاب بشكل ضروري جدًا. حاولت أكلمه، لكنه مش بيرد، وأنا عارف إنه زعلان مني."

تجهم عبدالقادر:

"ايهاب؟ وزعلان منك؟ ليه؟ حصل إيه؟"

تردد لبيب للحظة، ثم قال:

"مش وقت الكلام في التفاصيل دلوقتي. كل اللي أطلبه منك إنك تجيبه عندك البيت بإي سبب. أنا هاجي عندكم وهنتكلم كلنا. من فضلك ما تقولوش إن أنا اللي طلبت."

أصابه كلام لبيب بالقلق، لكنه لم يضغط عليه أكثر:

"طيب، حاضر. هكلمه وأجيبه عندي، وهبلّغك بالميعاد."

شكره لبيب بإخلاص:

"ربنا يخليك يا أستاذ عبدالقادر. صدقني، ده لصالح إيهاب."

أنهى عبدالقادر المكالمة، جلس للحظة يفكر في السبب الذي قد يجعل لبيب يطلب مقابلة إيهاب بهذه الطريقة. دون أن يطيل التفكير، أمسك هاتفه واتصل بإيهاب.

رد إيهاب بصوت متعب:

"أيوه يا عمي."

قال عبدالقادر بحزم لكنه حاول أن يبدو طبيعيًا:

"إيهاب، عايزك تيجي البيت ضروري النهارده. في حاجة عايز أكلمك فيها."

سأل إيهاب بهدوء:

"في حاجة حصلت؟ حنين كويسة؟"

طمأنه عبدالقادر:

"كلنا كويسين يا ابني. متقلقش. حنين في مكتبها وما تعرفش اصلًا إني بكلمك، تعالى بعد العشاء، مستنيك."

وافق إيهاب بعد تردد، بينما عبدالقادر أنهى المكالمة واتصل على الفور بلبيب ليبلغه بموعد قدوم إيهاب.

لبيب، وهو يشعر ببعض الراحة:

"شكراً، أستاذ عبدالقادر. هكون عندك على الموعد."

جلس عبدالقادر في مكتبه، يفكر في هذا اللقاء الذي بدا واضحًا أنه سيكشف عن أمور كثيرة، منتظرًا وصول الجميع.

استقبل عبدالقادر لبيب في بيته بحفاوة تخالطها الحيرة، بينما جلست صابرين تراقب الوضع بفضول محموم. حاولت استدراج لبيب لمعرفة سر اهتمامه بزوج ابنتها، لكنه ظل مصرًا على الانتظار حتى يأتي إيهاب.

قطع الصمت صوت جرس الباب. نهضت صابرين لتفتح، وعندما رأت إيهاب واقفًا أمامها، بادرته بحدة:

"عملت إيه؟"

نظر إليها باستغراب:

"عملت إيه في إيه؟"

فتحت الباب على مصراعيه، مشيرة له بالدخول:

"ادخل دلوقتي نعرف."

دخل إيهاب بخطوات مترددة، وكأن قلبه يثقل كل خطوة. عندما رأى لبيب جالسًا بجانب عبدالقادر، شعر بأن الأرض تميد تحت قدميه. تسارعت نبضات قلبه بعنف؛ هل سيكشف لبيب سره الآن؟ هل سيتهمه علنًا بالسرقة؟ هل حان الوقت ليخرج من حلمه الجميل ويتخلى عن حنين؟

هل سيصدقه عبدالقادر إذا أقسم ألف مرة بأنه لم يلمس ذلك العقد

اللعين؟

وكيف ستراه صابرين الآن؟ هي لم تتقبله من البداية، فكيف بعد هذه التهمة؟

والأهم... هل ستثق به حنين إذا أخبرها الحقيقة؟ أم ستكون مثل الآخرين، وتخذله في النهاية؟

لاحظت صابرين توتره، فعلّقت بنبرة مشحونة باللوم:

"هببت إيه يا إيهاب؟"

انتبه إليها، ثم نظر نحو لبيب الذي وقف مبتسمًا بخجل واضح، وقال بصوت مفعم بالأسف:

"أنا جاي ومش عارف صراحة أعمل إيه، بس طمعان في قلبك الكبير."

الدهشة خيّمت على الجميع. عبدالقادر رفع حاجبيه بتعجب، وصابرين وضعت يدها على خاصرتها، وحتى إيهاب نظر إلى لبيب وكأنه لا يصدق ما يسمعه.

اقترب لبيب بضع خطوات نحو إيهاب و بصوت مكسور:

"أنا آسف يا إيهاب. حقك عليّا. ممكن تسامحني؟ طيب هبقى طماع لو قلتلك ترجع تشتغل معايا؟"

عبدالقادر، الذي زادت حيرته، قاطع الموقف قائلًا بصرامة:

"شغل إيه يا لبيب؟ وبتعتذرله ليه؟ قلت هتفهمني لما تيجي، اتفضل فهمني."

بدأ لبيب يحكي القصة من البداية: كيف اكتشف موهبة إيهاب، وكيف وقع في خطأ الاتهام، ثم كيف كشفته الكاميرات وأثبتت براءته. ختم كلامه قائلًا:

"فــجاي وطمعان إنه يسامحني."

التفتت الأنظار إلى إيهاب، الذي رفع رأسه ليجد نظرات تهكم من صابرين تعكس قلة ثقتها به. عبدالقادر كان ينظر إليه نظرات غامضة، يصعب تفسيرها.

مد لبيب يده إلى إيهاب مجددًا:

"هتسامحني؟"

ابتسم إيهاب بأسف وأجاب:

"كان نفسي أقولك حصل خير، بس محصلش خير. كسر القلوب ما بيتجبرش بسهولة. حضرتك صدقت بمنتهى السهولة، وكان ممكن تراجع الكاميرات قبل ما تصدر قرارك."

لبيب أصر بتواضع:

"أنا فعلًا آسف، وهعتذرلك قدام الكل في المحل."

قاطعه إيهاب بهدوء:

"حضرتك مش محتاج لكل ده. أنا مسامحك ومقدر موقفك، لكن معذرة مش هقدر أرجع الشغل تاني."

حاول لبيب المزاح لتخفيف الموقف:

"عايزني أتحايل عليك؟"

صابرين، بنبرة ساخرة موجهة سهامها إلى إيهاب:

"ارفعله الراتب، يمكن يوافق."

كلماتها كانت كالسهم في قلب إيهاب، لكن لبيب رد بسرعة:

"هرفعله الراتب اللي يحدده، المهم يرجع."

تنهد إيهاب محاولًا السيطرة على ألمه:

"الموضوع مش كده. أنا فعلًا مش هقدر أرجع. شكراً لاهتمامك."

عبدالقادر تدخل ليحسم الموقف:

"خلاص يا لبيب، سيبه على راحته. لما يهدى، هو اللي يقرر. لكن الخطأ كان من البداية لما اتهمته بالشكل ده. إيهاب من أنظف الناس اللي عرفتها، وسلمته بنتي وأنا واثق فيه. الاتهام ده لا يمكن أقبله، ولو كنت عرفت مكنتش جبته هنا."

لبيب، بوجه يغشاه الأسف:

"أنا مستعد أروحله بيته لو ده هيرضيه."

إيهاب هز رأسه نافيًا:

"الموضوع بجد مش مستاهل. شكرًا لحضرتك، وزي ما عمي قال، خلونا نهدى شوية."

انسحب لبيب بخطوات ثقيلة، تاركًا صمتًا ثقيلًا خلفه.

أخيرًا قطع عبدالقادر الصمت بسؤال مباشر:

"ليه الشغل عند لبيب؟"

ساد صمت مطبق من إيهاب، لكنه شعر بسكاكين الكلمات تغرس في روحه عندما ردت صابرين عنه:

"علشان الفلوس طبعًا. هو محتاج لكل قرش ممكن. إنت عارف إنه بيرسم لوحات للطلبة بفلوس؟ حنين كانت بتقول لحور وأنا سمعتهم، بيسهر الليل كله يرسم لوحات للعيال يبعهالهم. طول النهار في شغله مع طلعت، بعدها شغله عند لبيب، ويطلع يسهر يرسم لوح يبيعها. شوفت الحياة اللي إنت معيشها لبنتك؟ إنت عارف هو اشتغل قد إيه علشان يجيب لها هدية عيد ميلادها؟ يمكن أكون باردة في مشاعري ومش بهتم بالرومانسية زي ما بتقول يا عبدالقادر، بس بنتك عايشة حياة صعبة. آه، جوزها بيحبها وبيعشقها، بس حرام عليكم اللي بتعملوه فيها. حرام عليكم بجد."

شعر إيهاب بصفعة تلو الأخرى. كل كلمة كانت تثقل صدره، كل إتهام كان يجعله يشعر وكأنه يغرق أكثر. حاول أن يجد صوته وسط تلك الدوامة، حمحم، ثم تمتم بصوت خافت بالكاد خرج من شفتيه:

"أنا ما اشتكتش من الشغل عمري."

لكن صابرين نظرت له بحدة وكأنها لم تسمعه:

"دلوقتي بس قولي لما هدومها تقدم هتعمل إيه؟ هي عروسة جديدة وعندها لبس كفاية، طيب بعدين؟ طيب مكياجها؟ خلينا نكون واقعين يا إيهاب. حنين كان ممكن تاخد من أبوها عشرة آلاف جنيه تجيب بيهم طقم ولا طقمين، والشوز اللي بتلبسه الواحد سعره

أربعة أو خمسة آلاف. لما تطلب منك الحاجات دي هتعمل إيه؟ إنت عايش في حلاوة البدايات، هي لسه ما عندهاش طلبات. سنة أولى حب. طيب بلاش، لو خلفتوا فكرت في الوضع ده؟"

أغمض إيهاب عينيه، وشعر بوخز في صدره كأن الكلمات تخترق قلبه مباشرة.

كيف لم يفكر في هذا كله؟ كيف يمكن لشخص مثله أن يوفر لحنين حياة تستحقها؟ هل أخطأ حين أحبها؟

هل من المنطقي الهروب الآن؟ ماذا سيحدث لو جرى من أمامهم ولم يتوقف سوى بين ذراعيها فقط؟

لكنه حتى لم يعد يملك الشجاعة للنظر في عينيها.

لم يشعر باختفاء صابرين من أمامه ولا بعودتها مرة أخرى. انتبه فقط على يدها ممدودة له، فنظر ليدها ليجد كارت البنك. رفع عينيه مستفسرًا، فأجابته بسخرية:

"رحم الله امرئ عرف قدر نفسه. خد كارت البنك، الفلوس اللي فيه وراتبها هيعيشوكوا كويس. هيصرفوا على بيتك وإخواتك. مش هتحتاج تسهر للصبح ترسم ولا تلف على المحلات تشتغل ساعتين هنا وساعتين هناك. اتفضل."

ارتفعت نبضات قلبه، شعر وكأن صدره قد ضاق عليه تمامًا. شعر وكأن جبلًا قد جثم على أنفاسه، وهذا الجبل مصنوع من كلمات لاذعة، من وجع يكاد يسحقه.

أو ربما هو يتعرض لأزمة قلبية. فهذا الوجع ليس طبيعيًا أبدًا.

أخيرًا وجد صوته:

"أنا عايز أمشي... بعد إذنكم."

تحرك ليخرج، لكن صابرين أوقفته مجددًا:

"إقبل مساعدتنا طالما بتحبها ومش عايز تبعد عنها."

توقف للحظة، حاول أن يجد الكلمات لكنه لم يجد سوى وجعه المتزايد، ثم تحرك ليخرج. لكن عبدالقادر هو من أوقفه هذه المرة:

"لحظة يا إيهاب."

نظر إيهاب لوالد حبيبته بعينين تغيمان بدموع حبيسة تأبى الرحيل وتأبى النزول.

كان يحتاج لكلمة واحدة، لجملة تخبره أن كل شيء سيكون بخير، لكنه وجد بدلًا منها عيني حماه مليئتين بالقلق، وربما الشك.

أخيرًا نطق عبدالقادر بأسف:

"أنا عارف إنك بتحب حنين ومستعد تهد جبال علشان خاطرها، بس المرادي صابرين عندها حق. أنا بحبك وبحترمك، بس كمان بحب بنتي. اعتقد آن الأوان تسمحلي أساعدك." أخذ الكارت من يد زوجته وأضاف:

"خد كارت حنين، ولو ده مش هتقدر تقبله أنا مستعد أساعدك براتب شهري بدون ما حد يعرف غيرنا إحنا الثلاثة. سيبني أساعدك."

كان قلب إيهاب يصرخ، لكن الكلمات تخنقه. نعم، هو سيتعرض

لأزمة قلبية الآن أو سيتوقف قلبه عن النبض. رفع رأسه لحماه ونطق جملة واحدة:

"آسف، مش هقدر."

صاح عبدالقادر بغضب، وهو يرى رفض إيهاب:

"يا تقبل مساعدتي يا ترجع بنتي. إختار يا إيهاب! لكن تعيشها بالشكل ده مش هقبل. هتشتغل ليل ونهار، هتعيش إمتى معاها؟ هتاخدها إمتى في حضنك؟ هتديها إزاي أبسط حقوقها؟ إختار يا إيهاب: المساعدة ولا حنين؟"

تراجع إيهاب عدة خطوات للخلف، وكأن تلك الكلمات دفعت به إلى الهاوية. نطق بصعوبة:

"أنا لازم أمشي... بعد إذنكم."

خرج مسرعًا، لم يعد يستطيع سماع المزيد. ضاع صوت عبدالقادر وهو يكرر اختياراته، لكن إيهاب كان قد أغلق الباب خلفه.

"نزل السلم مسرعًا، وكأن كل خطوة تضغط على قلبه أكثر، خرج إلى الشارع حيث أخذ دراجته وتحرك بها بجنون، وكأنه يهرب من كل ما يحيطه. بعد فترة توقف على جانب الطريق، ترجل من دراجته ببطء وجلس على الرصيف، ممسكًا صدره بأنفاس متقطعة ووجع طاغٍ، كأن قلبه لم يعد يحتمل. رفع رأسه للسماء، عيناه تملؤهما الدموع، وهمس بصوت مختنق: 'يا رب... مش قادر'."

أخيرًا، تمكن إيهاب من الوقوف واستكمال طريقه نحو المنزل بعد أن اتخذ قراره بالابتعاد والاستيقاظ من حلمه الجميل الذي عاشه.

لم يكن يومًا يتخيل أنه قد يحب ويُحب، لكنه على الأقل تذوّق طعم الحب وعاشه، حتى لو لفترة وجيزة.

فتح إيهاب الباب بخطوات ثقيلة. كأن عبء العالم أجمع كان محمولًا على كتفيه. عيناه محمرتان من قلة النوم وكثرة التفكير. وقف للحظة عند المدخل، يتردد قبل الدخول إلى الغرفة حيث تنتظره حنين.

كانت جالسة على طرف السرير، يديها معقودتان معًا من التوتر، عيناها تراقب كل حركة منه. بمجرد أن رأته، شعرت أن هناك شيئًا كبيرًا يكاد ينهار فوقهما.

اقتربت بخطوات مترددة، لكنها مليئة بالقلق. مدت يدها لتلمس يده كأنها تحاول انتشاله مما يغرقه: "إيهاب، مالك؟ قولي إيه اللي حصل؟ إنت في حاجة وكبيرة حصلت ارجوك خليني معاك في اللي بيحصل، ما تقفلش كل حاجة في وشي بالشكل ده؟"

سحب يده ببطء، وكأنها أثقلت عليه مشاعره أكثر مما يحتمل، وجلس على طرف السرير دون أن ينظر إليها. أخذ نفسًا عميقًا، لكن كلماته خرجت بصعوبة: "حنين... أنا مبقتش قادر."

شعرت أن قلبها قد توقف للحظة، قبل أن تسأله بصوت مليء بالحذر والخوف: "مش قادر على إيه بالظبط، يا إيهاب؟"

وقف فجأة، بدأ يتحرك بعشوائية في الغرفة، يضع يديه على رأسه كمن يبحث عن مخرج: "أنا بحبك... بس الحب لوحده مش كفاية. أنتِ تستاهلي أكتر... أكتر بكتير من اللي أقدر أقدمه."

كلماته كسرت شيئًا داخلها. نظرت إليه بعيون ممتلئة بالدموع، اقتربت منه بخطوات حذرة: "بس أنا ما طلبتش أكتر، ومش عايزة أكتر. أنا مكتفية بيك، وباللي عيشاه معاك."

توقف عن الحركة فجأة، نظر إليها بعينين تملؤهما الدموع والغضب من نفسه: "بس أنا مش مكتفي! مش عايزك تعيشي حياة كلها تعب وشقى. أنا... أنا مش قد المسؤولية دي. الأفضل... الأفضل إنك تبعدي عني."

دموعها كانت تسقط بصمت، لكنها حاولت أن تكون قوية: "إيهاب، إزاي تقول كده؟ أنا اخترتك لأنك إنت... إنت اللي حسستني إني عايشة. إنت اللي رجعتلي روحي بعد كل اللي مريت بيه. إزاي تفكر بالطريقة دي؟"

أدار وجهه بعيدًا، وكأن مواجهة نظراتها تزيد من ألم روحه: "مبقتش قادر، مش قادر اشتغل اكتر من كده، مش قادر على الحياة دي، أنا بجري يا حنين، بجري من الصبح لـ...

سكت قليلا ثم أضاف بتهكم: بجري لتاني يوم الصبح، بطلت أنام، بطلت آكل، بطلت أعمل أي حاجة غير إني بشتغل ومش مكفي، مش مكفي البيت ولا مكفي مصاريف إخواتي ولا لاقي نفسي في الدوامة دي – نظر إليها بوجع ونظر لتلك السلسلة المعلقة في عنقها- إنتِ عارفة أنا اشتغلت قد إيه وسهرت قد إيه علشان أجيب السلسلة اللي في رقبتك دي؟

لمعت عينيه بالدموع فهو يدمرها بكلماته ولكن لابد من تنفيذ قراره: طيب عارفة هشتغل قد إيه علشان أكمل تمنها؟

بصوت مكسور، ردت وهي تخلع السلسلة بيدين مرتجفتين: "مش عايزاها... رجعها. أنا مش عايزة غيرك، يا إيهاب."

لكنه أدار وجهه عنها مرة أخرى، خنقته كلماته قبل أن ينطقها:

"وبعد ما أرجعها؟ هتحل مشاكلنا؟ دفعت مصاريف البيت والأكل والشرب؟ لا يا حنين. إنتِ حمل كبير على أكتافي. كنت فاكر إني أقدر أشيله، بس أنا مش قادر."

تراجعت خطوة للخلف، كلماته كانت كالسكين في قلبها. لكنه استمر، وكأنه يريد أن يقتل أي أمل لديها: "لو بتحبيني، امشي. ارجعي بيت أبوكِ. أنا... أنا مش قادر. واوعدك لما إخواتي يتخرجوا وأكون حر نفسي لو لسه عيزاني هنرجع لبعض لكن دلوقتي أنا مش قادر أنا تعبت سامحيني، القرار عندك، خليكي هنا وأنا هكمل شغل ليل مع نهار مع اللوحات اللي برسمها وراضي بشغلي ده، أو امشي واديني هدنة اتنفس لحد ما إخواتي يخلصوا وافوق شويه، إيا كان قرارك صدقيني هحترمه وهتقبله، بعد إذنك."

هذه المرة، لم تعد قادرة على الوقوف. سقطت على ركبتيها، دموعها تنهمر بلا توقف: "إزاي تقول كده؟ إزاي تطلب مني أسيبك وأنا شايفة وجعك ده؟ أنا مش هسيبك، يا إيهاب. لو الشغل تعبك، أنا معاك. لو الحياة ضيقت عليك، أنا ضهرك. إزاي تبعدني؟"

اقترب منها، لكنه لم يلمسها، صوته كان مليئًا بالوجع: "حنين، أنا بموت كل يوم. وبصراحة، مش عايزك تموتي معايا. أنا أخدت قراري، القرار دلوقتي عندك. سامحيني... بس أنا مش قادر أكمل."

تركها في الغرفة، وصعد إلى السطوح، حيث جلس على أريكته المتهالكة، يشعر أن كل شيء داخله قد تحطم. الهواء البارد يلفحه، لكنه لم يعد يشعر بشيء. قلبه ينبض، لكنه يعرف أن كل نبضة تحمل وجعًا لا يوصف.

جلس ينتظر... ينتظر قرارها الذي يعرفه جيدًا. هي تحبه، لكنها لن تقبل أن تعيش على أنقاض جسده المتهالك.

جلست حنين على طرف السرير، تحتضن وسادتها كأنها تحاول سحب القوة منها. كانت حقيبتها مفتوحة أمامها، وملابسها مبعثرة حولها. يديها المرتجفتان تحاولان جمع أشيائها، لكنها كانت تتوقف كل لحظة وكأنها تأمل أن يفتح إيهاب الباب ويوقفها عن الرحيل.

أخذت السلسلة التي أهداها لها، نظرت إليها بعينين غارقتين في الدموع، تذكرت كلماته الجارحة التي مزقت قلبها. وضعتها برفق على التسريحة، وكأنها تودع جزءًا من قلبها معها. تمتمت بصوت مخنوق:

"مكنتش عايزة حاجة غيره... بس هو اللي مش عايزني."

سحبت الحقيبة خلفها، خطواتها مثقلة وكأنها تسير على أشواك. عندما وصلت إلى غرفة المعيشة، وقفت قدرية أمامها، نظرتها مليئة بالتساؤل والدهشة:

"إيه اللي حصل يا حنين؟ ماشية كده ليه؟ هو إيهاب عملك حاجة؟"

حنين نظرت إليها، عيناها مليئتان بالدموع والقهر:

"اسألي ابنك يا طنط... يمكن هو يجاوبك."

تجاوزتها وهي بالكاد تستطيع السيطرة على مشاعرها، ونزلت السلم بصمت، بينما عينا قدرية تتابعها بصدمة.

حاولت هبة إيقافها لكن دون جدوى.

في السطوح، حيث كان إيهاب جالسًا على أريكته المتهالكة، يبدو وكأنه تمثال من الألم. عينيه تحدقان في الأفق، كأنه يحاول الهروب من واقعه. صعدت هبة بخطوات مترددة، ثم هتفت:

"إيهاب... حنين مشيت...."

لم يرفع إيهاب رأسه، لم يتحرك من مكانه، وكأن تلك الكلمات لم تكن مفاجئة له، بل شيء كان يتوقعه وينتظره. قال بهدوء، وكأنه يحدث نفسه أكثر مما يحدثها: "عارف... هي كانت لازم تمشي."

نزل إيهاب بصمت ثقيل، وكأن كل خطوة يخطوها تسحب من روحه قطعة. عندما وصل إلى منتصف الطريق، قابلته والدته قدرية، التي بدا عليها الفضول أكثر من أي وقت مضى. صوتها خرج مترددًا، لكنها لم تستطع إخفاء فضولها:

"إيه اللي حصل بينك وبين مراتك؟ ماشية كده ليه؟"

توقف فجأة، وكأن كلماتها كانت آخر ما يحتاجه لتحطيمه. رفع رأسه ببطء، نظراته كانت عاصفة من الوجع والقهر. صوته خرج مبحوحًا، كأنه يخرج من أعمق نقطة في روحه:

"مستغربة ليه يا أمه؟ مش ده اللي كنتِ بتخططيله إنتِ وابنك

طول الوقت؟ مش كنتوا عايزينها تمشي؟ إهي مشيت. مستغربة ليه بقى؟"

نظراته لم تكن غاضبة، بل كانت مليئة بالخذلان، كأنها تلومها على كل لحظة أسهمت فيها بتعذيبه. توقف لحظة، ثم أكمل بصوت أكثر انكسارًا:

"وقفي بقى مؤامرات إنتِ ومازن واهدوا عليا. عايزة مني حاجة؟ عايزة فلوس؟"

مد يده إلى جيبه، أخرج محفظته ووضعها بيدها بقوة، عينيه كانتا تغليان بدموع تأبى النزول أمامهم:

"خدي كل اللي فيها. مش عايز حاجة تاني لنفسي. هنرجع زي زمان، اللي هشتغل بيه هحطه بين إيديكِ، حوشيه، اصرفيه، اديه لمازن، جهزي هبة، اعملي ما بدالك، بس دلوقتي سيبوني لوحدي إذا سمحتوا."

أنهى كلماته وتركها، متسمرة في مكانها كأنها تلقت صفعة. صوت خطواته كان يملأ المكان وهو يتوجه لغرفته، يترك خلفه حطامًا من المشاعر.

وقفت قدرية مذهولة، صدمتها كلماته وعمق وجعه. لأول مرة، شعرت بوخز في قلبها لم تعرف سببه. يدها التي تحمل المحفظة ارتعشت، وعينيها بدأت تغرق بالدموع دون أن تدري.

اقتربت هبة منها، دموعها كانت تنهمر هي الأخرى، لكنها لم تفوت الفرصة لتعليق لاذع:

"إيه ده يا أمه؟ بجد بتعيطي؟ يعني بتحسي بإيهاب؟ ده إنتِ حاربتيه من أول لحظة قال فيها إنه هيتجوز. دلوقتي لما اتحقق اللي إنتِ عايزاه بتعيطي؟"

وضعت قدرية يدها على وجهها، ودموعها تسيل كأنها تحاول غسل كل خطأ اقترفته. شعرت أن كلمات هبة كانت كالمرآة، تعكس الحقيقة التي رفضت مواجهتها طوال الوقت.

دخل إيهاب غرفته ببطء، كأنه يسير على جمر من الندم. عينيه وقعتا مباشرة على السلسلة المعلّقة على التسريحة، تتلألأ في الضوء الباهت وكأنها تذكره بجريمته بحقها. اقترب منها ببطء، أمسكها بيد مرتعشة، وقلبه ينبض كأنه يتوسل النجاة. عينيه امتلأتا بالدموع، وكأن كل وجعه يفيض الآن بلا رادع.

جلس على طرف السرير، يحدق في السلسلة بين يديه. أصابعه تقبض عليها بقوة، وكأنها الشيء الوحيد الذي يربطه بها الآن. عينيه تفيض بالدموع، دمعة تسقط، ثم أخرى، وكأن سيلًا من الوجع يتدفق من قلبه.

صوته خرج مبحوحًا، يكاد يكون همسًا، لكنه كان يحمل كل ثقله وألمه:

"سامحيني يا حنين... أنا اللي كسرتك... أنا اللي كسرتنا."

رفع السلسلة إلى شفتيه، قبلها برفق وكأنها هي، كأنها حنين التي تركها وراءه. دموعه انهمرت بلا توقف، وكأنه يغسل بها كل لحظة ضعف وكل كلمة قاسية قالها.

ظل جالسًا هناك، يحتضن السلسلة وكأنها آخر بقاياها، بينما قلبه ينبض بألم يشبه سكاكين لا ترحم. كل وجعه، كل ندمه، كل أحلامه التي انهارت، تجمعت في تلك اللحظة. كان يشعر وكأن روحه تتكسر مع كل دمعة تسقط.

فتحت حنين الباب بصعوبة، وكأنها تجر قدميها إلى الداخل. وجهها كان شاحبًا، وعيناها منتفختان من كثرة البكاء. عبدالقادر كان جالسًا في الصالة، يتظاهر بالقراءة، لكن عينيه كانتا تنظران إلى الباب منذ ساعات، منتظرًا ما كان يخشاه.

عندما رآها تدخل بحقيبتها، شعر بثقل القرار الذي أجبر إيهاب عليه. نهض من مكانه بسرعة، وعندما اقترب منها، لم تنطق بكلمة. ألقت حقيبتها على الأرض وارتمت في حضنه، كطفلة تبحث عن أمان والدها.

احتضنها عبدالقادر بحنان، وصوته مليء بالوجع الذي حاول إخفاءه:

"حنين... يا حبيبتي... أنا معاكِ."

انفجرت بالبكاء في حضنه، كأنها تحاول أن تفرغ كل ما في قلبها من ألم:

"بابا... هو سابني... إيهاب سابني."

شعر عبدالقادر وكأن كلماتها خناجر تغوص في صدره. لم يقل شيئًا، بل شدد من احتضانها وكأنه يحاول حمايتها من العالم بأسره.

خرجت حور من غرفتها بعدما سمعت صوت أختها، واقتربت

بسرعة، وركعت بجانبها:

"حنين، إيه اللي حصل؟ إيهاب عمل إيه؟"

رفعت حنين رأسها بصعوبة، والدموع تغطي وجهها:

"هو قال لي أسيبه... قال لي أرجعلكم... مش عايزني يا حور."

علقت حور برفض:

"إيهاب ما يقولش كده يا حنين."

أكدت حنين بدموعها المنهمرة:

"قالي اختار يفضل يشتغل ليل ونهار وهيقدم روحه برضى أو أمشي واسيبه يتنفس لحد ما إخواته يخلصوا. قالي اختار بين روحي وروحه. قالي إني حمل تقيل مبقاش قادر يشيله. قالي أختار يا حور... وأنا اخترت."

نظرت حور لوالدها بدهشة وغضب مكبوت:

"بابا... اتكلم!"

عبدالقادر أغمض عينيه للحظة، ثم فتحهما ونظر لحور بنبرة هادئة ولكنها مكسورة:

"اسكتي يا حور دلوقتي... مش وقته الكلام. خلي أختك ترتاح ونتكلم بعدين."

دخلت حور برفقة أختها إلى غرفتها وجلست بجوارها إلى أن غفت حنين أخيرًا. خرجت بعدها لوالدها غاضبة:

"ليه سكت؟ ليه ما قلتلهاش إنك إنت اللي خيرته؟"

قاطعتها صابرين بحدة:

"اسكتي إنتِ يا حور لو سمحتي!"

رفضت حور الصمت وصاحت بغضب:

"لا مش هسكت! دمرتوها مرة بأمجد ودلوقتي بتدمروها هي وإيهاب؟ ليه؟ ما تسيبوهم يختاروا يعيشوا حياتهم بالشكل اللي يعجبهم؟ بابا؟"

رفع عبدالقادر رأسه بهدوء يواجهها، لكن في عينيه وجع لا تخطئه:

"حور... أنا كنت متخيل الحب لوحده كفاية. بس قوليلي انتِ، إيهاب بيشتغل من الصبح لحد المغرب. بيجري بعدها لمحل لبيب يشتغل كام ساعة، بيرجع بيته يرسم لوح للطلبة يبيعها ويسهر لحد الفجر. مش ده اللي أختك قالته؟ قوليلي برأيك، هل دي حياة؟ هيقدر يواصل لحد إمتى؟"

صاحت حور بمكابرة:

"هو حر طالما قادر!"

ابتسم عبدالقادر بوجع:

"هيقع يا بنتي من طوله وهينهار. محدش بيقدر يشتغل 24 ساعة في الـ24 ساعة. جسمه هينهار. حتى لو هو قادر، بس لحد إمتى؟ فكري بعقلك شوية مع قلبك. سبق وقلتلك: القلب لوحده لأ... والعقل لوحده لأ. طلبت أساعده وهو رفض. ده قراره واختياره... وده قرار

أختك كمان. خليهم يتنفسوا يا بنتي."

تراجعت حور، عيناها تلمعان بالدموع. لأول مرة شعرت أنها قد تكون مخطئة، لكن قلبها ما زال يرفض تصديق أن إيهاب وحنين لا يمكنهما التغلب على كل شيء.

في منزل أميرة وأحمد

كانت أميرة تجلس بجوار أحمد، تراقبه وهو منهمك في قراءة بعض الأوراق. ترددت للحظة، ثم نهضت لتجلب علبة صغيرة من الغرفة. عادت وجلست بجانبه، تمد العلبة إليه بابتسامة غامضة.

نظر أحمد إليها باستغراب:

"إيه ده؟ هدية؟ في مناسبة؟"

هزت أميرة رأسها بخجل:

"افتحها وهتفهم."

فتح أحمد العلبة ببطء، ليجد بداخلها زوجًا صغيرًا من لكلوك الأطفال. رفعه بين يديه، ينظر إليه بحيرة:

"ده... لكلوك؟ للأطفال؟ أيوه طيب... إيه ده بقى؟"

ابتسمت أميرة وهي تحاول كتم ضحكتها:

"حاول تفكر شوية، لكلوك طفل... يعني؟"

حرك أحمد رأسه ببطء، محاولًا أن يستوعب، ثم قال بتردد:

"يعني إيه؟ جاياه علشان هدية لحد؟ ولا إيه؟"

ضحكت أميرة بخفة، ووضعت يدها على يده:

"لا يا أحمد، مش لحد... ده... ده لينا إحنا."

صمت للحظة، ينظر إلى لكلوك الصغير، ثم إلى أميرة بعينين متسعتين:

"لينا إحنا إزاي يعني؟

كررت بضحك:

" قولي إنت بقى إزاي؟

ردد بحيرة:

"تقصدي يعني.... يعني... أنا وإنتِ؟ يعني أنا هبقى أب؟"

أومأت أميرة بحماس، ودموع الفرح تغمر عينيها:

"أيوه يا أحمد... هتكون أب."

نظر أحمد إلى اللكلوك مرة أخرى وكأنه أغلى شيء في العالم، ثم رفعه ببطء قائلاً بدهشة:

"يعني ده... مش مجرد لكلوك... ده إعلان رسمي إننا هنجيب طفل؟"

ضحكت أميرة ووضعت يدها على وجهه بحنان:

"أيوه، يا عبقري! ده إعلان رسمي."

أمسك أحمد بكلتا يديه لكلوك الطفل واحتضنهما وكأنهما كنز:

"مش مصدق... أنا هبقى أب! أميرة، أنا هبقى أب!"

احتضنها بحب و بصوت متهدج:

"إنتِ أغلى نعمة ربنا بعتهالي."

ضحكت أميرة وسط دموعها ومازحته بحب:

"يبقى تستعد، لأنك هتشارك في كل حاجة، البامبرز والليل الطويل وكل حاجة."

ضحك أحمد بصوت عالٍ، وبكل ثقة:

"أنا مستعد لكل حاجة... حتى أتعلم أعمل لكلوك زي ده!"

ضحكا واحتضنا بعضهما، وكانت السعادة تغمر المكان كأنهما في عالمهما الخاص.

كان معتز جالسًا في الصيدلية، يتصفح هاتفه بملل، بينما كانت نورا تقف خلف المنضدة، ترتب الأدوية بعشوائية.

بصوت عالٍ، قالت وهي تمسك زجاجة دواء:

"دكتور معتز، الزجاجة دي مكتوب عليها تستخدم بحذر، إيه المقصود؟ بحذر يعني أديها للمريض وأقول له خلي بالك؟"

ضحك معتز دون أن يرفع عينيه من هاتفه:

"لا، يعني متدهاش لحد زيك، لأنك ممكن تكسريها قبل ما توصل للمريض."

نورا رفعت حاجبيها بغضب مصطنع، وضربته بخفة على ذراعه

بزجاجة الدواء:

"يا دكتور، كفاية هزار! أنا بسأل بجد!"

ابتسم معتز وهو يأخذ الزجاجة من يدها:

"بحذر يعني لازم يستخدمها المريض بجرعات معينة، ولو زادت الجرعة ممكن يحصل مشاكل."

نظرت إليه بتركيز وكأنها تستوعب كلامه، ثم قالت فجأة:

"وأنا كمان لازم أتعامل معاك بحذر. جرعة معتز اليومية الزايدة ممكن تسبب صداع دائم."

ضحك بصوت عالٍ، ثم قال بمزاح:

"آه، واضح إنك لقيتِ

المفتاح بتاعي! بس برضه، الصداع معايا ممتع، أهو بيغير جو."

تظاهرت نورا بالتفكير:

"ممتع؟ لا يا دكتور، الصداع اللي معاك بيحتاج مسكن أقوى من اللي بنبيعه هنا."

نظر إليها بابتسامة خفيفة، ثم قال بجدية نادرة:

"بس برغم كل ده، وجودك هنا بيفرفش الجو. أنا كنت فاكر إن الصيدلية دي هتبقى هادية وملل، بس اتضح إنها كوميديا من ساعة ما جيتي."

ابتسمت نورا بخجل للمرة الأولى، ثم تابعت ترتيب الأدوية، لكنها

لم تستطع منع نفسها من الابتسام.

الصباح الباكر...

وقف إيهاب أمام بيت حنين، متهالكًا كأن حمل العالم كله فوق كتفيه. لم يكن قادرًا على الصعود لمواجهتها، ولا على التراجع والمغادرة. تردد للحظات بين الهرب والبقاء، لكن قلبه رفض الرحيل.

ظل واقفًا في مكانه، ينتظر حتى رآها أخيرًا تظهر كالشمس الحزينة. تلاقت عيناهما، وقلبها دق بعنف، تتساءل داخليًا: هل سيخبرني أن أعود؟ هل سيعيدني لحضنه وقلبه؟ هل سيعترف بليلته التي لم يغمض فيها جفن؟ هل سيطلب أن نكمل الطريق معًا مهما كانت الصعاب؟

وقفت حنين أمامه تنتظر، كأن كلمات حبه يمكن أن تعيد لقلبها نبضاته التي فقدتها. نظر إليها إيهاب، وعيناه تحملان ألف كلمة، لكنه لم ينطق بشيء. تمنى لو يمد يده يلمس وجهها مرة أخيرة، يقبل شفتيها، يهدئ روع قلبه الملتاع، لكن الصمت كان سيد الموقف.

مد يده فجأة، ليظهر السلسلة التي تحمل اسمهما، اسمين ارتبطا سويًا بتناغم هو فقط القادر على صياغته بتلك الطريقة. تصميم مميز يحمل حروفهما متشابكة كأنهما قلب واحد. تفاجأت حنين بالسلسلة، نظرت إليها بحيرة ثم رفعت عينيها لعينيه، تبحث عن تفسير.

تحدث أخيرًا، صوته بالكاد يخرج:

"ينفع تخليها معاكِ؟"

رفعت عينين محملتين بالعتاب واللوم، وقالت بصوت مليء بالوجع:

"ليه؟ ما تروح ترجعها. إنت عارف هتفضل قد إيه تدفع في تمنها؟"

ابتسم إيهاب بوجع، كأنه يتذكر تلك الكلمات التي أطلقها دون تفكير. قال بحزن:

"علشان خاطري... خليها معاكِ."

نظرت إليه برفض، عيناها تفيض بألم غائر:

"ليه؟ علشان تفكرني إني دايمًا كنت حمل تقيل على قلبك؟"

أمسك يدها بسرعة، قاطعها بصوت خافت وموجوع:

"أرجوكِ... بلاش. خديها وبلاش تشوهيها."

ردت هي بوجع أعظم:

"إنت اللي شوهت... مش أنا."

عم الصمت بينهما للحظات، كأن الزمن توقف، وكأن الكون بأسره ينظر إليهما. ثم نطقت هي، بصوت يحاول أن يجد مخرجًا لكل هذا الألم:

"هآخدها... بس بشرط."

نظر إليها بأمل ينتعش في داخله:

"قولي..."

ابتسمت بوجع، كأنها تسدد له سهمًا في قلبه:

"ادفع تمنها."

نظر إليها مصدومًا، كأنها قالت ما لا يمكن تصوره. وضع يده على قلبه الذي يكاد يتوقف، وقال بصوت مخنوق:

"فجأة... الحياة كلها بقت فلوس وبس."

لاحظت حنين يده المرتعشة على قلبه، دموعه التي يجاهد لمنعها، عينيه المتوسلتين التي تحاول التمسك بها ولو للحظة إضافية. لكنه أكمل بصوت منكسر:

"هتاخديها يا حنين؟ ولا أخليها معايا؟ وأرجوكِ... بلاش توجعيني. أنا والله موجوع من الكون كله، بلاش إنتِ كمان."

ودت لو تصرخ به، لو تخبره أنه هو من أوجعهما معًا، أنه هو من إختار هذا الطريق. لكن دون أن تنطق حرفًا، جذبت السلسلة من يده، واستدارت لتكمل طريقها.

تركها إيهاب تبتعد، وعيناه تراقبانها وهي تختفي شيئًا فشيئًا. مسحت دموعها وهي تبتعد، بينما هو ابتسم بسخرية موجوعة، كأنه يودع أحلامه الأخيرة، ووقف مكانه، كتمثال نُحت من الألم.

كان زهير في مكتبه يتصفح بعض التقارير عندما طرق الباب ودخل عاطف مراد، النائب السابق للفرع وصديقه. ابتسم زهير ونهض مرحبًا:

"أستاذ عاطف! إيه النور ده؟"

صافحه عاطف بحرارة وجلس:

"قلت أعدي أسلم عليك وأشوف أخبارك بعد ما استلمت الفرع. ما شاء الله، النشاط واضح هنا."

ابتسم زهير بتواضع:

"الحمد لله، الأمور ماشية، بس لسه في حاجات عايزين ننجزها."

بينما كانا يتحدثان، انفتح الباب فجأة، ودخلت سارة تحمل بعض الملفات. توقفت عندما رأت عاطف، نظرت نحو زهير بتردد:

"آسفة، ما كنتش أعرف إنك مشغول."

أشار لها زهير بالدخول:

"تعالي، لو في حاجة ضرورية."

لكن سارة تراجعت بسرعة:

"مش مستعجلة، هرجع بعدين."

خرجت وأغلقت الباب خلفها، لكن عاطف ظل يراقبها بنظرة عميقة. بعدها التفت إلى زهير و بنبرة جادة:

"سارة؟ هي لسه موجودة هنا؟"

شعر زهير بنبرة التحذير في صوته فسأله بهدوء:

"أيوة، مالها؟"

عاطف تنهد:

"افتكرت حاجة لما شوفتها. تعرف إنها كانت متورطة مع حد هنا؟"

"قلت أعدي أسلم عليك وأشوف أخبارك بعد ما استلمت الفرع. ما شاء الله، النشاط واضح هنا."

ابتسم زهير بتواضع:

"الحمد لله، الأمور ماشية، بس لسه في حاجات عايزين ننجزها."

بينما كانا يتحدثان، انفتح الباب فجأة، ودخلت سارة تحمل بعض الملفات. توقفت عندما رأت عاطف، نظرت نحو زهير بتردد:

"آسفة، ما كنتش أعرف إنك مشغول."

أشار لها زهير بالدخول:

"تعالي، لو في حاجة ضرورية."

لكن سارة تراجعت بسرعة:

"مش مستعجلة، هرجع بعدين."

خرجت وأغلقت الباب خلفها، لكن عاطف ظل يراقبها بنظرة عميقة. بعدها التفت إلى زهير و بنبرة جادة:

"سارة؟ هي لسه موجودة هنا؟"

شعر زهير بنبرة التحذير في صوته فسأله بهدوء:

"أيوة، مالها؟"

عاطف تنهد:

"افتكرت حاجة لما شوفتها. تعرف إنها كانت متورطة مع حد هنا؟"

زهير شعر بتوتر داخلي لكنه أخفى انزعاجه:

"حد مين؟ ومتورطة في إيه؟"

أجابه عاطف بعد تفكير:

"هشام، أكيد تعرفه، الموظف اللي شاطر في التعامل مع العملاء، هشام الصاوي "

أومأ زهير برأسه وهو يسترجع ذكرياته عن هشام:

"أعرفه. المهم، متورطين إزاي؟ مش هشام ده متجوز ومخلف؟"

ابتسم عاطف بسخرية خفيفة:

"ما هو محدش كان يعرف إنه متجوز، كان مخبي الموضوع علشان يلعب على البنات براحته. وسارة كانت واحدة من ضحاياه. هي شافته فرصة كويسة، وهو شافها نفس الشيء. الاتنين كانوا بيلعبوا لعبة خطيرة."

ازدادت دهشة زهير وهو يستمع، فسأله:

"وبعدين؟ إيه اللي حصل؟"

عاطف أكمل بصوت خافت:

"سارة كانت بتدي انطباع إنها من عيلة كبيرة وغنية، لكن الحقيقة إنها كانت بتحاول تصطاد عريس غني. هشام استغل ده، ولما مراته هدير عرفت، جت البنك بنفسها وعملت خناقة قدام الموظفين والعملاء."

زهير صُدم وسأل باستغراب:

"مراته جت هنا؟ طيب وسارة بررت إزاي ولا هشام كمل إزاي بعدها مع مراته؟؟"

ضحك عاطف بمرارة:

"الله أعلم إزاي هشام خرّج نفسه من الورطة. أما سارة، فبررت إنها ما كانتش تعرف إنه متجوز. بعدها بفترة قصيرة، والدها أجبرها تتجوز راجل كبير في السن علشان يلم الموضوع. معرفش هي لسه متجوزاه ولا لأ؟ولا انفصلت واصطادت غيره؟"

زهير شعر وكأن الأرض تهتز تحت قدميه، وكأن كل مشاعر الحب والثقة التي منحها لسارة تحولت فجأة إلى طعنات خفية تمزق قلبه بهدوء قاتل.

انتبه على وقوف عاطف الذي قال:

"طيب، هسيبك دلوقتي. نتقابل قريب إن شاء الله."

غادر عاطف المكتب، تاركًا زهير جالسًا في مكانه، عيناه شاخصتان نحو اللاشيء. الكلمات التي سمعها كانت كأنها قيود تثبته في مقعده، عاجزًا عن النطق أو اتخاذ أي خطوة.

منزل زهير وسارة، مساءً

زهير عاد إلى البيت متأخرًا عن المعتاد. فتح الباب بهدوء، كان يبدو عليه التعب، لكنه في الحقيقة كان يحاول إخفاء غضبه واستيائه الذي غلى بداخله طوال اليوم.

سارة كانت تنتظره في غرفة المعيشة، جالسة على الأريكة برفقة والدتها. عندما دخل، ابتسمت بتردد:

"اتأخرت ليه؟ كنت قلقانة عليك."

نظر إليها ببرود، ثم ألقى السلام على والدتها باقتضاب دون أن يرد على سؤالها. توجه مباشرة إلى غرفته، مما جعل القلق يتسلل إلى قلب سارة.

تبادلت سارة ووالدتها نظرات قلقه، فهتفت ابتسام وهي تهمس:

"قومي شوفيه ماله؟"

نهضت سارة وتبعته بخطوات مترددة. عندما دخلت الغرفة، وجدته واقفًا عند النافذة، ظهره نحوها، وصمت ثقيل يسيطر على الأجواء.

"زهير، في حاجة؟ شكلك مش طبيعي."

أدار رأسه ببطء، نظر إليها بعينين غارقتين في الغضب والخذلان:

"إيه اللي ممكن يبقى مش طبيعي؟ إحنا تمام، مش كده؟"

كلماته كانت حادة، لكنها مغطاة بهدوء مخيف. شعرت سارة بشيء غريب في نبرته، لكنها حاولت أن تخفف التوتر:

"أكيد تمام. بس حاسة إن في حاجة مضايقاك، حصل حاجة في الشغل؟"

اقترب منها، وقف أمامها بثبات، لكن صوته كان بارداً كالصقيع:

"أنا اللي المفروض أسأل، مش كده؟ حصل حاجة في الشغل؟ حصل حاجة في حياتك عايزة تقوليها؟"

أعطاها فرصة أخيرة كي تعترف بنفسها، لكنها رفعت حاجبيها بدهشة مصطنعة:

"قصدك إيه؟ أنا مش فاهمة."

اقترب أكثر، وعيناه كالسكاكين تخترقانها:

"مش فاهمة؟ سارة، أنا اتعلمت في حياتي إن الثقة مش حاجة سهلة، وإن لو بنيت علاقة على كذب، بتنهار من أول ريح. مش كده؟"

بدأت تتراجع بخطوات صغيرة، تحاول السيطرة على أعصابها، هل من الممكن أنه سمع عن ماضيها من النائب السابق؟ هل سيقع ما كانت تخشاه والدتها دائمًا تحذرها منه؟

"زهير، إيه اللي مزعلك؟ لو في حاجة، قولي بصراحة بدل الألغاز."

رفع يده وكأنه يوقفها:

"بلاش ألغاز؟ تمام. خلينا واضحين... هشام الصاوي. تعرفيه؟"

تجمدت في مكانها، وشعرت أن الهواء قد تجمد حولها. حاولت السيطرة على وجهها، لكن عينيها فضحتا كل شيء.

"هشام؟ آه... موظف معانا في البنك، شاطر جدًا."

ضحك زهير بسخرية مريرة:

"شاطر جدًا؟ عظيم! تعرفي كمان إنه كان جزء من حياة مراتي قبل ما تبقي مرات زهير عبدالكريم؟"

تراجعت سارة عدة خطوات للخلف بينما اقترب منها بخطوات ثابتة، مشيرًا بإصبعه نحوها:

"ما تمثليش البراءة عليّ يا سارة. هشام... هدير... والفضيحة اللي حصلت في البنك! عايز أعرف الحقيقة كلها، دلوقتي حالًا!"

شحب وجهها، تراجعت خطوة للوراء، تحاول استيعاب حجم الكارثة.

"مين قالك الكلام ده؟ ده كلام ناس حاقدين... عايزين يدمروني..."

قاطعها بصوت أعلى، يكاد يزلزل الغرفة:

"ما تكدبيش عليّ لو سمحتِ. الحقيقة حالاً يا سارة."

صمتت للحظة، ثم حاولت الدفاع عن نفسها:

"زهير، أنا... الموضوع ده قديم جدًا، ومكنتش أعرف إنه متجوز. كنت صغيرة وساذجة، وهو خدعني!"

صوته ارتفع لأول مرة:

"كنتِ صغيرة وساذجة؟ وساعتها قررتِ تلعبي على عريس غني زي ما كنتِ بتلعبي عليّ؟ إيه، كنتِ شايفة فيا صيد مناسب برضه؟"

دموعها بدأت تسقط، لكنها حاولت الاقتراب منه:

"زهير، أرجوك... أنا مكنتش أقصد أذيك، وأنا اتغيرت، أنا بحبك."

تراجع خطوة،و نظراته مليئة بالخذلان:

"حب؟ بتحبيني؟ وأنا لازم أصدق ده بعد كل حاجة سمعتها؟ محتاج أسمع منك كل حاجة بالتفصيل، وثقي تمامًا لو كذبتي في حرف، هتكون النهاية بيننا."

جلس على الكرسي أمامها، مائلًا بجسده نحوها:

"احكي... وبكل تفصيلة."

لم تستطع الصمود أكثر، فجلست بانهيار على الأرض، تحاول جمع شتات أفكارها. بصوت مكسور، بدأت تسرد قصتها مع هشام، تفاصيل خداعه لها، إلى أن تسبب في زواجها من لمعي. أنهت كلامها:

"أقسم بالله دي كل حاجة حصلت. بعدها أنت شوفت بنفسك معاملة لمعي ليّا. أنا غلطت ودفعت تمن غلطي بالكامل يا زهير، أقسم بالله دفعته وكتير كمان، وطول عمري بدفعه ولحد دلوقتي بدفعه."

انهمرت دموعها كثيرًا تغرق وجهها. كانت تحاول التمسك به، لكن قلبه كان ينغلق تدريجيًا. أخيرًا، وضع يده على الباب، ونظر إليها نظرة أخيرة:

"أنا محتاج وقت أفكر... لوحدي. خدي وقتك كمان وفكري إحنا هنكمل إزاي؟"

تركها واقفة، عاجزة عن الرد، وخرج مغلقًا الباب خلفه بقوة، وكأن صدى الباب يعكس كل الانهيار الذي وقع في داخلهما.

دخلت والدتها ابتسام تلومها:

"أهو ده بالظبط اللي كنت خايفة منه. قلتلك مسيره هيعرف، قلتلك حد هيقوله، قلتلك قوليله واتحايلت عليكِ وبوست إيدك تحكيله. كان هيعرف يرد عنك، كان هيوقف أي حد يتكلم بدل ما يسمع كله. آه منك يا سارة... آه. هنعمل إيه دلوقتي؟"

لكن سارة كانت عاجزة عن الرد، عيناها مثبتتان على الباب الذي أغلقه زهير بقوة، وكأن كل شيء انهار خلفه. قلبها ينبض بعنف، وكأن كل نبضة تهمس لها بفقدان لا يمكن تعويضه. شعرت بجسدها يرتجف، ويدها تمتد بتردد نحو الباب، لكنها توقفت في منتصف الطريق.

كأنها تنتظر أن يعود، أن يفتح الباب مرة أخرى، أن يصرخ بها أو حتى يواجهها بغضبه مجددًا. أي شيء، سوى هذا الصمت الذي يخنقها. لكن كل ثانية تمر كانت تثبت لها أن الأمل يتلاشى، وأن زهير الذي أحبته ربما قد رحل عنها معنويًا، إن لم يكن جسديًا بعد.

دموعها انهمرت بغزارة، وبدأت تتحرك في الغرفة بلا وعي، كأنها تبحث عن مخرج من هذا الكابوس. صوت والدتها كان يصلها، لكنه بدا بعيدًا، وكأنها في عالم آخر، عالم مملوء بالخوف من المستقبل، والرعب من خسارته.

"زهير، أرجوك... متسبنيش،" همست لنفسها بصوت مختنق، وكأنها تحاول استدعاءه بقوة مشاعرها. لكن الصدى الوحيد الذي سمعته هو صدى صمت المنزل الثقيل، الذي زاد من شعورها بالوحدة والخوف القاتل من أن يكون هذا هو الفصل الأخير بينهما.

***

11

كان الليل هادئًا إلا من صوت دقات الساعة البطيئة، وإيهاب جالس في غرفته التي أصبحت فارغة من روحها بعد رحيل حنين. قلبه مثقل بالوجع والاشتياق، عيناه تتنقلان بين الأركان التي كانت تملؤها بضحكاتها ووجودها.

على الطاولة، كانت هناك بعض الأشياء التي تركتها خلفها؛ دفتر صغير، علبة مجوهرات فارغة، وعدد من صور تجمعهما. أمسك إحدى الصور، صورة من يوم زفافهما، تأمل ابتسامتها الباهتة التي لم تتخطى شفتيها.

بينما كان يبحث عن شيء يعيد إليه ذكرياتها، لفت انتباهه الصندوق الخشبي هدية والدها وضعته في زاوية الغرفة. تذكر تلك الفكرة التي خطرت بباله يوم عيد ميلادها، تقدم نحوه ببطء، وكأن شيئًا داخله يهمس له بفتحه. رفع الغطاء، وجد صور حنين منذ طفولتها وحتى شبابها. صورها وهي طفلة صغيرة في حضن والدها، وأخرى وهي تحتفل بعيد ميلادها، وأخرى في يوم تخرجها.

ابتسم بحنينٍ وألمٍ في آنٍ واحد، ثم تذكر ماقال عبدالقادر عندما قدم لها الألبوم يوم عيد ميلادها: "كل صورة هنا هي قصة صغيرة من حياتك، لكن القصة ما زالت مستمرة."

اكتملت الفكرة في ذهنه، فكرة تجسد حبه وشوقه لها. قرر أن يصنع لوحة فنية مستوحاة من هذه الصور، تجمع كل مراحل حياتها، ولكنه سيترك مساحة فارغة في اللوحة. مساحة لصورتهما معًا

عندما تعود إليه، كما كان يحلم دائمًا.

جلس على الطاولة، وأخرج أدوات الرسم التي أصبحت ملاذه الوحيد. بدأ بتخطيط اللوحة، ورسم حنين وهي طفلة، ثم شابة، ثم في اللحظات السعيدة التي جمعتهما معًا. دموعه كانت تسقط دون أن يشعر، وكأن كل خط يرسمه يخفف قليلاً من وجعه.

" اللوحة دي هتكون حكايتنا،" قالها لنفسه وبصوت مبحوح. " وعد مني ليها... إننا هنكمل الحكاية."

ظل يعمل على اللوحة طوال الليل، وكأنه يسكب كل حبه وألمه في كل تفصيلة صغيرة. وكلما اقترب من الانتهاء، ازداد شوقه لرؤيتها، وللحظة التي سيقدم لها فيها هذه الهدية، ويرى ابتسامتها التي تضيء عالمه مجددًا.

كانت هدير تجلس في غرفتها، والظلام يحيط بها كأنه يشاركها أوجاعها. تذكرت آخر مرة تحدثت فيها مع أخيها عمرو، وكيف انتهى حوارهم بشجار شديد لأنه رفض صلحها مع هشام، لكنها أصرت على موقفها.

"أنا مش جاي تاني يا هدير. لما تفتحي عينيكِ وتفوقي، هتلاقيني موجود. لكن طول ما انتِ بتدافعي عنه، اعتبريني مش موجود."

ترددت كلماته في عقلها كطعنة متكررة، شعرت بالخجل من نفسها. لكن الآن، كل شيء كان مختلفًا. الشكوك تتكاثر في رأسها كالأشواك، تؤلمها وتدفعها للبحث عن الحقيقة بنفسها.

أمسكت بهاتفها، وبدأت تبحث عن اسم "إيمي" على مواقع

التواصل الاجتماعي وصفحات النوادي الليلية. كانت تتبع خيوطًا صغيرة، تضيف إلى بحثها كلمة "راقصة" والصورة التي أرسلتها الموظفة في محل الملابس. بعد ساعات طويلة من البحث المتعب، وجدت ما كانت تبحث عنه: إعلان عن حفلة في كباريه شهير، مرفقًا بعنوان واضح.

ارتدت ملابسها بسرعة، وغادرت المنزل بخطوات ثقيلة، لكنها مصممة. أول خطوة كانت أخذ زيد، ابنها الصغير، إلى والدتها. وقفت أمام باب منزل والدتها، وطرقت بخفة.

"إيه يا هدير؟ مالك؟ شكلك مش طبيعي."

قالتها والدتها بقلق وهي تحمل زيد بين ذراعيها.

"هسيب زيد معاكِ شوية، عندي حاجة ضرورية لازم أخلصها."

ردت هدير بسرعة، محاولةً تجنب المزيد من الأسئلة.

"حاجة إيه؟ إنتِ كويسة؟"

ابتسمت ابتسامة متوترة:

"أنا كويسة، بس محتاجة أخلص حاجة ضروري. خليكِ معاه، مش هتأخر."

قبلت رأس ابنها وخرجت، وهي تشعر بثقل العالم على كتفيها. أمسكت بهاتفها وأعادت فتح العنوان الذي حصلت عليه أثناء بحثها عن إيمي. قررت مواجهة الحقيقة، مهما كانت قاسية.

وصلت هدير إلى الكباريه، الأضواء والضجيج جعلوها تشعر وكأنها

تخطو إلى عالم غريب عنها تمامًا. بعد لحظات من التردد، دخلت ورأت إيمي في زاوية مع مجموعة من الأشخاص، بينهم هشام. كان يضحك بحرارة، يضع يده على ظهرها بجرأة. شعرت هدير بالدماء تغلي في عروقها، لكنها تماسكت.

انتظرت بصمت، تراقبهما وهما يغادران الكباريه معًا. استقلت سيارتها هي الأخرى ولحقت بهما حتى وصلا إلى بناية قريبة من عمل زوجها في شارع جانبي. لم تطاوعها قدماها على اللحاق بهما على الفور، ربما دعت الله أن يصعد معها هشام للأعلى ليوصلها فقط لباب شقتها ثم ينصرف. هي تعلم أنه يسهر برفقة نساء، ولكنها ظنت أن له خطوطًا حمراء لا يتخطاها أبدًا. فهو لن يلمس امرأة غيرها، لن يخونها بتلك البشاعة... أم هذا ما تمنته.

أخيرًا استجمعت قوتها ونزلت من سيارتها ليوقفها البواب:

"على فين يا هانم؟"

أخرجت ورقة مالية وضعتها بيده:

"لإيمي، هي أي شقة لو سمحت؟"

ابتسم وهو يضع المال بجيبه:

"الثالث يا هانم، الشقة اللي جنب السلم على طول."

أخيرًا وصلت أمام الباب. وقفت مترددة، قلبها ينبض بعنف. وضعت يدها على بطنها، تطمئن صغيرها: هنلاقيه قاعد ومش بيعمل حاجة حرام.

طرقت الباب بقوة، وانتظرت بصبر مشوب بالغضب حتى فتحت وفاء، الشغالة.

"مين حضرتك؟ وعايزة إيه؟"

قالت وفاء بنبرة مشوشة.

أجابت هدير بحزم، ناظرة لعينيها مباشرة:

"أنا مرات هشام. جوزي جوه مع اللي بتشتغلي عندها. افتحي الباب حالًا."

وفاء حاولت منعها:

"مش هينفع، أنا بخدم هنا وبس."

هدير، دون تردد، أخرجت حزمة من المال:

"افتحي الباب. دلوقتي."

ترددت وفاء للحظة، لكنها فتحت الباب تحت ضغط هدير.

تقدمت هدير بخطوات ثابتة، قلبها يخفق بعنف، لكنها رفضت التراجع. كانت تسمع الضحكات المكتومة من غرفة النوم، كأنها سهام تخترق قلبها. فتحت الباب ببطء، لترى هشام عاريًا بجانب إيمي. كلاهما كان غارقًا في الضحك، متجاهلين العالم حولهما.

عندما التفت هشام ورآها، اتسعت عيناه بصدمة:

"هدير؟ إنتِ بتعملي إيه هنا؟"

نظرت هدير إلى هشام، عيناها تحملان مزيجًا من الألم والخذلان

والغضب المكتوم. لحظات مرت كأنها دهر، بينما هشام لم يجرؤ على الحركة، وكأن كلمات التبرير علقت في حلقه.

"هدير، اسمعيني... ده مش..."

قاطعته بإيماءة صغيرة من يدها، كأنها تسكته دون حاجة إلى الكلمات.

نظرت إلى إيمي، التي بدت وكأنها تحاول أن تخفي توترها بابتسامة مصطنعة. هدير لم تعرها أي اهتمام. عيناها عادت لتثبت على هشام، وكأنها تقول: "انتهى كل شيء."

استدارت بخطوات ثابتة، لكنها ثقيلة كأنها تحمل على كتفيها جبلاً من الخيبة. صوت الباب وهو يُغلق خلفها كان كصدى لقرارها: النهاية.

ارتبك هشام بشدة عندما رأى هدير تغادر الشقة بخطوات متسارعة. ارتدى ملابسه بسرعة وهو يرتجف، يحاول استيعاب الكارثة التي وقعت. مشاعر متداخلة من الخوف والذنب اجتاحته. كيف وصل إلى هذا؟ كيف سمح لنفسه أن يخونها؟ كانت صور هدير، ووجهها المصدوم وعينيها المحطمتين، تلاحقه كأنها كابوس لا يمكن الهروب منه.

أمسك هاتفه، محاولًا الاتصال بها، لكن يده كانت ترتعش.

"هدير، ما تردي عليا... أرجوكي! أنا غلطت... بس لازم أشرحلك."

لكن هاتفها كان مغلقًا، مما زاد من شعوره بالعجز.

في السيارة:

كانت هدير تقود سيارتها بلا وعي تقريبًا، عيناها غارقتان في الدموع وصورة هشام عاريًا بجانب إيمي لم تفارق مخيلتها.

"إزاي؟... إزاي تعمل فيا كده؟"

صوتها كان مشوشًا، بالكاد تسمع نفسها وسط العاصفة التي تدور داخلها.

الطريق أمامها كان ضبابيًا، لم تعد ترى بوضوح. يدها تضغط على عجلة القيادة بقوة، وعيناها تغمضان بين الحين والآخر كأنها تحاول الهروب من الواقع.

بينما كانت تقود بسرعة جنونية، فقدت السيطرة على السيارة عند أحد المنعطفات الحادة. انحرفت السيارة واصطدمت بالحاجز، ثم تقلبت عدة مرات قبل أن تستقر على جانب الطريق.

داخل السيارة، كانت هدير غائبة عن الوعي تقريبًا، وجهها ينزف، وهاتفها ملقى بجانبها. تحركت بصعوبة، تشعر بألم شديد في جسدها. بيد مرتجفة، التقطت هاتفها، وفتحت قائمة الاتصال لتضغط على اسم "عمرو". صوتها خرج ضعيفًا ومقطوعًا:

"عمرو... الحقني... أنا... أنا......"

قبل أن تكمل جملتها، أغمي عليها تمامًا، تاركة كل شيء للقدر.

كان الطريق مظلمًا وصوت الحادث يتردد في أرجاء المنطقة، حيث تجمّع الناس حول السيارة المقلوبة. بعضهم يحاول فتح الباب، وآخرون يتصلون بالإسعاف.

"في حد جوه!" صرخ أحدهم، واقترب آخر ليحاول فتح الباب. استطاع أحد الرجال كسر الزجاج وسحب هدير من السيارة برفق، بينما رأسها ينزف وملامحها شاحبة.

"هي لسه بتتنفس، بس حالتها حرجة!" قال أحدهم وهو يضع يده على نبضها.

بينما كانت الناس مشغولون بإنقاذها، رن هاتفها الذي كان لا يزال في يدها، يظهر اسم "عمرو".أجاب أحد الرجال بسرعة:

"مين؟ دي الست عملت حادثة، إحنا بنطلعها من العربية، إحنا جنب كوبري المحور."

في المستشفى:

وصلت هدير إلى المستشفى في سيارة الإسعاف، بينما كان عمرو يركض في الممر بجنون بحثًا عنها.

"فين أختي؟ هدير؟"

أشار أحد الأطباء إلى غرفة الطوارئ: "إحنا بنعمل اللازم، لكن حالتها كانت خطيرة لما وصلت."

جلس عمرو على كرسي بلا حول له ولا قوة، بينما دموعه تملأ عينيه. بعد فترة خرج الطبيب، وعيناه مليئة بالحزن:

"الحمد لله حالتها استقرت، لكنها فقدت الجنين للأسف."

عمرو شعر وكأن الأرض تهتز تحت قدميه، قبض يده بقوة وقال بصوت مرتجف: "الحمدلله على كل حال المهم هي تكون بخير؟"

في تلك الأثناء، عاد هشام إلى المنزل، لكنه فوجئ بالصمت الثقيل الذي خيم على المكان.

"هدير؟ زيد؟ حد هنا؟"

فتش في الغرف لكن البيت كان فارغًا. شعر بقبضة في قلبه، فأمسك بهاتفه واتصل بها، لكن هاتفها كان مغلقًا.

"أكيد راحت بيت أبوها." قال لنفسه بسرعة وهو يركب سيارته متجهًا إلى هناك.

وصل هشام إلى بيت والد هدير وهو يلهث من سرعة القيادة، أوقف سيارته ونزل بخطوات متوترة نحو الباب. قرع الجرس أكثر من مرة، لكن لم يفتح أحد.

"في حد هنا؟" صرخ هشام وهو يطرق الباب بقوة.

أخذ نفسًا عميقًا، يحاول تهدئة نفسه. بدأ يتجول حول البيت، ينظر إلى النوافذ بحثًا عن أي إشارة تدل على وجود أحد. لاحظ أن كل الأضواء مطفأة.

"مش ممكن يكونوا نايمين... فين ممكن يكونوا؟" تمتم بصوت منخفض، وحاول الاتصال مجددًا بهاتف هدير، لكن الهاتف كان لا يزال مغلقًا.

جلس على عتبة الباب، رأسه بين يديه، يحاول استيعاب ما يجري. فجأة مر أحد الجيران، توقف ونظر إلى هشام باستغراب:

"أستاذ هشام؟ إنت هنا ليه؟"

رفع هشام رأسه بسرعة: "أيوه، في حد من أهل البيت هنا؟"

رد الجار: "لأ، محدش في البيت. شفتهم كلهم طلعوا بسرعة بالعربية، الله اعلم راحوا فين؟"

تجمد هشام في مكانه، وكأن الكلمات تضرب قلبه.

"تفتكر راحوا فين بالليل كده؟"

هز الجار كتفيه بلا مبالاة: "معرفش، بس كانوا مستعجلين جدًا."

وقف هشام بسرعة، وركب سيارته مرة أخرى، بينما يداه ترتجفان على عجلة القيادة. عقله كان يغلي بالأسئلة والاحتمالات، لكنه لم يكن مستعدًا للكارثة التي تنتظره.

وصل والد هدير ووالدتها إلى المستشفى ومعهما زيد، الذي كان نائمًا بين ذراعي جدته. عند مكتب الاستقبال، سأل والدها بلهفة:

"بنتي هدير فين هي لسه واصلة في حادثة؟"

أرشدتهم الممرضة للطابق الثاني، فاندفعوا نحو الغرفة ليجدوا عمرو منتظرًا عند الباب، وجهه شاحب من القلق.

"هي كويسة؟" سأله والدها.

أجاب عمرو بصوت مكسور:

"مستقرة، بس... البيبي راح للأسف."

تجمدت والدتها، بينما زيد استيقظ وبدأ ينادي:

"ماما فين؟"

دخل والدها الغرفة، أمسك يد هدير الباردة وهمس بحنان:

"مش هتواجهي ده لوحدك يا بنتي إحنا معاكِ، كلنا معاكِ."

جلست والدتها قرب السرير، تحتضن زيد كأنها تحاول تهدئة الجميع.

في بيت د. ماهر

في غرفة النوم الواسعة ذات الجدران البيضاء، وقف إيهاب يتأمل الحائط الكبير الذي طُلب منه الرسم عليه. ماهر كان يقف بجواره، يشرح فكرته بهدوء ولكن بحماس غامض.

"عايز الحائط ده يكون تحفة فنية، إيهاب. زي ما اتفقنا... قفص ذهبي كبير، وفيه فتاة ملامحها حالمة، لكن كأنها مستسلمة لوضعها جوه القفص."

إيهاب توقف عن الرسم للحظة، وضع الفرشاة جانبًا، ثم التفت إليه بابتسامة خفيفة: " عايز أفهم... ليه اخترت قفص ذهبي؟ عادة الناس بتطلب حاجات بتعبر عن الحرية أو السعادة."

ماهر ابتسم ابتسامة غامضة، عينه لا تفارق اللوحة: "الحرية؟ ساعات السجن الذهبي بيكون أحلى من الحرية. القفص مش دايمًا مكان ضيق... ممكن يكون حماية، ممكن يكون مكان يخبّي أجمل ما في الحياة، زي ما الجوهرة بتحتاج صندوق يحميها."

إيهاب لم يعلق، لكنه شعر بشيء غريب في طلب ماهر. بدأ العمل على الجدار، الفرشاة تتحرك بانسيابية لتظهر خطوط القفص الذهبي، ثم بدأ يضيف تفاصيل الفتاة. شعرها كان يتطاير وكأن هناك ريح

خفية، وجهها يحمل مزيجًا من الحزن والهدوء.

ماهر وقف خلفه يتأمل العمل بصمت، ثم اقترب بخطوة: "خلي تفاصيل القفص بارزة أكتر. عايز الناس تحس إنه قوي، إنه غير قابل للكسر."

إيهاب أومأ وأكمل الرسم، لكنه سأل بفضول: "الفتاة دي... شبه حد معين؟ لأنك محدد تفاصيلها بشكل كبير."

ماهر تنهد ببطء، ثم رد بصوت منخفض: "مش مهم شبه مين. المهم إنها تكون مثالية... مثالية ومحبوسة."

أومأ إيهاب بصمت، لكنه لم يستطع منع نفسه من التفكير. اللوحة كانت تذكره بلحظات مع حنين، باللوحة التي رسمها لها يومًا. لكن هنا، الفتاة كانت حبيسة، وكأنها انعكاس لمأساة لا يعلم تفاصيلها.

اقترب ماهر أكثر من الحائط، حدق في الفتاة داخل القفص، ثم همس بصوت بالكاد يُسمع: "أحيانًا بنحتجز الجمال علشان ما يهربش... علشان يفضل ملكنا."

إيهاب شعر بقشعريرة تسري في جسده، لكنه اختار الصمت.

توقف إيهاب للحظة، ثم عاد للرسم دون أن يعلق. الجدار بدأ يتشكل، القفص يبرز بألوانه الذهبية، والفتاة تبدو وكأنها تنظر إلى شيء بعيد خارج القفص. رغم جمال المشهد، كان هناك شيء مظلم يكمن في التفاصيل.

ماهر ابتسم ابتسامة باردة وهو يراقب العمل يكتمل: "أنت عبقري يا إيهاب. مش أي حد يقدر يفهم الفكرة ويوصل الإحساس زيك."

إيهاب ابتسم بخفة، لكنه شعر بشيء لا يستطيع تحديده في نبرة ماهر. شيء جعله يتمنى لو أنه لم يقبل تنفيذ هذا العمل. أخذ خطوة للوراء، وقال: "كفاية كده النهاردة الوقت اتأخر، بكرة بإذن الله نكملها"

اقترب ماهر من الحائط، وضع يده على تفاصيل القفص كأنه يلمس شيئًا حقيقيًا، ثم همس: "بكرة نكمل مفيش مشكلة."

إيهاب شعر بالثقل في صدره وهو يغادر، يتساءل في داخله عن القصة التي تخفيها هذه الفكرة، وعن الغموض الذي يحيط بطلب ماهر.

في الصيدلية، بعد انتهاء العمل، وصل حمزة كعادته متأخرًا لمساعدة والده، لكنه تفاجأ بحور ما زالت موجودة، وملامحها شاحبة. اقترب منها بقلق:

"السلام عليكم، حور... إزيك؟"

رحبت به بفتور، بينما تلفت يبحث عن والده:

"بابا فين يا حور؟ مش موجود؟"

أومأت برأسها دون كلام، ثم وضعت يدها على خدها بإرهاق واضح. اقترب منها أكثر، وقلقه يزداد:

"مالك؟ فيكِ إيه؟"

رفعت حور عينيها إليه ونظرت له مطولًا، صمتها أثار توتره أكثر، فقال بنبرة مستعجلة:

"فيه إيه يا حور؟ حصل إيه؟

تنهدت حور بحزن:

"كنت فاكرة إن الحب بيصمد... بيحارب. بس طلع ضعيف قوي، يا حمزة. الحب مجرد وجع وبس."

اقترب منها أكثر، جلس أمامها، وقلبه ينبض بألم:

"ليه بتقولي كده؟ الحب بيخلينا نحلم... نتمنى..."

قاطعته بوجع:

"ولما نفوق من الحلم؟ نطير لسابع سما وننزل على جدور رقبتنا. الحب أبشع حاجة ممكن تحصل لأي حد. ماما عندها حق... الصح إننا نختار بعقلنا وبس، نعيش حياتنا مع شريك كويس ومضمون."

أمسك حمزة بيدها برفض:

"إيه الكلام ده، يا حور؟ تعيشي إزاي مع إنسان مش بتحبيه؟ مجرد إنه شخص كويس مش معناه إنه زوج كويس. هيحبك؟ هتحبيه؟ هتقدري تعيشي معاه لحظة بلحظة؟ هتتقبلي يشاركك انفاسك اللي بتتنفسيها؟ حنين ليه محبتش أمجد بالرغم من انه شخص كويس؟ طيب ليه حبت إيهاب بالرغم من انه من وجهة نظركم شخص مش كويس؟ هاه

رفعت حور صوتها بوجع:

"إيهاب وحنين... انفصلوا."

حمزة صدم، استقام في جلسته، وبالكاد وجد الكلمات:

"إيه؟ إزاي؟ يعني... يعني إيه انفصلوا؟ ليه؟"

حور عيناها اغرورقت بالدموع:

"علشان الحب مش كفاية زي ما بتقول. الدنيا ضغطت عليهم. تعرف إن إيهاب اتهموه بالسرقة في شغله؟ طبعًا هو بريء، وصاحب الشغل اعتذرله بعد ما اكتشف الحقيقة، لكن إيهاب ما قدرش يرجع. بعدها... بابا خيره: يا يسيب حنين، يا يقبل مساعدته المادية. وإيهاب رفض."

حمزة بعد لحظة صمت:

"طبيعي يرفض. أي راجل هيعمل كده."

حور صرخت فجأة:

"ليه يرفض؟ ليه ما ياخدش المساعدة؟ ليه يضحي بحبه؟ ليه يفضل يرسم لوح للطلبة ويشتغل عند لبيب؟ ليه يضغط نفسه بالشغل ليل ونهار؟ ليه؟"

حمزة صرخ هو الآخر، متأثرًا بكلامها:

"علشان بيحبها، يا حور. علشان كل ده بيهون عليه لما يحضنها آخر الليل. حضنها لوحده كفاية إنه ينسيه التعب والشقا!"

حور برفض، دموعها تنهمر:

"ولحد إمتى؟ حمزة، إيهاب ما بينامش! مسيره هيقع!"

حمزة أمسك يدها بحنان، يحاول تهدئتها:

"مش هيقع، طول ما حنين ماسكة ايده مش هيقع، هينام في المواصلات وهينام ساعة هنا وساعة هنا، مين قالك إنه ما بينامش؟ هو عارف يرتب أموره وعارف يتحمل إيه وما يتحملش إيه، ليه يتحط في اختيار ما بين ذله وهوانه أو حبيبته؟ حنين رأيها إيه؟ وإزاي وافقت تسيبه؟"

مسحت حور دموعها، وبصوت مكسور:

"حنين معرفتش بكل اللي حصل ده ولا عرفت بالسرقه ولا بإهانة بابا وماما له ولا الاختيارات اللي اتطلبت منه، فهو كمان خيرها، قالها تعبت ومبقتش قادر اشيل الحمل ده ومش قادر اشتغل ليل مع نهار، فإختاري خليكِ وهفضل اشتغل وبرضى لحد ما أقع أو امشي لحد ما حتى اخلص من حمل إخواتي، كسرها بكلامه، فاكر السلسلة بتاعت عيد الميلاد؟ (اومأ بتذكر) قالها بقاله شهور بيجمع في تمنها ولسه شهور هيكمل تمنها فقلعتها وسابتهاله، الاتنين بيتعذبوا، مش عارفة اعمل إيه؟."

حمزة بحزم:

"ده غلط. حنين لازم تعرف الحقيقة. لازم تعرف كل اللي حصل. ما ينفعش تعيش على جهل، زي ما إيهاب اضطر يختار، لازم هي كمان تختار، لكن بعقلها وقلبها معًا."

حور بقلق:

"بس... بابا وماما؟ هيزعلوا مني!"

حمزة بابتسامة مطمئنة، يمسك يدها:

"حور، لما حد يحب حد بجد، بيحارب عشانهم. قولي لها، وسيبيها تختار. أبوكِ هيزعل؟ يمكن. بس هيحترمك لما يفهم إنك بتحاولي تصلحي الأمور. ومامتك؟ - اضاف بمزاح- ربنا يعينك عليها."

ضحكا بخفة ثم علقت حور:

"يمكن عندك حق... حنين لازم تعرف اللي حصل."

حمزة بلطف:

"أنتِ أكتر حد ممكن يساعدها دلوقتي. لو فعلاً بتحبيها، اقفي جنبها. خليها تعرف إن الحب مش المشكلة، المشكلة في الناس اللي بيتدخلوا. حنين لازم تاخد قرارها بنفسها."

تنهدت حور، ثم سألته بأمل:

"تفتكر هيكملوا؟"

حمزة بابتسامة واثقة:

"بتمنى، يا حور... بتمنى."

هدير كانت على سريرها في المستشفى، ملامحها شاحبة وعيناها خالية من الحياة. عمرو جلس بجانبها، يحاول أن يواسيها على فقدان جنينها، لكن وجهها الجامد كان يعكس قرارها الذي لا رجعة فيه.

نظرت إليه بصوت متحشرج لكنه مليء بالثبات:

"عايزة منك تطلب الطلاق نيابة عني، أنا مش قادرة أشوفه ولا أتكلم معاه."

عمرو، الذي كان يحاول دائمًا إقناعها بهذا القرار، شعر بمزيج من الغضب والارتياح في نفس الوقت. نظر إليها مطولًا و بنبرة قوية:

"أخيرًا، هدير. أخيرًا خدتي القرار اللي كان المفروض تاخديه من زمان. هشام عمره ما كان يستاهلك."

هدير نظرت إليه بحزن ودموع:

"مكنتش عايزة ابني يكبر بعيد عن أبوه. كنت بحاول... بحاول أحافظ على بيتي."

وضع عمرو يده على يدها بحنان:

"وأديكي دفعتِ الثمن غالي أوي يا هدير. أنا معاكِ في قرارك ده، وهخلص الموضوع. وعد مني، مش هيجي عليكِ أكتر من كده."

هدير أغمضت عينيها للحظة، وكأنها تحاول استيعاب كل شيء.

وصل هشام إلى المستشفى، عينيه تائهتان ووجهه شاحب. قابل عمرو في الممر، لكنه لم يجد أي ترحيب.

هشام بصوت مرتعش:

"عايز أشوف هدير. أرجوك، خليني أتكلم معاها."

ابتسم عمرو بسخرية وهو يقف في وجهه:

"تشوفها؟ بعد اللي عملته؟ هدير طلبت الطلاق. ومش هتشوفها تاني."

شعر هشام وكأن الأرض تهتز تحت قدميه:

"طلاق؟ عمرو، مستحيل! هدير مش هتعمل كده. هي بتحبني!"

اقترب عمرو منه بنبرة ملؤها الغضب:

"هي فعلًا بتحبك بس ياترى إنت عملت إيه بالحب ده، إنت دمرتها، قتلت الحب اللي جواها. ومش هسمح لك تأذيها تاني. أنا واقف معاها، وأول حاجة هعملها إني أتأكد إنك تبعد عنها للأبد."

حاول هشام تجاوز عمرو، لكن الأخير أوقفه بجسده:

"مش هتشوفها. خلصت."

هدير، التي سمعت صوته من الداخل، رفعت رأسها ونادت بجمود:

"خليه يدخل."

دخل هشام ببطء، عينيه تبحثان عن رحمة في ملامحها. اقترب منها، لكن جمودها كان كالسد المنيع. قال بصوت مرتعش:

"هدير... أنا آسف. غلطت، غلطت بحقك وبحق ابني... بس أرجوكِ سامحيني."

نظرت إليه بلا تعبير، كلماتها خرجت باردة:

"هشام، أنا سمحتلك تدخل علشان بس اقولك طلقني."

وقف مصدومًا، يشعر وكأن الأرض تبتلع قدميه:

"إيه؟ اطلقك؟ هدير، إحنا عدى علينا كتير... نقدر نصلح، نقدر نبدأ من جديد."

هزت رأسها بنفي، ودمعة واحدة انزلقت على خدها:

"مفيش حاجة نصلحها يا هشام آخر حاجة كانت تربط بينا هو البيبي اللي نزل، أنا مش عايزة أعيش معاك. خليني أعيش في سلام بعيد عنك."

حاول أن يمسك يدها، لكنها سحبتها بقوة:

"كفاية، هشام. انتهى."

خرج هشام من الغرفة منهارًا، يجر خطواته بثقل، بينما هدير أغمضت عينيها، تحاول أن تخفي دموعها المتساقطة في صمت.

كان معتز يجلس على كرسيه في الصيدلية، يتابع الحسابات على الكمبيوتر، بينما نورا كانت ترتب رفوف الأدوية بنشاط، تتحدث مع نفسها بصوت مسموع كعادتها.

نورا:

"طيب، ده نحطه هنا... لا، لا، الأفضل هنا... لا! مش عارفة بصراحة!"

التفت إليها معتز بابتسامة صغيرة:

"أنتِ بتكلمي نفسك أكتر ما بتكلمي الناس. ما حدش هيعرف يفهمك كده يا دكتورة."

نورا التفتت إليه بسرعة، ووقعت علبة أدوية من يدها كالعادة:

"مش قصدي والله، أنا بس بحاول أرتب الأمور."

ضحك معتز، وقام ليساعدها بجمع العلب:

"أهو كل مرة تقع حاجة، زي قانون كوني معاكِ."

رفعت نورا رأسها وهي تضحك بخجل:

"أصل أنا متعودة أشتغل لوحدي، فمش متعودة أركز قوي لما حد يكون معايا."

نظر إليها معتز بتمعن، ثم قال بلهجة مرحة:

"على فكرة، أنا لاحظت إن كل مرة نكون مع بعض بتحصل كارثة صغيرة. يعني أنتِ إعصار متنقل."

نورا شعرت بالإحراج، لكنها حاولت الرد بنفس نبرته:

"مش قصدي أعمل كوارث... أنا بس... طبيعتي كده شوية."

معتز ابتسم بنظرة دافئة:

"طبيعتك دي لطيفة على فكرة. وبصراحة، وجودك هنا خلى الصيدلية مليانة حياة."

تفاجأت نورا بنبرة معتز الجادة لأول مرة، لكنها ردت بابتسامة خجولة:

"شكرًا يا دكتور معتز."

وقف معتز، وأشار لها نحو رف آخر:

"بس حاولي ما تكسريش حاجة تاني، الصيدلية دي بتصرف على نفسها بالعافية."

ضحكت نورا بصوت عالٍ:

"حاضر، وعد مني، الكارثة الجاية هتكون صغيرة جدًا."

نظر إليها معتز وهو يهز رأسه مبتسمًا:

"أهو ده اللي أنا خايف منه."

كان زهير يجلس في غرفة المعيشة، صامتًا، ملامحه تنطق بالغضب والانكسار. يداه معقودتان أمامه كأنه يحاول كبح نفسه عن الانفجار. مديحة، مدبرة المنزل، مرت بجواره، لكن نظراتها قلقة، فانسحبت بهدوء دون كلمة.

دخلت سارة الغرفة بخطوات مترددة، وجهها متوتر، لكنها حاولت إخفاء خوفها. وقفت على مسافة قصيرة منه، وهي تحاول جس نبضه:

"زهير... أنا عارفة إنك زعلان. بس أنا... اقصد إحنا محتاجين نفهم بعض."

رفع رأسه ببطء، وعيناه تنطقان بكل الغضب الذي حاول كتمانه طوال اليوم. صوته خرج منخفضًا لكنه محمّلًا بالحدة:

"نفهم بعض؟ نفهم بعض على إيه يا سارة؟ على كذبك؟ على ماضيك اللي خبيتيه؟ ولا على الطريقة اللي لعبتي بيها عليا زي ما كنتِ بتلعبي على غيري؟"

سارة حاولت تبرر:

"زهير، كل الناس ليها ماضي. أنا غلطت، بس دفعت تمن غلطاتي. إحنا اتفقنا نبدأ صفحة جديدة."

قاطعها صوته بحزم:

"صفحة جديدة؟ وأساسها إيه يا سارة؟ الثقة؟ أنا حتى مش قادر أصدق كلمة بتنطقيها، كل يوم بحس إن اللي عرفته عنك أقل بكتير من الحقيقة. أنا مش بقولك إنك وحشة... بس أنتِ مش ليا. العلاقة دي سممتني، وبقت فوق احتمالي."

دموعها بدأت تنهمر، لكنها حاولت التمسك بخيط أمل:

"طيب تعال نحاول أرجوك، نحل المشكلة مع بعض. زهير، أنت عارف إني بحبك!"

ابتسم بسخرية مريرة:

"حب؟ الحب ده مسؤولية وثقة واحترام. كل حاجة إنتِ ضيعتيها بإيديكِ. أنا مش عايز أعيش في علاقة مليانة كذب وخداع."

وقفت فجأة، محاولة الدفاع عن نفسها:

"أنا كنت صريحة معاك! قلت لك كل حاجة!"

وقف هو الآخر، ليواجهها بنظرة صارمة:

"لا يا سارة. ما قلتيش كل حاجة. أنا اكتشفت، وسمعت، وشفت بعيني حاجات عمري ما كنت أتخيل إن مراتي تكون جزء منها. وأنا خلاص تعبت. أنا قررت أنهي الموضوع ده."

انهارت على الأريكة، تمسح دموعها بعنف:

"زهير، ما تبقاش قاسي بالشكل ده. فكّر في اللي بينا!"

نظر إليها نظرة أخيرة، محاولًا كتم ألمه:

"أنا فكرت بما فيه الكفاية، وأنتِ عارفة كويس إن النهاية كانت مكتوبة من أول يوم خبيتي فيه عني. هرتب كل حاجة مع المحامي. والشقة اللي قعدتي فيها ليكِ ولأمك هكتبها بإسمك."

خرج زهير من الغرفة، تاركًا سارة تغرق في دموعها. كلماته الأخيرة ظلت ترن في أذنيها، وكأنها تدرك أخيرًا أن النهاية كانت حتمية.

جلست حنين في غرفتها في منزل والدها، تحمل كوبًا من القهوة بين يديها، وعيناها شاردتان في الأفق، تحمل أثقالًا لا يمكن أن تراها. طرقت حور الباب بخفة، ثم دخلت دون انتظار الإذن.

رفعت حنين عينيها ببطء:

"تعالي يا حور."

جلست حور بجانبها، تتنفس بعمق وكأنها تحاول أن تجمع شجاعتها:

"حنين... أنا لازم أقول لك حاجة."

شعرت حنين بالتوتر في نبرة أختها، وضعت كوب القهوة على الطاولة وسألتها بهدوء:

"إيه اللي حصل؟ في حاجة؟"

ترددت حور للحظة، ثم أمسكت بيد أختها:

"لازم تعرفي كل اللي حصل قبل ما تنفصلي عن إيهاب بشكل نهائي. مش عايزك تندمي بعدين إنك أخدتِ قرار من غير ما تعرفي

الحقيقة."

نظرت حنين إليها بإرتباك:

"حقيقة إيه؟ خلاص، الموضوع انتهى. إيهاب اختار يبعد... وأنا اخترت أمشي."

حور بحزم، وقلبها ينبض بسرعة:

"إيهاب ما اختارش يبعد، يا حنين. هو اختار يحبك. علشان أنتِ أغلى حاجة عنده."

صمتت حنين، وعيناها تبحثان عن إجابات في وجه أختها. تابعت حور:

"إيهاب اتهموه بالسرقة في شغله."

هتفت بصدمة:

"سرقة؟ طلعت اتهمه...؟"

قاطعتها حور بسرعة:

"مش الأسطى طلعت، شغله التاني عند عمو لبيب فايز. هو اشتغل هناك."

تعجبت حنين، واستفسرت عن المزيد. فقصت حور ما حدث بالتفصيل:

"عارفة إحساسه؟ إن حد يشك فيه؟ وبعد ما اكتشفوا إنه بريء، صاحب الشغل اعتذر له، لكن إيهاب ما قدرش يرجع. كرامته كانت

مكسورة. وبعدها ماما قالتله خد الكرت علشان تكفي بنتي. طبعًا أنتِ عارفة هي اتكلمت معاه إزاي... وبابا خيره: يا يقبل مساعدة مادية منه، يا يبعد عنك. وإيهاب رفض. رفض لأنه راجل... لأنه مش هيقدر يعيش مع فكرة إنه يقبل مساعدات بالشكل ده."

وضعت حنين يدها على فمها، وصدمتها واضحة. تذكرت تلك الليلة عندما بكى بين ذراعيها بصمت، تذكرت وجعه.

أكملت حور:

"إيهاب اختارك إنتِ. لكنه كمان كان شايف إنه مش قادر يكمل بالشكل ده. كان شايف نفسه بيوقعك معاه في دوامة من التعب والشقى. لما قالك تختاري، كان موجوع، حنين. مش عايزك تشيلي معاه العبء اللي هو شايله. هو مكنش قدامه حلول، قالك اللي قاله علشان مكنش عارف يعمل إيه. ماما قفلتها في وشه، جرحته وهانته. بابا كمل عليه وقاله بتحب بنتي فيا تقبل مساعدتي يا ترجعهالي."

حنين، عيناها امتلأتا بالدموع، صوتها يكاد لا يُسمع:

"ليه ما قاليش؟ ليه خلاني أحس إن المشكلة فيّ؟"

حور أمسكت بيد أختها بقوة:

"لأنه بيحبك. لأنه كان شايف إن الحل الوحيد إنك تبعدي علشان ما تتعبيش معاه أكتر. بس إنتِ كان لازم تعرفي الحقيقة. لازم تختاري بنفسك، بعقلك وقلبك. ما تخليش أي حد يقرر عنك."

حنين مسحت دموعها، صمتت لعدة لحظات، ثم همست:

"أنا... لازم أرجع له، لازم أشوفه... لازم أكلمه."

حور ابتسمت بحب، وضغطت على يد أختها:

"إنتِ مكانك معاه وفي حضنه."

حنين أغمضت عينيها، وعندما فتحتهما، كانت نظرتها مليئة بالإصرار:

"أنا لازم أروح له. مش هسمح لحد يقرر حياتي غيري."

وقفت حنين بحيرة، ثم نظرت لأختها بإصرار:

"حور، أنا لازم أروح له ودلوقتي."

نظرت حور لساعتها بدهشة:

"إنتِ عارفة الساعة كام؟"

حركت رأسها بلامبالاة:

"مش فارق معايا، المهم أروح له. هطلب أوبر، هكلم معتز وهايدي، أي حد... المهم أروح له."

فكرت حور للحظات:

"طيب كلمي هايدي، لو معتز عندها يوصلوكِ."

خلال ساعة، كانت حنين أمام منزلها. وقبل أن تنزل من سيارة معتز، أمسكت هايدي يدها:

"حنين، إنتِ متأكدة؟ ولو محدش فتح الباب؟"

ابتسمت تطمئنها:

"معايا مفتاح، ما تقلقيش. يلا تصبحوا على خير. هايدي، بجد متشكرة أووي. إنتِ ومعتز أكتر من إخوات."

ابتسمت هايدي:

"أديكي قولتي إخوات. الإخوات مش بيشكروا بعض. يلا اطلعي وطمنيني عليكِ."

صعدت حنين السلم بهدوء، قلبها ينبض بسرعة وكأنها تخشى أن تصدر أي صوت قد يوقظ أحدًا في المنزل. كان الظلام يغمر المكان، لكنها عرفت طريقها جيدًا. فتحت باب شقتها بالمفتاح الذي تحمله، ودخلت بصمت كأنها تقتحم عالمًا تركته خلفها.

خطواتها كانت خفيفة، بالكاد تُسمع، لكن صوت أنفاسها كان ثقيلاً بسبب التوتر الذي يسكنها. اقتربت من باب غرفة النوم، قلبها ينبض بقوة وهي تتساءل عما ستجده خلف الباب.فتحت الباب ببطء، وأطلت برأسها لتتفاجأ بالمشهد أمامها.

إيهاب يقف أمام لوح كبير، يرسم. كان ضوء المصباح الصغير يضيء ملامحه المتعبة، ويداه مشغولتان بلمسات دقيقة على اللوحة. بدت عليه علامات الإرهاق، لكن وجهه كان غارقًا في تركيز عميق.

رفعت يدها لتغطي فمها، تحاول كتم أنفاسها كي لا تقطع عليه لحظته. لكنها خطت خطوة غير محسوبة، فصرّت الأرضية تحت قدميها.

رفع إيهاب رأسه فجأة، عينيه التقت بعينيها. للحظة، بدا وكأن الزمن توقف. نظراتهما كانت مليئة بالدهشة، بالحزن، وبشيء من الشوق.

"حنين؟" خرج صوت إيهاب ضعيفًا، كأنه لا يصدق ما يراه.

لم تستطع حنين الرد. عيناها تجولتا في الغرفة، فوق اللوحة التي كان يرسمها. كانت اللوحة تجسد مشاهد من حياتها: لحظات السعادة، الضحك، وحتى الألم. آخر جزء في اللوحة كان وجهها، لكنه لم يكتمل بعد.

وقف ببطء، يترك الفرشاة جانبًا، وتقدم نحوها بخطوات حذرة، وكأن المسافة بينهما فجوة يصعب تجاوزها.

"ليه جيتي؟" سأل بصوت منخفض، لكنه كان مليئًا بالألم.

نظرت إليه مطولًا، ثم إلى اللوحة، وقالت: "كنت محتاجة أشوفك... محتاجة أفهم. إزاي قدرت تاخد القرار لوحدك؟"

تقدم خطوة أخرى، عينيه مليئتان بالندم: "تفتكري أنا أخدت القرار لوحدي ولا القرار كان محسوم؟ تفتكري بعد ما مشيتي عرفت أعيش يوم واحد عادي؟"

حنين، بعينين غارقتين بالدموع: "البعد كان قرارك يا إيهاب، إنت اللي قلتلي أختار... إنت خلتني أحس إني حمل تقيل مش قادر تشيله. البعد كان قرارك."

صوته ارتفع قليلًا، مشحونًا بالوجع: "ما كنتش عايزك تعيشي معايا شقا حياتي! كنت بحاول أحميكِ! ما كنتش عايزك تضغطي عليّ

أكترا"

قاطعت كلماته بصوت متهدج: "علشان كده ما ادتنيش فرصة أختارا قررت كل حاجة لوحدك، وخليتني أمشي وأنا حاسة إني السبب."

اقترب منها، ورفع يده ليلمس وجهها بحذر، لكن يده توقفت في منتصف الطريق: "ما كنتش عارف أعمل إيه. كنت بموت من جوايا، أبوكِ وأمك عندهم حق، أنا مهما أعمل ومهما اشتغل ومهما يحصل مش كفاية."

أمسكت بيده، ووضعتها على خدها: "مين قال إنه مش كفاية؟ المفروض نتعب مع بعض. دي كانت فكرتنا... نكون مع بعض في كل حاجة، مش نتخلى عن بعض عند أول مشكلة. اتفقنا نكون سند، هي دي فكرتك عن السند يا إيهاب؟ الهروب؟ ليه مقولتليش عن شغلك مع لبيب؟ ليه مقولتليش عن العُقد؟ ليه مشاركتنيش مشاكلك وعيشتها لوحدك؟"

تنهد بألم: "خوفت يا حنين."

نظرت لعينيه بتفهم: "خوفت أصدق زيهم؟"

خفض رأسه بخجل، فهو بالفعل خاف أن تخذله ولن يتحمل خذلانها هي.

اقتربت منه، وضعت يدها على وجنته بحب: "مش ببالغ ولا بقول شعارات ولا كلام، بس مستعدة آكل طقة واحدة في اليوم وأشتري طقم واحد ألبسه طول السنة. من العيد للعيد، مش الناس بيعملوا

كده؟ مستعدة أتنازل عن كل حياتي، لكن اللي مش مستعدة له أبدًا إني أعيش من غيرك."

انهمرت دموعها واهتز صوتها وهي تكمل: "إني بالليل مكنش في حضنك ودراعاتك حواليا. إني مالاقيش نفسي جوه حضنك. ده اللي مش مستعدة له يا إيهاب. زي ما بتقول، سيبني أختار أتحمل إيه وما أتحملش إيه. إنت كمان سيبني أحدد أولوياتي. وأولوياتي هي إنت وبس."

ضمها إليه بقوة، وكأنها طوق النجاة الذي أنقذه من الغرق.

تمنى لو يستطيع أن يدخلها بين ضلوعه أو يدمج روحها بروحه. أبعدها برفق ليرى عينيها، وبينما تلاقت أعينهما، قبلها بشوق ولهفة وحرمان وكأنما لو ابتعد عن شفتيها سينهار الكون حوله.

ابتعد أخيرًا، يلهث، ثم أغمض عينيه، ودمعة هربت من عينه دون إرادته: "سامحيني... أنا آسف. كنت غبي لما فكرت إن البعد هو الحل."

ارتمت بين ذراعيه مجددًا: "وأنا كمان آسفة... بس مش هسمحلك تبعد عني تاني، أو تبعدني أنا عنك."

همس في أذنها: "أوعدك... مش هسيبك تاني، أبدًا."

حملها برفق بين ذراعيه، كأنها أثمن ما يملك في هذا العالم. لم يترك عينيها ولو للحظة، وكأنهما نافذتان تكشفان كل ما في قلبها من حب وشوق. وضعها بحنان على سريره، يده تمر بلطف على وجهها، وكأنها لحن يعزفه للمرة الأولى.

انحنى نحوها، قبّل جبينها بخفة، ثم خدها، ثم شفتيها قبلة طويلة، عميقة، تحمل شوق الأيام الماضية. كانت يده تمر برفق على شعرها، وكأنه يطمئنها بأنه هنا ولن يتركها أبدًا. همس لها بصوت يملؤه الحب والندم: "إنتِ النعمة اللي عمري ما استحقها... ومهما حصل، مش هبعد عنك تاني أبدًا."

بابتسامة حزينة، وضعت يدها على خده: "وأنا مش هسمحلك تسيبني تاني... ولا حتى تفكر تبعد."

اقترب منها أكثر، يده تلامس كتفها بخفة، بينما شفتيه تتحركان بهدوء على رقبتها، تمنحها دفء كلماته وحبه. كانت يده الأخرى تمر على ظهرها، تمنحها إحساسًا بالأمان الذي افتقدته في غيابه.

بدأ بنزع ملابسها بلطف، وكأنه يزيح عنها كل الأثقال التي حملتها منذ ابتعادها عنه. لم تكن هناك كلمات، فقط عيونهما تحكي كل شيء. كان يتحدث بصمت، يوصل لها كل المشاعر التي عجزت كلماته عن التعبير عنها.

خلع هو الآخر ملابسه ببطء، وانحنى ليحتضنها، وكأنهما يتعهدان بألا يفترقا مرة أخرى. كان كل لمسة منه تحمل وعدًا، وكل قبلة تحمل اعتذارًا، وكل لحظة كانت بمثابة عهد جديد بينهما.

تلاقت أرواحهما في انسجام عجيب، وكأن العالم كله توقف ليحتفل بعودتهما لبعضهما. كانت أنفاسهما تشتد ثم تهدأ، كأنهما يعيدان ترتيب الكون من حولهما.

وعندما انتهى كل شيء، احتضنها بين ذراعيه، وهي تستقر على

صدره، تسمع دقات قلبه التي تشبه لحنًا هادئًا. همس لها مرة أخرى: "خليكِ دايمًا في حضني وما تبعديش تاني عني... بحبك، حنين."

أغمضت عينيها وهي تهمس بخفوت: "وأنا كمان بحبك... بحبك يا إيهاب."

ناما معًا بين أحضان بعضهما، كأن الليل لم يكن كافيًا لاحتواء حبهما، وكأنهما وحدهما في هذا العالم.

في صباح اليوم التالي، استيقظت حنين على ضوء الشمس الذي اخترق الستائر الخفيفة. مدت يدها لتلمس مكان إيهاب بجانبها، لكنه كان فارغًا. رفعت رأسها، تفرك عينيها ببطء، ثم سمعت صوت حركة خفيفة من الغرفة المجاورة.

نهضت من السرير لتجد نفسها وحيدة في الغرفة، وقعت عينيها على اللوحة شعرت بموجة من الدهشة والحنين تضرب قلبها. على الحامل، كانت اللوحة التي يرسمها إيهاب بالأمس تقف شامخة، شبه مكتملة تقريبًا.

اقتربت حنين من اللوحة، عيناها تملؤهما الدموع. كانت اللوحة تصويرًا مذهلًا لمشاهد من حياتها: طفولتها في منزل والدها، لحظات السعادة مع أسرتها، وحتى مشاعر الألم التي واجهتها في الماضي. وسط كل هذا، كان وجهها يملأ اللوحه، مشرقًا ومليئًا بالحياة، وكأنه يقول إنها محور القصة كلها.

لم تستطع منع نفسها من لمس اللوحة برفق، وكأنها تحاول أن تشعر بصدق اللحظات التي جسدها إيهاب. سمعت صوت خطوات

خلفها، فالتفتت لتجد إيهاب واقفًا، يحمل كوبًا من القهوة في يده، ينظر إليها بابتسامة هادئة.

"إيهاب... دي..." بدأت تتحدث، لكن الكلمات خانتها.

ابتسم إيهاب وهو يقترب منها، يناولها الكوب الآخر الذي كان يحمله: "دي حياتك، زي ما شفتها من كلام والدك والصور اللي كانت في صندوق عيد ميلادك، دي إنتِ، حنين."

نظرت إليه بعينين تملؤهما الدموع: "إيهاب، دي أكتر حاجة جميلة شفتها في حياتي. إنت مش بس رسام، إنت بتعرف توصل للمشاعر اللي جوه الصورة."

اقترب منها وضع يده على يدها و بهدوء: "كنت عايز أعبر عنك، عن اللي شوفته فيك، عن قوتك وصمودك، حتى وإنت بتمرّي بأصعب لحظات حياتك."

حنين نظرت إليه وقالت بابتسامة مليئة بالحب: "وأنا عايزة اللوحة دي تكون دايمًا قدامي. دي مش مجرد لوحة، دي حياتي معاك، وإحنا هنكملها سوا."

ابتسم إيهاب وربت على يدها: "وهنكملها بأجمل الألوان، مع بعض."

في منزل عبد القادر، كانت صابرين تتحرك في أرجاء المنزل كالعادة، تفتح النوافذ وتتفقد الغرف. عندما وصلت إلى غرفة حنين، لاحظت أن السرير مرتب والغرفة فارغة تمامًا. توقفت للحظة، ثم نادت بصوت مرتفع:

"حنين! إنتِ فين؟"

لم يكن هناك رد.

عبدالقادر الذي كان في غرفة المعيشة، رفع عينيه نحو صوتها:

"صباح الخير يا صابرين، مالك بتنادي عليها كده؟"

صابرين بقلق:

"مش في أوضتها... شكلها مش موجودة."

اقترب منها عبدالقادر، وأخذ يتفقد المكان معها. لاحظ أن حقيبتها مفقودة. قال وهو يحاول الحفاظ على هدوئه:

"أكيد نزلت تعمل حاجة. يمكن راحت في أوضة حور."

لكن صابرين قاطعته بقلق:

"معرفش هي فين"

في تلك اللحظة، خرجت حور من غرفتها. لاحظت نظرات والدتها ووالدها الموجهة نحوها:

"في إيه؟ مالكم واقفين كده؟"

نظرت إليها صابرين بريبة وسألت:

"حنين فين؟ مش في أوضتها."

حور صمتت للحظة، ثم ابتسمت بخفة:

"أيوة، لأنها رجعت لإيهاب."

صابرين وعبدالقادر نظرا إليها بصدمة. صابرين صاحت:

"إيه؟ رجعت لإيهاب؟ إمتى؟ وإزاي؟ وإنتِ كنتِ تعرفي؟"

حور رفعت يدها مهدئة:

"اهدي يا ماما. هي قررت إنها مش هتعيش من غيره، وإنها لازم تختار حياتها. وأنا ساعدتها توصل لقرارها."

عبدالقادر بنبرة هادئة لكن غاضبة:

"ساعدتيها؟ ساعدتيها إزاي وليه مقولتيش لينا؟"

حور نظرت إليه مباشرة:

"قولتلها الحقيقة كاملة يا بابا، هي كان لازم تعرف اللي حصل قبل ما تاخد قرار، بابا إنت كنت السبب إنهم انفصلوا أصلًا. إيهاب رفض المساعدة لأنه راجل، وحنين رجعت لأنها بتحبه. قرارها صح، وهي اختارت إنها تكون مع الشخص اللي بتحبه."

صابرين نظرت إليها بصدمة، ثم قالت بغضب:

"وأنا اللي فكرت إنك أختها اللي هتقف معاها. إزاي تعملي كده؟"

حور ردت بحزم:

"أنا وقفت جنبها لأنها أختي، وساعدتها تختار الطريق اللي هي عايزاه. أنتو كنتوا بتضغطوا عليها وعلى إيهاب. دلوقتي سيبوهم يعيشوا حياتهم بسلام."

عبدالقادر أخذ نفسًا عميقًا، ثم بهدوء:

"لو دي رغبتها، خلاص. بس أنا مكنتش عايز حد يجرحها تاني."

صابرين نظرت إليه بدهشة:

"إيه؟! إنت كمان موافق؟"

عبدالقادر بهدوء:

"حنين عرفت تاخد قرارها بنفسها. دي حياتها، مش حياتنا."

حور أضافت:

"وهي دلوقتي سعيدة مع إيهاب. كل اللي محتاجينه منكوا إنكم تتقوا في قرارها.

صابرين، رغم غضبها الظاهر، لم تجد ردًا. عبدالقادر أشار إليها بهدوء أن تترك الأمور كما هي.

رن هاتف حور فجأة، كانت رسالة من حنين:

"طمنتيهم؟ أنا كويسة، وقريب هكلمكم أنا وإيهاب."

ابتسمت حور وهي تقرأ الرسالة وقالت بهدوء:

"كل حاجة هتكون تمام."

خرجت هدير من المستشفى بصمت، وجهها شاحب وعيناها مثقلتان بالدموع المكبوتة. عمرو كان يسير بجانبها، يراقبها بحذر، لكنه لم يقل شيئًا. هي التي طلبت منه بصوت خافت: "عايزة أروح شقتي، أخلص كل حاجة بيني وبينه."

وصلوا إلى الشقة، فتحت هدير الباب ببطء كأنها تفتح صندوقًا

مليئًا بالذكريات المؤلمة. كل زاوية في المكان كانت تحمل ذكرى، لكن الآن كل شيء يبدو باردًا وفارغًا.

بدأت هدير تسير في الشقة بخطوات ثقيلة، كأنها تبحث عن بقايا كرامتها بين الجدران. عمرو وقف عند الباب، يراقبها بصمت، يعطيها المساحة التي تحتاجها.

دخل عمرو خلفها مباشرة، نظر إلى الألعاب المبعثرة في غرفة المعيشة، والملابس التي تركها زيد على الأريكة الصغيرة. قال وهو يلتقط كيسًا كبيرًا: "أنا هلم حاجات زيد. مالكيش دعوة بيها."

هدير لم تعترض، بل اتجهت نحو غرفة النوم. فتحت الخزانة وبدأت تجمع ملابسها بحركات آلية، تضعها في حقيبة دون أن تنظر إلى ما تأخذه. توقفت للحظة عند فستان كانت ترتديه في إحدى ذكرياتهم السعيدة. لم تستطع منع دموعها وهي تلمسه بأطراف أصابعها، ثم وضعته بقوة في الحقيبة وكأنها تحاول دفن تلك الذكرى.

شعرت بغصة في حلقها، لكنها تماسكت. عندما وصلت إلى صورة زفافهما الموضوعة على الكومود، توقفت لبرهة. حدقت فيها، ثم أمسكت بها بقوة قبل أن تضعها في كيس النفايات بجانبها.

من غرفة المعيشة، سمع عمرو صوتها وهي تقول بصوت مبحوح: "عمرو، شوف حاجات زيد كويس. كل لعبه، وكل حاجة تخصه."

رد من بعيد: "ما تقلقيش، مش هسيب حاجة."

جمع عمرو كل ما يتعلق بزيد، ملابسه الصغيرة، ألعابه، ودفاتره

الملونة. لاحظ صورة لزيد مع هشام موضوعة على الطاولة. أمسكها للحظة، ثم وضعها في الكيس مع باقي الأشياء دون تعليق.

دخل عمرو الغرفة أخيرًا، و بحزم: "هدير، لو مش قادرة، أنا هلم حاجتك."

هزت رأسها ببطء: "لا، أنا اللي لازم أعمل ده. لازم أخلص كل حاجة بإيدي."

عندما انتهت من جمع أغراضها، وقفت في منتصف الغرفة، ونظرت حولها للمرة الأخيرة. قالت بصوت هامس مليء بالوجع: "كنت فاكرة إن ده بيتنا... بس هو عمره ما كان بيتنا."

رد عمرو بغضب مكتوم: "البيت اللي فيه هشام عمره ما يكون بيت، ده كان فخ مش أكتر. يلا نخرج."

سارت خلفه، لكنها توقفت عند الباب، وضعت المفتاح على الطاولة دون أن تلتفت للخلف. همست لنفسها: "دي آخر مرة أدخل المكان ده."

ثم خرجت، وأغلقت الباب خلفها، كأنها تغلق فصلًا من حياتها للأبد.

في الصيدلية، كان حمزة ينظم الأدوية على الرفوف حين دخلت حور فجأة، لأول مرة تزوره في صيدليته الخاصة. وقف مذهولًا للحظة قبل أن يبتسم بسعادة واضحة:

"إيه النور ده؟ حور؟ أول مرة تشرفيني هنا!"

اقتربت منه بخطوات سريعة، والابتسامة الواسعة تملأ

وجهها:ازيك يا حمزة

حمزة بفضول:

"الحمدلله بس إيه الابتسامة العريضة دي؟ حصل حاجة كويسة؟"

حور بخفة:

"مش هتتصور قد إيه أنا مبسوطة."

حمزة نظر إليها بترقب:

"ما تقوليش إن اللي بفكر فيه حصل."

ابتسمت حور بحماس:

"رجعت له، حمزة! حنين رجعت لإيهاب!"

لمع وجه حمزة بالسعادة، أسقط علبة الأدوية التي كان يحملها دون أن يدري. اقترب منها بخطوة:

"بجد؟ إنتِ بتتكلمي جد يا حور؟!"

ضحكت حور وهي ترى رد فعله:

"جد، والله. راحت له بنفسها، وواجهته. والاتنين صلحوا كل حاجة بينهم."

حمزة بفرحة صادقة:

"أنا مش مصدق. كنت عارف إنهم هيرجعوا لبعض. الحب ده ما يتهزش."

حور نظرت إليه بعينين مليئتين بالفرحة:

"أيوة، وأنا كمان فرحانة جدًا إنهم ما استسلموش، وإنهم قرروا يكملوا سوا."

حمزة ضحك، وكأنه يشاركها شعورها:

"عارفة؟ كنت طول الوقت بحس إنهم أكتر اتنين في الدنيا دول هيعرفوا يتغلبوا على كل حاجة، وفعلاً عملوها."

حور، وهي تمزح بخبث:

"طيب، مش المفروض تقول لي شكرًا؟ أنا السبب إنهم رجعوا لبعض."

حمزة نظر إليها بابتسامة واسعة:

"طبعًا شكرًا، يا حور. إنتِ أخت عظيمة وملاك بالنسبة لهم."

حور رفعت حاجبيها و بخفة:

"مش كده وبس. أنا كمان كنت السبب إنك عرفت يعني إيه حب حقيقي."

ضحك حمزة وهو يشير إليها بإصبعه وكأنه يحذرها:

"ما تتغريش بالكلام. بس فعلًا، أنا اتعلمت منهم كتير."

نظر إليها بحنان:

"الحب الحقيقي، يا حور، لما حد يشيل عنك الهم، مش يزوده عليك. وزي ما إيهاب وحنين لقوا طريقهم، أتمنى كل حد يدور على

اللي يريحه."

نظرت إليه للحظة، محاولة استيعاب كلامه، لكنها شعرت بشيء مختلف في نبرته.

"حمزة... إنت دايمًا بتتكلم عن الحب وكأنه حاجة مهمة أوي."

ابتسم بهدوء، ويده امتدت بخفة نحو يدها، لكنه تراجع قبل أن يلمسها:

"لأن الحب مهم... ولو في حد يستاهل، لازم ندي كل حاجة عشانه."

تسمرت عيناها عليه، وكأنها تبحث عن إجابة أعمق. لكنه ابتسم بمكر ليكسر التوتر:

"طيب، مش هنعمل احتفال بالمناسبة دي؟ ولا خلاص خلصتِ مهمتك وسلام؟"

ضحكت بخفة:

"إنت دايمًا كده، تعرف تطلعني من أي حالة جدية."

رد بنبرة أكثر دفئًا:

"يمكن علشان وجودك هنا هو الاحتفال الحقيقي."

صمتت للحظة، وهي تحاول استيعاب كلماته، حمزة، بابتسامة خفيفة، أشار بيده نحو أرفف الصيدلية حوله:

"دي أول صيدلية لحمزة محيي الدين، ودايمًا هتفضل مفتوحة

لاستقبال حور... في أي وقت، ومهما حصل."

نظرت إليه بابتسامة خجولة، وكأن كلماته تحمل معنى أعمق من مجرد ترحيب، لكنها اكتفت بقول:

"إنت لازم تعملي عضوية VIP في الصيدلية."

ابتسم وهو يهز رأسه بخفة:

"لو طلبتيها، طبعًا هعملها."

في بيت د. ماهر

كان إيهاب يقف أمام الحائط الكبير في غرفة النوم، يضيف التفاصيل الأخيرة للرسمة. القفص الذهبي أصبح متألقًا تحت ضوء الغرفة، والفتاة داخله بدت وكأنها تحمل في ملامحها ألف حكاية، مزيج من الحزن والاستسلام والرغبة في الحرية.

ماهر كان يقف خلفه، يراقب العمل بصمت، عينيه لا تفارقان الفتاة المرسومة. كانت هناك نظرة غريبة في عينيه، خليط من الانبهار والرضا.

إيهاب وضع الفرشاة جانبًا، وتراجع خطوة للخلف ليتأمل اللوحة كاملة. أخذ نفسًا عميقًا:

"أظن كده خلصنا. دي أكتر حاجة ممكن أوصلها لتفاصيلك اللي كنت طالبها."

ماهر تقدم ببطء نحو الحائط، يلمس حدود القفص بأطراف أصابعه، وكأن الرسمة أصبحت حقيقية. علق بصوت منخفض:

"تحفة فنية. مكنتش متخيل إنها ممكن تطلع بالجمال ده. شكرًا يا إيهاب، لهم حق يسموك فنان."

إيهاب حاول أن يبتسم، لكنه شعر بشيء ثقيل في الأجواء. قرر أن يفتح حوارًا ليخفف من التوتر الذي شعر به طوال العمل:

"بصراحة، الرسمة دي مختلفة عن أي حاجة اشتغلت عليها قبل كده. فكرة القفص... والبنت... كلها مليانة مشاعر. بس فعلًا كنت حابب أفهم أكتر عن مصدر الإلهام بتاعك."

ماهر أدار رأسه لينظر إلى إيهاب، ثم عاد ببصره للرسمة. ابتسم ابتسامة غامضة:

"الإلهام بييجي من حاجات كتير يا إيهاب. حاجات مرينا بيها، وحاجات بنتمناها، وأوقات... حاجات خسرناها."

إيهاب شعر بقشعريرة تسري في جسده، لكنه قرر ألا يسأل المزيد. نظر مرة أخيرة إلى اللوحة:

"أنا مبسوط إنها عجبتك. لو في أي تعديلات أو إضافات، أنا جاهز."

ماهر هز رأسه ببطء:

"لا، مش محتاج تعديلات. هي مثالية... مثالية زي ما هي."

إيهاب بدأ بجمع أدواته بهدوء، بينما ماهر ظل يحدق في الرسمة بصمت، وكأنه يرى شيئًا لا يستطيع أحد غيره رؤيته. عندما انتهى إيهاب من جمع أدواته:

"خلاص كده، لو احتجتني في أي شغل تاني، كلمني."

ماهر استدار إليه بابتسامة باهتة:

"أكيد. وشكرًا مرة تانية، إيهاب. عملك مش مجرد فن... ده روح."

إيهاب خرج من الغرفة، لكنه لم يستطع التخلص من شعور غريب يسيطر عليه. الرسمة كانت تحمل طابعًا مظلمًا، وكأنها نافذة إلى قلب مغلق على أسرار مؤلمة.

في بيت هشام الصاوي

عندما فتح هشام باب شقته، لم يكن يتوقع أي مفاجآت. كان يعلم أن البيت فارغ، أن هدير قد غادرت، وأن ابنها معها. لكن ما لم يكن يتوقعه هو الفراغ القاتل الذي سيقابله.

دخل إلى الشقة، نظر حوله ببطء. كل شيء بدا مختلفًا، كأن الحياة نفسها قد انسحبت من الجدران. الأثاث الذي كانت تلمسه يدها كل يوم، تلك التفاصيل الصغيرة التي كانت تضيفها بحب، حتى ألعاب زيد التي كانت تملأ المكان... كلها اختفت.

اقترب من غرفة زيد، فتح الباب على مصراعيه، ليجد الغرفة فارغة تمامًا. لا ملابس، لا ألعاب، لا حتى صورة واحدة. كل شيء اختفى. وقف للحظة، يحدق في الفراغ، وكأن عقله يحاول استيعاب المشهد.

تحرك بخطوات ثقيلة إلى غرفة النوم. السرير كان ما زال في مكانه، لكنه كان باردًا وخاليًا. خزانة الملابس مفتوحة على مصراعيها، فارغة كأنها لم تحمل يومًا رائحة هدير.

جلس على طرف السرير، ودفن رأسه بين يديه، شعر لأول مرة بالثقل الحقيقي لما فعله. الخيانة، الكذب، الجروح التي تسبب بها... كل شيء عاد ليطارده دفعة واحدة.

رفع رأسه ببطء، ناظرًا إلى الجدران التي شهدت على كل لحظات حياتهم معًا. همس بصوت مبحوح: "خدت كل حاجة... حتى الذكريات."

في تلك اللحظة، أدرك هشام أن هدير لم تترك له شيئًا، لا ماديًا ولا معنويًا. لم تترك له حتى الفرصة ليحاول إصلاح ما أفسده. كان البيت الآن مرآة لحاله... فارغًا، باردًا، ومجردًا من الحياة.

في صيدلية معتز، اقترب وقت الإغلاق. نورا جلست خلف الكاونتر ترتب بعض العلب بتعب ظاهر. دخل معتز متأخرًا، يحمل حقيبة صغيرة وكوب قهوة، ألقى نظرة سريعة ثم توجه إليها.

"إيه النشاط ده يا دكتورة نورا؟ ناوية تكسري فرع الصيدلية اللي جنبنا ولا إيه؟"

نورا رفعت رأسها بتعب، ردت بخفة: "هو حضرتك فاكر إن الشغل هنا بيخلص لوحده؟ ده كله ورايا وأنا اللي شايله!"

وضع كوب القهوة أمامها بابتسامة عريضة: "اعتبري دي مكافأة نهاية اليوم، قهوة مخصوصة للدكتورة الشاطرة اللي بتدير الصيدلية في غيابي."

تناولت الكوب بخجل، علقت وهي تبتسم: "طيب ماشي، شكرًا يا دكتور معتز. بس إيه سبب التأخير؟"

مال بجسده قليلًا على الكاونتر كأنه يهمس بسر: "كان عندي اجتماع مهم جدًا مع نفسي."

نظرت إليه باستغراب: "اجتماع مع نفسك؟ اجتماع إيه بقى؟"

أجاب بخبث وهو يقرب المسافة بينهما: "كنت بفكر لو الصيدلية دي فعلًا تستاهل تعبك، ولا أنا اللي محظوظ إنك موجودة فيها؟"

احمر وجهها على الفور، أخذت تنظم العلب أمامها محاولة التظاهر بالانشغال: "أكيد الصيدلية تستاهل... يعني، الشغل هو اللي بيخلينا نحس بقيمتنا."

ضحك معتز وهو يتراجع قليلًا: "صح، الشغل مهم، بس أحيانًا اللي حوالينا هما اللي بيدوا للحياة طعم مختلف."

نورا رفعت عينيها للحظة ثم أشاحت بنظرها بعيدًا، بدت وكأنها تبحث عن مخرج سريع: "طيب، طالما حضرتك رجعت، أنا ممكن أمشي؟ عندي شوية حاجات محتاجة أخلصها في البيت."

أومأ برأسه وهو يعيد ترتيب حقيبته: "ماشي، بس لو احتجتِ أي حاجة... الصيدلية واللي فيها كلها تحت أمرك."

قبل أن تخرج توقفت عند الباب، همست بصوت خافت دون أن تنظر إليه: "شكرًا... على كل حاجة."

خرجت بخطوات سريعة، بينما نظر معتز نحو الباب المغلق، ثم تنهد وهو يتكئ على مكتبه: "هو أنا فعلًا بحب حور؟ ولا هي زيها زي هايدي وحنين... حب أخوي؟"

صمت للحظة، ثم رفع عينيه للفراغ أمامه، متسائلًا بصوت خافت: "ولا يمكن... الحب الحقيقي لسه ما جاش؟ يمكن... يمكن يكون حد زي نورا؟" ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيه، وكأن الفكرة نفسها أربكته، لكنه لم يتمكن من طردها.

في غرفة إيهاب وحنين، آخر الليل

كانا على السرير، حنين ملتفة في حضنه كأنها تبحث عن أمان بين ذراعيه. يدها تعبث بخفة بصدره، بينما عيناه تحدقان في السقف، وكأنهما تبحثان عن شيء غامض.

"إيهاب..." همست حنين وهي تنظر إليه: "إيه اللي شاغلك؟ شكلك مش طبيعي النهارده."

تنهد إيهاب، وكأنه يحمل ثقلًا على صدره، ثم بهدوء:

"كنت شغال النهارده في شقة دكتور بقالنا فترة بنجددها."

رفعت رأسها لتنظر في عينيه، مستغربة: "مالها؟ إيه الموضوع؟"

تردد قليلاً، ثم قرر أن يشاركها ما يدور في ذهنه:

"طلب مني أرسم على حيطة أوضة نومه حاجة غريبة. قفص ذهبي كبير... جواه بنت. ملامحها حالمة، لكن شكلها مستسلم. طلب إن القفص يبان قوي جدًا، وكأنه مش ممكن يتكسر."

حنين شردت للحظة وهي تحاول استيعاب كلامه: "ليه قفص؟ ليه البنت مش حرة؟"

هز إيهاب رأسه بحيرة: "سألته نفس السؤال، قاللي كلام غريب...

قال إن القفص ده ممكن يكون حماية، وإن الجمال محتاج يبقى محبوس علشان يفضل ملك صاحبه."

شعرت حنين بقشعريرة تسري في جسدها، فاقتربت أكثر، ملتفة بذراعيه كأنها تحتمي به من فكرة مجهولة: "الكلام ده يخوف يا إيهاب."

ابتسم بخفة، وحاول تهدئتها وهو يربت على ظهرها: "ما تخافيش، دي مجرد لوحة. يمكن يكون عنده ذكريات معينة أو حاجة بتمثله حاجة خاصة. بس بصراحة... في حاجة فيه غريبة. طريقته وهو بيتكلم... وكأنه مش بيرسم حاجة، كأنه بيحكي عن واقع عاشه."

شعرت حنين بضيق مبهم، ضغطت على ذراعه بقوة: "إيهاب... لو حسيت بأي حاجة مش طبيعية، ابعد عنه."

حرك يده ليمسك بوجهها برفق، ثم عبر بابتسامة مطمئنة: "ما تقلقيش إحنا خلاص خلصنا عنده،بعدين أنا معاكِ وجنبك يا روحي."

لكنها لم تستطع منع نفسها من التعلق به أكثر، وكأنها تخاف من شيء لا تعرفه. دفنت وجهها في صدره وهمست: "خليني قريبة منك، إيهاب. قريبة دايمًا."

شدها إليه بقوة، وكأنه يعلن للعالم أجمع أنها أمانه الوحيد. ثم همس في أذنها: "دايمًا... دايمًا في حضني يا حنين."

في مكتب د. كمال الشريف، جلس أمام الطاولة التي امتلأت باللوحات الجديدة التي سلمها له يامن ورامي ودارين. تأمل اللوحات بعناية، عيناه تفحصان كل تفاصيل الخطوط والتظليل والتلوين.

شيء ما داخله كان يؤكد أن شكوكه صحيحة.

"3 لكل واحد؟" همس لنفسه، ثم اعتدل في جلسته ونظر إلى الثلاثة الطلاب الذين وقفوا أمامه. قال بهدوء: "اللوحات ممتازة كالمعتاد... بس انا طلبت خمسه مش ثلاثة، هنتظر منكم الباقي."

تبادل الثلاثة نظرات القلق قبل أن يجيب رامي: "حاضر يا دكتور، هنشتغل عليهم في أقرب وقت."

هز كمال رأسه وأجاب بابتسامة باهتة: "تمام، بس ما تنسوش إن المعرض قريب... الشغل لازم يخلص."

بعد أن غادر الطلاب، جلس كمال في صمت. حدّق في اللوحات الجديدة، ثم قارنها باللوحات السابقة. نهض فجأة واتجه إلى الهاتف، اتصل بزميله القديم د. سامي العوضي، أستاذ متخصص في دراسة تقنيات الرسم وتحليل الأساليب الفنية.

"ألو، د. سامي؟" قال كمال بحماس: "محتاج مساعدتك. عندي مجموعة لوحات متأكد إن وراها سر، وعايزك تيجي تشوفهم معايا."

وافق سامي بسرعة وحدد موعدًا في اليوم التالي.

في اليوم التالي

في مكتب د.كمال

كان سامي يجلس بجانب كمال في مكتبه، يتأمل اللوحات المنتشرة أمامه على الطاولة بعناية شديدة. كل لوحة كانت تحكي قصة مختلفة، لكن هناك شيء مشترك بينها جميعًا، شيء لا يمكن

تجاهله.

أخذ سامي وقته، يدرس كل لوحة على حدة، عيناه تنتقلان بين تفاصيل الظلال والخطوط الدقيقة واختيار الألوان. كمال جلس بصمت، يراقب صديقه الخبير وهو يحقق في الأمر.

بعد فترة من الصمت المترقب، قال سامي بصوت واثق لكنه مفعم بالإعجاب: "كمال، اللوحات دي كلها من ايد واحدة. واضح جدًا. طريقة التظليل هنا... دقيقة بشكل غير طبيعي، والأسلوب في اختيار الزوايا والانحناءات يدل على شخص متمرس، مش مجرد طالب."

أومأ كمال برأسه، وكأن كلام سامي أكد شكوكه: "يعني مش تلاتة؟ كنت حاسس بده."

ابتسم سامي ابتسامة صغيرة وهو يضع إحدى اللوحات أمامه مباشرة: "مش بس كده. الشخص اللي رسم اللوحات دي عنده مهارة استثنائية في إخفاء هويته، لكن... في حاجة واضحة."

كمال مال بجسده للأمام، فضوله يزداد: "إيه هي؟"

أشار سامي إلى زاوية دقيقة جدًا في إحدى اللوحات، بالكاد تُرى بالعين المجردة: "بص هنا. شوف الإمضاء ده؟"

كمال رفع حاجبيه بدهشة: "إمضاء؟ مكنتش واخد بالي."

أكمل سامي بابتسامة إعجاب: "الإمضاء ده مش واضح، لكنه موجود في كل لوحة تقريبًا، مخفي بين الخطوط أو في الزوايا. ده فن في حد ذاته، إن الفنان يقدر يسيب بصمته بطريقة مبتكرة زي

كده. الشخص ده مش بس موهوب، ده محترف."

كمال أخذ اللوحة بين يديه، يدرس الإمضاء بحذر: "E؟ ده امضاؤه؟"

سامي أومأ بثقة: ""بص هنا. في كل لوحة، في حرف ‹E› صغير جدًا، مخفي في مكان مختلف. ده توقيع الفنان. واضح إنه عنده مهارة إستثنائية في إخفاء التوقيع وأقدر أقولك إن شغله احترافي جدًا. الأسلوب ده مش أي حد يقدر يعمله. الشخص ده عنده خبرة ومهارة تتخطى مستوى أي طالب."

كمال نظر بحذر حيث أشار سامي، ثم ظهرت على وجهه ملامح الدهشة:

"إزاي ملاحظتش ده؟ حرف واحد بس، ومستخبي بشكل عبقري."

أكمل سامي بابتسامة إعجاب:

"ده مش مجرد حرف، ده علامة احتراف. الشخص اللي عمل كده موهوب جدًا، بيعرف يسيب بصمته من غير ما حد ياخد باله بسهولة. والأسلوب ده... واضح إنه شخص عنده خبرة طويلة مش مجرد هاوي."

و أضاف سامي بحماس:

"والحقيقة، مش أي حد يقدر يعمل ده. تنفيذ اللوحات دي مميز جدًا. ده مش مجرد موهبة، ده شخص فاهم أدواته، فاهم إحساسه، وبيعرف يترجمه بأعلى دقة."

استند كمال إلى الكرسي، أفكاره تتصارع:

"والطلبة؟ يعني هما استعانوا بيه أعمل فيهم ايه؟"

ضحك سامي بخفة:

"أكيد. مستواهم لوحدهم مش هيطلع حاجة بالمستوى ده. واضح إنهم كانوا بيحاولوا يغلبوك، لكن من حسن حظهم استعانوا بشخص شاطر، الشخص ده موهبة لازم تطلع للنور، الطلبة دي تخليهم يوصلونا للي رسم اللوحات دي."

كمال تنهد وعيناه معلقتان على اللوحات:

"لازم أشوف الرسام ده. محتاج أفهم إزاي شخص بموهبته مش مشهور."

سامي ابتسم وقال بثقة:

"هيكون لقاء ممتع. الشخص ده مش مجرد فنان، ده قصة بحد ذاته."

كمال حدق في اللوحات مرة أخرى، يدرس الحرف "E" الصغير الذي أصبح فجأة مفتاحًا لكل الأسئلة التي تدور في ذهنه. داخله شعور بالاحترام والتقدير والفضول تجاه هذا الفنان المجهول، الذي استطاع أن يترك أثره ببساطة واحتراف.

جلس د. كمال خلف مكتبه، واللوحات مرتبة أمامه بدقة. دخل رامي ويامن ودارين إلى المكتب بعد أن استدعاهم، وجلسوا بتوتر واضح.

أشار كمال إلى اللوحات وقال بهدوء، لكن بنبرة جدية:

"اللوحات دي جميلة جدًا... أكتر من اللي كنت متوقعه. لكن لازم أكون صريح معاكم: الإسلوب ده مش إسلوب تلاتة أشخاص مختلفين. ده إسلوب واحد. إسلوب فنان محترف."

نظر الثلاثة لبعضهم بإرتباك واضح، ثم بدأ رامي الكلام:

"دكتور، إحنا اشتغلنا كفريق واحد. يمكن علشان كده الإسلوب متشابه."

كمال أومأ، لكنه لم يبدِ اقتناعًا:

"طيب، ممكن. لكن التوافق ده... فيه حاجة مش مفهومة. انتوا أكيد ساعدتوا بعض، صح؟"

يامن تدخل بسرعة:

"طبعًا دكتور، كنا بنقعد مع بعض ونشتغل جنب بعض. يمكن ده السبب إن شغلنا شكله مترابط."

دارين أضافت بابتسامة متوترة:

"وإحنا بنتعلم منك كمان يا دكتور. حضرتك دايمًا بتشجعنا، وده خلانا نحاول نطور من نفسنا."

كمال صمت لثوانٍ، ثم قال:

"بصراحة... أنا عندي إحساس إن في حد ساعدكم. شخص واحد هو اللي ورا اللوحات دي. لو ده حقيقي، مفيش مشكلة. الفن مش عيب إنه يبقى تعاون. أنا مش عايز أحرجكم، لكن لو حد ساعدكم

فعلاً، لازم تقولولي."

رامي رد بحزم، محاولًا الحفاظ على الهدوء:

"دكتور، صدقنا إحنا اللي اشتغلنا عليها بنفسنا. مفيش حد ساعدنا."

يامن أضاف بتوتر أكبر:

"لو كان حد ساعدنا كنا قلنا. دي لوحاتنا."

كمال لم يُظهر أي انفعال، لكنه كان يراقبهم بنظراته الدقيقة. ثم قال بهدوء:

"تمام. بما إنكم متأكدين إنكم انتوا اللي رسمتوا اللوحات دي... هطلب حاجة بسيطة جدًا. عايزكم ترسموا لوحات جديدة قدامي. نفس الأفكار، بنفس الإسلوب، لكن قدامي المرة دي."

تبادل الثلاثة النظرات، وظهر التوتر جليًا على وجوههم. دارين حاولت التخفيف من الموقف:

"دكتور... إحنا محتاجين وقت علشان نشتغل. الرسم مش بيطلع بنفس الجودة لو تحت ضغط."

كمال رد بابتسامة خفيفة:

"أنا فاهم إن الإبداع محتاج وقت، علشان كده مش هضغط عليكم. هنجهز الأدوات، وهتشتغلوا قدامي، بس كده. عايز أشوف شغلكم بنفسي، وأتأكد من الموهبة اللي ورا اللوحات دي."

وقف كمال، ينظر إليهم بثقة:

"بكرة، في المحاضرة، قدام زمايلكم. وأنا واثق إنكم هتبهروني مرة تانية."

لم يعطِهم فرصة للاعتراض أو الرد، واكتفى بإلقاء نظرة أخيرة على اللوحات، قبل أن يشير لهم بالمغادرة.

الثلاثة خرجوا من المكتب، شعورهم بالخوف والخجل يسيطر عليهم. عرفوا أن د. كمال لن يترك الأمر بسهولة، وأن اللحظة الحاسمة تقترب.

في المقهى

يجلس رامي، يامن، ودارين في حالة من التوتر والارتباك. دارين تلعب بمقبض كوب القهوة أمامها، بينما رامي ويامن يحدقان في بعضهما بصمت. أخيرًا، كسر يامن الصمت:

"إحنا في مصيبة حقيقية. بكرة في المحاضرو؟! وهنرسم قدامه؟! ده أكيد هيكشفنا."

دارين، بقلق واضح:

"إحنا ورطنا إيهاب معانا كمان. هو عمل الشغل اللي طلبناه، بس مكنش متوقع يوصل الموضوع لكده."

رامي، بعد أن زفر بعمق:

"لازم نكلمه. يمكن يكون عنده فكرة."

ضغط على اسم إيهاب في هاتفه. بعد ثوانٍ، يجيب إيهاب بصوت هادئ:

"أيوة يا رامي، اخبارك إيه؟"

رامي، وهو يحاول السيطرة على توتره:

"إيهاب، إحنا عندنا كارثة. الدكتور كمال طلب مننا نرسم قدامه بكرة في المدرج. ده أكيد هيعرف إن اللوحات مش بتاعتنا.

إيهاب صمت للحظات، ثم قال بصوت قلق:

"إزاي ده حصل؟ مش كان المفروض إنكم قدمتوا الشغل وانتهى الموضوع؟"

يامن، بلهفة، يأخذ الهاتف:

"كان المفروض، بس الدكتور شاكك إن إيد واحدة رسمت اللوحات. الموضوع طلع من إيدينا، ومش عارفين نعمل إيه."

إيهاب، بتنهيدة عميقة:

"بصراحة... أنا كمان مش عارف. أنا عملت اللوحات وخلصنا، ما تخيلتش إن الدكتور هيدرسها لدرجة يشك إن شخص واحد رسمهم، الدكاترة طول عمرها بتبص على الشكل الخارجي وخلاص."

يامن بتوتر:

"طيب نعمل إيه دلوقتي؟"

دارين، تقطع الحديث بتردد:

"استنى... طب إيه رأيك تكون معانا كطالب؟ إحنا أكتر من 500 طالب في الدفعة، والدكتور كمال مستحيل يعرف كل حد فينا."

رامي يرفع حاجبيه بدهشة:

"معاها حق... القاعة ضخمة جدًا، والمحاضرة 4 ساعات، إحنا بنقعد نظام شلة إنت اكيد عارف الكلام ده، كمال مش هيقدر يفضل فوق دماغنا طول الوقت. لو إنت موجود معانا وساعدتنا بطريقة غير مباشرة، ممكن نعدي الموضوع."

إيهاب، بدهشة:

"معاكم في المدرج؟ وده إزاي إن شاءالله؟"

يامن، بحماس:

"هتساعدنا نرسم، أو على الأقل تدينا الإرشادات. إحنا لوحدنا هنفشل. بس بوجودك، ممكن نطلع بشيء قريب من مستوى اللوحات اللي قدمناها."

دارين، بنبرة متوسلة:

"إحنا عارفين إن ده مش المفروض يحصل، بس إحنا خلاص ورطنا نفسنا. لو حد هيعرف ينقذنا، فهو انت."

إيهاب يفكر للحظات، ثم يتنهد:

"فكرة جنونية، بس... ماشي. لو ده الحل الوحيد، هاجي معاكم. بس متتوقعوش إن ده هيخلص الأمور تمامًا. ربنا يسترها."

رامي، بامتنان:

"إيهاب، إحنا مش عارفين نشكرك إزاي.."

إيهاب ينهي المكالمة وهو لا يزال يشعر بالتردد. يتأمل أدواته وأفكاره تتصارع في رأسه:

"إزاي ورطت نفسي كده؟"

في غرفة إيهاب وحنين، آخر الليل

كان إيهاب يجلس على طرف السرير، يمرر يده على شعره بتوتر، بينما حنين تقف أمامه، تنظر إليه بقلق واضح.

"إيهاب، شكلك مش مرتاح. إيه اللي حصل؟" سألت حنين بصوت هادئ لكنها لا تخفي قلقها.

تنهد إيهاب بعمق، ثم رفع عينيه إليها:

"فاكرة لما قلت لك إني عملت لوحات لطلاب في كليتي؟"

أومأت حنين برأسها: "أيوه، إيه المشكلة؟"

"الطلاب دول، اللي هم رامي ويامن ودارين، كانوا محتاجين اللوحات عشان يقدموا شغلهم للدكتور بتاعهم... وفعلًا قدموها." توقف قليلًا، وكأنه يحاول اختيار كلماته بعناية.

حنين، بحذر: "وإيه اللي حصل بعد كده؟"

أكمل إيهاب بنبرة محبطة:

"الدكتور اللي بيشرف عليهم، شك إن كل اللوحات دي مش شغلهم. اكتشف إن كل اللوحات وراها نفس الإيد، يعني أنا. النهارده واجههم، وسألهم إذا حد ساعدهم، بس أنكروا تمامًا."

حنين جلست بجانبه، محاولة أن تستوعب التفاصيل:

"وبعدين؟"

نظر إليها إيهاب بحيرة:

"طلبوا مني أساعدهم تاني. قالوا لي إن الدكتور كمال قرر يخليهم يرسموا قدامه في المدرج بكرة وسط زمايلهم. عشان كده قالوا لي أروح معاهم كطالب... لأن الدفعه أكتر من 500 طالب، والدكتور مش هيعرفهم كلهم اكيد."

حنين، بدهشة:

"يعني عايزينك تكون معاهم وتساعدهم في الرسم؟"

هز رأسه بتردد:

"أيوه. الفكرة جنونية، بس هم في موقف صعب جدًا. لو الدكتور كمال اكتشف الحقيقة، هيبقى في مشكلة كبيرة ليهم...."

حنين ظلت تنظر إليه لبعض الوقت، ثم بهدوء:

"حبيبي، أنا عارفة إنك دايمًا بتحب تساعد الناس، بس مش شايف إن ده ممكن يسبب لك مشاكل؟"

رد إيهاب بصدق:

"مش عارف يا حنين، وده اللي مخليني متردد. بس في نفس الوقت، هما دفعوا قصاد اللوحات، وأنا حسيت إنهم وثقوا فيا."

حنين وضعت يدها على يده بلطف، ونظرت إليه بعينين تحملان

الحب والقلق:

"إيهاب، إنت مش مسؤول عن أخطائهم، بس لو قررت تساعدهم، براحتك يا حبيبي أنا معاك."

ابتسم إيهاب بخفة، وشعر بدفء كلماتها:

"دي أكتر حاجة كنت محتاج أسمعها. شكرًا يا حنين، "

حنين، بابتسامة صغيرة:

"أنا مش بس مراتك، أنا شريكتك في كل حاجة. وأيًا كان قرارك، أنا جنبك."

إيهاب شعر براحة أكبر بعد حديثه مع حنين. رغم التحديات، كان وجودها بجانبه كافيًا ليشعر بالقوة والقدرة على مواجهة أي موقف.

في المدرج الكبير

يدخل الطلاب المدرج الضخم في الصباح الباكر. دخل إيهاب مع رامي ويامن ودارين، متخفيًا بين الحشد. كمال يقف في الامام، ينظر إلى الحضور:

"النهارده هنشوف مواهبكم. كل طالب يبدأ شغله، وأنا همر على كل واحد فيكم أشوف اللي بتعملوه."

الطلاب ينطلقون للعمل

في الزاوية الخلفية من المدرج، جلس إيهاب بهدوء بجانب رامي ويامن ودارين. كان يرتدي سترة بسيطة وقبعة لإخفاء ملامحه بعض الشيء، متجنبًا أي نظرات قد تكشف هويته.

همس إيهاب بصوت منخفض وهو يوزع نظراته بين الثلاثة:

"طيب، ابدأوا بخطوط بسيطة. خليكم في البداية على قد إمكانياتكم، وأنا هساعدكم لما يكون كمال بعيد."

دارين، التي كانت أكثرهم توترًا، همست:

"طب لو جه عندنا؟ هيعرف على طول إننا مش احنا اللي بنرسم."

إيهاب رد بابتسامة خفيفة:

"اهدي إنتِ بتعرفي ترسمي وأنا هساعدك. ركزوا على الخطوط الأول، والباقي عليّ."

بدأ الثلاثة العمل، بينما إيهاب يراقب الأجواء. د. كمال كان يتحرك ببطء بين الصفوف، يتفحص أعمال الطلاب ويعلق على بعضها.

عندما ابتعد كمال قليلًا، اقترب إيهاب من دارين وهمس وهو يمسك الفرشاة من يدها:

"حاولي تستخدمي ضربات خفيفة للفرشاة هنا، وامزجي الألوان بالشكل ده."

ثم انتقل بعدها إلى يامن، وأشار إلى رسمته:

"هنا محتاج تضيف تفاصيل أكتر في الخلفية، ده هيغطي على أي ضعف في المقدمة."

رامي رفع رأسه بخفة وقال بهمس متوتر:

"إيهاب، أنا مش قادر أركز. لو كمال جه دلوقتي..."

قاطعه إيهاب بابتسامة مطمئنة:

"ركز على اللي في إيدك بس. كمال مش هيقدر يشوف كل التفاصيل في الوقت ده."

مع مرور الوقت، كانت ملامح التوتر تقل تدريجيًا، وبدأ الثلاثة ينتجون أعمالًا جيدة بمساعدة إيهاب. كان يتحرك بينهم بخفة، يرسم قليلًا في كل لوحة دون لفت الانتباه.

دخل د. سامي المدرج الضخم بخطوات واثقة، عيناه تجولان بين الطلاب المنتشرين على الطاولات الكبيرة، يتابعون الرسم بحماس أو بتوتر. اقترب من د. كمال الذي كان يجلس في مكانه المعتاد، يتابع الأجواء بترقب.

سامي، بابتسامة ماكرة:

"الفضول وحش، كمال. جيت أشوف المتهمين اللي محيرينك."

ضحك كمال، وعلق بخفة:

"تعال اقعد جنبي، المتعة لسه ما بدأتش."

جلس سامي بجانبه، ووجه نظره نحو الطلاب: هم فين؟

أشار كمال برأسه وضحك بخفوت:

"هناك بيرسموا... أو بيحاولوا."

نظر سامي إليهم بتمعن، ثم قال بجدية ممتزجة بالفضول:

"مع العدد الكبير ده، صعب نركز عليهم. بس أنا لو مكانك هروح

أقعد فوق راسهم عشان أشوف شغلهم."

كمال أشار إليه بيده ليهدأ:

"استنى شوية. خليهم يحسوا بالأمان الأول. الطيور ما بتقربش للفخ لو شافتك مستنيها."

ضحك سامي، لكنه لم يخفِ فضوله:

"إنت ما بتتغيرش أبدًا يا كمال. بس عندك حق، خليهم يطمنوا شوية."

تابعا الاثنين الطلاب بصمت، يراقبان كل حركة لهم. بينما في الزاوية، كان يامن، رامي، ودارين يتبادلون النظرات المتوترة، يحاولون التظاهر بالتركيز على الرسم. وبجوارهم، جلس إيهاب متنكرًا بين الطلاب، يحاول الاندماج في الأجواء، لكنه لم يستطع التخلص من الشعور بأن كل الأنظار متجهة إليهم.

د. سامي بعد فترة من الصمت: "إنت ملاحظ اللي لابس كاب ده وبيتنقل بينهم؟ ولا بيتهيألي؟"

د. كمال مبتسمًا بخبث وهو يراقب إيهاب: "ملاحظ ومتابع كمان. ده بيرسم في كل لوحة شوية. ده هو الفنان بتاعنا صاحب حرف الـE. تفتكر اسمه إيه؟"

سامي متعجبًا: "اسمه؟"

د. كمال وهو يبتسم بتسلية: "أيوه، اسمه! حرف الـE، تعال نخمن اسمه ونشوف مين فينا صح."

سامي بعد لحظات من التفكير: "إسلام؟ إياد؟ إبراهيم؟"

د. كمال وهو يضيف: "ممكن كمان إيمان، بس مش ينفع يكون ولد وبنت."

سامي ضاحكًا: "ينفع طبعًا! وفيه كمان إيليا، إيلياس."

د. كمال وهو يضحك: "إيليا أبو ماضي ولا إيه؟"

سامي ضاحكًا: "ممكن، بس خليها مفاجأة، خلينا نتابع شوية."

ظل كمال و سامي يضحكان وهما يراقبان إيهاب وهو يتنقل بين الطلاب، مستمتعين بالمزاح والتخمين حول هويته، وكلما اقترب منهم إيهاب أكثر، زاد حماسهما في كشفه.

انتهت المحاضرة، وبدأ الطلاب يتوجهون نحو مقدمة المدرج لتسليم اللوحات. كانت القاعة تعج بالهمسات والحركة، لكن هدوء كمال وهو يجمع اللوحات جعل الجميع يشعر بثقل الجو.

رامي ويامن ودارين اقتربوا من كمال، يحاولون التصرف بهدوء وهم يضعون اللوحات أمامه. كمال نظر إليهم بنظرة ثابتة قبل أن يقول بهدوء غامض:

"جميلة اللوحات، بس.عندي طلب صغير"

رفع رأسه ببطء، وألقى نظرة مباشرة عليهم:

"اتصلوا بصاحبكم اللي كان لابس كاب... وتعالوا كلكم على مكتبي فورًا."

الثلاثة تجمدوا في مكانهم، تبادلوا نظرات متوترة. دارين حاولت

الابتسام بتوتر:

"دكتور، إحنا مش فاهمين حضرتك تقصد إيه؟"

كمال رد بابتسامة باردة وهو يعقد ذراعيه:

"بالعكس إنتو فاهمين كويس اقصد إيه فاتحركوا يلا."

نظرته الحادة جعلت الكلمات تتجمد في حناجرهم. يامن حاول الاعتراض:

"دكتور، إحنا... إحنا كنا بنشتغل لوحدنا..."

قاطعه كمال بنبرة حازمة:

"ما تحاولش، يامن. أنا سايبكم بمزاجي وسايبه يرسم في كل لوحة شوية."

رامي، الذي بدأ وكأنه فقد القدرة على الكلام، حاول التظاهر بالهدوء:

"دكتور، إحنا... هو كان بس معانا يتفرج..."

كمال لم يعطِهم أي فرصة:

"ما تضيعوش وقتي. يا إما تتصلوا بيه دلوقتي وتطلبوا منه ييجي مكتبي، يا إما هتشوفوا مني وش مختلف."

نظرته جمدتهم تمامًا، وعرفوا أنهم لا يملكون أي خيار. دارين أخرجت هاتفها بيد مرتجفة، وضغطت على رقم إيهاب، وقالت بصوت مضطرب:

"إيهاب، الدكتور كمال عايزك في مكتبه... فورًا."

كمال اكتفى بابتسامة صغيرة وهو ينظر إليهم:

"شكرًا، هنتظركم في مكتبي."

ثم أشار لهم بيده:

"اتفضلوا."

الثلاثة خرجوا من المدرج بصمت ثقيل، والقلق ينهش قلوبهم، بينما كمال جمع اللوحات ووضعها بعناية على مكتبه، منتظرًا وصول إيهاب.

كان المكتب هادئًا، لكن التوتر يملأ الأجواء. إيهاب، رامي، يامن، ودارين وقفوا أمام الطاولة الكبيرة، بينما جلس د. كمال وسامي على الجانب الآخر. كمال كان يعبث بقلم بين أصابعه، بينما سامي يراقبهم بصمت، نظراته تتفحصهم كما لو كانوا لوحات فنية.

كمال بدأ الحديث بنبرة هادئة لكنها حادة:

"خلوني أبدأ بشكر رامي ويامن ودارين على اللوحات الجميلة اللي قدمتوها. بس، خليني أكون واضح... إحنا مش هنا عشان نتكلم عن جمال اللوحات."

نظر مباشرة إلى إيهاب:

"وإنت... أكيد عارف ليه أنا طلبتك."

إيهاب، الذي حاول الحفاظ على هدوئه، قال بثقة مصطنعة:

"أنا جيت مع زمايلي عشان أساعدهم. الرسم كان جزء من التدريب الجماعي."

سامي رفع حاجبه بابتسامة خفيفة:

"مساعدة؟ طب عظيم، بس... المساعدة دي شملت توقيعك المخفي بحرف الـE على كل اللوحات؟"

إيهاب جفل للحظة، لكنه سرعان ما استعاد تماسكه:

"التوقيع كان عفوي. أنا ما قصدتش أسبب أي مشكلة."

كمال انحنى إلى الأمام، نظرته تخترق إيهاب:

"عفوي؟ إيهاب، أنا لاحظتك طول المحاضرة. كنت بتتنقل بين الثلاثة، وترسم في كل لوحة شوية. ده مش تدريب جماعي، ده شغل فنان محترف بيتغطى تحت أسماء تانية."

رامي حاول التدخل، بصوت مهتز:

"دكتور، إحنا طلبنا مساعدة إيهاب لأنه موهوب. ما كناش عارفين إن الموضوع هيبقى معقد كده."

سامي قاطعهم، ناظرًا إلى إيهاب:

"طيب يا إيهاب، خلينا نكون واضحين. إنت فنان موهوب جدًا، وشغلك يستحق إنك تكون في المقدمة. ليه تختار تشتغل في الظل؟

إيهاب نظر إلى الأرض للحظة، ثم رفع رأسه:

"أنا بحب الرسم، ودي كانت فرصة إني أساعد زمايلي وأكسب

شوية فلوس. الموضوع مكانش أكتر من كده."

كمال أومأ برأسه:

"طيب. بس المشكلة إنك مش بس ساعدت،إنت كنت الرسام الحقيقي ورا كل شغلهم. وأنا لو كنت طالب، ما كنتش هرضى إن حد تاني ياخد مكاني أو يعبر عن موهبتي."

دارين، التي كانت تبدو على وشك البكاء:

"دكتور، إحنا كنا محتاجين مساعدة. إحنا ما كناش بنحاول نغش، بس... كنا خايفين إن شغلنا ما يكونش كفاية."

كمال نظر إليها بهدوء:

"الخوف مفهوم، بس الاعتماد الكامل على شخص تاني مش حل. ولو استمريتم كده، عمركم ما هتعرفوا تطوروا موهبتكم."

التفت إلى إيهاب مجددًا:

"وأنت، موهبتك أكبر بكتير من إنك تبقى في الكواليس. ليه مش بتقدم شغلك وتبقى في المقدمة؟"

إيهاب نظر إلى سامي وكمال، ثم قال بصراحة:

"أنا مش مستعد للوقوف في المقدمة. الرسم هو شغفي، بس ما حسيتش إنه الوقت المناسب إني أظهر."

سامي ابتسم:

"إيهاب، كل فنان بيخاف من لحظة الظهور. بس الموهبة الحقيقية

هي اللي بتفرض نفسها. وأنا أعتقد إن الوقت جه إنك تكون في النور."

كمال أضاف بنبرة جدية:

"إيهاب، أنا مش هنا علشان ألومك. بالعكس، أنا شايف فيك فنان واعد جدًا. بس لازم تتعلم إن الموهبة زي السيف، يا تقوده، يا يجرحك."

ثم اضاف لطلبته:

"اللوحات دي هتبقى معايا، عشان أدرسها أكتر. وبالنسبة لكم... اتعلموا من التجربة دي. الموهبة حاجة عظيمة، لكن الاعتماد على غيركم هيقف قصادكم في المستقبل."

ثم أشار بيده نحو الباب:

"تفضلوا، دلوقتي ممكن تمشوا. بس افتكروا دايمًا إن الشغل الحقيقي بيبدأ لما تواجهوا نفسكم. إيهاب إنت خليك"

رامي ويامن ودارين تبادلوا نظرات مرتبكة، ثم غادروا المكتب بصمت، تاركين إيهاب وحيدًا مع كمال وسامي.

كمال استند إلى مكتبه، عاقدًا ذراعيه، ثم أشار لإيهاب بالجلوس:

"دلوقتي، تعال نتكلم بجد."

إيهاب جلس على الكرسي، يحاول أن يبدو واثقًا رغم ارتباكه. سامي كان ينظر إليه بعين فاحصة، بينما كمال بدأ الحديث بنبرة هادئة لكنها عميقة:

"إيهاب، موهبتك مش حاجة سهلة تتجاهلها. شغلك واضح فيه إحساس ومهارة مش أي حد يقدر يوصلها. سؤالي هو: ليه بتختار تبقى في الظل؟"

تنهد إيهاب بحزن: زي ما قولت لحضرتك الرسم

قاطعه سامي باصرار: إحنا دلوقتي لوحدنا يا إيهاب، إنت فنان، تعال اشتغل معانا في الجامعه، بنعمل معارض و

قاطعه إيهاب: أنا متشكر لعرضك بس مش هينفع

كمال باستغراب: ليه؟ إيه اللي مش هينفع؟ إنت رسمت اللوحات دي بمقابل مادي يعني إنت محتاج للمادة فليه بترفض شغل فيه شغفك؟

سيطر الصمت للحظات إلى أن نطق إيهاب آخيرًا: هل ينفع اشتغل معاكم بدون شهادة جامعية؟ مش عندي شهادة أنا مكملتش تعليمي

سيطرت الصدمة للحظات قبل أن يتخطاها سامي: ليه مكملتش؟ ينفع تتكلم معانا بصراحة وثق إن كل اللي هتقوله هيفضل بينا

حكى لهم إيهاب قصته وتضحيته للنهاية وسمعاه بتأثر واضح وتعاطفا مع حكايته

سامي بابتسامة مشجعة:

"إيهاب، اللي عملته لعيلتك رائع، لكن ده مش نهاية الطريق. ممكن ترجع لحلمك، حتى لو بخطوات بسيطة."

إيهاب نظر إليهما، وكان في عينيه مزيج من الحيرة والألم:

"أنا ما عنديش رفاهية الوقت أو الفرصة. الرسم بالنسبة لي هو مجرد شغل جانبي دلوقتي."

كمال، بنبرة واثقة:

"لكن إنت محتاج تفكر في نفسك كمان. موهبتك مش عادية، وهي اللي ممكن تفتح لك أبواب جديدة. ليه ما تحاولش ترجع تكمل دراستك؟"

إيهاب رفع رأسه ببطء:

"أرجع؟ بعد كل السنين دي؟"

سامي، بإصرار:

"طبعًا. ما فيش حاجة اسمها فات الأوان. لو موهبتك وصلت للمستوى ده وإنت شغال على الهامش، تخيل ممكن توصل لفين لو رجعت تدرس وتطور نفسك."

أكمل كمال:

"إحنا هنا نساعدك، لو قررت تبدأ. الفرصة لسه موجودة، والمستقبل ملكك لو قررت تاخده."

إيهاب ظل صامتًا للحظات، كلماتهم تلامس شيئًا عميقًا داخله. في النهاية، أومأ برأسه بخفة:

"هفكر في كلامكم... شكراً."

كمال ابتسم وربت على كتف إيهاب:

"ده كل اللي مطلوب دلوقتي. فكر، وخد القرار اللي يناسبك، ينفع بقى تديني رقمك ممكن احتاج منك لوحات نشارك بيها في معارض."

ابتسم إيهاب وهو يدون رقمه بفرحة ثم يغادر المكتب، وكلماتهم تدور في ذهنه. ربما، لأول مرة منذ سنوات، بدأ يرى بصيصًا من الأمل للعودة إلى حلمه.

في المساء، عاد إيهاب إلى المنزل، تبدو عليه علامات الإرهاق والتفكير. حنين، التي كانت تقرأ روايتها المفضلة، رفعت عينيها من الكتاب فور دخوله.

"إيهاب، طمني، عملت إيه بالتفصيل الممل في الجامعة؟ قولتلي لما أجي تحكيلي. يلا، أنا مستنية."

جلس إيهاب على الأريكة، وتنهد بعمق: "حصلت حاجات كتير. كمال الشريف طلبني أنا ورامي ويامن ودارين في مكتبه بعد المحاضرة."

بدأ إيهاب يروي لها ما حدث في مكتب كمال، وأنهى كلامه وهو يقول: "وفي الآخر، طلب مني أكمل دراستي. سامي وكمال الاتنين كانوا مصممين إني أرجع الكلية، بس... مش عارف، حنين."

وضعت حنين يدها على يده بلطف، وابتسمت: "ليه مش عارف؟ مش ده كان حلمك؟ الرسم هو حياتك يا إيهاب. ليه ما ترجعش؟"

نظر إليها إيهاب بتردد: "حنين، أنا سبت الكلية من سنين. غير كده، ما ينفعش أرجع بعد ما ضيعت كل الوقت ده."

ابتسمت حنين وربتت على كتفه: "مين قال كده؟ الوقت اللي فات مش ضايع. إنت كنت بتضحي علشان عيلتك، وده مش حاجة سهلة. بس دلوقتي، ليه ما تديش نفسك فرصة تانية؟"

علق بهروب: "حنين، أنا حتى ما عنديش شهادة."

حنين، بإصرار: "لو إنت مؤمن بموهبتك، الشهادة مش هتكون عائق. سامي وكمال نفسهم قالوا إنهم هيقفوا جنبك، وده معناه إنك مش لوحدك. وأنا كمان معاك، إيهاب."

رفع رأسه لينظر في عينيها، ووجد فيهما صدقًا وحبًا لا حدود له. قال بابتسامة خفيفة: "حنين، دعمك ده صدقيني مفرحني وفارق معايا، ويمكن فعلاً لازم أفكر في الموضوع."

أمسكت يده بإحكام وقالت: "مش بس تفكر، إيهاب. خليك جريء، زي ما كنت دايمًا. أنا عارفة إنك تقدر تحقق كل حاجة تتمناها."

شعر إيهاب بدفعة من الأمل من كلماتها، وكأنها أضاءت طريقًا كان مغلقًا أمامه. لكنه استدرك بعد لحظة وهو يمسك يديها الاثنتين: "حبيبتي، صدقيني أنا عايز أعمل ده. بس خلينا واقعيين: فين الوقت يا حنين؟ هشتغل ولا هدرس؟ دلوقتي في التوقيت ده لا يمكن. زي ما قلت، مازن هيتخرج وهبة كمان. ساعتها هرجع أكمل. قبل كده مش هينفع. اتفقنا؟"

ضغطت على يده، ثم دخلت بين ذراعيه بحب: "براحتك يا حبيبي. أنا كل اللي يهمني إنت وبس، ومعاك في أي قرار تاخده."

***

12

جلس إيهاب مع عائلته حول طاولة الافطار بينما كانت حنين قد غادرت إلى عملها. الجو كان هادئًا، لكن التوتر كان واضحًا على ملامح إيهاب وهو يحاول أن يجد الكلمات المناسبة للحديث.

"أنا عايز أحكيلكم عن حاجة حصلت امبارح في الجامعة." بدأ إيهاب كلامه بحذر، بينما رفعت قدرية حاجبها ونظرت إليه بتوجس، ومازن يركز على هاتفه.

قدرية، بتهكم: "جامعة؟ جامعة إيه يا إيهاب؟"

إيهاب تجاهل نبرتها وسرد باختصار ما حدث مع د. كمال وسامي، ثم أضاف: "هما شجعوني أرجع أكمل دراستي. قالولي إن موهبتي تستاهل إني أديها فرصة تانية."

مازن، الذي بدا مستمتعًا بكلام إيهاب، قال بتهكم: "برافو يا أخي! نرجع ندرس تاني ونسيب الشغل، والبيت يدفع تمن أحلامك بقى، صح؟"

إيهاب نظر إليه بحدة: "مازن، الموضوع مش زي ما بتقوله. أنا بفكر في حاجة تفيدنا كلنا على المدى الطويل."

قدرية قاطعت بنبرة صارمة: "تفيدنا إزاي؟ وإحنا مين هيصرف علينا لحد ما حضرتك تخلص دراستك؟ ولا عايز تاخد فلوس الشغل اللي يدوب بتكفينا وتضيعها على الجامعة؟"

هبة حاولت التدخل بلطف: "ماما، يمكن فعلاً يكون عنده فرصة. لو

قدر يطور موهبته، ممكن ده يفتح أبواب جديدة لينا."

مازن ضحك بسخرية: "يا هبة، خليكِ في الإعلام اللي إنتِ فيه. الموضوع مش محتاج تفكير، إحنا محتاجين فلوس دلوقتي، مش بعد خمس سنين لما يبقى فنان مشهور."

إيهاب كان يراقبهم بوجع. كل ما أراده هو أن يشعر بدعمهم، أن يختاروه كما كان يختارهم دائمًا. كان مستعدًا أن يخبرهم أنه رفض العرض وأخذ القرار بالانتظار حتى يتخرجوا، لكنه أراد فقط أن يرى دعمهم مرة واحدة. ومع ذلك، خذلوه... مرة أخرى.

حاول أن يتمالك نفسه وقال بحزم: "مازن، أنا طول عمري واقف جنبكم، عمري ما قصرت في أي حاجة. بس دلوقتي عايز أفكر في مستقبلي شوية."

قدرية، بحدة: "وإحنا مش مستقبلك؟ أنا مش عارفة إزاي بتفكر تسيب شغلك دلوقتي، ده كأنك بتقول إننا مش مهمين بالنسبة ليك."

كلماتها كانت كطعنة في صدره. حاول أن يتمالك نفسه: "أنا ما قلتش كده، ولا عمري هقول كده. كل اللي بفكر فيه إن الدراسة ممكن تفتح قدامي أبواب أكتر."

مازن، وهو يضع كوب الشاي بعنف على الطاولة: "أبواب إيه بس؟ إحنا مش عايشين في فيلم. خلينا في الواقع، يا إيهاب. إحنا محتاجينك تفضل زي ما إنت، مش تقرر فجأة تلاحق حلم انتهى."

الصمت خيم على المكان. هبة كانت تنظر إلى إيهاب بعينين تحملان الأسف، بينما قدرية ومازن لم يظهرا أي تعاطف.

إيهاب وقف فجأة وقال بنبرة موجوعة: "ماشي، فهمت. معلومة صغيرة: أنا رفضت العرض بتاعهم وقررت إني أنتظر لحد ما أنتم تخلصوا. أنا بس كنت عايز أعرف رد فعلكم، و—" أضاف بتهكم مرير: "الحمدلله ما خيبتوش أملي فيكم كالعادة."

ثم ترك الطاولة وغادر، مخلفًا وراءه جوًا مشحونًا بالكلمات غير المعلنة، بينما بقيت هبة تتابع خروجه بعينين تملؤهما الحزن.

جلست هدير على الأرض في غرفة المعيشة الصغيرة، تحاول تنظيم المكان، بينما كان زيد يجلس على السجادة أمامها، يلهو بسيارته الصغيرة. كانت الشمس تخترق النافذة، تُلقي بأشعتها الدافئة على وجهها، لكن قلبها كان يحمل مزيجًا من الألم والأمل.

"ماما، شوفي! العربية بتطير!" قال زيد بحماس، بينما كان يحرك السيارة بيده في الهواء.

ابتسمت هدير بحنان، وهي تراقب براءته: "فعلاً؟ أنا عمري ما شفت عربية تطير كده! شاطر يا زيد."

رغم ابتسامتها، كان الحزن واضحًا في عينيها. الطلاق من هشام بعد خيانته مع إيمي كان ضربة موجعة،لكنها كانت تعرف أنه القرار الصحيح. الابتعاد عنه لم يكن فقط لإنقاذ نفسها، بل أيضًا لحماية زيد من تأثيرات علاقة فاشلة.

رنين هاتفها قطع أفكارها. كانت مكاملة من عمرو:

"عاملة إيه يا روحي؟ احسن دلوقتي؟ قولت اطمن عليكِ في شقتك الجديدة، مش كنتِ بقيتي معانا يا ديرو؟

تنهدت هدير: "إحنا بخير يا عمرو، ما تقلقش علينا. بنبدأ من جديد، خطوة بخطوة."

وضعت الهاتف جانبًا ونظرت إلى زيد، الذي كان مشغولًا تمامًا بعالمه الصغير. اقتربت منه وجلست بجانبه.

"زيد، عارف إننا أنا وإنت هنبدأ حياة جديدة مع بعض؟ هنكون أقوى من أي حاجة عدت."

رفع زيد رأسه نحوها، وعيناه اللامعتان مليئتان بالفضول: "يعني هنكون زي الأبطال يا ماما؟"

ضحكت هدير وهي تحتضنه: "بالضبط، إحنا أبطال. أنا وإنت فريق واحد."

بينما كانت تحتضنه، شعرت بقوة غريبة تتسلل إلى داخلها. هشام قد خانها، وأحلامها القديمة تحطمت، لكنها الآن تملك سببًا قويًا للنهوض: زيد.

همست لنفسها: "اللي حصل كان نهاية، لكن كمان بداية. أنا وزيد هنكون بخير، وهبني حياتنا من جديد، مهما كان التمن."

وقفت فجأة وقالت بحماس: "يلا يا بطل! نخرج نجيب حاجات جديدة للبيت؟ ونأكل آيس كريم كمان؟"

قفز زيد بسعادة: "آيس كريم! يلا بسرعة!"

أخذت هدير يد زيد بحنان، وخطت معه أولى خطواتها نحو حياة جديدة، تاركة وراءها الماضي بكل ألمه.

دخلت سارة مكتب زهير في البنك بعد أن استجمعت شجاعتها. كان زهير جالسًا خلف مكتبه، يراجع بعض الملفات، وعندما رآها، لم يظهر على وجهه أي تعبير يدل على الترحيب.

"صباح الخير، زهير..." قالت سارة بصوت هادئ، محاولة أن تخفف من حدة توتر الأجواء.

رفع زهير عينيه إليها بهدوء، ثم عاد إلى أوراقه: "صباح الخير، أستاذة سارة. لو عندك طلب متعلق بالشغل، ممكن تقدميه بشكل رسمي."

تجمدت للحظة، ثم اقتربت قليلاً: "زهير، ممكن نتكلم دقيقة؟ الموضوع مش متعلق بالشغل."

رفع رأسه ببطء، عاقدًا ذراعيه: "لو مش متعلق بالشغل، يبقى مفيش داعي للكلام. أنا مديرك هنا، وأي موضوع شخصي مكانه مش البنك."

تنهدت، وحاولت بصوت مكسور: "أنا بس... كنت عايزة أقولك إن اللي حصل كان غلط، وإني ندمانة. أنا بحبك يا زهير، ولو رجع الزمن كنت هعمل كل حاجة بشكل مختلف."

زهير نظر إليها ببرود و بهدوء قاطع: "الندم ما بيغيرش حاجة يا سارة. اللي حصل حصل، وأنا مش ناوي أرجع أفتح صفحات قديمة. اللي بينا انتهى، وأنا هنا كمديرك، مش أكتر."

حاولت سارة أن تقترب أكثر، وهي تقول بنبرة متوسلة: "زهير، أنا عارفة إني غلطت، بس ما تحاسبنيش على الماضي. أنا بحبك، وكل

حاجة عملتها كانت بدافع خوفي، مش أكتر."

أوقفها بيده وهو يقول بحزم: "سارة، كفاية. الكلام ده ملوش مكان هنا. لو عندك شغل، اتفضلي اتكلمي. غير كده، الباب قدامك."

شعرت سارة وكأن الكلمات تخنقها، لكنها حاولت مجددًا: "أنا بس عايزة فرصة، فرصة واحدة أثبتلك فيها إني اتغيرت وإني بحبك ومستعدة أعمل أي حاجة علشانك."

وقف زهير من كرسيه ونظر إليها بجدية: "الحب مش كفاية يا سارة. الثقة لما تتهد، ما بتتبنيش بالكلام. بعدين، أي تغيير بتتكلمي عنه وإنتِ زي ما إنتِ."

نظرت له بحيرة فوضح لها: "تقدري تقوليلي ليه طلبتي مني أجيب إيهاب هنا، جوز صاحبتك؟" نظرت له بصدمة، فأكمل: "قولتي كذا مرة إنه غامض وإنك عايزة تساعديها وأنا صدقتك. افتكرتك بجد عايزة تقفي جنبها. طلعتِ بس عايزة تشمتي فيها وتوري الناس إن جوزها شخص بسيط. لكن صاحبتك طلعت أحسن منك. رفعت راسها وما استعرتش من جوزها البسيط. بالعكس، تفاخرت بيه. فأي تغيير بتتكلمي عنه، هاه؟"

صمت للحظة وهو ينظر إليها بعينين صارمتين: "أنا مش مهتم بأي محاولات صلح. اللي بينا انتهى."

نظرت إليه بعينين ممتلئتين بالدموع، لكنها لم تجد أي تعبير على وجهه سوى البرود. لم يكن هناك شيء لتفعله سوى أن تستدير وتغادر المكتب، تاركة وراءها أملًا محطمًا.

زهير جلس مجددًا على مكتبه، تنهد بعمق، ثم عاد إلى أوراقه كأن شيئًا لم يكن.

إيهاب كان عائدًا من عمله، المطر يتساقط بغزارة والبرد يلفح وجهه. كان يقود دراجته النارية ببطء، متجاهلًا البرد والمطر، بينما فكرة واحدة تشغل ذهنه. توقف على جانب الطريق، أخرج هاتفه واتصل بزوجته.

قال بحماس يشوبه دفء خاص:

"حنين، قومي بسرعة، البسي حاجة تقيلة وانزلي أنا تحت."

ردت حنين بصوت يملؤه الاستغراب:

"إيهاب، الدنيا برد ومطر، إيه اللي بتفكر فيه؟!"

أصر بإلحاح وكأنه طفل يعد مفاجأة كبيرة:

"لو بتحبيني، اجهزي دلوقتي. البسي جاكت وتر بروف، وحاجة تقيلة علشان البرد. أنا مستنيكِ."

أنهى المكالمة تاركًا إياها في حيرة ممزوجة بالتشويق. ارتدت ملابسها الثقيلة، فتحت الباب لتجده واقفًا أمام الشقة ينتظرها،مبللًا بالكامل ولكن وجهه مضاء بابتسامة دافئة.

قال وهو ينظر إليها بعينين تلمعان كأنهما تخفيان سرًا:

"ارمي المظلة... المطر أحلى من تحتها."

نظرت إليه بتردد، ثم تركت المظلة ببطء واقتربت منه:

"إيهاب، إنت بتفكر في إيه؟"

أمسك بيدها برفق وكأنه يحمل كنزًا:

"تعالي معايا...."

قادها عندما وصلا لسطوح المبنى، فتحت الباب ببطء، لتجد السماء تمطر بغزارة، والمشهد أمامها كلوحة حية.

التفتت إليه باندهاش:

"إيهاب! إحنا هنا ليا؟ الجو برد والدنيا مطر!"

اقترب منها بهدوء، عيناه تنبضان بالحب، وأمسك يديها بحنان.

"مش كان نفسك ترقصي تحت المطر؟ تعالي نتجنن، الليلة دي مش زي أي ليلة."

كانت تنظر إليه، وكأنها لا تصدق. لطالما كان هذا الحلم دفينًا بداخلها، أمنية طفولية لطالما كبتتها الظروف والأعراف. شعرت وكأنه يعيد لها جزءًا مفقودًا من نفسها.

منذ صغرها تحلم بهذا، لكن والدتها كانت تنهرها دائمًا، تخبرها أن المطر ليس للعب. حتى بعدما كبرت، الجميع كان يهرب من المطر، لكن الآن، إيهاب يقف أمامها، يمد لها يده، يحقق لها أمنية ظلت مدفونة.

علقت بخجل ممزوج بالفرح:

"إيهاب... إنت مجنون!"

ابتسم بشقاوة وهو يشدها برفق إلى قلبه:

"ومين قالك إني عاقل؟ تعالي نعيش لحظة واحدة من الجنون."

بخطوات مترددة لكنها مفعمة بالشوق، تحركت معه تحت المطر. كان يضحك، يركض، يتقاذف معها الماء بمرح طفولي، فيما صوت المطر يملأ الجو. نظرت إليه، غارقة في الضحك، وهي تدرك أنها لم تشعر بهذا التحرر منذ زمن طويل.

توقف فجأة، احتضنها بقوة وكأن المطر ليس إلا جزءًا من أغنيتهما الخاصة. أمسك وجهها بين يديه، نظرت إليه بعينين لامعتين، قبل أن يهمس:

"حنين... من هنا ورايح، مفيش حاجة تتمنيها إلا وهتحققيها. ربنا يقدرني أعملك كل اللي نفسك فيه."

ثم قبّلها قبلة عميقة، مشبعة بالحب والشغف، بينما كانت قطرات المطر تتساقط عليهما، تمزج بين دفء قلوبهما وبرودة الهواء.

عانقته بقوة، وهي تغمض عينيها وتهمس بشجن:

"بحبك... بحبك أكتر مما تتخيل. إنت حققتلي حلم كنت فاكرة إنه مجرد خيال."

بقيت في حضنه، تشعر بالأمان والدفء رغم المطر والبرد. كانت اللحظة مزيجًا من الحب، الجنون، والحرية، لحظة عكست كل ما عجزت الكلمات عن وصفه.

همست له بابتسامة صغيرة:

"تعرف... المطر دايمًا برد. أول مرة أحسه دافي... يمكن علشان إنت معايا."

ابتسم، وشدها إليه مرة أخرى وهو يضحك:

"وأنا أول مرة أحس إن الجنون جميل كده... طول ما إنتِ معايا."

بقيا تحت المطر، وكأنهما وحيدان في هذا العالم، ليكون هذا المشهد بداية جديدة للحب والجنون الذي يربطهما معًا.

عاد إيهاب إلى المنزل بعد يوم شاق في العمل، شعر بالإرهاق الشديد ولم يستطع الاستمرار، فاستأذن من طلعت الذي تفهم وسمح له بالمغادرة. عندما دخل المنزل، وجد حنين في المطبخ بملابسها الرسمية، منشغلة بإعداد الغداء.

اعترض برفق:

"طيب غيري هدومك الأول يا حبيبتي؟"

نظرت إليه بإرهاق واضح:

"قلت أحط الفراخ والرز على النار وأوطي عليهم، وبعدها أغير وأرجع."

اقترب منها وأمسك يدها بحنان:

"لا، ادخلي غيري هدومك وأنا هقف جنبهم."

ترددت قليلًا لكنها استجابت لطلبه، بينما علّقت قدرية من مكانها بنبرة ساخرة:

"روحي يا أختي ارتاحي ونامي شوية، ماهو الرجالة بقوا يطبخوا دلوقتي."

ردت حنين بغضب مكبوت:

"أنا هغير هدوم الشغل بس، مش هسيبه لوحده."

لكن إيهاب أوقف جدالها سريعًا وقال لوالدته بحزم:

"يا تساعدي يا أمه يا تسكتي."

ردت قدرية بفتور وهي تنظر للتلفاز:

"يا أخويا إنت حر. أنا تعبانة ومش قادرة."

ابتسم إيهاب بضيق:

"طيب، ألف سلامة عليكِ، ارتاحي وسيبينا نرتب حياتنا زي ما يناسبنا."

بعدما بدلت حنين ملابسها سريعًا، عادت للمطبخ لتجده واقفًا يراقب الطعام. اقتربت منه وضمته من الخلف بذراعيها:

"تعرف إنك واحشني فوق ما تتخيل؟"

التفت إليها وابتسم، يضع يديه حولها:

"ليه؟ ما إحنا لسه كنا تحت المطر امبارح."

ردت بحب:

"مش عارفة بس إنت واحشني،حاساك بعيد أوي... المهم، ادخل خد شاور وارتاح شوية، هكون جهزت الغدا."

أصر بهدوء:

"هنخلص الأكل مع بعض وبعدها نرتاح مع بعض."

أمسكت ذراعه بحزم:

"زي ما بتقول لي في أوقات ما تعارضيش ونفذي، في أوقات لازم تسمع كلامي. لو بتحبني، اسمع كلامي دلوقتي."

تنهد مستسلمًا وذهب ليغتسل، ثم استلقى على سريره وغرق في النوم سريعًا. بعد فترة، انتهت حنين من إعداد الطعام، بمساعدة هبة التي أعدت الطاولة، ثم توجهت حنين لتوقظ زوجها. اقتربت منه بحنان، وضعت يدها على وجهه لتتفاجأ بحرارته المرتفعة،لامت نفسها فهو ظل لفترة طويلة بملابسه المبللة تحت المطر لأجلها.

همست برعب:

"إيهاب... حبيبي، إنت كويس؟"

فتح عينيه بصعوبة:

"إيه يا حنين؟ عايزة حاجة؟"

علقت بقلق:

"إنت سخن جدًا، حاسس بإيه؟"

ابتسم بخفوت وحاول النهوض:

"مجرد صداع... ما تقلقيش."

لكنها منعته من الحركة:

"إنت محتاج ترتاح. لو مش قادر، قوم نروح لدكتور، أو أجيب لك دكتور للبيت."

قاطعها بحزم:

"حنين، ده شوية برد مش مستاهل. أي مسكن هيعدي الليلة."

رغم ذلك، أصرّت على رعايته. أحضرت خافض حرارة وبعض الأدوية الخاصة بالبرد، ثم وضعت له الطعام في صينية لتأخذه لغرفته. اعترضت قدرية بحدة:

"بتعملي إيه؟ ما كلنا هناكل مع بعض ولا هو لازم أكل أوض النوم دلوقتي؟"

ردت حنين بهدوء مشوب بالغضب:

"إيهاب تعبان وسخن، مش هيقدر يقوم. - التفتت لمازن – إنت مش دكتور؟ ما تقوم تشوفه؟"

رد مازن ببرود:

"إيهاب ما بيتعبش. ده شوية برد، خافض حرارة هيخلص الموضوع."

تضايقت حنين من بروده و بحزم:

"طالما مش فارق معاكم، يبقى سيبونا في حالنا. الأكل على السفرة، أنا هاكل مع إيهاب جوه."

دخلت حنين لغرفة إيهاب، ساعدته على الجلوس وأطعمته بحب،

بينما كان يمازحها رغم تعبه. حاولت أن تبدو هادئة، لكن القلق كان واضحًا على وجهها.

علقت بضيق:

"إيهاب... ممكن تكون تعبت كده بسبب المطر امبارح؟"

ابتسم بخفوت، وهو يرفع يده ليداعب وجهها بحنان:

"ما إحنا كنا مع بعض؟ لو من المطر كنا تعبنا إحنا الاتنين."

هزت رأسها برفق، ورفعت صوتها قليلًا كأنها تلومه بمحبة:

"لكن أنا كنت لابسة تقيل وطلعت معاك، إنت كنت راجع من شغلك وهدومك كلها مبلولة. كان المفروض..."

قاطعها بحب قبل أن تكمل:

"حنين، حبيبتي، ما تفكريش كده. امبارح كان يوم مجنون وجميل، قضينا وقت ما يتنسيش. رجاءً ما تربطيش الفرحة اللي عشناها بشيء سيئ. ما تحاوليش تشوهي حاجة جميلة عملناها وفرحنا بيها."

نظرت إليه بعينين قلقتين، لكنها صمتت لتسمعه وهو يكمل بحنان:

"امبارح أنا استمتعت بالمطر لأول مرة في حياتي. كان شعور مختلف، شعور إني معاكِ. النهاردة تعبت ليه؟ الله أعلم، يمكن بسبب حاجة تانية، يمكن كان المفروض أطلع أغير هدومي الأول، لكن خلاص. اللي فات مات، وخلينا نفكر في النهاردة."

أمسكت بيده بحب، وضغطت عليها برفق:

"إيهاب، أنا بس بخاف عليك. ما قدرش أشوفك تعبان حتى لو السبب كان فرحتنا. المهم دلوقتي إنك ترتاح، وأنا هنا جنبك."

ابتسم بخفوت وهو يمد يده ليضمها إليه:

"وأنا مش محتاج غير كده... إنك تبقي جنبي."

في تلك اللحظة، شعرت حنين بأن حبها له يتضاعف، وأن وجودها بجانبه ليس مجرد واجب، بل رغبة حقيقية. قررت ألا تدع القلق يفسد ذكرى لحظتهما السعيدة، واكتفت بأن تعيش اللحظة، تحتضنه بكل الحب والدفء الذي تحمله له.

أنهيا الطعام، حملت الصينية للخارج، حيث وجدت هبة تجمع ما تبقى من السفرة.

سألتها هبة بقلق:

"طمنيني، عامل إيه إيهاب؟"

طمأنتها حنين وتوجهت لتنظيف الأطباق سريعًا، قبل أن تعود لزوجها الذي استلقى مستريحًا. جلست بجانبه، وأخذته في حضنها، تهمس له:

"أنا جنبك على طول، ومش هتحرك من هنا."

ردّ بصوت خافت:

"تعرفي إنها أول مرة في حياتي أتعب، وألاقي حد جنبي؟"

ابتسمت بحزن وهي تضمه أكثر:

"وأنا جنبك على طول. ارتاح بس، وكل حاجة هتعدي."

اتصلت حنين بطلعت لتبلغه أن إيهاب سيأخذ يومًا إجازة، فلم يعارض أبدًا، بل تمنى له الشفاء. كما طلبت حنين يوم إجازة من والدها لتبقى بجانب زوجها، وقررت ألا تتركه طوال اليوم.

جلست بجانبه بعد أن أغلقت الهاتف، وقالت بابتسامة هادئة:

"اليوم كله في حضن بعض. مش هتحرك من جنبك."

مازحها رغم تعبه:

"لو كنت أعرف إن التعب هيكون كده، كنت تعبت من زمان."

ضحكت بحب وضمت رأسه لصدرها:

"بعد الشر عليك يا حبيبي. نبقى ناخد يوم إجازة، بس من غير تعب."

تحسّن إيهاب سريعًا، وعاد كل شيء إلى روتينه الطبيعي، لكن تلك اللحظة بينهما ظلت محفورة في قلبيهما، دليلًا على الحب والدعم الذي يربطهما.

كان مازن يجلس مع رانيا في كافتيريا الجامعة، رانيا، رغم غناها وحياتها المرفهة، كانت دائمًا تؤمن بالاعتماد على النفس وتكره الأشخاص الاتكاليين. مازن، الذي أدرك هذه السمة فيها، اضطر إلى الكذب وإخفاء دعم شقيقه إيهاب له كي لا يفقد إعجابها وثقتها.دائمًا ما يحاول أن يظهر بمظهر الواثق الهادئ بينما تسترسل رانيا في الحديث عن والدها سليمان العشري، صاحب المستشفى الاستثماري

الكبير.

"بابا مستنيك النهارده يا مازن. حكيتله عنك كتير، وقال إنه متحمس جدًا يشوفك." عبرت رانيا بابتسامة، عيناها تلمعان بالفخر.

مازن رد بابتسامة هادئة، محاولًا إخفاء توتره: "أكيد ده شرف كبير ليّ، د. سليمان شخصية معروفة ومؤثرة جدًا. إن شاء الله أكون عند حسن ظنه."

رانيا نظرت إليه بإعجاب: "وأنا واثقة إنك هتبهره. طول الوقت بحكيله عن طموحك وإنك بنيت نفسك بنفسك، من غير مساعدة حد وإزاي بتشتغل طول الصيف علشان توفر معاش والدك لوالدتك وأختك وتجيب مصاريفك الخاصة."

مازن شعر بوخزة خفيفة في صدره، لكنه تجاهلها و بثقة مصطنعة: "طبعًا، دايمًا بحاول أعتمد على نفسي وأثبت إن النجاح بييجي بالاجتهاد."

في مكتب د. سليمان العشري بالمستشفى، كان الجو يعكس الفخامة والثقة. الجدران مغطاة بشهادات إنجاز ولوحات فنية راقية. دخل مازن خلف رانيا، يحاول أن يبدو مرتاحًا، لكنه كان يشعر بثقل المسؤولية على كتفيه.

رانيا تقدمت بابتسامة: "بابا، ده مازن. زميلي اللي حكيتلك عنه."

وقف د. سليمان العشري بترحاب ومد يده لمازن: "أهلاً وسهلاً يا د. مازن. سمعت عنك كلام كتير من رانيا. واضح إنك شاب طموح وبتعرف طريقك."

صافحه مازن بابتسامة عريضة: "شكراً جدًا يا د. سليمان. ده شرف كبير لي إني أكون هنا وأتعرف على حضرتك."

جلسوا معًا وبدأت المحادثة تأخذ طابعًا رسميًا. سليمان كان يسأل عن دراسته وطموحاته، ومازن كان يتحدث بثقة عن مشاريعه وأهدافه، متجنبًا أي تفاصيل عن عائلته أو خلفيته.

"رانيا قالت لي إنك معتمد على نفسك بشكل كامل. ده شيء يُحسب ليك." قال سليمان بنبرة إعجاب.

رد مازن سريعًا: "ده صحيح يا دكتور. طول عمري بحاول أثبت نفسي لوحدي. الظروف مكانتش سهلة، بس الحمد لله أنا متعود على تحمل المسؤولية."

رانيا أضافت بفخر: "حتى لو كان عنده مشاكل، عمره ما اشتكى. دايمًا بيتصرف لوحده، تخيل يا بابا إن حتى أخوه العاطل ساعات بيساعده بالرغم من إنه أهمل دراسته وعواطلي بس مش بيقدر يتخلى عنه."

سليمان نظر إلى مازن بتمعن: "الاعتماد على النفس مهم جدًا، خاصة في الوقت ده. الشباب الطموح زيك هو اللي بنحتاجه في مستشفياتنا. يمكن في المستقبل نتكلم عن شغل معانا."

شعر مازن بوخزة في صدره، لكنه غطاها بابتسامة مصطنعة: "ده شرف كبير يا دكتور. وأنا مستعد أعمل كل اللي أقدر عليه."

بينما كانوا يغادرون المستشفى، كانت رانيا تمسك بذراعه بحماس: "أنا فخورة بيك، بابا معجب بيك جدًا. حاسة إنك فعلاً الشخص اللي

كنت مستنياه."

مازن ابتسم بخفة، لكنه لم يقل شيئًا. داخله كان يشعر بالخوف من الكذبة التي أصبح يعيشها، لكنه قرر أن يمضي في طريقه مهما كان الثمن.

في نهاية يوم طويل، كانت حور ترتب الأدوية على الرفوف في صيدلية الدكتور محي الدين. الجو كان هادئًا، والوقت متأخر. فجأة، دخل حمزة وهو يحمل كوبين من القهوة.

"مش هتخلصي النهارده؟" قال حمزة بابتسامة وهو يقترب منها.

التفتت حور نحوه، وابتسمت: "أهو آخر رف. إنت إيه اللي جابك دلوقتي؟"

"قولت أجيبلك قهوة وأساعدك شوية. مش لازم كل حاجة تبقى على كتفك لوحدك." وضع كوب القهوة أمامها.

شعرت حور بالدفء يتسلل إلى قلبها، ليس فقط بسبب القهوة، ولكن بسبب اهتمامه. "شكرًا يا حمزة. دايمًا بتفكر في كل حاجة."

جلس حمزة بجانبها: "إنتِ بتتعبي كتير يا حور. بين الشغل هنا والدراسة، مش بتدي نفسك فرصة ترتاحي."

ردت بابتسامة مرهقة: "بس بحس إني بعمل حاجة مفيدة. بحب الشغل هنا."

نظر إليها حمزة بتأمل: "عارفة يا حور... أنا معجب جدًا بقوتك وطريقتك في التعامل مع كل حاجة. بجد إنتِ مش زي أي حد قابلته

قبل كده، شخصيتك مختلفة ومميزة، كل حاجة فيكِ مميزة."

توقفت حور عن ترتيب الأدوية، ونظرت إليه بدهشة: "إيه الكلام ده يا حمزة؟"

ضحك وبحرج: "حقيقي. يمكن أنا بحاول ألاقي أي عذر أجي هنا وأشوفك. بس مش قادر أمنع نفسي."

احمر وجهها، لكنها ابتسمت وقالت: "ماشي يا دكتور حمزة. شكلك جاي تتقرب مش تساعد."

رد بسرعة وهو يمزح: "لو قربت أكتر، هتطرديني؟"

ضحكت حور وقالت: "ما أظنش أقدر أعمل كده."

جلسا معًا لفترة، يتحدثان عن أحلامهما ومستقبلهما، وكانت تلك اللحظة هي البداية الحقيقية لتعمق مشاعرهما تجاه بعضهما.

في صيدلية معتز، كانت نورا تحاول ترتيب الأدوية، لكن يديها ارتعشتا وسقطت علبة على الأرض.

"يوووه لا!" قالت وهي تنحني لتلتقطها.

معتز، الذي كان يقف قريبًا، ابتسم بخفة وقال: "إيه؟ تاني؟ إنتِ أكتر حد شفته في حياتي بيكسر حاجات."

نظرت إليه نورا بإرتباك وقالت: "آسفة... بس العلبة كانت تقيلة."

ضحك وقال: "تقيلة؟ نورا، العلبة دي وزنها أقل من ريشة."

حاولت نورا أن ترد، لكن تلعثمها جعل الأمر أكثر طرافة. اعتدل

معتز فجأة، ونظر إليها بتمعن. لأول مرة، يلاحظ تفاصيل لم يلاحظها من قبل: طريقة ارتباكها اللطيف، ضحكتها التي تبدو صادقة، وحتى شغفها بالمساعدة رغم أخطائها المتكررة.

"نورا..." قال معتز بصوت هادئ هذه المرة، مما جعلها ترفع نظرها إليه.

"نعم؟" قالت بحذر، تتوقع تعليقًا ساخرًا.

"إنتِ... بتتعبيني في الشغل، بس بطريقة غريبة... أنا مبسوط بوجودك." قالها بابتسامة خفيفة.

نورا تفاجأت، لكنها شعرت بالسعادة: "بجد؟ أنا دايمًا بفكر إنك هتطردني."

رد وهو يضحك: "والله كنت بفكر. بس دلوقتي... مش متأكد إني أقدر."

شعرت نورا بدفء يملأ قلبها، بينما كان معتز يدرك أن هناك شيئًا جديدًا في نفسه تجاهها. ربما، لأول مرة، بدأت تطغى صورتها على حور في ذهنه.

في منزل إيهاب تحديدًا فوق السطوح، كان إيهاب منهمكًا في لمساته الأخيرة على لوحة جديدة طلبها منه د. كمال الألفي عندما رن هاتفه. نظر إلى الشاشة فرأى اسم "د. ماهر". شعر ببعض الدهشة، فقد انتهى العمل معه منذ فترة، لكنه أجاب: "أيوه يا دكتور؟"

جاءة صوت ماهر ودودًا لكن مليئًا بشيء من الحزن: "إيهاب، إزيك؟ كنت بفكر فيك النهارده وقلت لازم أكلمك."

إيهاب، مستغربًا: "خير يا دكتور؟ كل حاجة تمام؟"

ماهر: "الحقيقة... مش عارف أقولك إيه. حسيت إني محتاج أتكلم مع حد، حد زيك. إنت مش مجرد رسام، إنت بتفهم المشاعر، وده اللي خلاني أتصل بيك.هو ممكن نتقابل؟ "

إيهاب، بحذر: "أكيد يا دكتور، طيب تحب نتقابل فين؟"

ماهر: "عندي في البيت. إنت عارف العنوان. هستناك."

في منزل ماهر:

دخل إيهاب المنزل الذي كان يعرفه جيدًا من أيام عمله مع فريق طلعت. كل شيء بدا مألوفًا، لكن الأجواء كانت مختلفة تمامًا. استقبله ماهر بابتسامة متعبة وأشار له بالدخول.

"اتفضل يا إيهاب. شكرًا إنك جيت." قال ماهر وهو يقوده إلى غرفة النوم. توقف إيهاب باستغراب، لاحظ ماهر استغرابه فابتسم ووضح: "اتفضل، مفيش حد، وكنت حابب نتكلم عن اللوحة."

استغرب إيهاب ولكنه لم يعقب. دخلا غرفة النوم ووقف للحظة يتأمل اللوحة، ثم قال: "لسه فاكرها. أكتر لوحة رسمتها غريبة."

ماهر نظر إلى اللوحة بعينين مليئتين بالحزن: "اللوحة دي مش مجرد رسم بالنسبة لي. هي انعكاس لحياتي."

إيهاب، متسائلًا: "قلتلي إن مراتك مسافرة؟ هي لسه مسافرة؟"

تنهد ماهر بعمق وبصوت مثقل: "هي مش مسافرة، يا إيهاب. الحقيقة إنها ماتت. كنت بحاول أهرب من الكلام عن الموضوع،

لكن... معرفتش. القفص اللي رسمته في اللوحة كان إحساسي الحقيقي. كنت بحاول أحتفظ بيها معايا بأي طريقة."

إيهاب شعر بالصدمة فهو آخر ما توقعه، لكنه علق بحذر: "آسف لخسارتك، يا دكتور. الموت دايمًا بيكون صعب."

رغم تعاطفه، شعر إيهاب أن هناك فجوة غريبة في القصة. كلمات ماهر بدت صادقة، لكن طريقة سرده حملت تناقضًا لم يستطع فهمه. قرر ألا يسأل احترامًا لمشاعره.

ماهر، وهو يحاول أن يبدو صادقًا: "عارف ليه كلمتك؟ لأنك الوحيد اللي حسيت إنه ممكن يفهمني. مش سهل أتكلم عن ده مع أي حد."

إيهاب، رغم ارتباكه: "أكيد، د. ماهر. دايمًا الفقدان بيحتاج حد نثق فيه عشان نقدر نحكي."

ماهر اقترب قليلًا وبصوت خافت: "إنت مش مجرد رسام، إيهاب. عندك إحساس نادر، وعشان كده حسيت إنك الشخص الوحيد اللي ممكن يسمعني ويفهمني. محتاج أشوف الحياة من زاوية مختلفة، وكنت عايزك تكون جزء من ده."

استمر نقاشهم لفترة طويلة، ثم انسحب إيهاب بعدها وهو يشعر بالأسف على ماهر الذي فقد حبيبته. أثناء وداعه، توقف ماهر للحظة وقال: "إيهاب... لوحاتك مش مجرد رسم. فيها أكتر مما تتخيل."

نظر إيهاب إليه بدهشة، لكنه لم يعلق، وترك الكلمات تدور في ذهنه طوال الطريق.

في المنزل مع حنين:

عاد إيهاب إلى بيته وقص لحنين ما دار بينه وبين ماهر. كان يتحدث بتعاطف، لكنه أضاف: "حاسس إنه غريب. قصته مع مراته... مش عارف، فيها حاجة مش مريحة."

حنين نظرت إليه بجدية وقالت: "أنا مش مرتاحة له يا إيهاب. في حاجة غريبة في قصته. كل مرة

تحكيلي عنه بحس إنه بيحاول يخبي حاجة، أو يلف ويدور حول موضوع معين."

إيهاب، محاولًا تهدئتها: "يمكن لأنه بيمر بفترة صعبة. مش لازم نسيء الظن."

لكن كلماتها تركت أثرًا في داخله، مما زاد من حيرته تجاه هذا الرجل الغامض.

في نهاية يوم طويل، كانت حور تستعد لمغادرة الصيدلية بعد أن أنهت عملها. كانت تحمل حقيبتها وتتأكد من ترتيب المكان. دخل حمزة وهو يحمل مفاتيحه، يبدو وكأنه كان ينتظر هذه اللحظة.

"لسه هنا؟" سألها بابتسامة دافئة.

"أيوه، كنت بتأكد إن كل حاجة مكانها قبل ما أمشي." ردت وهي تغلق الدرج الأخير.

حمزة اقترب منها بخطوات هادئة: "حور، كنت عايز أقولك حاجة."

نظرت إليه باستغراب: "خير يا حمزة؟ حصل حاجة؟"

تردد لثوانٍ ثم قال: "لا، مفيش حاجة حصلت، بس... أنا بقالى فترة عايز أقولك إن وجودك هنا مفرحني جدًا."

حور ابتسمت بخجل: "شكرًا يا حمزة، بس أنا عارفة إن الشغل هنا ساعدني كتير."

هز رأسه: "مش بس الشغل. أنا بتكلم عنك إنتِ. وجودك هنا فرق معايا... وبصراحة، حسيت إن مشاعري تجاهك بقت مختلفة."

تفاجأت حور، وبدت على وجهها علامات الارتباك. "حمزة... أنا..."

قاطعها بلطف: "مش مستني رد دلوقتي. بس حسيت إنه لازم أكون صريح. إنتِ حد مميز، وأنا... مش عايز أخسر وجودك في حياتي."

شعرت حور بإرتباك شديد، لكنها قالت بابتسامة صغيرة: "شكرًا إنك كنت صريح معايا... وأنا... محتاجة وقت أفكر."

ابتسم حمزة براحة: "أكيد. خدي وقتك. المهم تعرفي إن وجودك بيفرق معايا كتير."

غادرت حور وهي تشعر بمزيج من الحيرة والسعادة، بينما حمزة نظر إليها بابتسامة تحمل أملًا جديدًا.

كانت نورا تعمل بمفردها في الصيدلية، تراجع بعض الأدوية، عندما دخل رجل يبدو عليه التوتر والعصبية. اقترب من الكاونتر وطلب دواءً معروفًا بأنه مدرج على جدول المخدرات.

"آسفة يا فندم، الدواء ده ما بيتصرفش إلا بروشته من دكتور."

قالت نورا بنبرة مهنية، تحاول الحفاظ على هدوئها.

"مش محتاج روشته! أنا محتاجه دلوقتي!" قال الرجل بغضب، وصوته يزداد ارتفاعًا.

نورا، رغم شعورها بالتوتر، تمسكت بموقفها: "حضرتك القانون واضح، مش هقدر أصرفه."

غضب الرجل أكثر، وحاول الاقتراب من الرف خلفها بالقوة. صرخت نورا بخوف وهي تحاول منعه، لكن الرجل كان أكثر إصرارًا.

في تلك اللحظة، فتح معتز باب الصيدلية بعنف عندما سمع الصراخ، وعيناه اشتعلتا بالغضب. "إنت بتعمل إيه؟!" صرخ وهو يتقدم بسرعة نحو الرجل.

التفت الرجل نحوه وحاول الدفاع عن نفسه: "أنا عايز العلاج...!"

قاطعه معتز دون تردد، أمسك به بقوة من ياقة قميصه وسحبه للخارج: "اطلع بره الصيدلية فورًا، قبل ما اطلبلك البوليس!"

حاول الرجل المقاومة، لكن معتز دفعه بقوة نحو الباب وفتح الباب بعنف: "اطلع بره حالًا!" خرج الرجل مضطرًا وهو يطلق تهديدات غاضبة، لكن معتز لم يهتم.

أغلق معتز الباب بقوة، والتفت بسرعة نحو نورا التي كانت تقف خلف الكاونتر، عيناها تحملان الخوف والإرتباك. اقترب منها بخطوات سريعة، ونبرة صوته امتلأت بالقلق: "نورا! إنتِ كويسة؟!"

وقبل أن تتحدث، أمسك وجهها بين يديه بلطف، ينظر إلى عينيها

بتركيز: "في حاجة وجعتك؟ هو قرب منك؟ طمنيني!"

كانت نورا متجمدة للحظة من هول الموقف، لكنها سرعان ما شعرت بالدموع تتجمع في عينيها، و بصوت متهدج: "لا... بس كنت خايفة جدًا."

نظر إليها معتز بعمق، وكأن العالم توقف للحظة. و بصوت منخفض مليء بالحماية: "أنا مش هسمح لأي حد يقرب منك تاني... أنا هنا، ومش هسيبك لوحدك أبدًا."

شعرت نورا بأن قلبها ينبض بشدة، بينما ابتسمت ابتسامة صغيرة مليئة بالامتنان: "شكرًا، معتز... بجد."

ترك وجهها ببطء، لكنه ظل قريبًا منها، عينيه ما زالت تراقبها بحذر: "لو حصل أي حاجة تانية، تكلميني فورًا. ما تقفيش في وش حاجة زي كده إنتِ ما تضمنيش هو طبيعي ولا مبرشم ولا متنيل، فاهمة؟"

هزت رأسها بإيجاب، وعينيها لا تزال معلقة بعينيه. لأول مرة، شعرت نورا أن معتز ليس فقط زميلها في العمل، بل شخص يمكنها الاعتماد عليه، وشخص يهمه سلامتها أكثر مما توقعت.

معتز بدوره شعر بشيء مختلف. لم يكن مجرد شعور بالمسؤولية، بل إحساس قوي بأنه يريد حمايتها دائمًا، وأن نورا أصبحت شخصًا مميزًا في حياته.

في جامعة مازن

جلست رانيا ومازن في كافيتريا الجامعة الفاخرة، حيث كانت الأجواء هادئة نسبيًا. رانيا، كعادتها، تنظر إليه بإعجاب واضح. طلبت

عصيرها المعتاد، بينما اكتفى هو بفنجان القهوة، مستعدًا لنسج قصته.

"مازن، إنت شخص مختلف. دايمًا بحس إنك مكافح وشايف طريقك كويس." قالت رانيا بابتسامة تحمل مزيجًا من الإعجاب والفضول.

ابتسم مازن بثقة: "ده لأن حياتي مكنتش سهلة، ودايمًا كان لازم أعتمد على نفسي. بصراحة، أنا اتعلمت من بدري جدًا إن اللي عايز ينجح لازم يبني نفسه بإيده."

رانيا، بفضول صادق: "إزاي؟ احكيلي أكتر، عايزة أعرف عنك."

تنهد مازن قليلًا، وكأن الحديث يستدعي ذكريات مؤلمة، ثم بنبرة مؤثرة: "بابا مات وإحنا صغيرين، وأمي اضطرت تواجه حاجات كتير لوحدها. وأنا كان لازم أكون الراجل في البيت."

رانيا بدت متأثرة: "ده أكيد كان صعب عليك."

هز مازن رأسه، مستغلًا تعاطفها: "كان أصعب مما تتخيلي. كان عندي أخ أكبر، إيهاب. المفروض يكون هو اللي يشيل، بس للأسف، مكنش كده. بالعكس، كان عبء علينا. دايمًا بيدور على أسهل الطرق، وبيهرب من المسؤولية."

رانيا، مستغربة: "إزاي؟ يعني إنت اللي كنت شايل كل حاجة؟ طيب وأخوك الكبير مكنش بيساعدك؟"

ضحك مازن بسخرية: "للأسف، العكس تمامًا. إيهاب، اللي المفروض يكون السند، كان دايمًا منشغل بحاجاته الخاصة. هو

عايش دور الفنان، بيحب الرسم. فبالتالي كل حياته بتدور حوالين هوايته دي."

رانيا، مستغربة: "بس الرسم حاجة حلوة. ليه ده كان عبء عليك؟"

مازن رد بنبرة تحمل استياءً مقصودًا: "لأن الرسم بالنسباله كان أهم من أي حاجة. ساب الكلية بمزاجه بحجة إنه يفضل مركز في الرسم بس الحقيقة إنه فشل فيها.بعدها بقي ياخد فلوس البيت اللي يدوب مكفّية الأكل والشرب، ويصرفها على أدوات الرسم. عمرك شفتي حد بيعمل كده؟"

رانيا بدت مصدومة: "إزاي يصرف على هوايته بدل ما يفكر فيكم؟"

هز مازن رأسه بأسف مصطنع: "ساعتها كان لازم أنا اللي أشتغل وأصرف على نفسي وعلى أمي وأختي، وهو مش فارق معاه حاجة غير إنه يحقق اللي عايزه. ولما حد يعاتبه، كان يقول إنه فنان وإن الرسم هو حياته."

رانيا، بإعجاب متزايد: "فعلاً، تصرفك كان رائع. قليل اللي يقدر يواجه حاجة زي كده ويتحمل مسؤولية بالشكل ده."

مازن، بنبرة واثقة: "أنا مؤمن إن النجاح محتاج تضحية. وأنا ضحيت عشان أكون الشخص اللي أنا عليه دلوقتي. لكن في ناس مش بتفكر غير في نفسها."

رانيا، وقد أصبحت أكثر إعجابًا به: "إنت فعلاً شخص رائع يا مازن. قليل اللي عندهم الشجاعة دي."

شعر مازن بالراحة وهو يرى كلماتها تتعزز بشخصيته المزيفة التي رسمها. لم يكن هناك أي مكان للذنب في قلبه؛ بالنسبة له، تشويه صورة إيهاب كان مجرد ثمن بسيط ليظهر بالصورة التي يريدها.

كان إيهاب مشغولًا في عمله مع طلعت عندما تلقى اتصالًا من د. ماهر.

"أيوة يا دكتور؟" أجاب إيهاب بنبرة منهكة.

"إيهاب، أنا آسف إني بتصل في وقت مش مناسب، بس أنا محتاجك ضروري النهارده. ضروري جدًا." قال ماهر بنبرة مليئة بالإلحاح.

إيهاب، وقد بدت عليه الحيرة: "خير يا دكتور؟ في حاجة حصلت؟"

ماهر: "مش هقدر أشرح على التليفون. لو سمحت، تعال البيت. مش هاخد منك وقت طويل."

حاول إيهاب الاعتذار: معلش يا دكتور بس

قاطعه ماهر باصرار: ارجوك يا إيهاب، إنت الوحيد اللي بتكلم معاه وبرتاح في الكلام معاه، اعتبرني صديق حتى، ممكن تيجي نتكلم مع بعض شوية؟

تردد إيهاب للحظة، ثم احس بالشفقة تجاهه: "طيب... هخلص شغلي وأجيلك."

في منزل ماهر:

عندما وصل إيهاب، فتح ماهر الباب بابتسامة واسعة. كان يبدو أكثر اهتمامًا من المعتاد.

"أهلاً يا إيهاب. اتفضل، كنت مستنيك." قال وهو يفتح الباب على مصراعيه.

دخل إيهاب ليجد السفرة مجهزة بعناية، الطعام يملأ الطاولة بأطباق متنوعة وكأنها وليمة كبيرة. نظر حوله بدهشة: "إيه ده يا دكتور؟ حضرتك مستني ضيوف؟"

ماهر ضحك بخفة: "إنت الضيف الوحيد. قلت أجهز حاجة كده عشان نتغدى مع بعض. كنت محتاج أتكلم مع حد بيفهمني، وإنت الوحيد اللي حسيت إنه قريب مني."

إيهاب بصله بتردد: بس أنا مراتي منتظراني في البيت و

قاطعه ماهر بوجع: كنت بتمنى ناكل مع بعض، إنت مراتك منتظرة وهترجع البيت تلاقيها أنا في الفراغ ده، بس لو هي هتزعل روحلها

تراجع إيهاب وهو يشعر بوجعه: هنتغدى مع بعض حنين هتتفهم

جلس على الكرسي المقابل له، لكنه ظل يشعر بشيء غير طبيعي في الجو.

ماهر، بنبرة حزينة: "إيهاب، أنا لوحدي هنا. لسه مش قادر أندمج مع الناس، ولا قادر أرجع شغلي. كل حاجة بقت صعبة بعد اللي حصل. وإنت الوحيد اللي حسيت إنك فاهمني."

إيهاب يشعر بشفقة تجاهه، لكن إحساسه الغريب بأن هناك شيئًا

غير طبيعي. "أنا مقدر ده يا دكتور. بس الحياة لازم تستمر، وكل حاجة مع الوقت بتتصلح."

بدأ الاثنان يتناولان الطعام، وماهر يحاول فتح أحاديث عادية ليبدو طبيعيًا، لكنه كان مراقبًا كل حركة وكل كلمة من إيهاب.

بينما كانا يتحدثان، رن هاتف إيهاب. عندما رأى اسم "حنين" على الشاشة، اعتذر بخفوت: "هطلع أرد على المكالمة، دي حنين "

خرج إلى البلكونة ليتحدث معها، لكن ماهر تبعه بخطوات خفيفة دون أن يلاحظه. وقف بالقرب من الباب ليصغي لما يقول.

"إيه يا حنون؟ عاملة إيه يا روحي؟" قال إيهاب بصوت مليء بالحنان.

صوتها جاء خافتًا، لكنه مليء بالاشتياق: "كويسة، بس اليوم كان طويل قوي من غيرك."

إيهاب تنهد وقال: "وأنا كمان. كان نفسي أكون معاكِ ونقعد ناكل مع بعض. كل حاجة من غيرك ملهاش طعم، حبيبتي الوقت من غيرك قاتل وبنتظر اللحظة اللي بدخل فيها اوضتنا وتيجي لحضني، أنا مش عارف ليه النهار طويل وليه الليل نص ساعة يدوب"

ضحك إيهاب لتعليق سمعه منها ثم علق بمزاح: طيب ارجع بس ونشوف حكاية الليل القصير والقميص الاسود إياكِ تقلعيه، نص ساعة وهكون عندك يا روح قلبي "

ماهر، الذي كان يستمع من بعيد، شعر بغصة في قلبه. كلماته كانت كخناجر تخترق مشاعره المريضة تجاه حنين.

عندما أنهى إيهاب المكالمة وعاد للداخل، كان ماهر قد عاد لمكانه سريعًا، يحاول إخفاء غضبه.

"مراتك زعلانة ولا إيه؟" علق ماهر بابتسامة مصطنعة، لكنه بدا مضطربًا.

إيهاب، الذي لاحظ تغير مزاجه، رد بابتسامة: "لا بس كانت بتطمن عليا."

ماهر حاول أن يبدو طبيعيًا: "أكيد بتحبك جدًا. واضح إنك محظوظ."

لكن إيهاب شعر أن هناك شيئًا في نبرة ماهر لم يكن مريحًا. شعر بالقلق: "شكراً يا دكتور على الغدا، بس لازم أمشي دلوقتي. عندي شغل بكرة بدري."

ماهر حاول التظاهر بعدم الاهتمام: "طبعًا. بس متنساش إنك دايمًا مرحب بيك هنا وزي ما قولتلك ياريت نكون أصدقاء."

عندما غادر إيهاب المنزل، تبعه ماهر بهدوء. ظل يراقبه من بعيد حتى وصل إلى منزله.

راقب حنين التي وقفت في الشرفة، تتطلع إلى الشارع الذي يغمره هدوء الليل. بالرغم من برودة الجو، لكنها لم تكن تركز على شيء سوى انتظار إيهاب.

من بعيد، رأت ايهاب يقترب بدراجته النارية ليتوقف أمام المنزل ويترجل منها، رفع رأسه نحوها بابتسامة متعبة. رفع يده قليلاً،

صوته يصلها بوضوح: "محتاجة حاجة قبل ما أطلع؟"

ابتسمت وهي تنظر حولها، الشارع كان هادئًا تمامًا. ردت بخفة: "أنت وبس... اطلع بسرعة."

ضحك بخفة، يهز رأسه وكأنه يحاول تخفيف تعب يومه، ثم دخل إلى المنزل.

ظلت حنين مكانها، تنظر للداخل عبر باب الشرفة المفتوح، تنبض بالإثارة والترقب. لم يمضِ سوى لحظات حتى دخل عليها، عينيه التقت بعينيها على الفور، شعور دافئ غمرهما، وكأن كل شيء آخر قد اختفى.

اقترب منها بخطوات واثقة، وفي لحظة، أحاطها بذراعيه، يضمها بقوة كما لو كان يخشى أن تبتعد.

"وحشتيني قوي." همس بصوت هادئ ومليء بالحنان.

ابتسمت وهي تضع يدها على كتفه: "كل ده تأخير؟ "

نظر إليها بمزيج من الحب والامتنان: "المهم أتمنى القميص الأسود يكون تحت الهدوم دي."

ضحكت بخبث وقبل أن ترد، رفعها بين ذراعيه فجأة، مما جعلها تضحك بفرحة، تضرب على كتفه بخفة: "إيهاب، بطل دلع! حد يشوفنا كده؟"

"محدش مجنون يطلع في التلج ده." رد بابتسامة واسعة، وأخذها إلى الداخل بخفة، ثم أغلق باب الشرفة خلفه، تاركًا الخارج خلفهما.

في الجهة المقابلة، كانت سيارة ماهر مركونة في الظلام، عيناه مثبتتان على الشرفة التي كانت حنين تقف فيها.

رأى كل شيء، كيف فتح إيهاب الباب، كيف احتضنها، وكيف رفعها بين ذراعيه.ضحكاتهما كانت تصل إلى أذنيه وكأنها طعنات تخترق صدره. المشهد كان أشبه بصفعة على وجهه، عينيه تلمعان بغضب مكبوت.

ماهر في سيارته بعد رؤية إيهاب وحنين

همس بصوت مليء بالغضب: "إزاي؟ إزاي تضحكي كده؟ كأن اللي بينا كان ملوش معنى؟ أنا اللي كنت ليكِ كل حاجة... وأنا اللي لازم أكون كل حاجة ليكِ."

قبض على عجلة القيادة بشدة، يتذكر اللحظات التي عاشها معها. كانت باردة، تبتعد عنه في كل مرة حاول أن يقترب. لكنه لم يستطع أن يتقبل أنها لم تكن تحبه: "ماكنتيش بتحبيني، كنتِ بتسمي علاقتنا اغتصاب ودلوقتي بترمي نفسك في حضنه؟ مستحيل. انتِ بتحبيني أنا،."

ضرب المقود بيده بقوة، صوته يعلو مع تصاعد غضبه: "هو؟ إيه اللي عنده مش عندي؟ إزاي معاه تضحكي الضحكة دي وأنا عمري ما شفتها؟! إزاي تبقي في حضنه وأنا اللي المفروض أكون مكانه يا ترى بتعملي معاه إيه في السرير ببرودك وهو إزاي متقبل برودك ده؟أكيد زيي بيحاول ولا تلاقيه هو معيوب إيه اللي يخليها تتجوز حتة نقاش وأبوها يوافق إلا لو كان مش راجل، أيوه هو ده التفسير المنطقي "

تنهد بعمق، يحاول تهدئة نفسه، لكن عيناه ظلتا معلقتين بالشرفة، وكلماته تحولت إلى همس غاضب: "إنتِ بتاعتي يا حنين. عمرك ما كنتي ليه... ولا هتبقي. أنا اللي خدت وعد من نفسي إنك عمرك ما تخرجي من حضني وهرجعك تاني لحضني."

أمسك ماهر بهاتفه، ضغط على رقم سريعًا وانتظر الرد.

جاء صوت من الطرف الآخر: "أيوة يا دكتور، مستني تعليماتك."

قال ماهر بهدوء يشوبه الغضب: " أيوه يا صلاح هبعتلك لوكيشن المكان حالاً. نفذ اللي قولناه بالحرف، وما فيش أي خطأ مسموح."

رد صلاح بثقة: "تمام، اعتبره حصل."

أغلق ماهر الهاتف ببطء، وأرسل الموقع لصلاح الذي كان زميله في السجن وخرج مؤخرًا هو الآخر، وضع الهاتف بجانبه، ونظرة ثابتة في عينيه وهمس لنفسه: "اللعبة لسه ما بدأتش."

أدار محرك السيارة ببطء، عيناه لا تزالان تلمعان بنظرات جنونية: "هترجعي. هترجعيلي مهما كان. حياتك معايا ما انتهتش... ومش هسمح إنها تنتهي."

قاد السيارة بعيدًا، لكن عقله كان ممتلئًا بخططه القادمة، ليس لتدمير حياتها، بل لإعادتها إليه بأي طريقة، وبأي ثمن. بالنسبة لأمجد، لم تكن حنين حرة أبدًا، بل كانت دائمًا وستظل ملكه وحده.

في المساء، كان زهير يجلس في منزله، يتصفح أوراق العمل التي أحضرها معه، محاولًا الهروب من أفكاره المتزاحمة. فجأة، سمع

طرقًا على الباب.

نهض ببطء، فتح الباب، ليجد سارة واقفة أمامه، تحمل علبة صغيرة وتبدو وكأنها استجمعت كل شجاعتها للحضور. عيناها كانتا مليئتين بالتردد، وكأنها تخشى أن يُغلق الباب في وجهها.

"سارة؟ إيه اللي جابك هنا؟" قال زهير بنبرة مليئة بالدهشة والتوتر، لكنه حاول أن يبدو متماسكًا.

حاولت أن تبتسم، رغم ارتباكها: "مساء الخير يا زهير. كنت محتاجة أشوفك... وأتكلم معاك."

تنهد زهير، وأشار لها بالدخول، ثم أغلق الباب خلفها. جلس على الأريكة دون أن ينظر إليها مباشرة، محاولًا التحكم في اضطرابه: "اتفضلي، قولي اللي عندك. بس لو الموضوع عننا، فمفيش داعي."

جلست سارة على الكرسي المقابل، وضعت العلبة على الطاولة بحذر، ثم قالت بصوت مكسور: "زهير، أنا مش جاية أضايقك. أنا عارفة إن اللي حصل كان غلط... غلط كبير. بس أنا بجد ندمانة، و..."

قاطعها بنبرة حادة، وهو ينظر إليها لأول مرة منذ دخولها: "ندمانة؟ بعد إيه يا سارة؟ بعد ما دمرتي كل حاجة حلوة بينا؟"

ارتبكت، لكنها استجمعت شجاعتها: "عارفة إني جرحتك، بس أنا بحبك يا زهير. وعمري ما كنت عايزة أعمل كده. كنت خايفة... ويمكن خوفي هو اللي خلاني أتصرف غلط."

خفض زهير نظره لثوانٍ، ثم رفعه ببطء و بسخرية مريرة: "خوفك؟ خوفتِ على نفسك، صح؟ وأنا كنت إيه؟ مجرد مرحلة؟

وسيلة تعدي بيها أزماتك؟"

هزت رأسها بسرعة وهي تقول بعينين غارقتين في الدموع: "لا! إنت كنت كل حاجة. كنت الحاجة الوحيدة اللي حسستني إني شخص يستحق الحب. بس ما كنتش عارفة أتعامل مع الحب ده. خفت أضيعه، وخفت منك... وخفت من نفسي. وده اللي خلاني أغلط."

صمتت للحظة، ثم استجمعت نفسها و بصوت متهدج: "عمري ما تخيلت إن حد زيك ممكن يحبني. ولما حصل، كنت متلخبطة... بس دلوقتي أنا عارفة قيمتك، عارفة إنك الشخص اللي غيرني. بقيت إنسانة بفضل حبك لي."

نظر إليها زهير، وعيناه تحملان ألمًا لا يستطيع إخفاءه. و بصوت هادئ لكنه مثقل: "الحب يا سارة مش مجرد كلام. الحب أفعال. ولما كنت محتاجك تثبتي إنك معايا، اخترتي نفسك."

حاولت أن تقاطعه، لكنه أكمل: "مش هقدر أثق فيكِ تاني. الكرامة لما تتجرح، صعب تتصلح."

دموعها انهمرت وهي تقول: "زهير، أنا غلطت. أنا عارفة. بس الناس بتتغير، وأنا اتغيرت. اديني فرصة واحدة أثبتلك ده."

تردد للحظات، وعيناه تعكسان صراعًا داخليًا بين الحب الذي لا يزال يشعر به، وجرح كرامته الذي يرفض أن يلتئم. أخيرًا، بصوت منخفض مليء بالألم: "سارة، أنا عمري ما حبيت حد قدك. وده يمكن السبب اللي مخلي كل ده أصعب. بس الحب اللي بيجرح كرامة

الإنسان بيبقى عبء... مش نعمة."

أخذ نفسًا عميقًا وأضاف: "كل مرة بشوفك، بفكر في اللي حصل. في قراراتك اللي اخترتي فيها نفسك قبلي. وده مش هيتغير مهما حاولنا."

وقفت سارة، ودموعها لا تتوقف: "مش هتنازل عنك يا زهير. هفضل أحاول لحد ما تثق فيا من جديد."

نظر إليها طويلًا، ثم بنبرة مختلطة بين الحب والألم: "براحتك يا سارة... بس مفيش ضمان إن ممكن أسامحك.

غادرت سارة المنزل وهي تحمل أملًا ضعيفًا في التغيير، بينما جلس زهير على الأريكة، واضعًا رأسه بين يديه. عادت ذكرياتهما لتهاجمه، ودمعة واحدة هربت من عينيه، وهو يهمس لنفسه: "ليه الحب لازم يبقى بالشكل ده؟ ليه لازم يكون وجع؟"

ظل زهير جالسًا على الأريكة، واضعًا رأسه بين يديه، غارقًا في أفكاره وألمه. مرت دقائق قبل أن يرفع رأسه ويلاحظ العلبة الموضوعة على الطاولة.

تردد للحظة، ثم مد يده ببطء وأمسك بها. فتحها ليجد اختبار حمل إيجابي وصورة "إيكو" لجنين صغير. بجوارهما، كانت هناك رسالة مكتوبة بخط يد سارة:

"حتى لو قطعت كل الطرق بينا، ربنا جمعنا بشكل لا يمكن ينتهي أو يتقطع في يوم. جوايا حتة منك مش هتقدر تاخدها مني... حاجة تصبرني على بعدك."

تجمد زهير في مكانه، عيناه تتنقل بين الرسالة وصورة الإيكو. مشاعر مختلطة من الصدمة، الحنين، والألم اجتاحت قلبه، لكنه لم يقل شيئًا. فقط جلس هناك، يحمل الرسالة وصورة الجنين، بينما عقله غارق في التفكير في الخطوة القادمة.

اقتربت حفلة التخرج التي يقيمها الطلبة قبل نهاية العام الدراسي، ودخلت رانيا متجر الفساتين الفاخر بابتسامة عريضة، عيناها تتألقان بالحماس وهي تتفحص المكان المليء بالإضاءة الدافئة والفساتين التي بدت كأنها قطع فنية.

مازن تبعها بخطوات مترددة، عيناه تجولان في المكان بانبهار مختلط بالارتباك. كل شيء من حوله كان يعكس عالمًا لم يعتده، عالمًا يراه للمرة الأولى.

"مازن، تعال شوف!" قالت رانيا بحماس، وهي تشير إلى أحد الفساتين المصنوعة بدقة متناهية.

اقترب ببطء، متأملًا التفاصيل بعينيه، وعندما وقع نظره على بطاقة السعر، تراجع خطوة للخلف، عيناه متسعتان: "رانيا... السعر ده حقيقي؟!"

ضحكت بخفة وهي تلمس القماش: "مازن، ده طبيعي هنا. الجودة والشغل ده مش أي حد يعمله، وبصراحة أنا بحب الوسط، مش الأماكن الغالية أوي."

حاول أن يخفي صدمته، لكن الفكرة لم تتركه: "هذا الوسط بالنسبة لها؟ إذا كان ثمن الفستان الواحد يتخطى ما أنفقه طوال حياته، فما

هو العالي بالنسبة لها؟"

رانيا كانت مستغرقة في الاختيار، تقلب بين الفساتين، تتحدث عن الحفلة والتجهيزات بحماس طفولي. أما مازن، فقد كان منشغلًا بتأمل المكان، يتساءل كيف يمكن للناس أن يعيشوا بهذا المستوى من الرفاهية دون أن يشعروا بأي عبء.

"إيه رأيك في ده؟" رفعت فستانًا آخر أمامه، كان أكثر بساطة لكنه لا يزال باهظ الثمن.

تظاهر بالاهتمام، رغم أن ذهنه كان يغرق في خيالاته: "يومًا ما، سأكون في هذا الوضع. سأعيش حياة مثلها، حيث لا حاجة للكذب أو التظاهر."

"آه، حلو... مناسب ليكِ." رد بابتسامة مصطنعة، محاولًا ألا يُظهر توتره.

رانيا، غير منتبهة لانشغاله عنها، قالت بسعادة: "كنت عارفة إنك هتوافقني. أنا وإنت هنكون ثنائي ما حصلش. سيبني أختارلك البدلة لو سمحت."

أخذ نفسًا عميقًا، محاولًا الحفاظ على صورته الوهمية التي صنعها: "رانيا، أنا مش حابب ده. أنا، زي ما قلتلك، عملت نفسي بنفسي، وما اتعودتش أمد إيدي لحد. لو تقدري تكوني معايا يوم الحفلة بشكلي ده وطبيعتي دي، هكون أسعد راجل في الدنيا. إنك تقبليني زي ما أنا... ده مالوش ثمن."

نظر إليها، وفي داخله تضايق من نفسه، لكنه أجبر نفسه على

الصبر: "لابد أن أنال ما أريد. لقد أتقنت دور إيهاب ببراعة. كما قبلت حنين بإيهاب، ستقبلني رانيا."

رانيا تأبطت ذراعه بابتسامة عريضة، وعلقت: "إيدي هتفضل في إيدك طول الوقت، مستعدة لأي حاجة معاك."

تحركت تكمل جولتها في المتجر، بينما وقف مازن للحظة وحده، ينظر حوله ويحدث نفسه بصمت: "لو كان عندي نص اللي عندها، كنت فعلاً أقدر أعيش الحياة اللي بحلم بيها." ثم نظر نحوها بإصرار: "رانيا، لازم تكوني معايا. لازم."

تظاهر بالابتسامة من جديد عندما اقتربت منه رانيا تحمل فستانًا آخر: "إيه رأيك؟ ده أحلى ولا اللي قبله؟"

"اللي يريحك، حبيبتي. أي حاجة هتبقى جميلة عليكِ."

استمرت رانيا في حديثها بسعادة، بينما مازن كان يخفي وراء ابتسامته قناعًا من الأكاذيب، وأحلامًا كبيرة تتصاعد داخله، مهما كلفه ذلك من ثمن.

بعد انتهاء جولتهما في متجر الفساتين، قررت رانيا أن تأخذ مازن لزيارة والدها في المستشفى. كانت تحمل الفستان بحماس، ومازن يتبعها، يحاول أن يخفي ارتباكه من كل خطوة في هذا العالم الجديد الذي بات جزءًا منه.

دخلت رانيا مكتب والدها في المستشفى، حيث كان سليمان العشري يجلس خلف مكتبه، منهمكًا على جهاز الكمبيوتر. رفع رأسه بابتسامة عندما رأى ابنته ومازن يدخلان.

"أهلاً، رانيا! وأهلاً بيك يا د. مازن، أخباركم إيه؟" قال سليمان بابتسامة ودودة.

رانيا تقدمت بخفة، رافعة الفستان أمام والدها وتخرجه له: "بص يا بابا! ده الفستان اللي هلبسه في حفلة التخرج. مش رائع؟"

ابتسم سليمان وهو يهز رأسه بالموافقة: "فعلاً اختيار رائع، يا بنتي. هيليق عليكِ." ثم نظر إلى مازن: "وإيه أخبارك يا د. مازن؟ مستعد للحفلة الكبيرة؟"

مازن ابتسم ابتسامة متوترة: " إن شاء الله. دي لحظة بنستناها كلنا."

بعد لحظات، استدارت رانيا نحو والدها، وتحدثت بفخر وهي تنظر لمازن: "بابا، تخيل؟ عرضت على مازن أجيبله البدلة اللي هيحضر بيها الحفلة، لكنه رفض تمامًا. قال إنه متعود يعتمد على نفسه، وإنه ما يحبش حد يصرف عليه."

سليمان نظر إلى مازن بإعجاب واضح كابنته: "فعلاً؟ ده شيء يحترم جدًا. الشباب اللي بيعتمدوا على نفسهم بقوة زيك نادرين الأيام دي."

مازن، محاولًا أن يبدو واثقًا رغم توتره: "شكراً يا د. سليمان. أنا مؤمن إن الواحد لازم يبني حياته بجهده."

سليمان أومأ برأسه وقال بحماس: "وأنا مؤمن بالشباب الطموح اللي عندهم مبادئ زيك. عشان كده، أنا عندي عرض ليك. ايه رأيك لما تتخرج بإذن الله، تتدرب هنا في المستشفى، مش بس تحت

إشرافي، لكن كمان مع أكبر الدكاترة اللي عندنا. وهتفضل معايا عشان تطور مستقبلك الطبي."

اتسعت عينا مازن قليلاً من المفاجأة، لكنه حافظ على هدوئه، وقال بابتسامة: "شكراً جدًا على الفرصة دي يا د. سليمان. شرف كبير ليّ أكون جزء من المستشفى بتاعة حضرتك."

رانيا لم تستطع إخفاء فرحتها: "بابا، ده أحسن خبر! كنت متأكدة إنك هتشوف اللي أنا شايفاه فيه."

سليمان ربت على كتف مازن: "رانيا عندها حق. وأي دعم تحتاجه، هتلاقيه هنا. بس أوعى تنسى إن النجاح بييجي بالمجهود، وأنت واضح إنك قدها."

خرجوا من المكتب بعد ذلك، ورانيا تمسك بذراع مازن بسعادة، بينما مازن كان يحاول كبح شعوره بالارتباك والغرابة. داخله كان مزيج من الفخر بأنه وصل لهذه اللحظة، والخوف من أن تنهار كل الأكاذيب التي بنى عليها هذه الصورة المثالية.

"لازم أستمر بالشكل ده... لازم أثبت نفسي." قال لنفسه وهو يسير بجوار رانيا، يحاول أن يظهر الثقة التي أصبح بحاجة إليها أكثر من أي وقت مضى.

في صباح يوم مشمس، كانت ثناء ترتدي عباءتها السوداء وتضع الحجاب بعناية، استعدادًا للذهاب إلى السجن في موعد زيارة ابنها أمجد، وهي تفكر في حاله وكيف يقضي أيامه خلف القضبان.

كانت ثناء جالسة في غرفة الانتظار بالسجن، تنتظر دورها للزيارة

المعتادة. قلبها مثقل بالقلق المعتاد على ابنها أمجد، لكن شعورًا غريبًا كان يراودها اليوم. عندما جاء دورها، تقدمت بخطوات واثقة إلى مكتب الاستعلامات.

قدمت بطاقتها للحارس الذي رفع رأسه ونظر إليها باستغراب: "مدام ثناء، اسم أمجد مش موجود في قائمة المساجين."

شعرت وكأن الدنيا تدور بها. نظرت إليه بدهشة وصرخت بصوت مرتجف: "إزاي يعني؟! أمجد في السجن هنا، أنا جايه أزوره!"

رد الحارس بنبرة هادئة: "ابنك خرج من السجن لحسن السير والسلوك، من فترة."

وقفت متجمدة للحظة، ثم شهقت بصوت خافت: "خرج؟! من فترة؟!"

كان صوتها مختنقًا بالصدمة، نظرت حولها وكأنها تبحث عن تفسير. همست: "ليه ما بلغنيش؟ ليه ما جاش يشوفني؟"

حاول الحارس تهدئتها: "يمكن عنده ظروف، يا مدام. الأمور دي بتحصل."

لكنها لم تكن تسمع شيئًا. خرجت من المكتب بخطوات متعثرة، وأفكارها تشتعل: "خرج من مدة؟ وما فكرش يكلمني ولا يجي؟ أمجد... إيه اللي في دماغك؟"

في طريق عودتها، كانت تهمس لنفسها: "عارفة إنك مهووس باللي اسمها حنين. لو عرفت إنها اتجوزت، أكيد مش هتسكت. يا رب استر، يا رب ما تعملش مصيبة."

عندما وصلت المنزل، ألقت بنفسها على الكرسي، تمسك هاتفها بيد مرتجفة. فكرت في الاتصال بأميرة، ابنتها الوحيدة التي قد تعرف شيئًا عنه. لكن سرعان ما تراجعت عن الفكرة.

همست لنفسها: "لا، أميرة زعلانة مني. مش بعيد لو عرفت إنه خرج تروح تبلغ حنين أو تعمل مشكلة. مش هقدر أثق فيها دلوقتي."

وضعت الهاتف جانبًا، ووضعت رأسها بين يديها، تحاول استجماع شجاعتها لمعرفة ما يخطط له ابنها، وفي نفس الوقت، تخشى أن يكون الوقت قد فات لمنع ما قد يحدث.

تحرك صلاح بناءًا على اتصال أمجد واستغل إحدى ليالي الشتاء الباردة، كان الحي الشعبي هادئًا نسبيًا، إلا من صوت الرياح التي تعصف بين الأزقة الضيقة. صعد إلى سطح المنزل. ارتدى ملابس سوداء بالكامل، وحرص على أن يغطي رأسه بقبعة وشاله المعتاد، ليبدو كشخص غريب عن الحي. يحمل في يده حقيبة صغيرة تحتوي على أدواته: كاميرا صغيرة بحجم العملة المعدنية، بطارية طويلة العمر، وشريط لاصق قوي.

منذ أيام، درس صلاح تفاصيل المكان بعناية. لاحظ أن الشرفة الخاصة بإيهاب تطل على شارع ضيق به العديد من الورش وكلها اغلقت أبوابها، ولا أحد ينتبه لها بعد منتصف الليل. كان يعرف أن أغلب سكان البناية يدخلون غرفهم مع حلول المساء.

تسلل بخفة إلى سطح المنزل. تفحص المسافة بعينيه، ثم أخرج حبلًا متينًا. ثبته بحذر في أحد الأعمدة الصدئة على السطح، وربط

الطرف الآخر حول خصره. أطلق أنفاسه ببطء قبل أن يبدأ النزول بحذر شديد نحو حافة شرفة غرفة إيهاب.

تحركت الحبال بصمت، إلا من صوت طفيف احتكّ بجدار المنزل. توقف فجأة عندما سمع صوتًا خفيفًا في الشارع. كان أحد الجيران يسحب كرسيًا ليدخل منزله. جمد في مكانه حتى هدأ كل شيء من جديد.

وصل إلى الشرفة. ووقف على الحافة، واستدار نحو الداخل. كانت الستائر مغلقة، مما جعله يشعر بالأمان النسبي. أخرج الكاميرا من جيبه، وألصقها بإحكام في زاوية مظللة من سقف الشرفة، موجهة نحو الغرفة.

لم يكن في عجلة من أمره. أمسك هاتفه المحمول، فعلّق اتصال الكاميرا بشبكة الإنترنت التي كان قد اخترقها مسبقًا باستخدام أجهزة بسيطة.

قبل أن يغادر، نظر إلى الشرفة للمرة الأخيرة، ثم سحب الحبل بسرعة وخفة، وصعد إلى السطح مجددًا. حل الحبل وأعاد ترتيب كل شيء كما كان، ثم اختفى بين الظلال.

كان أمجد جالسًا في مكتبه، يحدق في الشاشة أمامه، أنفاسه ثقيلة والغضب يتصاعد داخله. أمسك هاتفه وضغط على رقم صلاح، وانتظر حتى جاءه صوت صديقه.

"تمام يا باشا."

صوت أمجد جاء حادًا ومليئًا بالقلق: "الكاميرات ركبتها فين؟ عايز

أعرف كل التفاصيل."

صلاح بتردد: "بصراحة يا باشا، الموضوع كان أصعب مما توقعت. البيت مش بيفضى خالص. أمه مش بتخرج أبدًا، والحارة طول النهار مليانة ناس، وآخر النهار بيبقوا هما الاتنين موجودين."

أمجد ضرب سطح المكتب بيده بغضب مكبوت: "يعني إيه؟ ما قدرتش تدخل الأوضة؟"

صلاح، محاولًا شرح الموقف: "يا باشا، أوضتهم كان مستحيل أدخلها من غير ما أكسر باب البلكونة، وساعتها هيشكوا. لكن ركبت كاميرا في بلكونة أوضة النوم علشان بس بتطل على ورش وبتقفل كلها بدري في الشتا. دا أحسن مكان قدرت أظبطه من غير ما حد ياخد باله."

أمجد ظل صامتًا للحظات، ثم قال بحدة: "يعني دلوقتي عندي كاميرا واحدة بس؟"

الرجل بنبرة مطمئنة: "الكاميرا دي بتغطي البلكونة كويس، ولو حد دخلها أو قرب منها، هتشوفه بسهولة غير إنك هتسمع كل حاجة في أوضتهم ولو فتحوا الباب هتشوفهم، وبعدين دي بداية يا باشا، ونقدر نطور لو لقينا فرصة تانية."

تنهد أمجد محاولًا كبح غضبه، و ببرود: "ماشي. مش راضي عن ده، بس هكتفي بيه مؤقتًا. أول ما تلاقي فرصة تدخل الأوضة، لازم تنفذ من غير ما تسيب أثر."

الرجل بسرعة: "تمام يا باشا. الكاميرا شغالة 24 ساعة. دي بتبث

مباشر على الرابط اللي بعتتهولك على الإيميل، والفيديوهات كلها بتتسجل تلقائي وبوصلك إيميل كل يوم بالمقاطع."

أنهى أمجد المكالمة،و ألقى الهاتف على الطاولة، نظر لشاشته وفتح الإيميل. وجد رابط البث، ضغط عليه، وظهرت الشاشة تعرض بثًا مباشرًا للشرفة.

ابتسم ببرود وهو يراقب البث: "دلوقتي، كل خطوة ليهم تحت عيني. مفيش حاجة هتفوتني، حنين... اللعبة لسه في أولها."

جلس أمام شاشته، عينيه مثبتتان على البث، وكأنها نافذته للسيطرة على حياتهما من جديد.

أمجد في مكتبه المظلم، الشاشة أمامه تعرض بثًا مباشرًا من الكاميرا. ملامحه جامدة، وعيناه مثبتتان على الشاشة، لا تفوته أي حركة. طوال اليوم كان يراقب وينتظر عودتها، يحصي الوقت وكأنه في سباق مع نفسه.

مع حلول المساء، سمع حركة في الغرفة. قلبه بدأ ينبض بعنف، شعور مختلط بين الشوق والغضب يسيطر عليه.

فتحت حنين باب الشرفة، ليبتسم حين رآها. وضع يده على وجهها وهو يتخيل نعومة بشرتها. رآها تتحرك في الغرفة، بدلت ملابس العمل واشتاق لكل ما فيها. تعجب، كيف صارت أجمل؟ غضب حين ارتدت روبًا ثقيلًا أحكمت إغلاقه، ثم خرجت للشرفة وجلست على كرسي ورفعت قدميها على الطاولة الصغيرة أمامها. تمنى لو يستطيع دخول الشاشة ليجذبها ويدخلها لغرفتها مجددًا ويحكم

إغلاق الباب للأبد. لكنه هدأ نفسه، فالشرفة مغطاة بالكامل بستائر طويلة تحجبها عن الخارج.

أمسكت حنين هاتفها وبدأت في الحديث. رفع مستوى الصوت قليلًا، محاولًا سماع كل كلمة.

"هايدي، ماشي، اتفقنا. بس متأخريش عليا بكرة، محتاجة أحكيلك على حاجات كتير."

ابتسم بسخرية، تمتم لنفسه: "هايدي... لسه صحبتها؟ ولسه قاعدين يرغوا بالساعات. أمممم إيهاب فعلا مش مسيطر."

بعد لحظات، تغيرت تعبيرات وجهها وهي تجري مكالمة أخرى. هذه المرة، كان صوتها يحمل ابتسامة رضا وهي تتحدث مع والدها. سمعها بغضب.

"بابا، متقلقش عليا، أنا بخير. أيوة، إيهاب كويس وشغله كويس، اطمن. تصبح على خير."

قبض أمجد على حافة المكتب بقوة، أسنانه تطحن من الغضب: "أبوها... هو السبب في كل ده. هو اللي فرق بينا، هو اللي خرب حياتنا. كان لازم أتصرف معاه من زمان."

رآها تنظر لهاتفها مرة أخرى، وهذه المرة، بابتسامة عريضة:

"إيهاب، إنت فين حبيبي؟ متأخر ليه؟ أنا شكلي لازم آخد موقف منك على فكرة، ما إنت مش عايز تبطل تسيبني مستنية كده!"

شعر أمجد بشيء يغلي داخله. نظر بحدة إلى الشاشة، تمتم

بسخرية: "ده حب؟ مستحيل. فيه حاجة غلط."

استمر في مراقبتها حتى انهت المكالمة.

"مستحيل تكون دي علاقتهم. أكيد إيهاب عنده مشكلة. حاجة تخليه يقبل برودها... نفس البرود اللي كنت بشوفه منها. أكيد فيه حاجة ناقصة فيه، هو عنده مشكلة وهي متقبلة ده، والاتنين توافقوا مع بعض."

عاد إلى الشاشة مرة أخرى، وهو في ارتياح لما توصل إليه، مصممًا على مراقبة كل حركة. بالنسبة لأمجد، كانت الكاميرا المفتاح الأول لاستعادة سيطرته على حياة حنين، ولم يكن مستعدًا للتخلي عن ذلك.

خرجت حنين من الغرفة لتعود بعد أكثر من ساعتين، تبدو مرهقة. فتحت دولابها وأخرجت ملابسها، وضعتها على السرير، ثم غادرت مجددًا لتعود بعد نصف ساعة. ارتدت ما وضعته على السرير، وكان قميص نوم أنيق بلون أحمر مثير. راقبها أمجد عبر الشاشة، عينيه مشدوهة وقلبه ينبض بعنف. لم تستعد له أبدًا بهذا الشكل من قبل.

تحركت في الغرفة، تتمايل أمام المرآة وهي ترتدي قميصها، ثم جلست أمامها لتضع مساحيق التجميل. اشتاق لكل ما فيها، كيف أصبحت بهذا الجمال؟ اشتعل غضبه حين ارتدت روبًا ثقيلًا بعد ذلك، يغطي كل ما أظهرته. كانت تتعمد إخفاء جمالها بعد أن تزينت، وكأنها تحتفظ به لشخص آخر.

سمع صوتها وهي تتصل: "إيهاب، عارف لو مظهرتش قدامي خلال

أقل من ربع ساعة هعمل فيك إيه؟"

رآها تبتسم لما تسمعه، ثم تضيف بنبرة مرحة: "مش هقولك لبست لون إيه. ولو اتأخرت عن ربع ساعة، هقلعه وهلبس بجامة شتوي تقيلة طول الليل."

أغلقت الهاتف والتفتت لتفاجأ بالباب يفتح خلفها. نظرت إليه بصدمة وهو يقول بابتسامة واسعة: "ولا سحر ولا شعوذة، ولا كملت دقيقة، مش ربع ساعة."

دخل وأغلق الباب خلفه، اقترب منها بخطوة، لتقفز هي نحوه، فالتقطها بسهولة: "كام مرة هقولك هدومي هتبهدلك وايديا كمان؟"

ضحكت بين ذراعيه: "وأنا كام مرة هقولك مش فارق معايا؟"

قبلته بعشق، وأمجد يكاد يجن أمام الشاشة وهو يراقبها. رآها تقبله بجنون، ثم حين وضعها على الأرض، أمسكت قميصه ورفعته للأعلى ليساعدها في خلعه. في المقابل، أمسك رباط الرداء الذي ترتديه وجذبه، ليكشف كتفيها ويترك الرداء يقع أرضًا.

تأملها بردائها الأحمر المثير، ثم أمسك يدها، وأدارها لتدور حول نفسها قبل أن يجذبها بين ذراعيه مرة أخرى ويقبلها بشغف. حملها ليضعها على السرير، لكن أمجد فقد الرؤية حيث كان السرير بعيدًا عن مجال الكاميرا.

سمع صوتهما بوضوح، كلمات الحب والغزل تملأ الأجواء. استشاط غضبًا، فهو يعرف جيدًا أنها لم تكن بهذه المشاعر معه أبدًا. لماذا تتغير الآن؟ لقد نفرت منه منذ الليلة الأولى فلم تئن بتلك الطريقة

مع إيهاب؟ ما الاختلاف بينهما، سمع ضحكاتهما الخافتة،لماذا تمنح إيهاب ما لم تمنحه له؟

رنين هاتف قاطعهما لتهتف حنين: الاسطى طلعت اكيد هيقولك على شغل جديد

رد إيهاب بصوت ضاحك: "سيبي. علشان أشوف الموبايل، حنون. هرجع لحضنك تاني."

هتف أمجد بغضب: رد عليا يلا يا إيهاب

راقب إيهاب وهو يأخذ هاتفه من الحقيبة الملقاة أرضًا، ينظر إليه بابتسامة ثم ينظر لحنين: "مطلعش الأسطى. ده د. ماهر."

ردت حنين باستياء: "الراجل ده غريب. ما تردش عليه وتعال لحضني."

وضع إيهاب الهاتف جانبًا، وعاد ليحتضنها وسط ضحكاتها: "ما تقومش من حضني."

حاول أمجد الاتصال مجددًا ولكن تفاجئ بالهاتف مغلق فألقاه بغضب تزايد حين سمع ضحك إيهاب وهو يقول: "طيب مش هقوم أخد شاور يعني؟ وبعدين جعان يا حنون. خليني أطلب أكل."

قاطعته حنين: "أنا عملالك أحلى بشاميل. ادخل خد الشاور، وأنا هجهز الأكل."

عاد أمجد يراقب الغرفة الفارغة بغضب. أفكاره تتصارع، يتساءل: هل تعالجت؟ هل أصبحت طبيعية؟ كيف ستتقبل خبر عودته؟

انتبه مجددًا للشاشة عندما دخلت حنين تحمل صينية وضعتها على الطاولة الصغيرة، تبعها إيهاب بمنشفة يجفف بها شعره. أخذت المنشفة منه وساعدته على تنشيف شعره، قبل أن تجلس على قدميه وهي تضحك: "سيادتك هتأكلني؟ عندك مانع؟"

رد بابتسامة وهو يقبل شفتيها: "هأكلك طبعًا."

سهرة طويلة من الحب والضحك والغزل. تساءل أمجد بجنون: لماذا تعشقه بهذا الشكل؟ سيطر الغضب عليه، وأقسم أن يحضرها لبيته مرة أخرى مهما كلفه الأمر.

كان هشام جالسًا في شقته، يتأمل دعوى الطلاق التي وصلته منذ أيام. الكلمات المطبوعة على الورق كانت كالسكاكين تخترق قلبه. شعر بالاختناق، وبأنه يفقدها تمامًا.

أمسك هاتفه، وقرر أن يحاول الاتصال بها. ضغط رقمها وانتظر.

"عذرًا، الرقم الذي تحاول الاتصال به مغلق حاليًا."

نظر إلى الهاتف بدهشة، ثم حاول مرة أخرى، لكن النتيجة كانت نفسها. شعور بالخوف والقلق بدأ يتسلل إلى قلبه. قرر الاتصال بوالدتها، ربما تعطيه إجابة.

"السلام عليكم، طنط. أنا هشام."

جاء صوت والدتها جافًا لكنه هادئ: "وعليكم السلام. نعم يا هشام؟"

"طنط، كنت بحاول أكلم هدير، بس تليفونها مقفول. هي بخير؟"

ردت الأم ببرود: "هدير غيرت رقمها. ومش عايزة أي تواصل معاك. طلقها يا هشام، هي مش عايزة أي كلام بينكم."

شعر هشام بالصدمة: "بس أنا... مكنتش عايز أوصل للطلاق. كنت عايز نحاول نصلح الأمور."

قاطعت الأم بحدة: " ماهي بقالها سنين بتحاول تصلح كانت النتيجة إيه؟ هاه؟ هشام، كل حاجة واضحة جدًا. إنت بتخونها من زمان وهي كانت عاملة نفسها مش واخدة بالها لحد ما شافتك بعينيها فخلاص كرهتك. معدش ينفع تغمض عينيها تاني، ما عنديش حاجة أقولها أكتر من كده."

أغلق الهاتف، محاولًا استيعاب ما سمعه. لكنه لم يستسلم. قرر الاتصال بعمرو، أخيها، ربما يساعده في التواصل معها.

"مساء الخير، عمرو. أنا هشام."

جاء صوت عمرو حازمًا: "خير يا هشام؟"

"عمرو، أنا بحاول أكلم هدير. أنا... ما كنتش عايز الوضع يوصل بينا للمرحلة دي. ممكن نتكلم؟"

رد عمرو بنبرة صارمة: "هشام، هدير انساها تمامًا، هي مش عايزة أي كلام بينكم. لو بتحب ابنك، طلقها بهدوء وخلي الأمور تخلص بسرعة. مفيش داعي لوجع الرأس. أي حاجة تخص زيد، كلمني وأنا أرتب كل حاجة."

تنهد هشام، وأدرك أن الخيارات أمامه باتت محدودة.

وقف هشام في قاعة المحكمة، يتابع الإجراءات بصمت. هدير كانت تجلس بعيدًا، ولم تلتفت إليه حتى للحظة. الحكم صدر لصالحها، الطلاق للضرر.

بعد انتهاء الجلسة، خرج هشام يحاول أن يستجمع شجاعته. اقترب منها، ونادى بصوت خافت: "هدير..."

رفعت عينيها نحوه، نظرتها باردة وجامدة: "أي حاجة تخص زيد، كلم عمرو."

غادرت المكان دون أن تضيف كلمة، تاركة هشام يغرق في إحساس الخسارة.

بعد أيام، تواصل هشام مع عمرو لترتيب رؤية ابنه.

"عايز أشوف زيد. مش عايز أي مشاكل، بس مش هقدر أستحمل ما أشوفش ابني."

رد عمرو بهدوء: "مفيش مشاكل. تشوف زيد في بيتنا. أي وقت تحب، كلمني وأنا أرتب.."

جلس هشام في شقته، يحمل هاتفه بين يديه، ينظر إلى صورة قديمة لهدير وابنه زيد. كره نفسه على كل فرصة أضاعها.

همس لنفسه بصوت متهدج: "خسرتها... ومش هترجع تاني. كل حاجة انتهت."

كان زهير يقف في مكتبه الزجاجي داخل البنك، الأوراق متناثرة على مكتبه، لكن عينيه لم تكن على الأوراق. كان يراقب سارة وهي

تتحرك في القاعة الرئيسية، منهمكة في ترتيب الملفات والتحدث مع العملاء.

عندما مرت بالقرب من مكتبه، خفض رأسه متظاهرًا بالانشغال. لكنها لم تلحظه، أو هكذا بدا. تابعها بعينيه وهي تعبر المكان، يده تمسك بالقلم بشدة، بينما أفكاره تأخذه إلى مكان آخر.

عيناه تجمدتا على بطنها التي بدأت تظهر علامات الحمل. الحياة التي تحملها في داخلها هي جزء منه، ابنه الذي لم يره بعد. اشتعل قلبه بالشوق، لكن كرامته وقفت جدارًا صلبًا يمنعه من الاقتراب.

تذكر لحظاتهم معًا، ضحكتها التي كانت تملأ حياته، نظراتها التي كانت تروي قلبه. الآن، هي قريبة جدًا، لكنه يشعر وكأن بينهما فجوة لا يمكن عبورها.

حين توقفت سارة للحظة لتتحدث مع أحد الزملاء، رأى يدها تمتد لتحمي بطنها بشكل غريزي. تلك الحركة الصغيرة أثارت داخله موجة من الحنين، لكنها في الوقت نفسه زادت ألمه.

حدث نفسه بصمت: "ابني... اللي جواها ابني. وهي... كانت حياتي كلها."

لكنه تراجع خطوة للخلف، وكأن المسافة هي السبيل الوحيد للحفاظ على كبريائه. عاد للجلوس خلف مكتبه، محاولًا التركيز على العمل، لكن عقله ظل عالقًا بها.

همس لنفسه: "وحشتيني... بس مش قادر أسامحك. مش قادر أرجع."

وبينما استمرت سارة في عملها كأن شيئًا لم يكن، ظل زهير يراقبها من بعيد، مشتاقًا لها وللطفل الذي لم يولد بعد، لكنه محاصر بكرامته المجروحة.

دخل حمزة صيدلية والده مساءً على غير العادة فأبيه عيّن دكتور جديد لوردية الليل، لكن صوت ضحكات حور لفت انتباهه. استدار ليرى حور تجلس خلف المكتب، تتحدث وتضحك مع دكتور محمد، زميلها في وردية الليل.

شعر حمزة بغيرة شديدة، لكنه حاول أن يسيطر على نفسه وهو يتقدم نحو المكتب.

"مساء الخير يا دكتورة حور." قال بصوت بدا هادئًا لكن عينيه تعكسان مشاعره.

حور رفعت نظرها بابتسامة طبيعية: "مساء النور، د. حمزة. إيه اللي جابك دلوقتي؟"

نظر إلى محمد نظرة خاطفة، ثم عاد بنظره إلى حور: "عادي جيت أقف معاكم شوية علشان زحمة الصيدلية بس الظاهر إني غلطان لأن واضح إن عندك وقت للهزار."

حور لم تفهم قصده مباشرة، لكنها لاحظت نبرته الحادة: "قصدك إيه؟"

أشار حمزة بيده نحو محمد الذي خرج من الصيدلية بحجة مكالمة مهمة: "قصدي واضح. الضحك والهزار مع الزملاء مش حاجة لطيفة."

هنا انفجرت حور بغضب، وقامت من مكانها: "إنت إيه اللي بتقوله ده؟ إنت فاكر نفسك مين علشان تيجي تحاسبني؟!"

حاول حمزة أن يهدئها: "أنا مش بحاسبك، بس..."

قاطعت حديثه بعصبية: "بس إيه؟ إنت فاكر إنك ليك حق تتحكم في حياتي؟ أنا مش هقبل ده، ولا يمكن أسمح لحد يتعامل معايا بالطريقة دي."

رد حمزة بصوت مرتفع: "مش مسألة تحكم، أنا بغير عليكِ. وده طبيعي!"

ضحكت حور بسخرية، وعيناها ممتلئتان بالدموع من شدة الغضب: "تغير؟ تغير عليا بأي صفة؟ إنت مش حاجة في حياتي! ولا هتكون في يوم طالما بتتصرف بالشكل ده."

تركته واقفًا في مكانه، وخرجت من الصيدلية غاضبة.

في غرفتها، جلست حور تتحدث مع حنين عبر الهاتف، وعصبيتها لا تزال واضحة في صوتها.

"مش قادرة أصدق اللي عمله يا حنين! هو فاكر نفسه مين علشان يجي يحاسبني؟"

حنين حاولت تهدئتها: "حور حبيبتي، حمزة مش قصده يتحكم فيك. ده حب وغيرة."

ردت حور بانفعال: "مش عايزة الحب والغيرة دول، بعدين ما أمجد كان بيحبك ويغير عليكِ؟

علقت حنين بهدوء: أمجد كان مجنون يا حور مش طبيعي، لكن حمزة طبيعي.

اصرت حور بغضب: أنا مش هسمح لحد يتحكم فيا أبدًا. الغيرة دي أول خطوة للتحكم، وأنا مش هسمح بده."

حنين، بهدوء: "بس حمزة مش زي أي حد تاني. يمكن تكوني قاسية عليه. حاولي تفكري في الموضوع بهدوء."

في صباح اليوم التالي، ذهب حمزة إلى الجامعة ليقابل حور. انتظرها حتى انتهت من محاضرتها، وعندما رأته، بدا الغضب واضحًا على وجهها.

"إيه اللي جابك هنا؟" سألت بنبرة حادة.

قال حمزة وهو يحاول تهدئة الأجواء: "حور، أنا جاي أعتذر. عارف إني غلطت لما اتصرفت بالشكل ده."

ردت حور بحدة: "وإنت فاهم إن الاعتذار هيغير حاجة؟ اللي حصل امبارح مش هسمح بيه يتكرر."

تنهد حمزة، وبصوت مليء بالصدق: "حور، أنا بغير عليكِ. بغير عليكِ، مش بحاول أتحكم فيكِ. أنا بس... خايف أخسرك."

ترددت حور للحظة، ثم قالت بصوت أقل حدة: "تخسرني بتاع إيه؟ إنت لا هتخسرني ولا هتكسبني، بتتكلم بأي صفة أصلًا؟ هاه؟"

اقترب منها: "حور أنا بحبك، إنتِ فاهمة؟ بحبك وعايزك شريكة لحياتي."

لجمها اعترافه بالحب، لكنها كابرت: "وأنا مش هقبل أشارك راجل مريض...."

قاطعها بغضب: "أنا مش أمجد."

نظرت له بحدة: "كلكم بتقولوا كده في الأول، ويبدأ الموضوع بغيرة وبعدها..."

قاطعها تاني: "حور، أنا بحبك، بحبك، والغيرة بتيجي في نفس الباكدج مع الحب. أنا غلطان، أه معترف، اتنرفزت عليكِ، بس إنتِ قاعدة معاه والجو هادي وبتضحكي، فاعتقد يا روحي، الغلط مشترك. ما ينفعش، في حاجات ما ينفعش. وأنا مش بغير بشكل مرضي. أنا غيرتي عادية جدًا، إنتِ بس متحسسة شوية. بس صدقيني أنا مش أمجد."

صمتت ليشعر بهدوئها، فاقترب أكثر: "سامحتيني؟"

نظرت لعينيه بتردد، ثم أشارت برأسها، فابتسم هو: "طيب حلو طالما سامحتيني، إيه رأيك أجيب أبويا ونيجي لابوكِ نطلب إيدك؟"

اتسعت عيناها دهشة، ولجمتها الصدمة للحظات، ثم نطقت ببلاهه أخيرًا: "تيجوا لأبويا ليه؟ يعني إيه تطلب إيدي؟ مالها إيدي؟"

ضحك حمزة: "عايز أتجوزك، أعتقد كده بقت واضحة، صح ولا إيه؟"

جرت من أمامه ليضحك هو، ثم اتصل بحنين لتحدد له ميعاد مع والدها كي يتقدم لخطبتها.

حنين كانت تجلس في مكتبها بالبنك، منشغلة بمراجعة بعض الأوراق. فجأة، رن هاتفها ورأت اسم حمزة. رفعت حاجبيها باستغراب وهي ترد عليه وسمعته وابتسامة عريضة تملأ وجهها. لم تستطع إخفاء حماسها، اغلقت المكالمة وقررت الاتصال بحور فورًا.

"حور! إيه يا بنتي، كنتِ فين؟" بدأت حنين بنبرة مليئة بالحماس"

"كنت في المحاضرة. إيه؟ مالك فرحانة كده؟" سألت حور وهي تشعر بشيء مختلف في صوت أختها.

حنين لم تستطع الصبر: "تخيلي! حمزة كلمني وقال إنه عايز يتقدم لك."

صمتت حور للحظة، شعرت بصدمة ممزوجة بالسعادة والارتباك: "قولتيله إيه"

"هقوله إيه يعني، يا حور! الراجل واضح إنه بيحبك جدًا. طلب مني أكلم بابا وأحدد معاه ميعاد. بس طبعًا كان لازم أسمع رأيك الأول."

حور شعرت بارتباك شديد: "مش عارفة أقولك إيه. بصراحة، مش عارفة، ساعات بحس إني بحبه ؛ عايزة أشوفه دايمًا، مش عارفة يا حنين، اعمل إيه إنتِ قوليلى."

ضحكت حنين بلطف: "يا بنتي، اقولك إيه أنا؟ حمزة شخص محترم وبيحبك. وأنا واثقة إنه هيكون سند ليكِ."

تنهدت حور و بابتسامة خجولة: "طيب، قولي لبابا. أنا مش عارفة أقول لا، ولا عايزة أقول لا."

حنين لم تستطع الانتظار طويلًا، فتوجهت مباشرة إلى مكتب والدها، خطواتها سريعة، وملامحها تحمل فرحة واضحة. جلست أمامه بحماس يكاد يفوق قدرتها على الكلام.

قالت بابتسامة واسعة:

"بابا، عايزة أقولك على حاجة مهمة."

نظر إليها عبد القادر بابتسامة هادئة، ووضع أوراقه جانبًا:

"خير يا حنين، في حاجة مهمة؟"

عبرت بنبرة متحمسة:

"حمزة، زميل حور وصاحبنا، عايز يتقدم لها. كلمني وطلب مني أقولك."

ارتفع حاجباه بدهشة واضحة:

"بجد يا حنين؟ هو كلمك؟"

ابتسمت حنين لدهشته وأومأت:

"أيوه، وطلب مني أبلغك. عايز ميعاد علشان يجي يتكلم معاك."

فكر عبد القادر للحظات:.

"إذا كان بيحبها وهي موافقة، يبقى أهلًا وسهلًا. بس ما ترديش عليه دلوقتي. اصبري وكمان خليني اسمع منها الأول، واتكلم مع والدتك."

علقت حنين بحماس:

"بابا، حمزة إنسان كويس جدًا، جدع وشهم، وفوق كل ده بيحبها بجد."

سألها عبد القادر بفضول:

"طيب ومعتز يا حنين؟"

ترددت قليلًا:

"معتز؟ بابا، معتز كان متعلق بيها، بس بقاله فترة مشغول في صيدليته. غير كده هايدي قالت لي إن في دكتورة جديدة اشتغلت معاه، وهو بيتكلم عنها كتير بحماس. وبعدين يا بابا، الأهم مشاعر حور نفسها، مش معتز ولا حمزة. وحور واضح إنها ميالة لحمزة."

أومأ والدها بتفكير:

"ربنا يقدّم اللي فيه الخير يا حبيبتي. أنا هتكلم مع أمك ومع حور، وبعدها نرد عليكِ. إيه رأيك تيجي تتغدي معانا النهاردة ونكلمهم سوا؟"

فكرت بتردد، لكنه شجعها بابتسامة:

"كلمي إيهاب، خليه ييجي هو كمان."

ردت بسرعة وبحسم:

"لا يا بابا، إيهاب وماما وبعد اللي حصل آخر مرة، مش هقول له يجي تاني."

اقترب منها بقلق:

"حنين، إنتِ لسه زعلانة مننا؟ حبيبتي، أنا كنت بحاول أساعده."

نظرت للأرض بضيق:

"بابا، إنتوا هنتوه جامد. حسستوه إنه مهما يعمل مش كفاية. كسرتوه. عارف لما حد يكون شايل جبل فوق كتفه، وماشي بيه وربنا مديه القوة يمشي، وفجأة حد يجي يقول له إن اللي شايله ده مش كفاية؟ حسستوه كده، وده هدّه."

اقترب منها عبد القادر بأسف:

"والله ما كان قصدي أهينه أو أضايقه. أنا..."

قاطعته بحزن:

"بابا، إنت خيرته يمد إيده أو يسيبني."

أمسك يدها بحنان:

"كنت عايز أجبره يقبل مساعدتي. كنت عايز أساعدكم، مش أكتر."

نظرت لعينيه بتفهم:

"عارفة إنك كنت عايز تساعدنا. بس يا بابا، إيهاب مش ممكن يقبل ده. كرامته تمنعه. وأنا وهو عارفين إن نيتك كانت خير، لكن ماما..."

رفع عبد القادر رأسها ونظر إلى عينيها:

"حبيبتي، أنا مستعد أجي له وأعتذر له، وأجيب والدتك كمان. لكن إحساسك إن بيت أبوكِ مش مفتوح ليكِ ولجوزك، ده شيء مش هقبله."

ابتسمت بخفة:

"بابا، إحنا مش زعلانين. إيهاب عارف نيتك. بس الليلة اتكلم مع ماما وحور. أنا وإيهاب هنيجي في أي وقت تاني، بس النهاردة ركز في اللي أهم."

بعدما غادرت حنين مكتب والدها، وقف عبد القادر للحظات يفكر في كلماته، ثم أمسك هاتفه واتصل بإيهاب. جاء صوت إيهاب من الطرف الآخر، هادئًا ولكنه يحمل نبرة استغراب:

"عمي، حضرتك بتتصل في حاجة عايز تقولها؟ أو حنين محتاجة لحاجة؟ خير؟"

تنحنح عبد القادر، محاولًا أن يجد الكلمات المناسبة، وبصوت يحمل شيئًا من التردد:

"أنا بتصل علشان حاسس إني مديون لك باعتذار يا إيهاب. مكنش قصدي أضايقك أو أحسسك إن اللي بتعمله مش كفاية. أنا... أنا بس حبيت أساعدك، يمكن كان أسلوبي غلط أو حسستك بالإهانة."

صمت عبد القادر قليلًا، وكأن الكلمات تخونه، ثم أكمل:

"أنا كنت متضايق وقتها إنك تتعرض لكل اللي حصل ده من غير ما تعرفنا، وإن جوازك من حنين حط حمل فوق أكتافك أكبر من اللي تقدر تحمله. فقولت أساعدك، علشان ما تشتغلش شغل زيادة أو تضغط نفسك أكتر."

استمع إيهاب بصمت، مسترجعًا تفاصيل تلك الليلة التي كانت من أصعب لحظات حياته، ثم أجاب بصوت هادئ لكنه يحمل وجعًا

دفيئًا:

"عمي، أنا عارف كل اللي بتقوله. وصدقني، أنا مقدر نيتك. لكن كرامتي مش بتسمح لي أمد إيدي، حتى لو كان اللي قدامي عاوز يساعدني. أنا بحاول، وربنا بيسترها معايا، وربنا بيدي البرد على قد الغطا."

توقف إيهاب لوهلة، ثم أكمل بثقة:

"يمكن أكون مش قادر أعيش حنين زي ما كانت عايشة في بيتك، بس الحمد لله، بيتي مش ناقصه حاجة. إحنا عايشين عيشة كريمة، وبحاول أكون قد المسؤولية."

شعر عبد القادر بصدق كلمات إيهاب، و بصوت يحمل الأسف:

"أنا آسف يا إيهاب لو كنت ضغطت عليك أو حسستك إن اللي بتعمله مش كفاية. والله ما كان قصدي أضايقك أو أهدك. أنا شايف قد إيه بتحبها، وقد إيه بتتعب علشانها، وده بالنسبة لي أكبر دليل على إنك تستحقها."

رد إيهاب بنبرة مريحة:

"عمي، أنا مش زعلان. أنا عارف إنك كنت بتفكر في مصلحتنا. وحنين نفسها قالت لي إنك كنت بتحاول تساعدنا. الحمد لله، إحنا ماشيين وعايشين برضا ربنا."

تنهد عبد القادر وشعر ببعض الراحة:

"ربنا يكرمك ويعينك يا بني. أنا كنت حابب أقول لك ده علشان ما

يبقاش فيه بينا أي شيء. وصدقني، أنا دايمًا موجود لو احتجت أي حاجة."

ابتسم إيهاب بخفة، و بإخلاص:

"شكرًا يا عمي. وجودك في حياتنا لوحده كفاية. وربنا يقدرني وأسعد حنين وأكون عند حسن ظنكم."

انتهت المكالمة، وشعر عبد القادر بأنه أزاح ثقلًا عن صدره، بينما جلس إيهاب بهدوء، يفكر في كل ما مر به، وهو يشعر بامتنان لأن الأمور تسير نحو الأفضل.

13

جلس عبد القادر مع ابنته حور في غرفة الجلوس بعد أن دعاها بهدوء، ناظرًا إليها بابتسامة دافئة. كانت حور تبدو خجولة، أمام والدها

و بنبرة هادئة:

"حور، عايز أسألك حاجة، وعايزك تردي بصراحة."

نظرت إليه بتوتر خفيف فهي تعلم ما سيتحدث فيه:

"خير يا بابا، في حاجة؟"

تنهد بابتسامة صغيرة:

"الموضوع بخصوص حمزة ... حنين قالت لي إنه عايز يتقدم لك. إيه رأيك؟"

احمر وجه حور قليلاً، وحاولت أن تخفي ارتباكها، وقالت وهي تنظر إلى يديها:

"حمزة إنسان كويس، و... محترم جدًا. دايمًا بيحترمني وبيساعدني."

ابتسم عبد القادر بخفة، شعر بأنها تحاول أن تلتف حول الجواب الحقيقي، فسألها مباشرة:

"طيب، لو هو تقدم لك رسمي، موافقة؟"

رفعت عينيها لتلتقي بعيني والدها، شعرت بالخجل يطغى عليها

لكنها قالت بصوت خافت:

"لو حضرتك شايف إنه مناسب، أنا... موافقة."

ابتسم عبد القادر بحب، مد يده ليضعها على يدها مطمئنًا:

"المهم عندي تكوني مرتاحة ومبسوطة. وأنا شايف إنه شاب كويس ومحترم، وحنين قالت نفس الكلام. لو ده رأيك، يبقى أهلًا وسهلًا بيه."

أومأت بخجل، ولم تعلق، لكنها شعرت بالراحة لأن والدها تفهم شعورها دون أن تضطر للإفصاح عن كل شيء.

عبد القادر دخل غرفته ليجد صابرين جالسة على الأريكة تتصفح هاتفها، عيناها منشغلتان بالشاشة. جلس بجانبها بهدوء، محاولًا أن يفتح حديثًا عن الموضوع الذي يشغل باله.

"كنت عايز اتكلم معاكِ عن حور وحمزة."

رفعت رأسها قليلًا ونظرت إليه بفتور. "مالهم؟

اخبرها بهدوء: حمزة عايز يجي يطلب إيدها

نظرت إليه باهتمام: إيه أخباره الولد ده؟ ظروفه إيه؟"

شعر بثقل في صدره من الطريقة التي تناولت بها الموضوع، لكنه أكمل بصوت هادئ. "شاب محترم ومجتهد. إنتِ عارفة إن عنده صيدلية صغيرة وبيشتغل فيها، بيحب حور وبيحترمها."

هزت كتفيها بلا اهتمام. "ماشي كل ده عرفاه، بس ظروفه المالية؟ الصيدلية دي بتدخل دخل كويس؟ أبوه وعيلته مرتاحين ماديًا؟

البنت لازم تعيش في مستوى زي مستوانا ده إن مكنش أحسن كمان."

حاول أن يسيطر على انزعاجه، ناظرًا إليها مباشرة. "الفلوس مش كل حاجة. الأهم إنه إنسان كويس، والبنت نفسها مرتاحة له."

ابتسمت بتهكم، ووضعت الهاتف جانبًا. "مش كفاية اللي حصل مع حنين؟ جوزتها لإيهاب، فقير، نقاش، ومش قادر يعيشها حياة مرتاحة زي اللي كانت عايشاها هنا. كفاية حنين، مش هنكرر نفس الغلطة مع حور. البنت لازم تتجوز واحد مرتاح ماديًا، مش نجري ورا الحب اللي مش بيأكل عيش."

شعر عبد القادر بطعنة في صدره من كلماتها. رفع يده، يمسح جبينه ببطء، محاولًا أن يحافظ على هدوئه. "حنين مبسوطة مع إيهاب، وإحنا مالناش حق نحكم على حياتها بالشكل ده. أهم حاجة إن البنت نفسها تكون مرتاحة."

اتكأت على الأريكة بخفة.وتغيرت نبرتها"الراحة اللي بتتكلم عنها هي اللي لازم نوفرها من الأول. حور مش لازم تعاني زي أختها. إحنا عندنا فرصة نعوض، البنت تتجوز في مستوى كويس، مش تقلل من نفسها."

شعر وكأن الكلمات كانت تُسحب من قلبه. نظر إلى وجهها الذي أصبح غريبًا عليه تمامًا. "الحب والاحترام هو اللي بيعمل الراحة، مش بس الفلوس. لو كنا بنفكر بالطريقة دي زمان، يمكن حياتنا كانت مختلفة."

رفعت حاجبها، عادت لتمسك هاتفها مرة أخرى. "لو بتلمح لحياتنا، فالحياة اللي بنعيشها عمرها ما كانت مشكلة، إلا لو إنت شايف غير كده."

ترك مكانه بهدوء، متجهًا إلى النافذة، المطر كان يتساقط بخفة في الخارج. لم يلتفت إليها وهو يهمس وكأنما يحدث نفسه. "كان نفسي مرة واحدة نحس ببعض، نشوف الحياة من زاوية أبسط، لكن الظاهر إني كنت لوحدي في الحلم ده."

لم تجبه. عادت لشاشة هاتفها دون اكتراث. بقي عبد القادر واقفًا أمام النافذة، يشعر أن المسافة بينه وبينها لم تعد قابلة للردم، وأن سنوات عمره معها كانت مجرد واجب، لا حبًا أو فهمًا متبادلًا. تنهد بصوت منخفض، ثم التفت ببطء لينهي الحديث.

"اسمعي يا صابرين، أنا قررت. حمزة هييجي البيت ويتكلم معانا بشكل رسمي، لأنه شاب كويس، مش لأنه غني ولا لأن عنده صيدلية بتكسب. أنا بنتي أهم حاجة عندي، وسعادتها هي اللي تهمني."

رفعت عينيها عن هاتفها، محاولة أن ترد، لكنه لم يمنحها فرصة. أشار بيده بحزم وهو يكمل:

"الفلوس بتروح وتيجي، لكن اللي زي حمزة، واحد محترم وبيحب بنتنا، مش سهل تلاقيه. وده اللي أنا شايفه صح."

لم ينتظر لترد عليه، فقد شعر بأنها لن تغير رأيها. غادر الغرفة دون أن ينظر للخلف، ويده تتجه إلى هاتفه. اتصل بابنته حنين، التي ردت سريعًا.

"بابا، هاه يا حبيبي وصلت لقرار؟"

ابتسم لأول مرة منذ وقت طويل، وهو يستشعر الأمل في صوته. "أيوه، يا حنين. أنا موافق على حمزة، وشايفه شاب محترم ومناسب لحور."

صمتت لحظة، وكأنها لم تستوعب الكلمات، قبل أن تسأله:

"بجد يا بابا؟"

أجاب بثقة:

"آه، وبقلب مطمئن. قولي له ييجي البيت في الوقت اللي يناسبه، إحنا في انتظاره."

صوت حنين المليء بالسعادة جعله يشعر بالراحة لأول مرة منذ وقت طويل. "ربنا يخليك لينا يا بابا. هقوله، وهو أكيد هيكون فرحان لما يسمع ده."

أغلق الهاتف، وعاد إلى النافذة، ينظر إلى المطر الذي ازداد غزارة. رغم شعوره بالخسارة مع زوجته، وجد نفسه يتشبث بالأمل في حياة بناته. كان يعلم أن القرارات الصحيحة قد لا تُرضي الجميع، لكنه كان على يقين أنه اختار الأفضل لحور، مثلما كان يتمنى لو اختار الأفضل لنفسه منذ سنوات طويلة.

حنين اقتربت من إيهاب بخطوات هادئة، المطر كان يتساقط أمامهما بغزارة، وقطراته تعزف ألحانًا على الحاجز المعدني. لمست كتفه برفق، عيناها تلمعان بحماس وهي تتحدث بصوت يحمل فرحة عميقة:

"بابا وافق على حمزة لحور، أخيرًا حور هترتبط عن حب، حمزة بيحبها بجد."

إيهاب استدار ببطء، عيناه تحملان الدفء الذي اعتاد أن يمنحها إياه. رفع حاجبه قليلًا وهو ينظر إليها بمزيج من الجدية والفرح:

"الحمدلله إن والدك وافق و اختار اللي يشوف فيه الأمان لبنته. حمزة فعلًا يستحق حور... بيحبها من قلبه."

ضحكت بخفة وهي تقترب أكثر، تستند على الحاجز بجواره:

"إنت إيه رأيك؟ شايفه مناسب لحور؟ يعني موافق عليه؟"

مد يده ليضعها فوق يدها، ضغط عليها بلطف وهو يبتسم:

"أكيد موافق. حمزة شاب محترم، وبيحب حور بجد. الأهم من أي حاجة، هي تبقى مرتاحة وسعيدة."

نظراتها لم تفارق عينيه، قلبها امتلأ بالامتنان لهذا الرجل الذي يعرف كيف يمنح الحب بكلماته البسيطة. الهواء البارد بدأ يلفح وجهها، لكنها شعرت بدفء غريب ينبع من وجوده بقربها.

إيهاب أشار نحو المطر المتساقط بغزارة، عينيه تلمعان بفكرة طفولية مليئة بالحماس:

"إيه رأيك نطلع فوق السطوح؟ نعيش لحظات مجنونة زي الليلة اللي فاتت؟"

ضحكت وهي تهز رأسها، رفضها جاء برفق ولكن بحزم:

"أكيد لأ. المرة اللي فاتت كنت مبلول لآخر خيط في هدومك، وصحيت تعبان. مش مستعدة أعيش قلق تاني عليك."

اقترب منها، يده امتدت لتحيط بكتفها، وسحبها إليه بخفة، جعلها تستند على صدره. نظر إلى المطر أمامهما، وصوته جاء هادئًا ولكن محملًا بالحب:

"ماشي، خلينا هنا. المطر جميل كفاية وإحنا مع بعض."

استقرت رأسها على كتفه، ذراعيها التفّتا حوله كأنها تحتمي به من العالم. صوت المطر كان الخلفية الوحيدة لصمتهما، لحظة مليئة بالحب والسكينة.

على الجانب الآخر في غرفة مظلمة، كان أمجد يجلس متجمدًا أمام شاشته عينيه لم تفارق حنين، والغضب يشتعل داخله كأنما يحرقه حيًا. يراها الآن تمنح الحب، الضحكات، والدفء الذي لطالما أراده لنفسه. كل حركة بينهما كانت كالسكاكين التي تخترق قلبه.

قبضته انغلقت بإحكام، ملامحه تحولت إلى قناع من الكراهية والغيرة. همس لنفسه بصوت بالكاد يسمعه:

"كان المفروض تكوني معايا أنا... تحبيني أنا بالشكل ده."

النار في داخله تصاعدت، وقراره أصبح واضحًا أكثر من أي وقت مضى. حنين لن تنعم بهذا الحب والهدوء طويلًا، فهو لن يسمح بذلك أبدًا.

مازن دخل غرفة إيهاب، طلب منه بصوت مليء بالحماس أن يرافقه لشراء بدلة التخرج. عينيه تلمعان بشعور الإنجاز، وهو

ينقل حماسه لأخيه الأكبر. إيهاب وقف للحظة، يستوعب الطلب، ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة مليئة بالفخر، وافقه بسرعة ثم نادى لهبة طلب منها أن تستعد هي الأخرى فحفلة تخرجها اقتربت، احست هبة بالحرج فهي لا تريد أن تثقل كاهله بطلباتها وفكرت أن تطلب من حنين أي فستان جديد لديها واقترحت لإخيها: بلاش أنا يا إيهاب كفاية مازن، أنا هاخد من حنين لبسها كله ما شاء الله جديد وذوقها عالي

قبل أن يرفض إيهاب تدخلت والدتها التي شهقت بسخرية: إنتِ تاخدي من حنين ليه؟ وهو بيشتغل ويتعب كل ده ليه؟ مش علشان يشتريلك إنتِ وأخوكِ وتتخرجوا زي كل الناس؟ خشي البسي وانزلي اشتري أغلى حاجة كمان هي مش احسن منك.

توجع إيهاب للحظة فوالدته لا تهتم به أبدًا ولو من باب المجاملة، تجاهل احساسه بالخذلان المستمر منها ونظر لإخته بابتسامة: ادخلي البسي دي حفلتك إنتِ وأنا هكون فخور يوم ما أشوفك بفستان تخرجك وعقبال ما أشوفك بفستان فرحك يا روح قلبي.

قبلت وجنته بشكر خالص وفرحة وتحركت لتستعد بسرعة.

أمسك مازن يد والدته: إنتِ كمان يا أمه يلا هتحضري معايا.

خرج معهم، مازن وهبة على جانبيه، كأنهما طفلان صغيران يرافقان والدهما. قدرية تمسك يد مازن بحب واضح، طوال الطريق، كانت كلمات إيهاب تحمل الإشادة والتشجيع. داخل المحل، راقب مازن وهو يختار البدلة بعناية ويعرضها عليه بعدم اقتناع ثم هتف بضيق: مش إنت فنان؟ ما تيجي يا فنان تختار معايا إنت ذوقك

عالي جدًا.

ابتسم إيهاب بفخر واقترب من أخيه يساعده في اختيار بدلة تليق به الى أن اختار بدلة حين لبسها احس بالسعادة والفرحة وتخيل رانيا بجانبه بفستانها الانيق وحلم بيوم زفافهما معًا.

ساعد بعدها هبة التي تبحث عن فستان لحفلة تخرجها في اختيار فستان يليق بجمالها الهادئ وشكرته من قلبها بفرحة غامرة وهي تحتضن فستانها.

راقب إيهاب عيونهم التي كانت مليئة بالحماس، بينما قلبه يغلي بمزيج من الفخر والراحة. للحظة، شعر أن الحمل الذي أثقل كاهله لسنوات بدأ يتلاشى. أخيرًا، تحقق حلم والدهم الراحل.

اختارت قدرية عباءة طويلة جميلة بمساعدة مازن وهبة وعرضتها على إيهاب الذي ابتسم بحب: جميلة يا أمه مبروك عليكم.

علقت بتردد: غالية يا إيهاب لو هتقصر في حاجة إخواتك بلاش، المهم إخواتك.

ابتسم إيهاب وهو يأخذها من يدها: لا يا أمه عامل حسابي لليوم ده من زمان، وما فيش حاجة تغلى عليكِ.

بعد أن انتهى الجميع من اختياراتهم، خطت قدماه دون وعي إلى قسم الملابس الرجالية. يداه بدأت تتفحص البدلات، قلبه ينبض بفكرة واحدة: "أكون واقف جنبهم، أشوفهم وهم بيتكرموا، وأنا لابس حاجة تليق بيهم."

اختار بدلة تناسبه، ابتسامة خفيفة ارتسمت على شفتيه وهو

يتخيل نفسه واقفًا بجانب أخيه وأخته في حفلات تخرجهم. لكنه، وهو في قمة سعادته، سمع صوت مازن من بعيد.

مازن وقف بجانب هبة، شدّها برفق إلى زاوية بعيدة. كلماته خرجت منخفضة، لكنها وصلت إليه واضحة كالسيف الذي يخترق صدره.

"قولي لإيهاب إنه ما يحضرش معايا الحفلة. مش عايز أروح وأقول للناس إن أخويا نقاش. كفاية إنه دايمًا بيتفاخر قدامنا إنه اللي بيصرف علينا. مش عايز أتحرج قدام أصحابي."

هبة رفضت بصوت مليء بالغضب: "إزاي أقول له كده؟ إنت عارف هو عمل إيه علشاننا؟!"

نظر لوالدته: انطقي يا أمه، قوليله إنتِ يا اقسم بالله ما هروح حفلات ولا زفت، ده هو يوم مش عايزه معايا

علقت قدرية وهي تربت علي كتفه بدعم: يا حبيبي حاضر هقوله ما تزعلش نفسك، بس ممكن نقوله ما يقولش مثلًا إنه نقاش و

قاطعها برفض مطلق: يا أمه لأ وبعدين لو سألوني ولا سألوه بتشتغل إيه هيقول إيه؟ هاه؟ مش عايزه يحضر

حاولت هبة التدخل واقناعه لكن مازن لم يتراجع، نبرته كانت عنيدة وهو يتخيل رانيا بجانبه وإيهاب يستعرض انجازاته فتنكشف لعبته السخيفة وينهار حلمه قبل إن يبدأ. "لو هو هييجي، أنا مش رايح. مش عايز اليوم ده يتبهدل،اتفضلوا اتصرفوا"

إيهاب وقف مكانه، كأن العالم توقف. كلماته كانت تضرب قلبه

كسكاكين. المشاعر اجتاحته كالأمواج العاتية؛ الألم، الخيبة، والخذلان. للحظة، شعر أن الجبل الذي كان يحمله على أكتافه طوال تلك السنوات قد إنهار فوقه.

وضع البدلة مكانها بهدوء، وضع يده على قلبه عله يهدأ ذلك الالم المتزايد داخله، اقترب منهم بهدوء، نبرة صوته كانت ثابتة، لكنه داخليًا كان يتهاوى. "مش كده خلاص؟ في حاجة نقصاكم؟ لو خلصتوا نروح.

سيطر الصمت للحظات قطعته هبة بتردد: مش هتشتري بدلة يا إيهاب ليك إنت، علشان تحضر معايا

ابتسم لأخته وهو يجاهد لمنع دموعه: لا معلش يا هبة بعدين الاسطى طلعت كلّمني عايزني في شغل يوم حفلة التخرج. مش هقدر أجي معاكم."

مازن التزم الصمت، بينما نظرات هبة كانت مليئة بالاعتذار والندم. إيهاب أمسك الأكياس وسار أمامهم دون أن ينظر للوراء وقف أمام الكاشير ليدفع ثمن ما اشتروه.

حنين بعد عودتها للمنزل وقفت في الشرفة، الهاتف في يدها وهي تتصل بحمزة. قلبها ينبض بالحماس، لكنها كانت تحاول أن تحافظ على هدوء نبرتها.

"حمزة، بابا وافق يقابلك. تقدر تيجي البيت، وتحدد معاه ميعاد لطلب إيد حور."

حمزة، على الجانب الآخر من الخط، بدا صوته مليئًا بالفرحة التي

لم يستطع إخفاءها:

"بجد يا حنين؟ الحمد لله، أنا مش مصدق. هكلم بابا وماما فورًا، وهنحدد ميعاد ونيجي."

حمزة عاد إلى المنزل مسرعًا، وجد والده، محي الدين فؤاد، جالسًا في الصالة مع والدته. اقترب منهما بحماس واضح.

"بابا، ماما، عندي خبر حلو. الأستاذ عبدالقادر موافق يقابلنا علشان أطلب إيد حور."

محي الدين وقف وهو يبتسم بفخر. "وأخيرًا يا حمزة، ربنا يتمملك على خير. حور بنت محترمة وأكيد هتكون إضافة جميلة للعيلة."

والدته شاركته الفرحة، وبدأوا سريعًا في تجهيز أنفسهم للزيارة.

إيهاب عاد إلى المنزل، عيناه تائهتان، ووجهه يحمل وجعًا لم تستطع ملامحه إخفاءه. رافق عائلته إلى الداخل، حيث انطلق الجميع بحماس يعرضون على حنين ما اشتروه. لكن هي، كعادتها، كانت تراقب إيهاب بعينين تملؤهما القلق.

لاحظت صمته وهو ينسحب نحو غرفته، خطواته بطيئة، وكأن الحزن يثقل جسده. أغلق الباب خلفه بهدوء، كأنه يريد أن يعزل نفسه عن العالم بأسره.

حنين حاولت أن تخفي قلقها، لكن عينيها بحثتا عن الإجابات. توجهت نحو هبة، صوتها حمل توترًا واضحًا: "هبة، هو إيهاب ماله؟ كان مبسوط وفرحان وهو بيكلمني وبيبعتلي صوركم. في حاجة حصلت؟"

هبة نظرت للأسفل، كأنها تبحث عن كلمات، لكن صمتها كان كافيًا ليكشف عن وجود شيء تخفيه.

قدرية، التي كانت منشغلة بالحديث عن الحفلة، ردت بلا مبالاة: "هيكون ماله يا اختي؟ تلاقيه بس صرف القرشين اللي معاه وشايل هم بكرة. قوليله هتفرج. المهم إن أخواته يفرحوا.

حنين نظرت إليها بشك واضح، نبرتها كانت حاسمة: "إيهاب عمره ما بيزعل على فلوس صرفها لأخواته."

قدرية، كعادتها، رفعت صوتها بغضب: "بقولك إيه؟ هو عندك. ادخليله يا أختي. سيبينا فرحانين إحنا. ده إيه اللي عايزة تنكد علينا بأي شكل دي؟"

لم ترد عليها حنين، لكنها تركتهم وتوجهت نحو الغرفة. يدها كانت ترتجف وهي تفتح الباب، قلبها ينبض بخوف مما قد تجده.

"إيهاب..." نادت بصوت خافت مليء بالقلق. "في إيه؟ إنت في حاجة حصلت بره؟"

رفع إيهاب رأسه ببطء، عيناه كانت مليئتين بالدموع التي لم يستطع كبحها. لم تخرج الكلمات، كأنها عالقة في حلقه. فجأة، ودون أي مقدمات، انهار بين ذراعيها، دموعه انهمرت بصمت، جسده يهتز من شدة الألم.

حنين احتضنته بكل قوتها، قلبها كان يعتصر وهي تشعر بضعفه بين ذراعيها. همست له بصوت مليء بالحنان والوجع: "حبيبي، إيه اللي وجعك؟ قول لي. أنا هنا معاك."

لكنه لم يستطع أن ينطق بأي كلمة. الألم كان أكبر من أن يُعبر عنه. كل ما فعله هو أن يدفن وجهه في صدرها، كأنها الملاذ الوحيد الذي يستطيع أن يحتمي فيه من طوفان مشاعره.

حنين شعرت أن قلبه يتكسر بين ذراعيها. دموعه كانت كالسهام التي تخترق روحها. لم تستطع فعل شيء سوى أن تضمه أكثر، وكأنها تحاول أن تلملم شظاياه التي بعثرتها الحياة.

مرت دقائق كأنها ساعات، حتى استسلم للنوم في حضنها. لكن حتى في نومه، كانت تعابير وجهه تحمل الألم. حنين جلست بجانبه طوال الليل، يدها تمسح على رأسه برفق، وعيناها مليئتان بالدموع.

في تلك اللحظة، شعرت أن الوجع الذي يعيشه إيهاب أكبر من أي كلمات. أقسمت لنفسها أن تكون له السند الذي يخفف عنه، الحائط الذي يستند عليه، مهما كان الثمن.

في اليوم التالي إيهاب كان يستعد للخروج إلى العمل، وجهه يحمل ملامح التعب الواضح. حنين لاحظت ذلك منذ اللحظة الأولى، تقدمت نحوه بخطوات قلقة، وضعت يدها على ذراعه برفق.

"إيهاب، مش لازم تروح الشغل النهارده."

إيهاب نظر إليها بابتسامة صغيرة، لكنها كانت تخفي ثقلًا كبيرًا. "أنا كويس يا حنين، صدقيني. مجرد شوية إرهاق، مش أكتر."

حنين لم تقتنع، قبضت على يده، وكأنها تحاول أن تجعله يبقى. "أنا حاسة إن في حاجة حصلت مضايقاك، وإنت مش عايز تتكلم. قول لي، إيه اللي وجعك؟"

إيهاب أبعد عينيه عنها للحظة، كأنه يحاول إخفاء دموعه التي بدأت تلمع. "أنا بخير، والله. بس لازم أروح الشغل. مش عايزة أي حاجة مني قبل ما أمشي."

نفت بهزة بسيطة من رأسها وهي تشعر بالعجز، لكنها لن تضغط عليه أكثر. وضعت يدها على يده ترفع خاتمه ليرى الجملة التي نقشاها سويا (دمت لي سندًا جميلًا)، همست بصوت مليء بالحنان. "أنا هنا جنبك، مهما كان اللي وجعك. بس متنساش، أنا سندك يا حبيبي."

احتضنته بقوة، وكأنها تحاول أن تجمع شظايا قلبه المكسور. همست له بصوت مليء بالحب: "أنا جنبك، مهما كان اللي وجعك. كل حاجة هتعدي، أنا وعدتك إني مش هسيبك."

إيهاب لم يستطع الحديث. الألم كان أكبر من أن يُعبّر عنه بالكلمات. لكنه في تلك اللحظة، شعر أن وجود حنين بجانبه هو الشيء الوحيد الذي يمنعه من السقوط التام.

طبع قبلة على جبينها بهدوء، ثم غادر المنزل، تاركًا خلفه شعورًا ثقيلًا من الحزن. قلبه كان يصرخ، لكنه كان يعلم أن الكلمات لن تكون كافية.

في كافتيريا الجامعة، جلس مازن على الطاولة، مظهرًا ثقة زائفة بينما أمامه كوب قهوة يعبّر عن تماسكه الظاهري. بجانبه، رانيا تتألق بحماس واضح، عيناها تراقبان وجهه بإعجاب، كأنها تنتظر منه أن يلقي شيئًا مميزًا.

"مازن، كل مرة أتكلم معاك، بحس إني مع شخص مميز. مش أي حد يقدر يعمل اللي عملته."

ارتشف من قهوته، ثم وضع الكوب برفق، مظهرًا ابتسامة خفيفة تحمل مزيجًا من التواضع والثقة. "رانيا، النجاح مش صعب لما الواحد يكون عارف طريقه. أنا طول عمري مؤمن إن أي حاجة في الدنيا ممكن تتحقق بالإصرار."

"وده واضح فيك. إنت مثال حي على الشخص اللي بنى نفسه بنفسه." كلماتها خرجت بإعجاب حقيقي، بينما هو واصل لعب دوره ببراعة.

"عارفة؟ لما والدي اتوفى، كنت عارف إن الطريق هيكون صعب. مفيش دعم كبير، وكل حاجة كان لازم أعملها بإيدي. حتى لما اشتغلت في الصيف، كنت بشتغل في أي حاجة بس علشان أوفر المصاريف."

نظرت إليه بدهشة صادقة. "ده اللي كنت بحكيه لبابا. إنت شخص مختلف، طموح ومكافح. هو بجد شايف فيك حاجات كتير حلوة، وده نادر جدًا منه."

"كلامك ده أكبر شرف لي. بس أنا بحاول أكون على قد التوقعات." حاول أن يبدو متواضعًا رغم شعوره الداخلي بالفخر الزائف.

"وإيه اللي خلّاك تكمل رغم كل الصعوبات؟ كتير ممكن يستسلموا في نص الطريق."

"استسلم؟ ده مكنش خيار أبدًا. أنا كنت عارف إن نجاحي الوحيد

هيوصلني لمكانة أستحقها. حتى وأنا شايف ناس حوالي بيعتمدوا على الظروف أو على دعم غيرهم، كنت مصمم أثبت إن الواحد لوحده ممكن يعمل كل حاجة."

رانيا ابتسمت بإعجاب وهي تضع يدها على ذراعه برفق. "وده اللي مخليك مميز بالنسبة لي. أنا عمري ما شفت حد عنده الإصرار ده. بجد،إنت شخص مختلف."

ابتسم لها ابتسامة واثقة، نبرة صوته حملت مزيجًا من التواضع المصطنع والفخر: "عارفة يا رانيا، النجاح مش بييجي بالساهل. امبارح بس كنت بشتري بدلة التخرج بتاعتي. أول مرة أحس قد إيه كل التعب كان يستاهل."

رانيا اقتربت قليلًا، عيناها تمتلئان بالاهتمام: "وأخيرًا! كنت مستنية أشوفك بتتكلم عن اللحظة دي. أكيد كنت مبسوط جدًا."

أومأ رأسه ببطء، وكأن الذكرى تعيد له لحظات مؤثرة. "مش بس كده. كنت مع هبة علشان أجيب لها فستان الحفلة بتاعتها، وأمي كمان. حسيت إن ده أقل حاجة أقدر أعملها لهم. تعبوا كتير علشاني، وده الوقت اللي لازم أفرحهم فيه."

رانيا نظرت إليه بإعجاب صادق: "واو، ده بجد شيء رائع. بجد، دايمًا بقولك إنك مش زي أي حد. كنت لوحدك في ده كله؟"

مازن هز رأسه بنبرة واثقة: "طبعًا، من أول لحظة وأنا عارف إن المسؤولية دي مسؤوليتي. حتى إيهاب كان معانا. بصراحة، كنت مستعد أجيب له بدلة كمان، بس إنتِ عارفة... إيهاب طول عمره

مشغول بنفسه، وبالرسم بتاعه. طول الوقت شايف إنه الفنان اللي مش لازم يعمل حاجة غير اللي بيحبه غير إني ساعات بحس إنه غيران إني بقيت دكتور في الوقت اللي هو ساب كليته بمزاجه."

علقت بحيرة: تفتكر إنه ندم إنه ساب كليته؟

أكد بسرعة: طبعًا أو ده اللي بحسه كل مرة بشوف وجعه لما بنجح أنا أو هبة وهو مكانه بيطلع يدفن نفسه في الرسم وبس، المهم دلوقتي سيبك من كل ده، هنقضي يوم الحفلة كله مع بعض.

مازن شعر بنشوة داخلية، كأن كلماته قد رسمت الصورة التي يريدها تمامًا في ذهنها.

انطلقت تحكي بحماس عن يوم الحفلة وتخطط له وهو يسمعها باهتمام،علقت أخيرًا، وكأنها تتحدث إلى نفسها بصوت عالٍ: "عارف إننا هنبقى مع بعض ثنائي ما يتكررش. كل مرة بشوفك، بقتنع أكتر إنك الشخص المناسب."

تظاهر بأنه تأثر بكلماتها، لكن في داخله، كان يحسب خطواته التالية. قرر أنه سيستمر في رسم هذه الصورة المثالية، حتى لو كان الثمن أكاذيب أخرى.

يوم الحفلة وخطوبة حور وحمزة

في منزل عبدالقادر، انشغلت حنين بمساعدة حور في اختيار ملابسها المناسبة للقاء عائلة حمزة. الأجواء في المنزل كانت مزيجًا من التوتر والحماس. صابرين كانت تتنقل بين الغرف، تتحدث عن أهمية الظهور بشكل لائق أمام حمزة ووالديه، وتكرر عبارات مثل:

"لازم يخرجوا بانطباع ممتاز عننا."

حاولت حنين اقناع إيهاب أن يأتي ليستقبل معهم عائلة حمزة فاتصلت به: "إيهاب، مش هتحضر معانا استقبال حمزة وعيلته؟"

رد بهدوء. "لا يا حنين، ماينفعش. النهارده يوم كبير لأخواتي، وده وقتهم. لازم أكون معاهم في الحفلة."

حنين،التي شعرت بحزنه لم تستسلم بسهولة. "بس يا إيهاب، وجودك مهم ليا. ووجودك مع حور هيكون له معنى كبير."

تنهد بعمق محاولًا إخفاء الألم في نبرته. "يا حنين، النهارده يوم كبير لمازن. تعبه طول السنين هيتوج النهارده، ولازم أكون هناك. صدقيني، ده أهم مكان لازم أكون فيه دلوقتي."

ابتسامة خفيفة رسمت على وجهها، رغم شعورها بخيبة الأمل. لكنها لم تكن أبدًا الشخص الذي يمنع إيهاب من رؤية تعب سنواته يتحقق.

"ماشي يا إيهاب، أنا فاهمة. روح لحفلة مازن. اللحظة دي تستحقها."

شكرها بصوت خافت، لكنه في داخله كان يعلم أنه يهرب. لم يكن رفضه مجرد انشغال بالحفلة، بل كان يعلم أنه، مثلما شعر مازن بالخجل من وجوده، قد يكون وجوده في بيت عبدالقادر غير مرحب به من قِبل صابرين.

حنين، التي عرفت إيهاب جيدًا، شعرت أن وراء كلماته شيء أعمق، لكنه لم يمنحها الفرصة للتعمق أكثر. تمنت لو استطاعت أن تخفف

عنه كل ما يحمله في قلبه.

في الوقت نفسه، كان مازن في حفلة تخرجه مع والدته وأخته هبة. رانيا كانت بجواره، تتألق بثوب أنيق، بينما عرفها على والدته وهبة بابتسامة ممتلئة بالفخر.

"رانيا، دي أمي وهبة، أختي الصغيرة."

رانيا صافحتهم بحرارة، لكنها لاحظت غياب إيهاب، مما أثار فضولها. "وفين إيهاب؟ مكنش معاكم؟"

هبة فتحت فمها لترد، لكن مازن قاطعها بسرعة. "كالعادة، إيهاب كان مشغول برسمه. الحفلات مش من اهتماماته."

هبة نظرت إليه بحدة، لكن مازن ابتسم كأنه أنهى الحديث، محاولًا تغيير الموضوع.

رانيا لم تعلق، لكنها شعرت بشيء غريب في نبرته. رغم ذلك، فضلت أن تستمتع بالحفلة.

في منزل عبدالقادر، وصل حمزة ووالديه في أجواء مريحة. عبدالقادر استقبلهم بحفاوة، وبدأت الأحاديث تتخذ طابعًا رسميًا. حمزة بدا متحمسًا وواثقًا، بينما والدته كانت لطيفة وداعمة.

صابرين، من جانبها، استغلت الفرصة لتوجيه أسئلة مادية مباشرة. "والصيدلية دي، الحمد لله، دخلها ثابت؟"

محي الدين أومأ برأسه بابتسامة، وفخر بابنه: "الحمد لله، أنا مطمن على حمزة. هو بيبني نفسه وناجح في شغله."

سألت صابرين مجددًا: هو عنده شقة خاصة بيه؟

ردت والدته عنه بفخر: طبعًا شقته مش ناقصها غير العروسة تنورها، تشرفوا في أي وقت تشوفوها وينزلوا العيال يفرشوها بالشكل اللي يناسبهم.

عبدالقادر شعر بالضيق من تركيز صابرين المفرط على الأمور المادية، لكنه احتفظ بهدوئه، مكتفيًا بمراقبة الموقف بصمت.

في النهاية، قرروا قراءة الفاتحة في جو عائلي مريح، حيث عمت الفرحة الجميع.

في ظلمة غرفته، كان إيهاب مستلقيًا على سريره، عينيه تحدقان في السقف، وكأنهما تبحثان عن مخرج من دوامة أفكاره. الصمت من حوله كان يثقل على صدره، يزيد من وطأة الألم الذي يعصف بقلبه.

اعتذاره عن حضور استقبال عائلة حمزة في منزل عبدالقادر. لم يكن السبب حفلة إخوته كما ادعى، بل خوفه من الإحراج الذي قد يسببه وجوده فصابرين أبدًا لن تتقبل تواجده في مناسبة كهذه.

وضع رأسه بين يديه، صوت أنفاسه المرتجفة يكشف عن صراع داخلي. أفكار كثيرة تدور في رأسه، لكنه لم يستطع إيقافها. لم يخبر حنين أن مازن يخجل منه ومن عمله، ولم يكن ليجرؤ على قول الحقيقة.

حبه لحور كأخته الصغيرة كان يجعله يبتعد أكثر. "مش هرضى أكون سبب إنها تخجل مني، مش هسمح لحد يقول عليها إنها مرتبطة بعيلة بسيطة زيي ولا احرجها هي كمان بالشكل ده "

الألم في صدره بدأ يزداد، كأنما ينهش قلبه ببطء. حاول أن يأخذ أنفاسًا عميقة، لكن الوجع كان أقوى من أن يخف.

"ليه؟ ليه كل حاجة لازم توجع بالشكل ده؟"

كلماته خرجت بصوت خافت، لكنه شعر وكأنها صرخة مكتومة. قلبه المكسور لم يعد يتحمل، واستسلم للوجع الذي اجتاحه.

كان يشعر بأن قلبه لم يعد يتحمل. كل ما مر به من خذلان وألم بدأ يتراكم حتى وصل إلى حد لا يمكن احتماله، جسده لم يعد يقاوم، وعيناه أغلقتا، لكن دموعه لم تتوقف.

بينما كان الجميع يحتفلون بإنجازاتهم، كانت الضحكات والفرحة تملأ العالم من حوله. مازن كان في حفلة التخرج، يتفاخر بنفسه أمام رانيا وأصدقائه، بينما حنين كانت في منزل والدها، تشارك فرحة حور بحبها الجديد.

أما إيهاب، فكان وحده. غرفته كانت شاهدة على ألمه الذي لم يكن له مفر منه. تلك الليلة، بالنسبة له، لم تكن سوى صفحة أخرى تضيف إلى كتاب معاناته الطويل، بينما كل من حوله كان يعيش أحلامه وأفراحه.

"قدرت أكون كل حاجة لكل الناس، بس مقدرتش أكون حاجة لنفسي."

في زاوية هادئة من غرفة المعيشة، جلس حمزة بجانب حور، وعينيه تراقبان ملامحها الخجولة التي ازدادت جمالًا تحت أضواء الغرفة. أمسك بيدها برفق، صوته كان دافئًا ومليئًا بالحب: "حور، ما

كنتش متخيل إن اليوم ده هيجي بالشكل ده. حلمت كتير باللحظة دي، وكل مرة كنت بشوفها في خيالي، مكنتش بنفس جمالها الحقيقي."

حور اكتفت بابتسامة خجولة، نظراتها لم تفارق يديه التي تحتضن يدها.

"عارف إنك مش بتحبي الكلام الكتير، بس ابتسامتك بتقول كل حاجة. النهارده، أنا أسعد واحد في الدنيا، وده كله بسببك."

ارتفعت عيناها ببطء، نظرت إليه نظرة خجولة مليئة بالامتنان.

"مهما قلت، مش هقدر أوصف فرحتي إنك في حياتي. ووعد مني، هفضل دايمًا أعمل كل اللي أقدر عليه علشان تبقي مبسوطة."

نظرت إليه بعينين تملؤهما الامتنان، وصوتها جاء هادئًا ولكن مليئًا بالحب: "وجودك في حياتي هو اللي مخليني مرتاحة وسعيدة. أنا فعلًا محظوظة بيك."

حمزة اقترب قليلًا، همس لها بابتسامة: "المحظوظ هو أنا. وإنتِ، من النهارده، مش بس خطيبتي... إنتِ حلمي اللي اتحقق."

حور، بخجل واضح، اكتفت بابتسامة جميلة، لكنها كانت كافية بالنسبة له. حمزة شد على يدها بلطف، وقال بصوت منخفض: "ابتسامتك دي أغلى من أي كلام. شكراً إنك وافقتي تكوني جزء من حياتي."

حنين عادت إلى البيت بخطوات سريعة، عيناها تلمعان بالحماس، قلبها مليء بالفرحة التي تعيشها بسبب نجاح الليلة في بيت عائلتها

وخطوبة حور. كانت تتمنى مشاركة تفاصيل الليلة مع إيهاب، وتنتظر بفارغ الصبر أن تسمع منه عن حفلة تخرج مازن وفخره بإنجازه.

عندما فتحت الباب، وجدت البيت هادئًا بشكل غريب. أضواء خافتة، لا صوت لحركة أو حديث. وضعت حقيبتها بهدوء ونادت باسمه، لكن لم تجد ردًا. اتجهت إلى غرفتها بخطوات قلقة.

داخل الغرفة، كان إيهاب مستلقيًا على السرير، ملامحه شاحبة ونَفَسه ثقيل. اقتربت منه وجلست بجانبه، وضعت يدها برفق على كتفه وهي تناديه:

"إيهاب... إيهاب، أنا رجعت. قوم، عايزة أحكيلك كل حاجة."

لكن لم يكن هناك أي استجابة. نادت عليه مرة أخرى، وصوتها بدأ يرتجف:

"إيهاب... قوم، متخلينيش أقلق عليك."

حاولت أن تهزه بلطف، ثم بقوة أكبر، لكن جسده لم يتحرك. عيناها امتلأتا بالخوف، يدها امتدت إلى هاتفه وهي بالكاد تستطيع أن تثبت أناملها المرتجفة.

اتصلت بمازن أولاً، لكن لا رد. حاولت مرة أخرى، ثم ألقت الهاتف بعصبية. لم تجد أمامها سوى رقم الأسطى طلعت. صوتها كان متوترًا وهي تقول:

"أسطى طلعت... إيهاب مش بيرد عليا... نايم وما بيصحاش. ممكن تيجي تساعدني؟"

خلال دقائق كان طلعت ومعه خالد أمام باب البيت. دخلا مسرعين، ونظرا إلى إيهاب. طلعت حاول أن يهزه، ثم نظر إلى حنين بجدية:

"لازم نوديه المستشفى فورًا."

خالد ساعده على حمله، بينما حنين تسير خلفهم بخطوات مرتعشة، قلبها يصرخ من الخوف.

في المستشفى

داخل غرفة الطوارئ، جلس الجميع في حالة من الانتظار القلق. حنين كانت تبكي بصمت، عيناها لم تفارقا باب الغرفة، بينما طلعت وخالد يحاولان تهدئتها.

بعد فترة بدت كأنها أبدية، خرج الطبيب، وملامحه تحمل مزيجًا من الاستغراب والجدية. اقترب منهم وقال:

"الحمد لله، الحالة مش خطيرة. لكن... محتاج أوضح حاجة غريبة."

طلعت تقدم نحوه: "إيه يا دكتور؟ طمني، إيهاب ماله؟"

الطبيب رفع عينيه إلى حنين:

"إيهاب بيعاني من حالة اسمها متلازمة القلب المكسور. ده مش مرض عضوي، لكنه نتيجة ضغط نفسي وعاطفي كبير جدًا. الأعراض بتكون مشابهة لأزمة قلبية، لكن السبب مش جسدي... السبب وجع نفسي عميق."

الجميع تبادلوا النظرات بدهشة. طلعت هز رأسه بعدم تصديق: "يعني إيه قلبه مكسور؟"

الطبيب أكمل بهدوء:

"الشخص ده كان شايل هموم فوق طاقته، ومع الوقت، الألم النفسي أثر عليه بالشكل ده. جسمه بيعبر عن وجعه بطريقة جسدية."

حنين شعرت وكأن كلمات الطبيب تطعنها في الصميم. دموعها انهمرت وهي تهمس:

"إيهاب... إيه اللي وجعك للدرجة دي؟ ليه مش شاركتني؟ليه بتخبي عني كل حاجة بتوجعك؟"

لكن لم يكن هناك إجابة. الطبيب أضاف:

"هو محتاج راحة تامة، مش بس لجسمه، لكن لنفسيته. حاولوا تدعموه وتكونوا جنبه. ده اللي هيقدر يساعده يتخطى اللي هو فيه."

طلعت وضع يده على كتفها: "حنين، إحنا معاه. هيرجع أحسن من الأول."

كانت حنين جالسة على الكرسي، عيناها تحدقان في الأرض، ودموعها تنهمر بصمت. كلمات الطبيب تدور في رأسها كطوفان لا ينتهي: "متلازمة القلب المكسور... وجع نفسي عميق."

"إيهاب... إيه اللي وجعك للدرجة دي؟ ليه كنت بتعاني كل ده لوحدك؟ ليه مش بتشاركني؟"

في قلبها، كانت تعرف أن إيهاب تحمل أكثر مما يستطيع. كل ضغوط الحياة، كل التضحيات التي قدمها، كل الصمت الذي غلف وجعه... وكلها مرت دون أن تستطيع مساعدته كما كان يجب. شعرت بثقل الذنب وهي تدرك أنها لم تكن قادرة على أن تكون السند الذي يحتاجه.

طلعت وقف بجانبها، عينه معلقة على الباب المغلق حيث يرقد إيهاب. حنين رفعت عينيها نحوه، رأته يمسح وجهه بتعب. كان الصمت بينهما ثقيلًا، حتى كسره طلعت بصوت منخفض مليء بالأسف:

"حنين، إيهاب كان بالنسبة لي جبل... شامخ، واقف مهما الرياح ضربته. عمره ما اشتكى، ولا بين ضعفه. لكن الظاهر إن حتى الجبال ليها حدود."

نظر بعيدًا، كأنه يتحدث مع نفسه: "كنت دايمًا فاكره أقوى من كده... أقدر أشوفه شايل الحمل لوحده وما يقعش. بس دلوقتي عرفت إن حتى أقوى الناس، ممكن يقعوا لما الحِمل يزيد عن طاقتهم."

حنين مسحت دموعها بخفة، لكنها لم تستطع أن تخفي ارتجاف صوتها: " إيهاب اتحمل كتير أوي. أكتر من اللازم. على طول بيداري عليا. كنت فاكرة إنه هيقدر يستحمل للأبد."

طلعت تنهد بعمق، وضع يده على كتفها بلطف: "اللي فات فات يا حنين. المهم دلوقتي نكون جنبه. إيهاب محتاجنا نكون جنبه أكتر من أي وقت فات."

لكن في داخلها، كانت تعرف أن الجروح التي يحملها إيهاب ليست جروحًا عادية. كان الألم أعمق من أن يُشفى بسهولة، وكانت تخشى أن الوقت قد لا يكون كافيًا لتداوي قلبه الذي أنهكته الحياة.

بعد انتهاء حفلة التخرج، رافق مازن والدته وهبة إلى السيارة التي وفرتها رانيا. أبدت والدته إعجابها الكبير باليوم وعبّرت عن فخرها به، بينما أشارت هبة إلى مدى لطف رانيا واهتمامها بمازن.

وصل بهم إلى المنزل، وساعدهما على النزول. قبل أن يغادر، قالت له والدته: "ربنا يسعدك يا ابني، ويوفقك." أومأ بابتسامة، ثم انطلق ليكمل سهرته مع رانيا.

صعدت هبة وقدرية للمنزل. لكن بعد لحظات، لاحظت هبة أن المنزل هادئ أكثر من اللازم.

"ماما، إيهاب فين؟" سألت هبة وهي تفتح باب غرفته لتجده فارغًا.

قدرية رفعت حاجبيها بتعجب، ثم علقت بنبرة واثقة: "أكيد راح عند حنين بيت أبوها. هيكون فين يعني."

في المكان الفخم الذي حجزه والدها، وجدها تنتظره بإطلالة أنيقة وجذابة. جلس بجانبها، وهو يتأمل المكان. "رانيا، المكان ده فوق الوصف. واضح إن باباكِ مش بيهزر لما يتعلق الموضوع بيكي."

ضحكت بخفة: "بابا شايف إني أستحق الأفضل، ودي نظرة لازم كل الناس تشوفها فيّ."

مازن نظر إليها، عينيه تحملان إعجابًا وإصرارًا. "رانيا، أنتِ فعلًا تستحقي كل حاجة حلوة. وأنا محظوظ إني جزء من حياتك."

أمسكت بكأسها، رفعت حاجبها بابتسامة ماكرة: "وأنا شايفة إنك الشخص اللي كنت بدور عليه. اللي بيقدرني وبيفكر زيي."

مازن شعر بالفخر، كلماته خرجت بثقة مصطنعة: "رانيا، أنا مش بس بفكر زيك. أنا عايز أبني حياتي معاكِ، على نفس المستوى اللي تستحقيه."

رانيا اكتفت بابتسامة غامضة، ثم أشارت للنادل ليحضر طلباتهم.

قضيا الليلة في الحديث عن المستقبل، بينما مازن يحاول أن يثبت لها أنه الشخص الذي يمكنه أن يكون جزءًا من عالمها الفخم والمثالي. وفي داخله، كان يشعر بأنه يقترب خطوة بخطوة من تحقيق الحلم الذي لطالما سعى إليه، حتى لو كان قائمًا على الأكاذيب.

في الصباح، عادت حنين إلى المنزل بسرعة، خطواتها تحمل قلقًا واضحًا. خالد، صديق إيهاب، كان ينتظرها في السيارة تحت البيت.

عندما دخلت، قابلتها قدرية. أوقفتها بحدة: "حنين، إنتِ هنا؟ إيهاب فين؟"

حنين نظرت إليها، عيناها تملؤهما الدموع والغضب المكتوم. لم تتمالك نفسها وانفجرت: "إيهاب في المستشفى! بسببكم كلكم! خذلتوه وسايبينه شايل الحمل لوحده."

صوتها ارتفع، وجذب انتباه مازن وهبة. مازن، الذي كان قد

استيقظ للتو، وقف بجانبهم متفاجئًا. "إيهاب في المستشفى؟ ليه؟"

حنين نظرت إليه بغضب: "عشان إنتوا أهملتوه! كل واحد فيكم بيشوف نفسه ومش حاسس باللي شايله. إيهاب مش سوبرمان، هو بني آدم، قلبه اتكسر بسبب اللي عملتوه."

الجميع توجهوا إلى المستشفى، لكن مازن، الذي كان يحاول التخفيف من التوتر، علق بسخرية: "قلب مكسور؟! ده كلام أفلام، مفيش حاجة اسمها كده."

عندما وصلوا، صدمتهم حالة إيهاب. جسده الشاحب وملامحه المنهكة كانت تقول كل شيء. مازن الذي كان يتحدث بسخرية، وقف للحظة مذهولًا من المنظر.

حنين دخلت إلى الغرفة بجانب إيهاب. جلست بجواره وهي تمسك بيده بلطف. "صحيت إمتى؟ أنا روحت البيت جيبتلك هدوم علشان تخرج بيها.

ابتسم بضعف:أنا فين يا حنين

ردت بابتسامة: في المستشفي بس إنت بخير يا حبيبي، الدكتور طمني عليك، قولي إنت كويس؟

اومأ برأسه بينما سألته هي:

"ليه بتخبي عني وجعك؟ أنا شريكتك، مش لازم تشيل كل حاجة لوحدك."

إيهاب فتح عينيه بصعوبة، لكنه لم يستطع الرد. كان التعب أكبر

من أن يعبر عنه بالكلمات.

سألته برفق: مامتك وإخواتك بره عايزين

قاطعها وهو يمسك يدها: مش عايز أشوف حد فيهم، ما تدخليش حد.

في الخارج، اقترب مازن من الطبيب بنبرة تحمل فضولًا ممزوجًا بالشك: "دكتور، أنا طالب طب هتخرج السنادي. عايز أفهم أكتر عن الحالة دي... متلازمة القلب المكسور؟ يعني إيه؟ ده كلام علمي فعلًا؟"

الطبيب رد بهدوء: "الحالة حقيقية تمامًا. هي نتيجة ضغط نفسي شديد وعاطفي. مش مجرد كلام أو وهم. جسم أخوك بيعبر عن وجعه النفسي بشكل جسدي. وأكيد حالته محتاجة دعم نفسي كبير منكم."

مازن هز رأسه، لكنه ظل صامتًا. لأول مرة، بدأ يشعر بالذنب، وإن كان يحاول ألا يظهره.

الجميع عاد إلى المنزل بعد زيارة المستشفى ورفض إيهاب رؤيتهم، الصمت يسيطر على الأجواء. بقيت حنين في المستشفى مع إيهاب، بينما هبة كانت تغلي من الداخل، مشاعرها تتصاعد مثل بركان على وشك الانفجار.

قدرية جلست على الأريكة، وجهها متوتر، بينما مازن كان يحاول أن يبدو واثقًا، متحدثًا بجدية ليخفف من وطأة الموقف.

"ماما، متقلقيش. إيهاب هيبقى كويس. زي ما قلتلك، أنا هنا علشان

أعوضه. كل حاجة هتتغير لما أشتغل مع أبو رانيا ونفتح العيادة."

هبة، التي كانت تستمع بصمت، فجأة وقفت بغضب وصرخت: "كفاية، يا مازن! كفاية كلام!"

الجميع نظر إليها بصدمة، حتى مازن توقف عن الحديث، عيناها كانتا تشتعلان باللوم، ووجهها احمر من شدة الانفعال.

"إيهاب مش في المستشفى علشان شغله أو حياته الصعبة. هو هناك بسببك إنت!"

مازن رفع حاجبيه بدهشة: "إيه اللي بتقوليه ده؟ أنا مالي؟"

هبة تقدمت نحوه بخطوات غاضبة، نظراتها كانت كالنار. "إنت عارف كويس إيهاب ماله! كان فرحان بيك، وكان مستني اللحظة اللي يشوف فيها تعب سنينه بيكلل بنجاحك. لكن إنت صدمته برفضك إنه يحضر حفلتك! علشان سيادتك مستعر منه ومن شغله اللي خلاك بني آدم؟"

صوتها تحشرج وهي تكمل: "إنت مش بس مستعر منه، ده كمان خليته يحس إن تضحيته راحت هدر. طول عمره شايلنا ومش بيشتكي. إنت استخسرت فيه حتى الفرحة بيك. استخسرتوا فيه شقته اللي تعب لحد ما جهزها ونظفها، ولما جه يتجوز قلتوا إنها بتاعتنا. نسيتي يا أمه عملتي فيه إيه؟ إنتوا الاتنين... كسرتوا قلبه."

قدرية وضعت يدها على فمها بدهشة، عيناها امتلأتا بالدموع، لكنها لم تستطع الرد.

مازن حاول الدفاع عن نفسه، لكنه شعر بتراجع كلماته أمام غضب

هبة. "هبة، مش كده... أنا بس كنت خايف عليه، مش عايز حد يحرجه."

هبة صرخت وهي تقترب أكثر: "مش خايف عليه، خايف على نفسك! خايف إن حد يعرف إن الدكتور مازن، اللي شايف نفسه كبير، أخوه نقاش. مشيت في الحفلة وكنت بتفتخر بنفسك، وهو كان قاعد في البيت مكسور، مش عارف يروح لحد."

الجميع صمت، حتى مازن لم يستطع الرد. قدرية، التي كانت تشعر بالذنب المتراكم، وضعت يدها على رأسها، وكأن الكلمات تطعنها.

هبة أكملت بصوت هادئ لكنه مليء بالألم: "إيهاب بقى في المستشفى بسببكم. مش بسبب شغله، مش بسبب الدنيا. بسببنا إحنا، اللي كان دايمًا شايلنا وإحنا مش حاسين بيه."

دموعها انهمرت بغزارة، ثم غادرت الغرفة، تاركة الجميع في حالة من الصدمة.

قدرية وضعت يدها على قلبها، نظرتها فارغة، وكلمات هبة تردد صداها في أذنيها. مازن، الذي بدا مذهولًا، جلس بهدوء، لكنه لم يستطع إنكار الحقيقة التي واجهته للتو.

وقف فجأة، متحدثًا لوالدته بنبرة مليئة بالإصرار: "سيبك من كلام هبة. إنتِ شوفتي بنفسك رانيا ومستواها. أبوها قالي هيشغلني عنده في المستشفى الاستثمارية بتاعته، وكل مليم إيهاب دفعه هردهوله. اطمني يا أمه."

قدرية علقت بصوت خافت، وهي تمسح دمعة سالت على خدها:

"هديله شقته."

مازن وافق بسرعة: "اديهاله، أنا مبقتش محتاجها. رانيا كفاية، وهتشوفي بكرة هيعيشكم إزاي."

عبدالقادر اتصل بحنين ليطمئن عليها بسبب غيابها، فأخبرته بتعب إيهاب. لم يتردد لحظة، وتوجه إلى المستشفى بسرعة ليجد أن حالته تحسنت، والدكتور قد كتب له تصريح الخروج.

تفاجأ إيهاب عندما وجد نفسه أمام بيت عبدالقادر، الذي أصر على استضافته لحين تحسن صحته. التعب والإجهاد جعلاه غير قادر على الرفض.

استقر إيهاب في غرفة حنين، مستلقيًا على السرير. جلست بجانبه تتأمل الرسم الموجود على الحائط، صوتها مليء بالحب والحنين: "فاكر لما رسمتهالي؟ إزاي قدرت توصفني وتحبني كده قبل حتى ما تحبني؟"

نظر إيهاب إلى الرسم باستغراب، وكأنما مر عمر كامل منذ أن رسمها، لا بضعة شهور. صمته كان ثقيلًا، وحزنه بدا واضحًا على ملامحه. لاحظت حنين ذلك، فتنهّدت بألم وهي تلتقي بنظراته: "هتفضل لحد إمتى مش معتبرني شريكتك؟"

رفع حاجبيه بدهشة: "إزاي بس؟ مش شريكتي؟ حنين، إنتِ حياتي كلها."

رفعت يدها تمنعه من الاسترسال: "إزاي؟ هو بالكلام يا إيهاب؟"

اعتدل ببطء، التعب واضح على ملامحه: "أكيد مش بالكلام.

قوليلي بس، إيه اللي ممكن أعمله وأنا مقصر فيه؟ قوليلي المطلوب وأنا هنفذه."

أمسكت يديه بحب، صوتها هادئ لكنه يحمل الكثير من القوة: "المشاركة يا حبيبي بتكون في المكسب وفي الخسارة؛ في الحزن وفي الفرح. ما ينفعش تتوجع لوحدك، ولما تفرح تشاركني."

نكس رأسه بحزن عميق: "مش عايزك تشيلي الهم معايا. كفاية واحد فينا."

رفعت رأسه برفق، نظرتها تخترق عينيه: "الشيلة لما بتتوزع على اتنين بيخف حملها."

تنهد إيهاب ونظر إليها مطولًا: "إنتِ مشاركاني في كل حاجة. كفاية عشتك معايا في أوضة. كفاية وقفتك طول النهار في شغلك، وترجعي البيت تنظفي وتطبخي وتروقي، ومحدش بيساعدك. إنتِ متخيلة إن ده سهل عليا؟ أمي مش تعبانة ولا مريضة. هي بتعمل كده علشان تتعبك، علشان تضايقني وتطفشك."

ابتسمت بخفة وهي تنظر إليه بحب: "سبق وقلتلك مش فارق معايا شغل البيت."

صوته كان مليئًا بالألم: "بس للأسف فارق معايا أنا. تعبك وعجزي عن إني أحميكي فارق معايا. فإزاي بعد كل ده أشيلك هموم تانية؟"

ضغطت على يده، كأنها تحاول الوصول إلى أعماقه: "أنا مراتك، فاهم يعني إيه؟ مش بس مراتك، أنا حبيبتك. المفروض تتكلم معايا، تفضفض معايا. لما تشتغل عند لبيب تقولي. لما ترسم لوحات للطلبة

علشان الفلوس تقولي، لما تقع في مشكلة زي اتهام بالسرقة أنا أول حد تتصل بيه وتقوله. الحب صفقة كاملة متكاملة، ما ينفعش تنقي جزء وتأخده وجزء تسيبه."

ساد الصمت للحظة، قبل أن تقطعه بصوت مليء بالحب والاهتمام: "ينفع تقولي إيه كسر قلبك بالشكل ده؟"

تنهد إيهاب بوجع، ثم بدأ يقص عليها ما سمعه من مازن. أمسكته حنين بيدها، وكلماتها كانت تحمل اللوم والعتاب: "ليه سكت وما حكيتليش؟ هو أنا مش كفاية يا إيهاب؟ طيب أنا ليه مستعدة أبيع الدنيا وما فيها علشانك وإنت لأ؟ ليه لسه عايز تسمع منهم أو منتظر منهم تقدير مش هيجي؟ أنا معاك، وأنا وإنت كفاية. إحنا مش محتاجين حد تاني."

احتضنها بحب، لكنه همس بحيرة: "مش عايز أرجع البيت تاني. نعمل إيه؟"

ابتعدت عنه قليلًا لتقترح: "تعال نفضل..."

قاطعها بسرعة: "هنا؟ أكيد لا. ما تقترحيش حتى."

فكرت للحظة، ثم اقترحت بحماس: "تعال نأجر شقة في المنطقة. الإيجارات مش غالية. وأرجوك، سيبني أساعدك."

نظر إليها بضيق: "مش هاخد مساعدة من أبوكِ، ولا هطلب فيزا من أمك."

تحركت وفتحت حقيبتها، لتخرج كرت البنك: "ماما رجعتهولي لما جيت هنا. ولما رجعت البيت عندك كنت هارجعه، لكن بابا رفض

وقال إن ده حقي، شغلي وتعبي. قال إنه دلوقتي بيعتبرك ابنه وبيحبك وبيثق فيك. سيبني أساعد. نحط إيدينا في إيدين بعض."

حنين استدارت نحو إيهاب بابتسامة صغيرة، صوتها هادئ ومليء بالدفء. نظرت إليه وهي تهمس: "فاكر الأغنية اللي غنيتها وإنت بترسم بره في الصالة؟الاغنية اللي خلت قلبي يدق أول دقة في حبك"

إيهاب رفع حاجبيه باستغراب: "أغنية؟ أي أغنية تقصدي؟"

ابتسمت بحب، ثم بدأت تغني بصوت منخفض:

"وما يهمكش عادي... اسمع مني الساعة دي... مش وقت عتاب أو لوم... آه فيها إيه لو نرجع تاني... وبدل ما تكون وحداني... تسندني معاك ونقوم..."

نظر إليها بإعجاب وابتسم بخفة: "صوتك حلو."

رفعت حاجبيها، وهي تحاول أن تخفي ضيقها: "إيهاب، ما تغيرش الموضوع. لو بتحبني، حط إيدك في إيدي. إحنا نقدر نقوم مع بعض، نقدر نبدأ من جديد."

تنهد بعمق، وكأنه يحاول تجاوز ألمه. "أنا بحبك، أنا بعشقك. بس دي شيلتي ودول أهلي. مش هوافق تصرفي عليهم،ولا هوافق تصرفي على مازن اللي مش هيقولك حتى شكرًا، ولا هحملك فوق طاقتك."

حنين اقتربت منه، تمسك بيده بحماس: "مش هصرف عليهم. كل اللي بطلبه بس، إني أدفع إيجار الشقة، إنت ابعتلهم مصاريفهم

براحتك واصرف علينا أنا بس هدفع اللود الجديد وهو إيجار الشقة. إحنا بنتكلم في كام شهر، لحد ما مازن يتخرج ويبدأ يشتغل."

نظر إليها مطولًا، وكأن قلبه بدأ يلين. أخيرًا، تنهد برضا، وقال بهدوء: "ماشي. نأجر شقة، ونبدأ من جديد."

في الصباح، اتصل بالأسطى طلعت وطلب منه أن يجد له شقة صغيرة للإيجار بأسرع وقت. لم يكن يريد البقاء في بيت عبدالقادر، ولا العودة إلى بيت عائلته. كانت هذه الخطوة الأولى نحو حياة جديدة، حياة تشاركية بينه وبين حنين، حيث يمكنهما أخيرًا أن يسندا بعضهما البعض ويبدآ من جديد.

كان يومًا مزدحمًا في البنك، وسارة تعمل بهدوء رغم التعب البادي على ملامحها. زهير، لم يرفع عينيه عنها طوال اليوم. عيناه كانت تحمل مزيجًا من الحذر والاهتمام، رغم محاولاته لإخفاء ذلك خلف جديته المعتادة.

اقترب منها بصوت منخفض، لكنه يحمل قلقًا واضحًا: "سارة، إنتِ تعبانة؟ شكلك مش كويس."

سارة ابتسمت بخفة، محاولة أن تبدو طبيعية: "أنا تمام يا أستاذ زهير. شوية إرهاق مش أكتر."

لكنه لم يقتنع. "الراحة مش اختيار لما الموضوع يخص صحتك. لو تعبانة بجد، روحي البيت وارتاحي."

هزت رأسها بإصرار: "مش محتاجة. شغلي متراكم ولازم أخلصه."

بعد دقائق، شعرت بدوار شديد، وكأن كل شيء حولها بدأ يختفي

تدريجيًا. يدها حاولت أن تستند إلى المكتب، لكن جسدها لم يتحمل، وانهارت على الأرض.

زهير، الذي كان يراقبها من مكتبه، انطلق نحوها كالسهم، صوته مليء بالذعر: "سارة! إيه اللي حصل؟ فوقي!"

جلس بجانبها وهو ينادي الموظفين: "حد ينادي الإسعاف! بسرعة!"

لكن صبره نفد، حملها بنفسه دون انتظار، متجهًا إلى سيارته. همهم لنفسه بينما يضعها في المقعد الخلفي: "مش هسيبك، كل حاجة هتبقى تمام."

زهير كان يقف خارج غرفة الفحص، خطواته لم تهدأ، ووجهه يحمل كل القلق الذي حاول إخفاءه سابقًا. مرّت دقائق طويلة قبل أن تخرج الطبيبة وتتحدث إليه بهدوء: "الحمد لله، سارة بخير، لكن حملها في خطر. الحالة مهددة، وهي محتاجة راحة تامة في السرير، بدون أي مجهود أو حركة."

زهير شعر كأن الأرض اهتزت تحت قدميه، لكنه حاول أن يتمالك أعصابه: "يعني مش لازم تفضل في المستشفى؟"

الطبيبة هزت رأسها: "مش ضروري، لكن لازم تكون في مكان آمن وهادئ. محتاجة رعاية مستمرة."

زهير قرر على الفور أن يأخذها إلى بيته. مديحة، مدبرة المنزل التي كانت دومًا محل ثقته، استقبلتهما وهي تلاحظ القلق الواضح على ملامحه.

"مديحة، سارة هتقعد هنا الفترة الجاية، ما تقومش من السرير

نهائي."

مديحة نظرت إليه باستغراب، لكنها لم تسأله. "حاضر يا أستاذ زهير. ربنا يقومها بالسلامة."

في الغرفة، سارة كانت مستلقية على السرير، عيناها مغلقتان لكن ذهنها كان مشوشًا. بعد أن اطمأن أنها مستقرة، همس بتوتر: إنتِ كويسة دلوقتي؟

اومأت برأسها: كويسة اطمن، زهير كنت سيبتني اروح البيت وماما هناك هتراعيني

رفض بشكل قاطع: وماما مين هيراعيها؟ هنا مديحة موجودة وكمان وردة تيجي مع والدتك لحد ما ربنا يقومك بالسلامة.

قبل أن يبتعد امسكت ذراعه وهمست: وحشتني

ابعد يدها برفق قبل أن يهمس: قومي بالسلامة الأول.

تركها لتستريح، لكنه لم يستطع إخفاء قلقه العميق.

آخر النهار، جاءت والدة سارة ومعها وردة التي انضمت لمديحة لمساعدتها، ابتسام دخلت لابنتها جلست بجانبها على السرير، تمسك بيدها بلطف: "يا بنتي، يمكن ربنا بعتلك الفرصة دي علشان ترجعوا لبعض. زهير واضح إنه لسه بيحبك، ووجودك هنا في بيته مش حاجة عادية."

سارة نظرت إلى والدتها بعينين تحملان تعبًا وحيرة، كلماتها خرجت بخفوت: "ماما، أنا حاولت كتير أصلح اللي بينا. زهير

مبيسامحش بسهولة. حتى آخر مرة لما سيبتله الصندوق والرسالة... ما ردش عليا."

والدتها ابتسمت بخفة: "لكن هو اللي جابك على هنا بنفسه. ده معناه إنه لسه مهتم. إديله وقت، يمكن ده اختبار جديد ليكم."

سارة لم ترد، لكنها لم تستطع منع نفسها من التفكير في كلام والدتها. وجودها في بيت زهير كان مليئًا بالمعاني، لكنها لم تكن متأكدة إن كان ذلك يعني بداية جديدة، أم مجرد محاولة لإنقاذ ما تبقى بينهما.

زهير، الذي كان يراقب بصمت من باب الغرفة، أغلق الباب بهدوء وعاد إلى مكتبه، حيث جلس يفكر في كل ما حدث. قلبه كان مثقلًا بالمشاعر المتناقضة: بين الغضب الذي لم يختفِ، والحب الذي لم يختفِ أيضًا.

كانت ثناء تجلس في غرفة المعيشة، يديها ترتجفان وهي تعبث بهاتفها. شعورها بالقلق لم يفارقها منذ أن عرفت بخروج أمجد من السجن. فجأة، سمعت صوت المفتاح يدور في الباب، رفعت رأسها برعب ودهشة لترى أمجد يدخل بخطوات هادئة وواثقة.

"أمجد؟!" نطقت باسمه بصوت مختنق، ووقفت بسرعة وهي تحاول استيعاب ما تراه أمامها.

أمجد ابتسم بخبث خفيف وهو ينظر إليها: "أيوه، يا أمي... أنا رجعت."

تقدمت نحوه، دموعها تنهمر دون أن تشعر، واحتضنته بقوة:

"ابني... الحمد لله، كنت بموت من القلق عليك."

ربت على ظهرها ببرود، وكأنه يمنحها لحظة صغيرة من الحنان: "أنا بخير يا أمي، زي ما إنتِ شايفة."

جلست معه على الأريكة، تحاول السيطرة على دموعها. "إنت خرجت إمتى؟ ما كلمتنيش ليه؟ كنت مستنياك تيجي من يوم ما عرفت."

تجاذبا أطراف الحديث قليلًا ثم وقفت ثناء بحماس: هجهز الغدا بسرعة

رفض امجد: لا يا أمي مش هاكل دلوقتي

سأل بنبرة هادئة لكنها مليئة بالخداع: "حنين... أخبارها إيه؟"

التوتر ظهر بوضوح على وجه ثناء. حاولت أن تبدو طبيعية، لكنها لم تستطع إخفاء ارتباكها: "حنين؟ يا ابني، خلاص، اللي بينكم انتهى. هي في حالها."

ابتسم بسخرية خفيفة، لكنه لم يعقب مباشرة. "أكيد في حالها. بس أكيد تعرفي عنها حاجة، يا أمي.."

ثناء تحركت في مكانها، تحاول تغيير الموضوع: "يا ابني، ركز في نفسك. حنين خلاص مش في حياتك. سيبها تعيش حياتها."

أمجد لم يضغط عليها، لكنه نظر إليها بنظرة جعلتها تشعر أنه يعرف أكثر مما يظهر. "براحتك... ماشي."

مرت لحظات من الصمت، قبل أن تقول له: "اطلع شقتك، ارتاح

شوية. الشقة جاهزة من زمان ومستنياك."

ابتسم بهدوء، لكن عينيه كانتا تحملان حزنًا دفينًا: "الشقة؟ لا يا أمي. الذكريات هناك كتيرة أوي. مش قادر أرجع لها دلوقتي."

حاولت إقناعه: "أمجد، ده بيتك. لازم ترجع لحياتك وتنسى اللي فات."

نهض فجأة، وكأنه يريد إنهاء الحديث: "أنا محتاج وقت لوحدي. ما تقلقيش، هبقى كويس."

قبل أن يخرج، أخرج ورقة صغيرة من جيبه وكتب عليها رقمه. "ده رقمي الجديد، لو احتجتي أي حاجة، كلميني."

ناولها الورقة، ثم غادر دون أن ينظر خلفه. ثناء بقيت في مكانها، الورقة بين يديها، ودموعها تنساب على خديها. كانت تعلم أن أمجد لم يقل كل ما في داخله، وأن صمته يخفي الكثير مما قد يجعل الأمور أكثر تعقيدًا.

كان طلعت قد اتصل بإيهاب ليخبره أنه وجد شقة مناسبة. صاحب الشقة، الذي أنهى خطوبته ويستعد للسفر، وافق على تأجيرها بشرط أن يعيد إيهاب الفنان دهانها عند عودته، ويهديه إحدى رسوماته التي طالما سمع عنها.

إيهاب وافق على الفور، وأخذ حنين ليروا الشقة. بمجرد دخولهم، شعروا براحة غريبة في المكان. المطبخ مجهز، وفي زاوية الغرفة الرئيسية ركنة أنيقة تركها صاحب الشقة، طالبًا منهم الاحتفاظ بها لحين بيعها.

نظر إيهاب إلى حنين بابتسامة صغيرة: "إيه رأيك؟ الركنة والمطبخ ينفعوا معانا؟"

حنين نظرت حولها بحماس: "ينفعوا جدًا. الشقة صغيرة بس حلوة، دافية. حسيت إنها بتاعتنا من دلوقتي."

إيهاب أومأ موافقًا، ثم اقترح: "طب إيه رأيك نشتريهم؟ أنا هاتفق مع صاحب الشقة ندفعهم على أقساط مع الإيجار."

صاحب الشقة وافق بسهولة، فقد كان مستعجلًا من أجل السفر. الصفقة تمت سريعًا، وخرج إيهاب وحنين وهما في غاية السعادة بشقتهما الجديدة، حيث شعرا أنها بداية جديدة تمامًا.

إيهاب وحنين عادا إلى بيت العائلة لجمع أغراضهما. بمجرد دخولهما، فوجئت قدرية برؤية ابنها. رحبت به بلهفة: "إيهاب، يا ابني! أخيرًا جيت حمدالله على السلامة يا حبيبي نورت البيت."

تعجب من ترحيبها لكنه كان جامد الملامح، لم يرد سوى بكلمات مختصرة: "الله يسلمك يا امه بعد إذنك."

نظرت إليه بدهشة، لكنه لم يمنحها فرصة للحديث. دخل مع حنين إلى غرفتهما وبدأا بجمع كل شيء. الحقيبة تلو الأخرى، كانا يعملان بصمت، لكن الأجواء كانت مشحونة،خرج إيهاب بحقائبه لتقف قدرية، التي بدأت تدرك خطورة الموقف، حاولت التدخل. "إيهاب، مالك؟ بتاخد حاجتك ليه؟"

لكنه لم يرد، واكتفى بحمل الحقائب إلى الخارج.

عندها لم تستطع الصمت أكثر، أمسكت بيده: "ابني، خد شقتك.

مازن مش محتاجها دلوقتي، وهي بتاعتك. ده حقك."

إيهاب توقف للحظة، نظر إلى المفتاح في يدها، ثم رفع عينيه إليها بوجع: "دلوقتي بقت بتاعتي، ولا مازن مبقاش محتاجها؟ في حاجات لما بتيجي بعد فوات الأوان ما بيكونش ليها معنى. خلي الشقة لمازن، أو ليكِ، زي ما تحبي. أنا خلاص مش محتاجها."

شعرت قدرية كأن الأرض انهارت تحت قدميها. حاولت أن ترد، لكن إيهاب أكمل: "مصاريفكم هتوصلكم زي ما كانت. لحد ما مازن يشتغل. بس أنا خلاص، مبقاش لي مكان هنا."

تمسكت بذراعه بندم: إيهاب خليك وأنا هـ

قاطعها: خلاص يا أمه معدتش هقدر أفضل هنا، وصلت لأخري، الرجالة هتطلع تاخد حاجتنا من هنا وهبة ترجع لاوضتها ومازن يرجع لاوضته وخلوا اموركم تستقر.

هبة، التي كانت تقف في الزاوية، اقتربت بحب، احتضنته بقوة: "إيهاب، ما تسبناش كده. إحنا محتاجينك."

طبع قبلة على رأسها: "هبة، إنتِ أختي وحبيبتي. بيتي مفتوح ليكِ في أي وقت. أنا معاكِ لآخر العمر، بس لازم أعيش في مكان أقدر أحس فيه بالراحة، هنا ماليش مكان."

عيناه امتلأتا بالدموع، لكنه تمالك نفسه. أخذ حنين وخرج، تاركًا البيت فارغًا تمامًا على قدرية.

دخل رجال طلعت ليحملوا غرفة نومه وكل متعلقاته هو وحنين ونقلها لشقتهم الجديدة.

في الشقة الجديدة

عندما دخلا شقتهما الجديدة، كان المكان هادئًا ومريحًا. ساعد طلعت ورجاله إيهاب في فرش شقته الجديدة وبعد يوم متعب لكن مبهج حنين جلست على الركنة، وهي تشعر بمزيج من الحماس والخوف.

إيهاب جلس بجانبها، أمسك بيدها و بهدوء: "دي بداية جديدة لينا، حنين. هنا هنبني كل حاجة من أول وجديد، بعيد عن أي وجع."

حنين نظرت إليه بحب: "وأنا معاك، مهما حصل. هنبدأ مع بعض، ونكمل مع بعض."

كان المكان صغيرًا، لكن دفء المشاعر بينهما جعله يبدو كأنه عالم كامل.

دخل مازن إلى المنزل بعد يوم طويل بالخارج، خطواته كانت واثقة كالعادة. وجد والدته قدرية جالسة على الأريكة، ملامحها متوترة:

"إيه يا ماما؟ مالك؟ شكلك مش طبيعي." قال مازن وهو يخلع الجاكيت ويجلس أمامها.

نظرت إليه قدرية بحزن واضح: "إيهاب يا مازن... ساب البيت."

مازن رفع حاجبيه بدهشة، لكن نبرته كانت خالية من الحزن الحقيقي: "ساب البيت؟ يعني إيه؟ راح فين؟ راح شقته؟"

قدرية أغمضت عينيها للحظة، ثم تابعت: "رفضها وقال

خليهالكم،قال مبقتش تلزمه أخد كل حاجته، هو ومراته ومشيوا.."

مازن جلس بصمت لبضع ثوانٍ، وكأن الكلمات تحاول أن تجد طريقها إلى عقله. "يعني فعلاً أخد بعضه ومشي؟ ورفض الشقة؟"

هزت قدرية رأسها، دموعها تتساقط بهدوء: "آه، يا مازن. أنا السبب، إنت السبب، كلنا السبب. إحنا كسرنا قلبه."

لكن مازن، الذي لم يكن يشعر بالذنب بقدر ما كان يشعر بالمفاجأة، رفع يده محاولًا تهدئتها: "طيب. استهدي بالله. ما تكبريش الموضوع. هو أكيد محتاج شوية وقت بعيد، ما هو اتجوز وبقى له حياته الخاصة. طبيعي إنه يدور على مكان جديد مع مراته، بعدين زي ما قولتلك همسك في مستشفى ابو رانيا يعني مش هنحتاج للفتافيت اللي إيهاب كان بيشتغل علشانها، إحنا هنعيش يا امه"

قدرية نظرت إليه بحسرة: "لكن مازن، ده أخوك. كان دايمًا شايلنا، دايمًا بيضحي علشانا كان هو اللي بيشتغل ويصرف علينا. وده جزاته؟"

مازن حاول تلطيف الأجواء بكلمات فارغة: "ماما، إيهاب جدع وعارف إننا كلنا بنحبه. يمكن حس إنه محتاج يبدأ من جديد. المهم دلوقتي إنتِ ما تشيليش هم. أنا هنا، وأنا اللي هعوضكم عن أي حاجة."

قدرية هزت رأسها بيأس، وهي تنظر إلى ابنها الذي بدا وكأنه لم يدرك عمق الخطأ الذي ارتكباه في حق إيهاب.

مازن وقف، محاولًا إنهاء النقاش: "امه، أنا مش هسيبك. وكل

اللي ناقصك هيكون عندك. ما تقلقيش، رانيا وأبوها هيعملوا اللازم. وهتشوفي، هبقى السبب إن حياتنا كلها تتغير."

قدرية لم ترد، لكنها شعرت بثقل الألم في قلبها. كانت تعلم أن مازن لا يفكر إلا في نفسه، وإنه لن يفهم أبدًا الخسارة الحقيقية التي حدثت.

أما مازن، فقد خرج من الغرفة متجاهلًا كل شيء، وفي عقله كانت فكرة واحدة تتردد: "إيهاب ساب البيت؟ خلاص، أحسن. الواحد هيرتاح من تأنيبه كل يوم."

في غرفته المظلمة، جلس أمجد أمام الكمبيوتر، عينيه مثبتتان على الشاشة. كان يشاهد الكاميرا المخفية التي وضعها في شرفة منزل حنين. لكنها اختفت تمامًا، كان يشعر بمزيج من الغضب والحنين.

مرت أيام وهو على هذا الحال، بالكاد ينام أو يأكل. عينيه بدأت تحمر من الإرهاق، لكن صبره بدأ ينفد.

"فين راحت؟ ليه مش باينة في الكاميرا زي الأول؟" تمتم بغضب مكتوم، ويده تضرب المكتب بجانبه.

أخرج هاتفه واتصل بـ"صلاح "، الشخص الذي كان يراقب حنين وزوجها بناءً على طلبه.

"إيه الأخبار؟ ما شفتش أي حاجة من كام يوم. في إيه؟"

رد صلاح بنبرة حذرة: "يا باشا، هما عزلوا. سابوا البيت وانتقلوا لشقة جديدة لوحدهم."

كانت الكلمات كالسهم الذي اخترق صدر أمجد. صوت أنفاسه صار ثقيلًا، والغضب اشتعل في عينيه. "عزلوا؟ يعني إيه عزلوا؟ ومين سمح لهم؟"

حاول صلاح تهدئته: "باشا، أنا معرفش التفاصيل، بس هم خلاص مش هناك. لو عايز أعرف مكانهم الجديد، أحتاج وقت شوية."

أمجد أغلق الهاتف بغضب دون أن يرد. نهض من كرسيه بعصبية، وبدأ يمشي في الغرفة ذهابًا وإيابًا.

"سابوا المكان؟ يعني بقت في شقة لوحدها معاه؟" صوت تفكيره كان كالنار التي تزيد اشتعالًا في عقله.

ضرب الحائط بقبضة يده، ثم تمتم بحدة: "مش هسيبك، يا حنين. مش هخليكِ تعيشي في راحة وأنا هنا."

جلس مجددًا، يضع خطة جديدة في رأسه، عازمًا على ألا يترك الأمور تسير بعيدًا عن سيطرته. كان يعلم أن نقلهم إلى شقة جديدة يعني أنهم يحاولون بناء حياة كاملة بمفردهما، لكنه قرر أنه لن يترك حنين تعيش حياتها بسلام مع إيهاب، أبدًا.

في مساء هادئ، توجه أمجد إلى منزل أخته أميرة. خطواته كانت تحمل نية خبيثة، وعيونه تمتلئ بالغضب والغموض. طرق الباب عدة مرات بقوة، حتى فتح أحمد، زوجها، الباب.

عندما رأى أحمد وجه أمجد، تجمد مكانه. النظرات بينهما كانت كافية لتعيد شريط الذكريات القاتمة التي جمعتهما. أحمد تذكر اللحظة التي زار فيها أمجد في السجن ليطلب يد أميرة، لكنه قوبل

بالإهانة والطرد.

تذكر أيضًا أمها، ثناء، حين قامت بتخدير أميرة بناءً على طلب أمجد، وحبستها لمنعها من الزواج. تذكر كيف حاول أمجد السيطرة على حياة أميرة وتحطيمها بكل الطرق. اللحظات المؤلمة عادت إليه كأنها حدثت بالأمس، ولم يكن هناك شيء ليفعله سوى الوقوف بثبات في وجه أمجد.

"إيه اللي جابك هنا؟" نطق أحمد ببرود، ونظراته حادة كالسيف.

أمجد لم يتحرك، فقط اكتفى بابتسامة باردة أثارت قلق أحمد. "مش ناوي أطول، جيت أزور أختي."

بينما كانا يتبادلان نظرات التحدي، ظهرت أميرة عند باب الغرفة، مستغربة من سبب تأخر أحمد. عندما رأت أخاها أمجد، اتسعت عيناها بصدمة.

"أمجد؟!" صوتها خرج محملًا بالدهشة والخوف. تقدمت خطوتين، لكن يدها تحركت فورًا إلى بطنها في غريزة تحمي حملها، الذي لم يكن مخططًا أن يعرف أمجد عنه الآن.

لاحظ أمجد حركتها، وبصره تركز على بطنها المنتفخ. عينيه امتلأتا بمشاعر متداخلة بين الدهشة والغضب. "إنتِ حامل؟" سألها بصوت منخفض، لكنه لم يخفِ حدة مشاعره.

أميرة لم ترد، فقط احتضنت بطنها بغريزتها، بينما أحمد تقدم خطوة ليقف بينهما. "شوف، يا أمجد. اللي بينك وبين أميرة انتهى من زمان. أنا مش هسمحلك تقرب منها أو حتى تشوفها."

أمجد، رغم الغضب الذي اشتعل في داخله، قرر أن ينسحب بهدوء، كما لو كان يخطط لشيء أكبر. نظر إلى أميرة مرة أخيرة، ثم إلى أحمد، قبل أن يترك المكان دون كلمة إضافية.

بينما كان يسير بعيدًا عن المنزل، أفكاره كانت مشوشة. أخته التي كان يتحكم بها يومًا ما أصبحت الآن متزوجة، حاملًا، وتعيش حياة بعيدة تمامًا عن قبضته. هذه الحقيقة لم تتركه مرتاحًا، لكنها لم تكن ما يشغل باله الآن.

"أميرة خلاص، خرجت من إيدي... لكن حنين؟ حنين لسه مراتي، ولسه ملكي." همس لنفسه، وصورة حنين مع إيهاب تشتعل في ذهنه.

أمجد قرر في تلك اللحظة أنه لن يكتفي باستعادة حنين، بل سيتخلص من إيهاب، الزوج الذي أخذ منه كل شيء، على حد وصفه. النار التي أشعلتها أميرة بحياتها الجديدة جعلته أكثر إصرارًا على استعادة ما يراه ملكًا له.

كانت هدير تجلس في شرفتها الصغيرة، تحتسي كوبًا من القهوة، بينما زيد يلعب بسيارته الصغيرة في الغرفة المجاورة. فجأة، دق جرس الباب وقفت هدير تفتح الباب لتجد أخيها: عمرو إزيك، اتفضل.

ركض زيد بحماس نحو خاله عمرو الذي يحمل كيسًا صغيرًا من الحلويات.

"خالووو!" صاح زيد بفرحة، وارتمى في حضن عمرو الذي احتضنه

بحب.

"إزيك يا شقي؟ وحشتني قد الدنيا!" قال عمرو وهو يرفع زيد بين ذراعيه ويقبله.

زيد نظر إلى الكيس بحماس: "جبت لي حاجة؟"

عمرو ضحك وهو يعطيه الكيس: "أكيد، ده ليك مخصوص."

ركض زيد إلى الداخل، يفتح الكيس بسعادة، بينما هدير علقت مبتسمة: "واضح إنك خطفت زيد قبل ما تخطفني."

"ما هو لازم الأولاد يتدلعوا." رد عمرو وهو يغلق باب الشقة.

جلسا معًا في غرفة المعيشة، بينما زيد كان مشغولًا بتناول الحلويات. مد عمرو يده وأخرج ورقة من حقيبته، ووضعها أمام هدير.

"دي فرصة شغل ممتازة ليكِ. شركة كبيرة بتدور على موظفين في إدارة الموارد البشرية. فكرت فيكِ على طول."

هدير نظرت إليه بتردد: "شغل؟ دلوقتي؟"

عمرو أشار إلى زيد بابتسامة: "في حضانة للأطفال في الشركة. يعني زيد هيبقى جنبك طول الوقت. دي بداية جديدة ليكِ، يا هدير."

زيد، الذي كان يستمع بصمت، اقترب وسأل بفضول: "ماما هتشتغل؟ وأنا هاجي معاكي؟"

هدير احتضنته بحب: "أيوه يا حبيبي. هروح شغل جديد، وإنت

هتكون جنبي."

ابتسم زيد وقال بحماس: "أنا موافق! خالو دايمًا بيجيب أفكار حلوة."

ضحك عمرو وربت على رأسه: "ده علشان أنا بحبكم."

هدير نظرت إلى عمرو، وملامحها مليئة بالامتنان: "مش عارفة أقولك إيه. إنت مش بس أخ، إنت سندي في كل حاجة."

عمرو رد بثقة: "أنا موجود، دايمًا. وده مش بس شغل، ده بداية جديدة ليكِ ولإبنك."

في بيت زهير تحديدًا في غرفة نومهما، كانت سارة مستلقية على السرير، وسائد مرتبة خلفها لدعم ظهرها. عيناها تحدقان في السقف، تحاول أن تجد راحة وسط أفكارها التي لا تهدأ. زهير كان يقف عند باب الغرفة، يراقبها بصمت للحظات. تردد، ثم دخل بخطوات بطيئة.

"إنتِ محتاجة حاجة؟" سأل بنبرة هادئة، لكن القلق في صوته كان لا يمكن إخفاؤه.

رفعت سارة عينيها إليه ببطء، ملامحها متعبة لكنها تحاول التماسك. "لا، شكرًا. كل حاجة تمام."

اقترب ببطء وجلس على الكرسي بجانب السرير، ينظر إلى وجهها الشاحب وكأنما يحاول قراءة ما يخفيه. "الدكتورة قالت لازم تريحي نفسك تمامًا. لو حاسة بأي تعب أو ألم، لازم تقولي."

نظرت إليه بعينين تحملان الحزن أكثر من التعب. "أنا بسمع

كلامها، زهير. مش بتعب كتير... غير لما أفكر."

تنهد زهير، وملامحه تعكس صراعًا داخليًا: "سارة، أنا مش عارف أتصرف إزاي. كل حاجة بقت معقدة بينا. خلينا دلوقتي نهتم بصحتك... دي أهم حاجة."

نظرت إليه أخيرًا، عيناها مليئتان بالدموع التي تحاول أن تخفيها. "إنت فاكر إن الوضع ده سهل عليا؟ أنا هنا لأنك اخترت ترجعني. لكن وجودي هنا... أصعب مما تتخيل."

ارتبك قليلًا وسألها بحذر: "أصعب ليه؟"

ابتلعت ريقها بصعوبة و بصوت متهدج: "إنت واحشني يا زهير. بس مش مسموح لي أقرب منك أو ألمسك. إني أشوفك كل ثانية قدامي وأتمناك... ده أصعب حاجة ممكن أعيشها. لو عايز تهتم بيا، خدني في حضنك. أما الأكل والشرب والراحة... هعرف ألاقيهم في أي مكان. أنا محتاجاك إنت."

كانت كلماتها كالسهم الذي أصاب قلبه. نظر إلى الأرض للحظة طويلة، يحاول استيعاب ما قالته. رفع رأسه و بصوت منخفض: "سارة... أنا مش عارف أقولك إيه. في حاجات كتيرة اتغيرت... وفي طفل بينا لازم نفكر فيه."

لم ترد سارة، لكنها وضعت يدها على بطنها بحب و بهدوء: "اللي بينا أكتر من كده يا زهير. أنا بحبك... سامحني على الماضي، واحكم عليا من يوم ما دخلت بيتك، مش قبل كده. ما ينفعش يكون اللي في بطني هو الحاجة الوحيدة اللي تربطنا."

كلماتها جعلته يقف فجأة، وكأنه يحاول الهروب من الموقف. نظر إليها للحظة طويلة ثم قال بصوت أقرب إلى الهمس: "أنا مش عارف أنا بعمل إيه... بس اللي متأكد منه، إني مش هسيبك تتعبي لوحدك."

غادر الغرفة قبل أن تضيف أي كلمة، تاركًا إياها تتساءل إن كان ما قاله يعكس حقيقة مشاعره، أم أنه مجرد واجب فرضته الظروف. أما زهير، فقد دخل مكتبه وأغلق الباب، وهو غارق في صراع داخلي بين الحب الذي لم ينطفئ والخيانة التي لا يزال أثرها حيًا في قلبه.

هبة حصلت على وظيفة جديدة في إحدى الشركات المرموقة، تقضي النهار بأكمله خارج المنزل في العمل. تعود في المساء منهكة، لكنها سعيدة بخطوتها الأولى نحو بناء مستقبلها.

مازن بدأ تدريبه في مستشفى والد رانيا، يقضي ساعات طويلة يتعلم ويعمل بجد. خلال يومه هناك، وجد نفسه يقترب من رانيا أكثر فأكثر، يشعر أنها أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياته.

قدرية تقضي يومها وحيدة في المنزل، الغرف صامتة والذكريات تحاصرها. تجلس على الأريكة، نظراتها شاردة وهي تستعيد كل قرارٍ اتخذته وأبعدها عن إيهاب. الدموع لا تفارق عينيها، تشعر بثقل الوحدة والندم يمزق قلبها.

في الشقة الصغيرة لإيهاب وحنين، كانت الشمس تتسلل من النافذة لتداعب وجوههما. إيهاب كان جالسًا في غرفة الرسم التي أصبحت مساحته الخاصة، جالسًا أمام لوحة جديدة، بينما حنين كانت في المطبخ الصغير تعد وجبة إفطار بسيطة.

"حنين، ريحة الفول ده جنة!" صاح من الغرفة بابتسامة وهو ينظر إلى الألوان التي بدأت تتشكل على القماش.

خرجت حنين من المطبخ تحمل طبقين بسيطين، فول بالليمون وزيت الزيتون، وقطعة جبن ثم توجهت لاحضار باقي الافطار وضعت الأطباق على الطاولة الصغيرة في الصالة: "إيهاب، الفطار جاهز! تعال بسرعة قبل ما يبرد."

إيهاب ترك فرشاته، ومسح يديه بقطعة قماش، ثم توجه إليها. جلس بجانبها، وابتسم وهو ينظر إلى الطعام. "ما فيش حاجة أجمل من كده...أنا وإنتِ وبس."

حنين ضحكت وهي تضع قطعة من البيض في فمه: "كفاية كلام حلو، كل علشان تلحق ترجع ترسم."

بعد الافطار، جلسا معًا يشاهدان فيلمًا قديمًا، ملفوفين ببطانية واحدة على الاريكة الصغيرة. لا أحد يزعجهم، ولا أصوات عالية تعكر صفوهم. كانت ضحكاتهم تملأ المكان كلما علق أحدهما على مشهد مضحك.

بما أن اليوم إجازة، خرجا معًا لشراء الخضار والفواكه من السوق. سارا جنبًا إلى جنب، يضحكان ويتبادلان الحديث عن أشياء بسيطة. عند عودتهما، أعدت حنين أكلة جديدة، بينما إيهاب كان يساعدها في المطبخ، يمزح معها ويجعلها تضحك حتى كاد الطعام يحترق.

بعد العشاء، جلس إيهاب في غرفة الرسم يكمل لوحته، بينما دخلت حنين لتحضر له كوبًا من الشاي. وقفت خلفه، تضع يدها على

كتفه: "اللوحة دي جميلة جدًا، بس مش أحلى من اللي رسمتها لي زمان."

التفت إليها وضمها بين ذراعيه: "ولا إنتِ أحلى من أي حاجة في حياتي."

في الليل، كانا ينامان بين أغطية دافئة، لا يقاطع نومهما صوت أحد، ولا طرق على الباب. أيقظهما ضوء الشمس، لا منبه ولا أصوات مزعجة، فقط الوقت كان ملكهما.

كانت حياتهما في تلك الشقة الصغيرة كأنها عالم خاص بهما. بسيط، لكنه مليء بالحب والحرية التي طالما حلم بها كلاهما. كل لحظة كانت لهما، وكل تفصيلة كانت مصدراً للسعادة.

تذكرت حنين رقصة إيهاب في بيت والدها وهو يرسم فقررت أن تصور مقطعًا له وهو يرسم بتلك الطريقة المجنونة على الحائط في شقتهما الجديدة، حيث كان يتحرك بحرية وكأنه يرقص مع الألوان. كل يوم كانت تضيف مقاطع جديدة له وهو يرسم على أنغام أغنية معينة، تجمع بين إبداعه وحبه للفن.

بعد أيام من التصوير، قررت حنين أن تجمع كل تلك المشاهد في فيديو واحد، أعدته بطريقة جميلة، مفعم بالموسيقى والمشاعر. نشرته على اليوتيوب كنوع من التفاخر بزوجها الفنان، الذي ترى فيه عبقرية فريدة.

في صباح اليوم التالي، استيقظت حنين على اتصال من هايدي، صوتها مليء بالحماس: "حنين! الفيديو اللي نزلتيه لإيهاب بقى ترند!

الناس كلها بتتكلم عنه!"

جلست حنين على السرير بسرعة، متفاجئة: "بتهزري؟ ترند؟ يعني إيه؟"

ضحكت هايدي: "الفيديو جاب آلاف اللايكات والمشاركات، والكل بيسأل عن إيهاب، وعن لوحاته وأسعاره!"

في تلك اللحظة، استيقظ إيهاب على صوتها المرتفع وهي تتحدث مع هايدي. جلس في السرير، يراقبها بنعاس: "في إيه يا حنين؟ مين على التليفون؟"

أنهت المكالمة سريعًا ونظرت إليه بتوتر: "إيهاب...دي هايدي

سألها بقلق: في حاجة ولا عادي؟

علقت بتوتر: أنا نشرت فيديو ليك على اليوتيوب."

رفع حاجبيه بدهشة، غير مستوعب: "يعني إيه؟ نشرتي إيه؟"

جلست بجانبه وهي تحاول شرح الأمر: "فاكر لما كنت بصورك وإنت بترسم؟ لما كنت بتتحرك كأنك بترقص مع الألوان؟ جمعت كل المشاهد دي... وعملت فيديو... ونشرته."

صمت للحظة قبل أن يسأل: "وإيه اللي حصل؟"

ناولته الهاتف بتردد: "الفيديو طلع ترند. الناس كلها شافته، وفي ناس عايزة رسومات منك وبتسأل عن الأسعار."

بدأ يشاهد الفيديو بعناية. الموسيقى تنساب بسلاسة مع اللقطات التي تظهره وهو يرسم بحركات مليئة بالشغف. في بعض المشاهد

تظهر يد حنين وهي تعبث بألوانه، أو تسحبه بلطف من قميصه أو حتى تقبله دون أن تظهر وجهها. الفيديو كان مليئًا بالعفوية والحب.

ابتسم إيهاب تدريجيًا بينما يشاهد، ثم نظر إليها: "ده أنا؟"

تنفست الصعداء عندما رأت ابتسامته: "آه، ده إنت! الناس كلها حبت الفيديو."

أغلق الهاتف ووضعه جانبًا، وهو يبتسم: "بصراحة... الفيديو حلو. مش مصدق إن ده أنا."

قفزت حنين بحماس: "كنت عارفة إن الناس لازم يشوفوا شغلك! إنت فنان مش عادي، وإبداعك لازم يوصل لكل الناس."

نظر إليها وقال بصدق: "شكرًا يا حنين. إنتِ اللي شايفاني كبير من الأول. يمكن يكون ده باب جديد فعلًا. أنا مش عارف أقولك إيه."

احتضن يدها بحب، وشعرا معًا بأن هذا اليوم قد يكون بداية لشيء كبير في حياتهما.

في شقتهما الصغيرة، جلس إيهاب وحنين بجوار بعضهما، يضحكان ويتبادلان التعليقات التي كتبها الناس على الفيديو. كل تعليق كان يحمل مديحًا للفن والإبداع، أو تساؤلًا عن أعماله المستقبلية، وأحيانًا طلبًا لرسم لوحة. هواتفهما لم تتوقف عن الرنين، والرسائل تنهال من أصدقائهما وأقاربهم، يهنئونهم على النجاح الباهر.

حنين نظرت إليه بابتسامة واسعة: "شايف؟ الناس كلها بتحب شغلك. إنت فنان حقيقي يا إيهاب."

إيهاب أمسك يدها وقال بإحساس: "وإنتِ اللي خليتي ده يحصل. إنتِ اللي عرفتي الناس بيا بالطريقة دي."

في موقع العمل، كان إيهاب منشغلًا بالرسم على أحد الجدران عندما اقترب منه طلعت بابتسامة كبيرة. وقال: "إيهاب، شفت الفيديو. بجد رائع! كنت دايمًا شايف إنك فنان، بس الفيديو ده أثبت لكل الناس كده."

توقف إيهاب عن العمل ونظر إلى طلعت بابتسامة خجولة: "شكرًا يا أسطى طلعت. ده بفضل دعمك اللي دايمًا بحسسني إني أقدر."

طلعت وضع يده على كتف إيهاب بحنان: "بص يا بني، لو قررت تنفصل بعملك وتبدأ مشروعك الخاص، أنا أول واحد هيدعمك. وهساعدك بكل طريقة ممكنة. إنت زي ابني."

إيهاب شعر بفرحة غامرة، عيناه تلمعان بالامتنان. "شكرًا يا أسطى طلعت. كلامك ده معناه كبير أوي عندي."

في منزل العائلة، جلست هبة على الأريكة، تشاهد الفيديو بفرحة غامرة. لم تستطع أن تبقي الأمر لنفسها، فتوجهت سريعًا إلى والدتها. "ماما، شوفي الفيديو ده! إيهاب بقى ترندا!"

قدرية، التي كانت تجلس بهدوء، نظرت إلى الهاتف. رأت الفيديو الذي يظهر إيهاب وهو يرسم، يرقص مع الألوان، ويتحرك كأنه في عالمه الخاص. غص قلبها وهي ترى ابنها الذي لطالما اعتبرت وجوده أمر مسلم به.

أعادت مشاهدة الفيديو مرة بعد مرة، لكن الألم لم يغادر قلبها.

همست لنفسها: "وحشتني يا إيهاب... وحشتني يا ابني."

لكنها لم تقل شيئًا لهبة، فقط أغلقت الهاتف وابتعدت في صمت، بينما في داخلها شعور بالندم يتزايد، وكلمات كثيرة لم تستطع أن تنطق بها.

الطلبات انهالت على إيهاب بعد انتشار الفيديو. كل يوم كان يتلقى المزيد من الرسائل والاتصالات، يطلبون منه رسم لوحات أو تصميم جداريات. بدأ تدريجيًا ينفصل عن طلعت، الذي كان داعمًا له بكل حب.

طلعت جلس معه يومًا: "إيهاب، أنا فخور بيك. النجاح اللي وصلت له مستحق جدًا. بس إياك تنسى إنك دايمًا تقدر ترجع هنا لو احتجت أي حاجة."

إيهاب شكر طلعت بابتسامة ممتنة: "عمري ما هنسى اللي عملته عشاني يا أسطى طلعت. إنت مش مجرد رئيسي في الشغل، إنت زي والدي."

في نفس الوقت، كانت حنين أكبر داعم له. في وقت فراغها، كانت تصاحبه لتصوره أثناء عمله. تلتقط اللحظات التي يضع فيها أول لمسة على اللوحة وحتى اللحظة التي ينتهي فيها من العمل. كانت تنشر الفيديوهات على الإنترنت، مع لقطات توضح التحول بين البداية والنهاية، ما زاد من شعبيته أكثر.

في إحدى المرات، جلسا في شقتهم الصغيرة يشاهدان التعليقات الجديدة، وحنين كانت تقرأ بعضها بصوت عالٍ: "شوف ده! بيقول

إنه مستعد يدفع أي مبلغ علشان تاخد طلبه الأول!"

إيهاب ضحك: "واضح إننا هنشتغل على طول."

لكن، بينما كانا يعيشان في سعادة وتخطيط لمستقبل أفضل، كان هناك عين أخرى تراقب كل شيء. أمجد، جالسًا في شقته، يحدق في شاشة الكمبيوتر بغضب متزايد. كل فيديو تنشره حنين كان كأنه سهم يخترق قلبه.

رأى إيهاب يرسم بحب، وحنين تتحدث عنه بفخر، وابتسامتها المشرقة وهي تصوره. أمجد قبض يده بشدة، كأنما يريد تحطيم الشاشة أمامه.

"إزاي بقت كده؟ إزاي تحبه بالشكل ده؟" تمتم لنفسه، والغضب يسيطر عليه.

في ذهنه، كانت كل لحظة تقضيها حنين مع إيهاب دليلًا جديدًا على فشله في استعادتها. كل فيديو كان يعمق إحساسه بالعجز.

وقف أمام نافذته، يتنفس بعمق، لكن الغضب لم يهدأ. قرر أمجد أن يخطط لاستعادة حنين بأي وسيلة ممكنة، حتى لو كان عليه تحطيم حياة إيهاب بالكامل.

***

14

كانت قدرية مستلقية على الأريكة في الصالة، جسدها منهك من التعب ووجهها شاحب. شعرت بألم في رأسها، وقررت أن تتحدث مع مازن الذي كان قد عاد للتو من نبطشيته بالمستشفى.

نادت عليه بصوت ضعيف وهو يدخل غرفته: "مازن... تعبانة أوي. محتاجة علاج يمكن ضغطي عالي."

مازن توقف للحظة عند باب غرفته، ثم التفت إليها بملامح متعبة: "ماما، أنا كنت واقف على رجلي طول الليل. محتاج أنام. خدي أي مسكن وسيبيني في حالي."

أغلق الباب خلفه دون أن ينتظر ردها. شعرت قدرية بوخزة حادة في قلبها، لم يكن فقط بسبب الألم الجسدي، بل بسبب تجاهله لها.

جلست للحظة، ثم قررت أن تدخل إليه. فتحت الباب بهدوء، لتجده مستلقيًا على السرير، يحاول أن يغرق في النوم. تقدمت نحوه وقالت بصوت مرتجف: "مازن... أنا مش قادرة أتحرك. بجد محتاجة أي علاج."

فتح عينيه نصف فتحة ونظر إليها بملل: "يا أمه، أنا تعبان. الصيدلية مش بعيدة. مش وقتك دلوقتي."

كلماته كانت كالسهم الذي اخترق قلبها. شعرت بالخذلان وهي تتذكر مواقف إيهاب. تذكرت كيف كانت توقظه من نومه لتطلب منه أي شيء. ليجلب الفطور، أو حتى يخرج لشراء الخبز وكان يخرج دون تردد أو شكوى.

انسحبت من الغرفة ودموعها تملأ عينيها. جلست على الأريكة، ممسكة بصدرها الذي يؤلمها، والدموع تنهمر بصمت. تذكرت كلمات إيهاب الذي كان يحذرها دائما: "مازن أناني، يا أمه هتندمي. هتكتشفي إنه مش هيفكر غير في نفسه.ياأمه بلاش، يا أمه......"

مسحت دموعها سريعًا، وقررت أن تتجه للصيدلية بنفسها. خرجت بخطوات ثقيلة، قلبها مثقل بالوجع، جسديًا ونفسيًا. كانت تشعر بأن كل شيء حولها يؤكد أن إيهاب كان محقًا. لقد دعمت الأناني وتركت الحنون، والآن هي وحدها في مواجهة ألمها.

استيقظ مازن من نومه متثاقلًا، بينما كانت قدرية تجلس على الأريكة منهكة، ملامحها شاحبة من التعب. نظرت إليه بحزن و بصوت واهن: "مازن، ممكن تعمل لي أي حاجة آكلها؟ أو حتى تطلب لي أكل من بره؟ أنا مش قادرة أتحرك."

مازن، وهو يلبس حذاءه على عجل: "معنديش وقت يا أمه، هتأخر على رانيا."

أخرج مبلغًا صغيرًا من جيبه، وضعه أمامها بلا مبالاة: "أهو، خدي الفلوس وانزلي اشتري اللي عايزاه."

قدرية نظرت إليه بدهشة ممزوجة بالألم: "مازن، أنا تعبانة مش قادرة أنزل."

رفع رأسه بنفاد صبر: "يوووه خلاص، استنيني لما أرجع بالليل. أجيب معايا أي حاجة."

دون أن ينتظر ردها، خرج مسرعًا، تاركًا وراءه صمتًا ثقيلًا.

قدرية جلست على الأريكة، عيناها ممتلئتان بالدموع، ويدها ترتجف وهي تنظر إلى النقود أمامها. همست لنفسها: "كان إيهاب عمره ما يقول كده... كان دايمًا يشيلني حتى لو تعبان."

لم تستطع كبح دموعها أكثر، بكت بحرقة، وهي تتذكر ابنها الذي كان يحتمل أعباءها دون أن يظهر تذمرًا، ويمنحها حنانًا لم تشعر به مع مازن. شعرت بثقل الخذلان يسيطر عليها، وهي تتمنى لو تستطيع أن تعيد الزمن للوراء لتصلح ما أفسدته.

في أحد أيام العمل، أنهى مازن و رانيا نوبتهما في المستشفى. كان اليوم طويلًا، لكن رانيا قررت أن الوقت قد حان لإخبار والدها بنيتهم في الزواج.

رانيا، بخجل: "مازن، إحنا لازم نروح لبابا ونتكلم معاه. الموضوع لازم يتحسم."

مازن، بابتسامة واثقة: "طبعًا. أنا مستعد أروح وأطلب إيدك رسمي منه."

في المساء، وصل مازن مع رانيا إلى مكتب سليمان العشري في المستشفى. رانيا تقدمت بخطوات واثقة إلى المكتب بينما مازن كان خلفها.

سليمان رفع رأسه عندما رأى ابنته ومازن يدخلان. "رانيا! ومازن! إيه المفاجأة الجميلة دي؟"

رانيا جلست على الكرسي المقابل لوالدها، ومازن بجانبها. "بابا، عندنا موضوع مهم عايزين نتكلم معاك فيه."

سليمان، بابتسامة: "خير يا بنتي؟"

رانيا نظرت إلى مازن بابتسامة مشجعة. مازن بدأ حديثه: "د. سليمان، أنا بحب رانيا جدًا، وعايز أكمل حياتي معاها. جيت النهاردة علشان أطلب إيدها للزواج."

سليمان نظر إلى رانيا: "إنتِ موافقة يا رانيا؟"

رانيا أومأت بخجل: "أيوة يا بابا، أنا موافقة."

سليمان صمت للحظات، ثم ابتسم وقال لمازن: "مازن، أنا شايفك شاب طموح، وبتحب بنتي. الجواز مسؤولية كبيرة، لكن طول ما إنت عارف قيمتها، أنا موافق."

رانيا قفزت من مكانها وعانقت والدها: "شكرًا يا بابا!"

سليمان ابتسم: "أنا عايز أشوفكم أسعد اتنين."

بعد اللقاء، بدأ سليمان في التخطيط لحفل زفاف كبير يليق بمكانة ابنته. الحفل كان من المقرر أن يقام في أحد أكبر الفنادق، ودُعيت قدرية وهبة للحفل.

رن هاتف إيهاب وهو يجلس في شقته الجديدة، فأجاب ليجد صوت هبة مليئًا بالحنان.

"إيهاب، إزيك؟ وحشتني."

ابتسم إيهاب: "وإنتِ كمان يا هبة. عاملة إيه؟"

هبة: "الحمد لله. كنت عايزة أطمن عليك وأعرف أخبارك. الشغل

عامل إيه؟"

إيهاب: "ماشي الحال. كله تمام."

تبادلا اخبارهما لفترة طويلة بحب واضح، ترددت هبة للحظة، ثم أضافت: "بالمناسبة، مازن قرر يتجوز واحدة زميلته. الفرح قريب."

رد إيهاب بهدوء: "ربنا يوفقه."

هبة: "كنت عايزة أقولك بس... لو تحب تحضر الفرح..."

قاطعها بهدوء: "أنا كويس هنا يا هبة. لو احتجتي حاجة كلميني. مازن الله يسهله يا روحي، يلا عايزة أي حاجة؟"

أنهى المكالمة بهدوء، ثم عاد إلى لوحاته، متجاهلًا أي شعور قد يحاول التسلل إليه. بالنسبة له، هذا الخبر لم يعد يحمل أي تأثير يُذكر.

حفل زفاف مازن و رانيا استمر بأجواء مليئة مغيرة وتوضح الغنى الفاحش لوالد رانيا، لكن وسط كل هذه البهجة، بقي ظل من الحزن في قلب قدرية، وهي تتساءل عما إذا كان اختيارها لدعم مازن على حساب إيهاب كان حقًا القرار الصحيح.

كان يومًا مزدحمًا في الصيدلية، ومعتز منهمك في تحضير وصفة معقدة بينما نورا تجلس في زاوية الصيدلية، تكتب تقريرًا عن المخزون. فجأة، دخلت سيدة مسنة تطلب دواءً معينًا، لكنها بدأت تشتكي من ألم في ساقها، وتطلب كرسيًا للجلوس.

نورا تحركت بسرعة وأحضرت كرسيًا للسيدة، وجلست بجانبها

تطمئن عليها. "إنتِ كويسة يا طنط؟ ممكن أجيب لك ميه أو حاجة دافية؟"

السيدة ابتسمت برضا. "ربنا يخليكي يا بنتي. عندك قلب طيب."

معتز راقب الموقف بابتسامة خفيفة. "نورا دايمًا كده. قلبها أحن من اللازم."

بعد أن خرجت السيدة، اقترب من نورا يحمل كوبين من الشاي، جلس بجانبها بهدوء. "إنتِ عارفة إنك مميزة، صح؟"

نورا رفعت حاجبيها بدهشة. "مميزة إيه بس؟ أنا بعمل اللي أي حد ممكن يعمله."

هز رأسه بابتسامة خفيفة. "لا. اللي إنتِ بتعمليه مش أي حد يعمله. طريقتك في التعامل مع الناس، اهتمامك بيهم... الحاجات دي نادرة."

نظرت إليه بخجل. "أنا بس بحاول أكون إنسانة كويسة."

بنبرة جادة هذه المرة، أضاف معتز. "وأنا شايف إنك أكتر من كده بكتير. نورا، إنتِ أثبتي لي إن الحياة مش بس شغل وفلوس. فيها حاجات أعمق، زي اللي شفناه دلوقتي."

ابتسمت، لكنها لم تستطع منع نفسها من الاحمرار خجلًا.

في نهاية يوم مزدحم، وبعد أن أُغلقت الصيدلية، كان معتز يراقب نورا وهي ترتب أغراضها. عينيه كانت مليئة بشيء مختلف، وكأنه كان يحمل سرًا كبيرًا. تقدم نحوها بخطوات بطيئة، يتردد للحظة

قبل أن يُخرج من جيبه علبة صغيرة، يضعها أمامها على الطاولة.

نورا رفعت رأسها مندهشة. "إيه ده؟"

ابتسم بخفة، لكن صوته حمل مزيجًا من الحماس والخجل. "ده مش مجرد خاتم... ده وعد. وعد إني أكون جنبك في كل خطوة. أنا مش شايفك زميلة شغل، ولا حد عادي. أنا شايفك شريكة... شريكة حياة."

ملامحها تغيرت بين دهشة وابتسامة صغيرة، ثم احمرار ارتسم على وجنتيها. "يعني... إنت بجد شايفني كده؟"

أخذ نفسًا عميقًا، جلس أمامها مباشرة، نظر في عينيها. "شايفك أكتر من كده. إنتِ الإنسانة اللي بتحسسني إن الدنيا فيها خير، وإن الحياة مش بس شغل وفلوس. كل يوم معاكِ كنت بحس إنك بترسمي البسمة في المكان حتى لو كان مليان تعب."

لحظة صمت مرت، كأنها كانت تفكر في كل كلمة قالها. فتحت العلبة بيد مرتجفة قليلًا، نظرت للخاتم، ثم إليه. "معتز... أنا مش مثالية، وفيّ حاجات كتير ممكن تضايقك أنا مش بس بوقع الأدوية في الصيدلية، انا كارثة متنقلة حقيقي أنا."

اقترب منها بلطف، أمسك يدها وقاطعها بهدوء "وأنا مش عايز الكمال. أنا عايزك زي ما إنتِ، بحب خجلك، عفويتك، وكل تفصيلة فيكِ. وبحبك لما بتوقعي العلب في الارض وبتكلميهم وتقوليلي بيتأمروا عليا، من الأخر أنا بحب كل تفاصيلك يا نورا "

بخجل واضح، أجابت نورا. "معتز... أنا مش عارفة أقول إيه."

أمسك يدها بلطف، نظر في عينيها. "قولي موافقة، بس كده."

ابتسمت بخجل. "لو مستعد تستحملني... يبقى موافقة."

ابتسامة كبيرة ارتسمت على وجهه. "مستعد أكتر مما تتخيلي."

الجو امتلأ بمشاعر الحب والفرح، وكان ذلك اليوم بداية جديدة لحياة مليئة بالمواقف المميزة.

كان إيهاب جالسًا في مرسمه، يتفحص الفيديوهات التي نشرها مؤخرًا على مواقع التواصل الاجتماعي والتي لاقت تفاعلًا كبيرًا. رن هاتفه، فالتقطه ليجد اسم "د. ماهر". فأجاب بابتسامة:

"أهلاً دكتور ماهر، إزاي حضرتك؟"

ماهر بنبرة ودودة ومشجعة: "إزيك يا أستاذ إيهاب؟ أنا شفت الفيديوهات اللي بتعملها مؤخرًا. بجد، رائعة جدًا. عندك أسلوب مختلف في الرسم، وطاقتك مبهرة!"

إيهاب بابتسامة خفيفة: "شكرًا لحضرتك، ده تشجيع كبير بالنسبة لي."

"بصراحة، ده اللي خلاني أفكر أطلب منك طلب. عايزك تيجي ترسملي لوحة جديدة على حائط الصالون في البيت. الرسمة اللي عملتها قبل كده في غرفة النوم كانت رائعة، وعايز أضيف حاجة مشابهة في الصالون، لكن بروح جديدة."

إيهاب شعر بالحماس للفكرة، لكنه لم يستطع إخفاء حذره:

"حضرتك تقصد حاجة معينة؟ يعني رسمة أو فكرة في بالك؟" ثم

أضاف بمزاح خفيف: "وأوعى يكون حد جوه قفص تاني؟"

ماهر ضحك قبل أن يجيب:

"لا يا سيدي، ما تقلقش. المرادي عايز حاجة تعكس السعادة والطاقة اللي ظهرت في الفيديوهات الأخيرة.هبعتلك الصورة على الواتس، ولو حابب تصور زي الفيديوهات اللي نشرتها، معنديش أي مانع."

ثم أكمل بتأكيد:

"وطبعًا، لو عايز مراتك تكون معاك تساعدك أو تصورك، براحتكم تمامًا. كده كده الشقة هتكون فاضية لأني هكون في العيادة، وممكن بس أبعت مساعدي صلاح يستقبلكم."

إيهاب بابتسامة خفيفة، لكن بنبرة متسائلة:

"فكرة حلوة، بس حضرتك متأكد إن معندكش أي مانع من قصة التصوير دي؟"

ماهر بثقة وهدوء:

"لا لا بالمرة يا إيهاب، براحتكم خالص. البيت تحت أمركم. خد وقتك براحتك، وشوف إيه اللي يناسبك."

أنهى إيهاب المكالمة بعد الاتفاق على الموعد، ثم توجه إلى حنين، التي كانت منشغلة في ترتيب بعض الأغراض في المنزل.

"حنين، د. ماهر اتصل وقال إنه عايزني أرسم لوحة جديدة في الصالون عنده. وكمان قالي لو حابب نصور الفيديو، نعمل اللي

يعجبنا. وإنتِ لو عايزة تيجي معايا، براحتك."

حنين نظرت إليه بابتسامة متفائلة:

"بجد؟ ليه لأ؟ لو هو مديك الحرية دي كلها، يبقى فرصة تانية تعمل حاجة مميزة. هاجي معاك أصورك. هتبدأ إمتى؟"

إيهاب بتردد طفيف:

"هو قال لو حابب من بكرة، بما إن بكرة السبت. إيه رأيك تيجي معايا تصوري زي ما بتعملي في البداية، وبعدين ترجعي في النهاية تصوري النتيجة؟"

حنين وافقته بحماس:

"تمام، فكرة كويسة. خلينا نجهز كل حاجة النهارده."

إيهاب ابتسم، لكن شعورًا خفيًا من القلق تسلل إلى ذهنه. لم يكن متأكدًا مما إذا كان هذا الحماس طبيعيًا أم أن هناك شيئًا آخر ينتظره.

في الصباح، وصل إيهاب وحنين إلى شقة ماهر بحماس. فتح الباب لهم رجل وخمن إيهاب إنه مساعده صلاح كما اخبره د.ماهر.

استقبلهما بابتسامة ودودة: "أهلًا وسهلًا. أنا صلاح، مساعد الدكتور ماهر. هو قال لي أكون موجود لو احتجتوا أي حاجة. الشقة كلها تحت أمركم."

ابتسم له إيهاب بثقة:

"شكرًا يا أستاذ صلاح. إحنا هنبدأ الشغل على طول."

بدأ التحضير للعمل. تفقد الحائط، بينما قامت حنين بترتيب الكاميرا لتوثيق الخطوات.

"المكان هنا جميل جدًا. اللوحة دي هتطلع حاجة مميزة"، قالت بابتسامة وهي تتفحص زوايا التصوير المناسبة.

صلاح وقف في الخلفية يراقب بصمت، ثم علق بنبرة هادئة:

"شفت الرسمة اللي عملتها في غرفة النوم. كانت عظيمة فعلًا. الدكتور دايمًا يتكلم عن شغلك."

رد إيهاب بابتسامة بسيطة:

"الحمد لله إنها عجبتكم. إن شاء الله المرة دي نعمل حاجة أحسن."

اختفى صلاح للحظات في المطبخ، ثم عاد يحمل كوبين من العصير. وضعهما بهدوء على الطاولة:

"عملتلكم حاجة منعشة عشان تركزوا في الشغل."

حنين شكرته بابتسامة خفيفة، لكنها شعرت بشيء غريب دون أن تفصح.

علقت وهي تنظر إلى إيهاب: "إيهاب! هتشرب العصير الأول؟"

وافقها بابتسامة وقبل أن تتحرك حنين أسرع صلاح يأخذ كوب ويعطيه هو لإيهاب وهو يبتسم: خليكِ مرتاحة حضرتك "

أعطى لإيهاب كوبه بينما توجه لحنين يعطيها الكوب الآخر فشكرته بابتسامة.

تناولا العصير، وبدأ إيهاب الرسم، لكن سرعان ما توقف فجأة. يده امتدت إلى رأسه وهو يشعر بدوار مفاجئ:

""حنين... في حاجة غلط... حاسس بدوخة..."

التفتت حنين إليه بقلق، قبل أن يُفتح الباب فجأة ويدخل ماهر، الخطوات كانت ثابتة والنظرة مطمئنة بشكل زائف.

تجمدت حنين في مكانها، عيناها اتسعتا بذهول، بينما أنفاسها أصبحت سريعة ومتقطعة. يدها ترتعش وهي تشير إليه كأنها تحاول التأكد مما تراه.

أرادت أن تصرخ، لكن الكلمات علقت في حلقها. وأخيرًا، خرج صوتها مرتعشًا، بالكاد يُسمع:

"أمجد؟!"

التفت إيهاب إليها، ثم إلى ماهر أو أمجد، محاولًا استيعاب الموقف.

حاول الحركة نحوها، لكنه سقط على الأرض بقوة، صوته ضعيف وهو يزحف بصعوبة:

"حنين... حنين..."

صلاح، الذي كان يقف بجانب الباب، أغلقه بهدوء ثم عاد ليقف بجانب أمجد بابتسامة خبيثة: "الدكتور عايزكم ترتاحوا شوية. الأمور هنا مختلفة."

أمجد تقدم بخطوات بطيئة وواثقة نحوها. أمسك بشعر حنين

وسحبها بعيدًا عن إيهاب، الذي كان يحاول النهوض بكل قوته، لكن تأثير المخدر شل حركته. وبصوت متقطع وهو يحاول المقاومة: "سيبها... متلمسهاش...".

بابتسامة مهووسة، نظر أمجد لإيهاب:

"ما تحاولش تقوم العصير كان فيه مخدر ارتاح إنت،أما هي، فهي ملكي، ولسه مراتي. وهتفضل معايا مهما حصل."

صرخت حنين وهي تحاول تحرير نفسها من قبضته:

"إنت مريض! المحكمة طلقتني! أنا مراته هو دلوقتي، مش إنت!"

صفعة قوية أسقطتها على الأرض، بينما وقف فوقها بعينين مشبعتين بالغضب والجنون:

"قولتلك إيه أنا على الصوت العالي ده هاه؟ دلوقتي يلا هنروح بيتنا الجديد أنا وإنتِ ونعيش فيه، وبما إنك اتعالجتي هنعيش مبسوطين."

حاولت تخليص نفسها وهي تنظر لإيهاب في الأرض:

"أنا مراته هو مش إنت، أمجد بطل جنان وسيبنا نمشي، سيبني أخده وأمشي من هنا و أوعدك..."

قاطعها صارخًا:

"اخرسي يا حنين وإلا قسمًا بالله هقتله، هدبحه قدامك، صلاح..."

اقترب صلاح منه رفع رقبته ليضع سكين عليها لتصرخ حنين برعب:

"إبعد عنه، أمجد أرجوك أي حاجة غير إنك تضره، أرجوك

نظر إليها بتردد فأكدت هي برعب:

"همشي معاك، هعيش معاك بس سيبه هو، أرجوك سيبه يمشي من هنا وهعمل كل اللي إنت عايزه."

نظر إليها بشك:

"هتمشي معايا؟ "

أومأت برأسها بسرعة و بدموعها التي لم تتوقف، نظرت إلى إيهاب الملقى على الأرض والغائب عن الوعي:

"اه همشي معاك، سيبه أرجوك؟"

نظر إليها أمجد بتردد، ثم أشار لصلاح:

"سيبه خلاص، هاخدها أنا وامشي ولو عصلجت معايا هكلمك تخلص عليه، يلا يا حنون على بيتنا وأوعدك المرادي هنعيش مبسوطين."

سحبها من يدها بعنف، بينما هي تنظر إلى إيهاب الغائب عن الوعي، قلبها ينهار وهي تدرك أن الكابوس بدأ من جديد.

وصلت السيارة إلى بيت منعزل وسط طريق مقطوع، بعيد عن أي مظاهر للحياة. الظلام يحيط بالمكان، وصوت الصمت كان أكثر رعبًا من أي شيء آخر. حنين نزلت من السيارة بخطوات مترددة، قلبها ينبض كأنه سيخرج من صدرها، ودموعها لم تتوقف.

أمجد سحبها من يدها بعنف نحو الباب:

"يلا. ده بيتنا الجديد، وأوعدك إننا هنعيش هنا مبسوطين... بس لو سمعتِ الكلام."

لم تجبه، فقط كانت تبكي بصمت، مما أشعل غضبه. التفت نحوها، ملامحه تغيرت فجأة، وصرخ:

"كفاية عياط! أنا مش مستحمل الصوت ده."

عندما لم تتوقف، رفع يده وصفعها بقوة، لتسقط على الأرض.

"ما قولتلك كفاية! ليه دايمًا بتخليني أعمل كده؟"

حنين نظرت إليه بعينين مليئتين بالخوف، ولم تنطق بحرف. عادت لتشعر وكأنها في الماضي، الكابوس الذي هربت منه عاد ليطاردها بنفس التفاصيل.

"اسمعي الكلام... ومش هيحصل حاجة تزعلك. بس لو فضلتِ تعملي كده... أنا مش مسؤول عن اللي ممكن أعمله."

جرها للداخل وأغلق الباب بقوة، تاركًا حنين غارقة في دموعها وخوفها، تدرك أن كل ما مرت به قد بدأ من جديد.

في الشقة، فتح إيهاب عينيه ببطء، رأسه ثقيلة وكأنه استيقظ من كابوس. للحظات، لم يتذكر شيئًا. نظر حوله ليجد نفسه وحيدًا. فجأة، تذكر الأحداث، وصوت صرخة حنين يتردد في إذنه.

قفز من مكانه كالمجنون، يصرخ باسمها:

"حنين! حنننننين؟"

ركض في أرجاء الشقة، يفتح الأبواب ويتفحص كل زاوية بلا جدوى. يداه كانتا ترتعشان، وعيناه ممتلئتان بالدموع والغضب. ضرب الحائط بقبضته بقوة، صارخًا:

"أنا غبي... غبي! إزاي ما شكيتش فيه؟ إزاي ما فكرتش إن ماهر هو أمجد؟"

جلس على الأرض، يدفن وجهه في يديه للحظة، قبل أن يقف بسرعة ويتحرك بخطوات سريعة نحو الباب:

"مش هسيبها. مش هسيبك تعمل فيها كده تاني!"

وصل إيهاب إلى بيت والد حنين، يطرق الباب بعنف يكاد أن يحطمه. فتح عبد القادر الباب بقلق:

"إيهاب؟ إيه اللي حصل؟ فين حنين؟"

كان إيهاب في حالة يرثى لها، وجهه شاحب وعيناه متسعتان بالرعب. أمسك بكتفي عبد القادر بقوة:

"أمجد! أمجد خطفها... خدها! أنا مش عارف أعمل إيه!قولي أعمل إيه؟"

عبد القادر وقف للحظة محاولًا استيعاب الكلام، ثم ارتفع صوته بالغضب والخوف:

"إزاي ده حصل؟ إزاي رجع؟ أمجد محبوس!"

"أنا غبي... ما فكرتش إنه ممكن يكون هو. عامل نفسه حد تاني، رحنا أنا وحنين الشقة، و... و..." صوته اختنق بالبكاء.

عبد القادر شد قبضته على يد إيهاب:

"اطمن، حنين بنتي. هنلاقيها. بس محتاجين نتحرك بسرعة."

"إزاي؟ هنلاقيها إزاي؟ إنت قولت إنك حبسته! إزاي حبسته؟."

عبد القادر أخذ نفسًا عميقًا، محاولًا تهدئة أعصابه:

"أبو هايدي صحبتها، اللواء محمود هو اللي ساعدني، هنكلمه وهيساعدنا ما تقلقش."

عبد القادر حاول تهدئته وهو يشد على كتفه بحزم:

"اطمن، هنلاقيها. حنين هترجع "

بينما كانا يتحدثان بصوت مرتفع، ظهرت صابرين عند الباب، فسألت بحيرة:

"حنين ترجع منين؟!"

إيهاب وقف مكانه، عاجزًا عن الرد. عبد القادر أجابها:

"أمجد خطفها."

شهقت بصدمة ورددت:

"إيه؟ خطفها؟ وهو خرج امتى من السجن؟ يا رب استرها معاها."

تمالكت نفسها بسرعة وأضافت بثقة:

" أمجد بيحبها مش هيعملها حاجة اطمنوا"

نظر كلاهما إليها بصدمة، تكلم ايهاب اولًا: مش هيعملها حاجة

إزاي؟ بقولك خطفها، بيضربها، بيعتبرها مراته لسه"

علقت صابرين بجمود:

"ماشي بس مش هيعملها حاجة هو.."

صرخ عبدالقادر بها:

" ده ممكن يقتلها ده مجنون، إنتِ إزاي بالبرود ده؟ أنا هكلم محمود أكيد هيعرف يتصرف"

عبد القادر خرج من الغرفة متجهًا نحو هاتفه. وقف بجوار النافذة، يلتقط أنفاسه الثقيلة قبل أن يتصل باللواء محمود.

على الطرف الآخر، جاء صوت محمود واثقًا:

"إزيك يا أبو حنين أخبارك إيه يا راجل؟"

علق عبدالقادر بصوت مرتعب:

"محمود، أمجد خرج و خطف حنين!"

حور، التي كانت خرجت من غرفتها، سمعت اسم أمجد. توقفت مكانها، محاولة استيعاب الكلام، لكن صوت عبد القادر أكمل:

"إحنا لازم نلاقيها بسرعة يا محمود، المجنون ده مش عارف ممكن يعمل فيها إيه؟ إيهاب بيقول إنه بيعتبرها مراته لسه، لازم تساعدني. بنتي حياتها في خطر."

حور اقتربت من والدها، وجهها مصدوم وعيناها ممتلئتان بالدموع"

"أمجد؟ بابا، هو أمجد...؟"

عبد القادر نظر إليها بحزن، ثم أومأ برأسه. انهارت على الكرسي القريب وهي تتمتم:

"حنين... مش ممكن ترجع للكابوس ده. إحنا لازم نلاقيها بسرعة"

وصل اللواء محمود مع فريق من الشرطة إلى منزل عبد القادر. جلس الجميع في غرفة المعيشة بينما بدأ إيهاب بسرد التفاصيل بصوت مبحوح وموجوع.

اللواء محمود نظر إلى أحد الضباط بجواره:

"أول حاجة نتحرك على الشقة اللي كان فيها. لازم نشوف لو فيه أي أدلة أو تسجيلات كاميرات في المنطقة."

دخل الفريق إلى الشقة برفقة اللواء محمود وإيهاب. كانت الشقة مظلمة وباردة، كأنها مهجورة. توجه أحد أفراد الفريق إلى الطاولة حيث وُضعت الكاميرا. بدأ في تشغيل اللقطات التي صورتها حنين.

على الشاشة ظهرت حنين وهي تصور إيهاب في اللحظات الأولى من العمل، ثم لقطة لصلاح وهو يضع العصير أمامهما. وجه صلاح كان واضحًا تمامًا.

اللواء محمود نظر إلى أحد أفراد الفريق:

"عايز صورة واضحة للراجل ده. لازم نبدأ بتتبعه فورًا."

الفريق بدأ في جمع الأدلة، بينما كان اللواء يعطي أوامره بسرعة وحزم:

"نراجع الكاميرات المحيطة بالمنطقة ونشوف إن كان فيه أي تسجيلات له أو للعربية اللي خدها."

إيهاب وقف بجوار عبد القادر، عيناه مليئتان بالحزن والندم:

"لازم نلاقيها. مش هسامح نفسي لو جرالها حاجة."

عبد القادر وضع يده على كتف إيهاب بقوة:

"هنلاقيها... متقلقش."

فريق الشرطة بدأ في مراجعة تسجيلات الكاميرات المحيطة بالمكان. في إحدى التسجيلات، ظهرت سيارة تقف أمام الشقة، ثم يظهر صلاح وهو يحمل حقيبة صغيرة ويضعها في السيارة.

اللواء محمود نظر إلى التسجيلات بحذر:

"ده أول طرف خيط. تتبعوا اللوحات المعدنية للسيارة وشوفوا الأماكن اللي تحركت فيها."

إيهاب، الذي كان يراقب التسجيلات بصمت، تمتم بصوت خافت:

"حنين... استحملي. مش هسيبك."

دخل رجال الشرطة بيت ثناء، والدة أمجد، برفقة اللواء محمود. ارتبكت المرأة فور رؤيتهم، عيناها اتسعتا بخوف واضح:

"في إيه؟ ابني جراله حاجة؟"

اقترب منها محمود بنظرة حازمة:

"ابنك فين أصلًا يا ست إنتِ؟"

هزت رأسها بسرعة، وعيناها تملؤهما الدموع:

"ماعرفش حاجة. ماعرفتش إنه خرج غير لما روحت الزيارة، قالولي خرج."

أحد الضباط استفسر بجدية:

"يعني ما شوفتيهوش ولا مرة؟"

بدأت تفكر في الكذب، لكن الخوف غلبها. قالت بصوت خافت:

"جالي مرة واحدة من كام يوم ومشي."

الضابط أكمل:

"قالك عنوانه؟ أي تفاصيل تساعدنا؟ أي حاجة؟"

هزت رأسها نفيًا مرة أخرى، لكن محمود اقترب منها بنبرة صارمة مهددة:

"بصي، علشان الصورة تبقى واضحة قدامك. ابنك متهم بالخطف، ولو لمس شعرة واحدة منها هياخد إعدام. كل ما نلاقيه قبل ما يتهور ده في مصلحة ابنك. ساعديه بأنك تساعدينا نوصله."

عيناه الثابتتان أوقفت أفكارها للحظات. فكرت في نفسها: "أنا كنت عارفة إنه ممكن يعمل حاجة لحنين... بس يخطفها؟ ليه يا أمجد يا ابني؟ ليه بتضيّع نفسك علشانها؟"

انتبهت على صوت محمود القوي:

"بتفكري في إيه؟ انطقي! تعرفي أي حاجة عنه؟"

أخرجت ورقة صغيرة كانت تخفيها في طيات ملابسها:

"سابلي الرقم ده لو حبيت أكلمه. ده كل اللي أعرفه عنه."

أخذ محمود الورقة بسرعة وأعطاها لأحد رجاله:

"ابحثوا عن الرقم فورًا. مش عايزين نضيع وقت."

وصلت الشرطة إلى بيت أميرة، أخت أمجد، وطرقوا الباب بقوة. فتحت وهي تمسك بطنها بحذر، ملامحها تعكس توترًا واضحًا. عندما رأت اللواء محمود ومعه عبد القادر وإيهاب، بدت مرتبكة.

محمود، بنبرة حادة: "أميرة، عايزين نعرف أمجد كان هنا ولا لأ؟"

نظرت إليهم بتردد قبل أن ترد بصوت خافت:

"معرفش عنه حاجة، هو جالي وهددني من كام يوم... كان هيئذيني... بس لما عرف إني حامل سابني ومشي. والله ما عندي أي فكرة هو فين دلوقتي."

عبد القادر اقترب منها وأمسك يدها بلطف، نظراته مليئة بالرجاء:

"أرجوكِ، فكري كويس. تفتكري ممكن يكون فين؟ ساعدينا."

إيهاب بدوره اقترب، صوته كان يختنق بالدموع:

"لو تعرفي أي حاجة قوليها. أنا بس عايز مراتي ترجعلي."

قبل أن ترد، دخل أحمد، زوجها، إلى الغرفة، متفاجئًا بوجود الشرطة. نظر إلى أميرة بقلق وسأل:

"في إيه؟ ليه البوليس هنا؟"

أجابته بسرعة محاولة تهدئته:

"أمجد خطف حنين... وهم جايين يسألوني عنه."

ثم التفتت نحو إيهاب، نظراتها مليئة بالأسف:

"أنا عارفة أمجد قد إيه مجنون، بس والله ما أعرف عنه حاجة. لو كنت أعرف، كنت ساعدتكم."

محمود استمر في استجوابها:

"فكري كويس. تفتكري أخدها فين؟ عندكم ممتلكات فين؟ شالية، عيادة، أرض، أي مكان ممكن يستخبى فيه؟"

أميرة حاولت التفكير لوهلة، ثم بتردد:

"زمان قال إنه عنده شالية في الساحل... بس أنا معرفش مكانه، ولا أعرف إذا كان بيهزر وقتها ولا بيتكلم جد."

أنهى محمود الحديث وأشار للجميع بالخروج. بعد أن أغلق أحمد الباب، توجه إلى أميرة وضمها بحنان وهو يسأل:

"إنتِ كويسة؟ طمنيني عليكِ."

أجابته بابتسامة مطمئنة:

"أنا بخير... بس أبو حنين وجوزها... قلبي واجعني عليهم. مرعوبين عليها."

أحمد دعا بإخلاص:

"إن شاء الله هيرجعوها بالسلامة."

انتشر خبر اختطاف حنين من قِبل زوجها السابق

هايدي ومعتز توجها فورًا لبيت عبدالقادر، كان التوتر واضحًا على وجهيهما، خاصة معتز الذي كان يحاول التخفيف عن حور بكل الطرق الممكنة.

وقف بجانبها وهي تبكي، يربت على كتفها بحنان:

"متقلقيش يا حور، حنين قوية. هنلاقيها... وأمجد مش هيقدر يأذيها."

بينما كان يحاول تهدئتها، لاحظ مشاعره تتغير. لم يعد يرى حور كما كان يظن من قبل. نظراته إليها أصبحت مليئة بالحنان الأخوي، وكأنها جزء من عائلته. شعر وكأنه أمام أخته الصغيرة هايدي، نفس الحب البريء، نفس الرغبة في حمايتها.

بينما كان يقف هناك، تذكر فجأة نورا وضحكتها التي دائمًا ما كانت تسحره. ابتسم بصمت، وكأنه وجد الإجابة على مشاعره المشتتة طوال الفترة الماضية. في تلك اللحظة، قرر بصمت:

"أول ما ترجع حنين بالسلامة، هعلن خطوبتي على نورا. ده الوقت المناسب."

نظرت إليه هايدي بدهشة، لاحظت ابتسامته المفاجئة:

"بتفكر في إيه؟"

رد عليها بهدوء:

"في إن ربنا كبير، وإن كل حاجة هتتصلح قريب."

نظر إلى حور مرة أخرى، ثم أكد لنفسه:

"حنين هترجع... وكل حاجة هتبقى زي ما المفروض تكون."

بمجرد أن وصل الخبر إلى حمزة، لم يفكر مرتين. ترك كل شيء واتجه مباشرة إلى حور. وجدها جالسة على الأريكة، عيناها محمرة من البكاء، تحاول السيطرة على مشاعرها. جلس بجانبها وأمسك بيدها بحنان:

"حنين هترجع، متقلقيش. إحنا مش هنسكت لحد ما نرجعها."

نظرت إليه بعينين مليئتين بالقلق والدموع، لكنه استمر في طمأنتها بكلماته الهادئة.

بينما كان يحاول تهدئتها، لاحظ وجود معتز. كان يقف قريبًا، يتحدث مع حور بطريقة ودودة جدًا. شعور خفيف من الغيرة بدأ يتسلل إلى حمزة، لكنه سرعان ما حاول السيطرة عليه.

ظل يراقب معتز من بعيد، يحاول فهم تلك العلاقة. لكن لاحقًا، لاحظ أن نظرات معتز لحور كانت مختلفة. كانت مليئة بالحنان الأخوي، وكأنه يتحدث إلى أخته الصغيرة.

في تلك اللحظة، سمع معتز يتحدث في الهاتف مع نبرة مختلفة تمامًا:

"اطمني يا حبيبتي، هطمن بس على حور وهاجي الصيدلية... متقلقيش يا نورا."

كانت نبرته مليئة بالدفء والحنان. فهم حمزة أن المكالمة كانت

مع حبيبته. استرخى، وشعر بالراحة عندما أدرك أن معتز لا ينظر إلى حور بأي طريقة غير أخوية.

عاد ليمسك يد حور مرة أخرى وبهدوء:

"حنين قوية، وهترجع بخير... وأنا هنا جنبك مهما حصل."

دعاء وسمير: شعور بالحزن العميق خيم عليهما، بينما جلسا يتحدثان عن الكابوس الذي تعيشه حنين من جديد.

سارة: عرفت بالخبر من زهير، وظهرت عليها الصدمة. حاولت النهوض للذهاب إليهم، لكن زهير منعها:

"لا، تعبك مش هيسمح. خليكِ معايا."

ضمها إليه في حضنه محاولًا تهدئتها:

"حنين قوية، وهترجع بخير."

جلست حنين في زاوية الغرفة، عيناها منتفختان من البكاء، وجسدها منهك. وجهها يحمل آثار الكدمات، وشفتها متشققة من الضرب. كانت ترتجف، تتمنى أن ينتهي هذا الكابوس.

دخل أمجد الغرفة بخطوات واثقة، عيناه مشتعلة بالجنون. تقدم نحوها ببطء، ونبرة صوته منخفضة لكنها تحمل تهديدًا خفيًا:

"حنين... إحنا هنبدأ صفحة جديدة. أنا رجّعتك لبيتنا، خلاص، ما فيش حاجة تزعجنا."

رفعت رأسها بصعوبة، نظرت إليه بعينين مليئتين بالخوف والاحتقار:

- "أنت مش طبيعي... مش هتقدر تخلي حياتي معاك طبيعية."

كلماته تحولت إلى غضب مفاجئ، اقترب منها ورفع يده ليصفعها مجددًا:

- "كفاية عياط بقى! أنا بحاول أصلّح كل حاجة وإنتِ... إنتِ اللي بتدمريها!"

مع كل صرخة منها أو رفض، كانت يده ترتفع مرة أخرى. وجهها أصبح لونه أزرق من كثرة الضرب، وعيناها تغمضان ببطء حتى فقدت الوعي.

أفاقت على صوت أنفاسه القريبة. فتحت عينيها ببطء لتجده جالسًا بجوارها على السرير، يراقبها بعينين غريبتين. اقترب منها، يمد يده نحو وجهها ليمسح الدم عن زاوية فمها، لكنه همس بنبرة هادئة كأنها ليست جزءًا من الواقع:

- "أنا آسف... مش عايز أزعلك. إحنا لازم نبقى مع بعض، ده قدرنا."

شعرت برعب يتصاعد داخلها. دفعت يده عنها بقوة رغم ضعفها وصرخت:

- "إبعد عني! مش هكون ليك أبدًا!"

حاول إمساكها لكنها بدأت تدافع عن نفسها باستماتة، تضربه بيديها الضعيفتين وتحاول الابتعاد عنه. صرخت بكل ما تبقى لديها من قوة:

- "أنا مش بتاعتك! مش هسمحلك تقرب مني!"

لكنه أمسك بيديها بقوة وأمسك وجهها بيده الأخرى، عيناه تحملان مزيجًا من الغضب واليأس:

- "إنتِ ملكي. غصب عنك وعن الدنيا كلها!"

بدأت حنين تحرك رأسها على السرير محاولة الإفلات، تصرخ بألم وهي تنظر إليه بتحدٍ:

- "قتلت روحي زمان، ومش هسمحلك تموتني تاني... إبعد عني يا أمجد!"

بعد تحقيقات مكثفة، تمكنت الشرطة من العثور على صلاح، مساعد أمجد، الذي تبين أنه كان زميله في السجن. اللواء محمود أمر بوضعه تحت المراقبة.

تم وضع الرقم الذي حصلت عليه الشرطة من ثناء تحت المراقبة ايضًا، تلقى إشارة عندما فتح أمجد الهاتف واتصل بصلاح. المكالمة كانت قصيرة، لكن مضمونها كان واضحًا:

"أخبارك إيه؟ الدنيا عاملة إيه حواليك؟"

"هادية، كله تمام. محدش واخد باله."

"تمام. اسمع، هبعتلك رسالة فيها شوية أدوية، محتاجهم ضروري. هتجيبهم وتوصلهم زي ما اتفقنا."

فور انتهاء المكالمة، بدأت الشرطة بمراقبة تحركات صلاح عن كثب دون أن تشعره بأي شيء.

صلاح استلم رسالة من أمجد تحتوي على قائمة بها بعض الأدوية،

تحرك نحو صيدلية قريبة لشراء الطلبات. الشرطة كانت تراقبه على مسافة آمنة، ترصد كل خطوة.

قاد صلاح سيارته إلى منطقة معزولة، حيث كان أمجد ينتظره. سلم الحقيبة بسرعة، وأمجد سأله بلهجة عصبية:

"إنت متأكد إن محدش شايفك؟"

"أيوة، كله تمام. خليك مطمن."

لم يكن صلاح يعلم أن الشرطة ترصد كل شيء، وتنتظر اللحظة المناسبة لتحديد مكان أمجد بدقة.

بعد مغادرة صلاح تم القبض عليه، ثم استمرت الشرطة في تتبع أمجد. كان التحرك بطيئًا وحذرًا، حتى عاد إلى موقع حنين مجددًا. اللواء محمود أعطى إشارة للبدء بالمداهمة فور التأكد من وجود حنين في الداخل.

"جاهزين؟ الدخول بهدوء. الأولوية إنقاذ حنين."

الشرطة داهمت المكان فجأة، لتجد حنين في حالة من الإنهاك الشديد، وجهها يحمل آثار المعاناة. أمجد حاول الهرب، لكنهم تمكنوا من السيطرة عليه بسرعة.

أثناء تفتيش المكان، عثروا على الحقيبة التي أحضرها صلاح. اللواء محمود نظر إلى أحد الضباط وقال بحدة:

"شوف الأدوية دي. واعرفوا كان ناوي يعمل بيها إيه؟."

نُقلت حنين إلى المستشفى على الفور لتلقي الرعاية. الأطباء أكدوا

أنها بخير، لكنها بحاجة إلى الراحة والمتابعة بسبب الإرهاق والتعب الشديد.

في غرفة المستشفى، كان الهدوء يعم المكان، وكأن كل شيء متوقف في انتظار هذا اللقاء. حنين كانت مستلقية على السرير، جسدها مرهق، وجهها شاحب، لكن عيناها تحملان بقايا الحياة. الباب يُفتح ببطء، وظهر إيهاب، عيناه مليئتان بالدموع، خطواته ثقيلة وكأن قلبه يحمل آلاف الكلمات التي لم تُقال.

تقدم نحوها ببطء، وعندما اقترب منها ورآها بوضوح، سقط على ركبتيه بجانب السرير، عيناه لا تفارقان وجهها. أمسك يدها بلطف وكأنها كنز فقده وعثر عليه من جديد، وصوته خرج مختنقًا بالدموع:

"حنين... حبيبتي، أنا هنا... سامحيني، أنا اتأخرت عليكِ."

عيناها فتحتا ببطء، لتقع نظرتها على وجهه. شعرت للحظة وكأنها لا تصدق أنه أمامها. دموعها بدأت تتساقط بصمت، ويدها ارتفعت ببطء لتلمس وجهه، تتحقق من أنه ليس حلمًا:

"إيهاب... ده إنت؟ إنت فعلًا هنا؟"

أمسك يدها ووضعها على وجهه، قبّل كفها بحب وكأنه يعتذر لها بكل خلية في جسده:

"أنا هنا، حنين... مش هبعد عنك تاني أبدًا، وعد مني. انتهى كل شيء، انتهى الكابوس."

حنين بدأت تبكي بصوت متقطع، وشهقاتها كانت تخرج بصعوبة:

"كنت فاكرة... مش هشوفك تاني... كنت فاكرة ده آخر حاجة... إيهاب، أنا كنت..."

لم يدعها تكمل، اقترب منها واحتضنها بحنان، وكأنه يريد أن يمحو كل ما حدث، أن يحميها من كل شيء في العالم. صوته كان مرتعشًا، لكن كلماته كانت مليئة بالحب:

"مش هيحصل ده تاني. أنا هنا، وإنتِ معايا، ومحدش في الدنيا هيقدر يبعدك عني."

بكت بين ذراعيه، أنفاسها متقطعة، لكن قلبها بدأ يستعيد نبضه مع وجوده. همست بصوت مكسور لكنها تحمل فيه أمانًا لأول مرة منذ فترة طويلة:

"كنت بموت كل لحظه بعيد عنك... كنت بدعي أشوفك، حتى لو دقيقة واحدة."

رفع وجهها برفق، عينيه مليئتان بالحب الذي لا يمكن أن يُوصف بالكلمات:

"وإنتِ حياتي كلها. أنا اللي كنت بموت كل ثانية وإنتِ مش جنبي. مش هسيبك تاني، وعد."

قبل جبينها بلطف، عينيه تغرقان بالدموع التي تنطق بحبه الكبير. وضعت رأسها على صدره، تستمع لنبضات قلبه التي كانت كل ما تحتاجه لتشعر بأنها في أمان.

همست أخيرًا وهي تغمض عينيها:

"معاك... أنا بخير."

ظل يحتضنها، وكأنهما يعيدان بناء العالم من حولهما، عالمهما الذي لا مكان فيه للألم أو الخوف.

بعد لحظات مليئة بالعاطفة بين إيهاب وحنين، شمع صوت الباب يُفتح مجددًا. دخل عبد القادر وصابرين بخطوات سريعة، وعيناهما تحملان مزيجًا من القلق والفرح.

عبد القادر لم ينتظر لحظة، اقترب من السرير بسرعة واحتضن حنين بقوة، دموعه تنساب بغزارة:

"بنتي... يا حبيبتي، كنت خايف ما أشوفكيش تاني. الحمد لله إنك رجعتيلي."

حنين ردت الحضن بصعوبة، صوتها كان ضعيفًا لكنه مطمئن:

"أنا هنا يا بابا... خلاص، انتهى الكابوس."

صابرين وقفت بجانبها، وبابتسامة عريضة:

"الحمد لله... الحمد لله على سلامتك، يا حنين.."

هايدي ومعتز دخلا معًا، هايدي هرعت لتجلس بجانب حنين، تمسك يدها وتبتسم وسط دموعها:

"أنتِ بطلة يا حنين. كنت واثقة إنك هترجعي لنا."

معتز، بابتسامة مشجعة وهو يقف بجانب السرير:

"حمد لله على سلامتك يا حنوون. وحشتينا قوي."

ثم أضاف بمرح محاولًا تخفيف الجو:

"حتى نورا كانت بتسأل عليكِ كل يوم."

حور وقفت على الباب للحظة، ثم دخلت بخطوات هادئة. نظرت إلى حنين بعيون ممتلئة بالدموع قبل أن تقترب وتعانقها:

"ما كنتش بقدر أنام وأنا بفكر فيكِ. الحمد لله إنك بخير."

حمزة وقف خلفها، يضع يده على كتف حور، ثم بابتسامة مطمئنة:

"حمد لله على سلامتك يا حنين. كلنا كنا مستنيين اللحظة دي."

دعاء وسمير دخلا أيضًا، سمير اكتفى بابتسامة دافئة وهو يقول:

"بترجعي البسمة للعيلة كلها يا حنين. حمد لله على سلامتك."

دعاء أمسكت يدها بلطف:

"بنعمة ربنا، كل حاجة هترجع زي الأول وأحسن."

حتى سارة، التي عرفت الخبر، أرسلت زهير ليطمئن عليها بعدما منعها تعبها من الحضور. زهير وصل بابتسامة وهو يقول:

"سارة بعتاني أقولك إنها فرحانة جدًا إنك بخير، وما كانتش مستحملة ما تشوفكيش بنفسها."

الغرفة امتلأت بالأصوات الدافئة والدعوات، الجو كان مليئًا بالحب والفرحة بعودة حنين. إيهاب كان يجلس بجانبها طوال الوقت، يبتسم وهو يرى الحب الذي يحاصرها من كل مكان.

همست حنين لنفسها بابتسامة ضعيفة:

"أنا فعلًا محظوظة... بأهلي، وأصحابي، وإيهاب."

الغرفة أصبحت مزيجًا من الضحكات والدموع، ولكنها هذه المرة دموع فرح وراحة.

بينما كانت الأجواء مليئة بالحب والراحة في غرفة المستشفى، دخل اللواء محمود بخطوات واثقة، وجهه يعكس ارتياحًا واضحًا. الجميع صمت في انتظار ما سيقوله.

اللواء محمود، بابتسامة خفيفة: "حبيت أطمنكم بنفسي... كابوس أمجد انتهى خلاص. المرة دي هياخد مؤبد، ومش هيشوف النور تاني."

الجميع تنفس الصعداء، وبدأت همسات الشكر تتعالى في الغرفة. اقترب اللواء محمود من عبد القادر وربت على كتفه بحنان:

"الحمد لله إننا رجعناها لكم. هي قوية... وأنتو كلكم كنتم أقوياء عشانها."

قبل أن يغادر، توقف فجأة وقال بنبرة جدية:

"على فكرة، كان فيه حاجة غريبة في الأدوية اللي طلبها أمجد من صلاح. كانت أدوية للإجهاض."

الجملة سقطت كالصاعقة على من في الغرفة. الجميع نظر لبعضه باستغراب وصدمة، خاصة إيهاب وحنين. عينا حنين امتلأتا بالدهشة، وأمسكت بيد إيهاب بارتباك واضح.

إيهاب، بنبرة خافتة وملامح مشدوهة: "إجهاض؟... ليه؟"

حنين لم تستطع النطق، فقط نظرت إليه بخوف ممزوج بحيرة. محمود شعر بالارتباك للحظة ثم أضاف قبل أن يغادر:

"معرفش أنا بس ببلغكم باللي لقيته."

عبدالقادر طلب الدكتور يطمنهم،لم يمر وقت طويل حتى دخل الطبيب، يحمل ملامح مطمئنة وهو يبتسم:

"اطمنوا كلكم الحالة الصحية لحنين ممتازة... هي بخير، محتاجة راحة شوية، لكن بخير."

إيهاب، الذي كان يجلس بجوارها، سأل بلهفة:

"بس... اللي خاطفها كان معاه ادوية للاجهاض... ده معناه إيه؟"

ابتسم الطبيب ابتسامة خفيفة و بهدوء:

"حنين حامل. لكن ما تقلقوش، الحمل بخير. أعتقد إنها كانت في بداية حملها، وده اللي خلاها ما تحسش بيه. محتاجين بس نتابع حالتها كويس."

الجملة ملأت الغرفة بصمت مفاجئ. عينا إيهاب توسعتا من الصدمة، بينما حنين وضعت يدها على بطنها ببطء، تحاول استيعاب الخبر.

حنين، بصوت خافت مليء بالمشاعر: "حامل؟!"

إيهاب أمسك يدها بقوة، وجهه يتحول بين الذهول والسعادة الغامرة:

"بجد؟ إحنا... إنتِ حامل؟"

بدأت دموع حنين تنهمر، لكنها هذه المرة كانت دموع فرح. أومأت برأسها بخجل، بينما إيهاب انحنى ليقبل يدها بحب عميق:

"دي أحلى هدية ممكن تجيلنا بعد كل اللي عيشناه."

هايدي قفزت بسعادة وهي تقول:

"ده معناه إن العيلة كبرت رسمي!"

الجميع انفجر بالضحك والفرح، وأصبحت الغرفة مليئة بالمشاعر الإيجابية التي محت كل آثار الألم الذي مروا به.

بعد خروج حنين من المستشفى وتعافيها، اجتمع الجميع للاحتفال بحياة جديدة مليئة بالفرح والأمل.

قررت هايدي وعلاء أخيرًا إقامة زواجهما الذي طال انتظاره بعد كل الأحداث الصعبة. الزينة كانت تملأ المكان، والابتسامات لم تفارق وجوه الجميع. حنين، التي استعادت عافيتها، حضرت بجانب إيهاب، وكانت الابتسامة لا تفارق وجهها. معتز ونورا شاركا الجميع فرحتهم، والجميع شعر وكأن الفرحة تعوضهم عن كل الألم السابق.

قرر معتز أخيرًا إعلان خطوبته على نورا. أقاما حفلًا بسيطًا مليئًا بالمرح، وكان واضحًا أن السعادة تغمرهما. نورا لم تتوقف عن المزاح مع الجميع، ومعتز ظل يضحك طوال الوقت وهو ينظر إليها وكأنها كل ما كان يبحث عنه.

إيهاب أكمل دراسته في كلية الفنون الجميلة بتفوق، ليبدأ حياته المهنية مع د. كمال في شركته الكبيرة. أصبح لديه وضع مختلف

تمامًا، وتحولت نظرات الناس إليه من شفقة إلى احترام. حنين كانت دائمًا بجانبه، تدعمه في كل خطوة، وفخورة بالتحول الكبير في حياته.

على الجانب الآخر، ظلت قدرية تعيش وحدها، غارقة في قهرها وحزنها. تزور مازن أحيانًا، لكن للأسف مازن كان يتهرب منها، يطلب من الخدم أن يضيفوها ويضعوا لها الطعام بينما يختفي عنها. كانت تجلس وحدها تبكي، تندم على كل شيء خسرته، خاصة إيهاب، الذي كان أكثر من مجرد ابن لها.

هبة، شقيقة إيهاب، تقدم لها زميلها في الشركة، شاب خلوق ومجتهد. العائلة احتفلت بزفافها وسط أجواء مليئة بالحب والدموع.

في قاعة الزفاف المليئة بالأضواء والزينة، وقفت هبة بفستانها الأبيض، تشع جمالًا وسعادة. قدرية كانت بجانبها، مشاعرها متناقضة بين الفرح لزواج ابنتها والحزن لأنها ستفارقها بسفرها مع زوجها:

"فرحانة بيكِ يا هبة، بس هتوحشيني... هتبقي بعيدة عني."

هبة طمأنتها بابتسامة دافئة، بينما عيناها تمتلئان بالدموع:

"هتكوني دايمًا في قلبي يا ماما، وهبقى آجي زيارات."

دخل مازن وزوجته رانيا إلى القاعة. كان تعامله مع الجميع باردًا، حتى مع هبة. سلم عليها وقدم لها هدية ثمينة، لكن بروده كان واضحًا، مما جعلها تبتسم له بابتسامة رسمية.

عندما اقترب من قدرية، ألقت عليه نظرة عتاب:

"مازن، ليه ما بتسألش عني؟ ما بتجيش تزورني أبدًا."

رد عليها ببرود وهو ينظر بعيدًا:

"مش فاضي، الشغل واخد كل وقتي."

دخل إيهاب إلى القاعة ممسكًا بيد حنين التي بدأ الحمل يظهر عليها، مما زادها جمالًا وأضفى عليها هالة من السعادة. كانت ابتسامتهما تلفت الأنظار إليهما، وكان واضحًا أن إيهاب أصبح أكثر إشراقًا وأناقة، حيث اختفت ملامح الإرهاق والتعب التي كانت تلازمه.

مازن لاحظ هذا التغيير في إيهاب، ونظراته تملؤها الاستغراب:

"ياما نفسي أعرف إيه الحب ده كله؟ إزاي واحدة زيها تحبه بالشكل ده؟ "

اقترب إيهاب من هبة ليبارك لها:

"ألف مبروك يا هبة، يارب يتمملك بخير يا روحي وربنا يسعدك دايمًا يارب."

هبة كانت سعيدة جدًا بحضوره:

"يارب يا حبيبي،مبسوطة قوي إنك جيت يا إيهاب، وجودك معايا أهم حاجة في اليوم ده."

مازن تقدم ببطء نحو إيهاب، وسلّم عليه بفتور.

"واضح إن شكلك اتغير كتير."

إيهاب ابتسم بخفة:

"كل حاجة بتتغير يا مازن."

مازن بنبرة تحمل استفزازًا:

"لسه نقاش زي ما إنت؟"

إيهاب ضحك بسخرية، تركه دون إجابة ومشى مع حنين، مما جعل مازن يشعر بالحرج.

رانيا بجانب مازن سألته بفضول:

"هو مين ده يا مازن؟ تعرفه؟ "

نظر تجاه أخيه وببرود:

"حد مش مهم ما تشغليش بالك"

رن هاتفه فابتعد ليجيبه بينما توجهت رانيا لإيهاب وحنين

فهي كانت تتابع إيهاب منذ فترة، تعشق طريقة رسمه كما إنها تابعت قصة كفاحه هو وزوجته وتحوله من مجرد عامل للدهان إلى ماهو عليه الآن، اقتربت منه ومن حنين بابتسامة:

"أنا بحب فنك جدًا وبحب طريقة رسمك وفوق كل ده بحب حبكم لبعض"

ضحك ثلاثتهم ثم أضافت بخجل:

" ممكن أتصور معاكم؟"

حنين رحبت بلطف:

"طبعًا، شرف لينا."

بعدما التقطت الصورة، سألتهم بعفوية:

"إيه المناسبة اللي خلتكم تيجوا الفرح؟"

إيهاب أجاب بابتسامة:

"ده فرح أختي، هبة."

رانيا صُدمت للحظة، واستوعبت أن إيهاب هو شقيق مازن. عقلها بدأ يعيد كل كلام مازن وتصرفاته، وربطت بين أكاذيبه واستغلاله.

انسحبت بهدوء، واتجهت نحو هبة، سألتها بهدوء:

"هبة قوليلي هو إيهاب... كان استغلالي وعاطل؟"

هبة نظرت إليها بدهشة، ثم بحزم:

"إيهاب؟ استغلالي؟! ده ضحى بكل حاجة في حياته علشاننا. لولاه ما كنتش أنا ومازن وصلنا للي إحنا فيه."

رانيا استوعبت الحقيقة أخيرًا،فشخصية مازن واضحة لها، هو أناني ومتسلق، شعرت بصدمة كبيرة.

بعد انتهاء الفرح، عادت رانيا مع مازن إلى المنزل. بمجرد دخولها، انفجرت فيه بغضب:

"إنت كداب! ضحكت عليا من أول يوم. قلتلي إنك شايل العيلة كلها، وإن إيهاب أناني، وهو اللي ضحى بكل حاجة عشانكم!"

مازن حاول التهرب، لكنه رد ببرود:

"إيه أهمية الموضوع ده دلوقتي؟ كلنا عايشين حياتنا."

رانيا صرخت في وجهه:

"أهمية الموضوع؟ أنا اتجوزت إنسان أناني ومستغل! إنت حتى مش بتسأل على أمك! إنت مش بتحب أي حد يا مازن، إنت مش بتحبني أنا "

مازن، ببرود أكثر:

"إنتِ عايزة إيه دلوقتي؟ خلينا ننام وورانا شغل بدري "

تحرك من مكانه لتوقفه مجددًا:

" إنت اتجوزتني علشان توصل لبابا ولشغلك في المستشفى صح؟"

تنهد مازن بنفاذ صبر:

" رانيا لو سمحتِ سيبيني في حالي يا روحي، واعملي اللي يريحك."

تحرك بعيدًا بينما رانيا وقفت للحظة، ثم بصوت هادئ لكنه مليء بالحزم:

"عايزة الطلاق يا مازن. مش هستحمل أعيش معاك يوم زيادة."

مازن نظر إليها دون اكتراث:

"براحتك."

رانيا شعرت براحة بعد قرارها، بينما بقي مازن عالقًا في أنانيته، غير مدرك للثمن الذي يدفعه بخسارته للأشخاص من حوله. أما إيهاب، فقد واصل حياته مع حنين، وأصبح مثالًا يحتذى به للقوة والنجاح.

في منزل عبد القادر وصابرين، بدأت الحياة تأخذ طابعًا باردًا. صابرين شعرت أن عبد القادر لم يعد يهتم بها كما كان في السابق. صارت أيامهما مليئة بالصمت، والحب الذي كان بينهما تلاشى تدريجيًا. صابرين، التي كانت دائمًا الزوجة المثالية أو هي من اعتبرت نفسها هكذا، أصبحت تشعر بالفراغ العاطفي فعبدالقادر ابتعد عنها بمشاعره تمامًا، لكنها قررت أن تتحمل وتنتظر أي فرصة لإعادة دفء العلاقة.

كانت غرفة الولادة مليئة بالتوتر والقلق. سارة مستلقية على السرير، تمسك بيد زهير بقوة، ودموع الخوف تملأ عينيها. بجانبها، كانت والدتها تجلس محاولة تهدئتها، بينما زهير كان يقف بجانبها، وجهه ممتلئ بالقلق لكنه يحاول أن يظهر الثبات.

سارة، بصوت مرتجف: "زهير... أنا مرعوبة... خايفة جدًا."

اقترب زهير منها، وأمسك وجهها بين يديه، نظر إليها بعينين مليئتين بالحب والاطمئنان:

"أنا جنبك، مش هسيبك لحظة.."

ثم انحنى ليحتضنها بحنان وهمس في أذنها:

"هتفضلي في حضني طول حياتك، وعد مني."

ابتسمت رغم دموعها، وشعرت ببعض الطمأنينة في كلماته.

بدأت أصوات الأطباء تملأ الغرفة، وكانت سارة تصرخ من الألم بينما زهير يمسك بيدها بقوة:

"أنا معاكِ يا حبيبتي... شوية كمان وهتشوفي ابننا."

أخيرًا، ملأ صوت بكاء الطفل الغرفة، وجوه الأطباء تملأها الابتسامة.

الطبيب، بابتسامة: "مبروك، جالكوا ولدا!"

زهير لم يتمالك دموعه، اقترب الطبيب وسلمه الطفل، زهير احتضنه بحنان وكأن العالم كله بين يديه.

زهير، وهو ينظر للطفل: "ده ابننا، سارة... ده أغلى حاجة في حياتي."

اقترب منها، قبل جبينها:

"شكراً ليكِ، على أحلى هدية في حياتي."

عاد زهير وسارة مع الطفل إلى منزلهم. كان زهير يحمل الطفل بين ذراعيه، بينما سارة تسير بجانبه وابتسامتها لا تفارق وجهها.

زهير وضع الطفل في حضن سارة، ثم احتضنهما معًا وهمس لها:

"ده بيتنا، عيلتنا، وإنتِ هتفضلي في حضني أنا وابننا طول العمر."

سارة نظرت إليه بامتنان وحب، وشعرت بأنها أخيرًا وجدت الأمان الحقيقي في حياتها.

كان إيهاب يجلس في مرسمه في شقته الجديدة في منطقة راقية، ينظر إلى إحدى لوحاته بتفكير عميق. طرق الباب بصوت خافت، فتحه ليجد قدرية تقف أمامه، وجهها يحمل آثار الحزن والندم.

قدرية، بصوت متردد: "إيهاب... إزيك يا حبيبي،هبة أختك عطتني عنوانك الجديد، ما شاء الله ربنا يزيدك،ممكن أدخل؟ "

فتح لها الباب دون تردد، لكنها لم تستطع أن تنظر في عينيه مباشرة. جلست بهدوء على الكرسي، تنظر إلى الأرض وكأنها تحمل فوقها ثقل سنين طويلة.

قدرية، بصوت مليء بالندم: "إيهاب... مش عارفة أبدأ منين. بس... أنا آسفة. آسفة على كل مرة جرحتك فيها، على كل كلمة قلتها وجعتك، وكل مرة حسستك إنك مش كفاية. أنا... كنت غلطانة."

صمتت للحظة، ثم تابعت بصوت أكثر ارتعاشًا:

"هبة سافرت، ومازن... مازن مابيسألش علي. أنا لوحدي يا إيهاب. والوحدة دي بتوجع أكتر من أي حاجة. طول عمري كنت فاكرة إني قوية، بس الحقيقة إني ضعيفة. ضعيفة من غيرك. سامحني يا ابني، مش عارفة أعيش مع إحساسي بالذنب."

رفعت رأسها إليه، عيناها مغرورقتان بالدموع، وواصلت بصوت مكسور:

"كل مرة كنت بقسى عليك، كنت بحاول أقنع نفسي إنك السبب في كل حاجة غلط. بس إنت كنت الوحيد اللي شايلنا كلنا. لولاك،

ما كناش وصلنا لأي حاجة. أنا ندمانة على كل لحظة خذلتك فيها سامحني يا إيهاب."

إيهاب شعر بغصة في قلبه، تأثر بكلماتها التي لم يتوقع أن يسمعها منها أبدًا. اقترب منها، نظر في عينيها بحب وحنان ممزوجين بالألم و بصوت مختنق:

"إنتِ أمي... ومهما عملتي، عمري ما أقدر أشيل في قلبي حاجة عليكِ لكن... كان نفسي تحسي بيا بدري. كان نفسي تسمعي لما حاولت أقولك إنك كل حاجة ليّ."

دموعها لم تتوقف، أمسكت بيده وهي تبكي بحرقة:

"سامحني يا إيهاب. أنا غلطت في حقك كتير، بس ما كنتش فاهمة غير لما خسرت كل حاجة حواليّ.معرفتش قيمتك غير لما بعدت عني، سامحني يا روحي وحبيبي وسندي"

إيهاب تأثر أكثر بكلماتها، وشعر بأن كل الجروح القديمة تلتئم في تلك اللحظة. احتضنها بحنان:

"سامحتك من زمان، حتى قبل ما تطلبي. إنتِ أمي، ولو كل الدنيا وقفت ضدك، أنا هفضل معاكِ."

قدرية بكت في حضنه وكأنها تفرغ كل أوجاعها، بينما كان يربت على ظهرها، وعيناه ممتلئتان بالدموع التي لم يسمح لها بالسقوط.

كانت تلك اللحظة مليئة بالمشاعر الصادقة، حيث انتهت سنوات من الجفاء والندم بين الأم وابنها. بدأت علاقة جديدة، مبنية على الحب الحقيقي والتسامح الذي يزيل كل الألم.

انضمت حنين لهما ولاحظت ملامح وجه قدرية المتوترة وعيناها مليئتان بالندم.

علقت حنين، بابتسامة خفيفة: "أهلًا يا طنط، عاملة إيه؟."

نظرت إليها قدرية وكأن الكلمات تخونها. أخذت نفسًا عميقًا، ثم قالت بصوت مكسور:

"حنين... أنا مش عارفة أبدأ منين، بس أنا عايزة أقولك... آسفة."

حنين نظرت إليها بتعجب:

"آسفة؟ على إيه؟"

اقتربت قدرية وجلست أمامها، ثم تابعت بصوت مليء بالندم:

"على كل مرة جرحتك فيها، وكل كلمة قلتها وأذتك. أنا كنت ظالمة... حاولت أفرق بينك وبين إيهاب، كنت فاكرة إنك مش كفاية ليه. بس الحقيقة... الحقيقة إنك كنت أحسن حاجة حصلت له، ولينا كلنا."

عين قدرية بدأت تمتلئ بالدموع، ثم أضافت وهي تحاول أن تسيطر على ارتعاشة صوتها:

"حنين، أنا غلطت في حقك كتير. كنت شايلة في قلبي حاجات مالهاش أي معنى، وكل اللي عملته كان ظلم ليكِ. أنا مش هعرف أسامح نفسي إلا لما تسامحيني."

مدت يدها لتقبّل يد حنين، لكن حنين سحبت يدها بسرعة وهي تهز رأسها:

"لا يا طنط، مش محتاجة تعملي كده."

حنين أمسكت بيد قدرية بلطف، و بابتسامة دافئة:

"أنا مش زعلانة منك. الحب اللي بيني وبين إيهاب أكبر من أي حاجة. كان صعب في الأول، لكن كل حاجة بتعدي لما نكون مع بعض."

قدرية بكت بصوت مكتوم:

"إنتِ طيبة أوي يا حنين. أنا عمري ما شفت حد زيك، إنتِ اللي بتستاهلي تكوني معاه."

حنين ابتسمت، و بصوت هادئ مليء بالحب:

"إحنا عيلة واحدة دلوقتي. مفيش حاجة هتفرقنا تاني."

قدرية شعرت وكأن حملًا ثقيلًا أزيح عن قلبها. في تلك اللحظة، أدركت أنها كسبت ابنة جديدة، وحنين أثبتت أن التسامح والحب يمكن أن يغيرا كل شيء.

بعد لحظة التصالح بين حنين وقدرية، ضمهما إيهاب سويًا وابتسم بلطف: "مبسوط إنكم قعدتوا مع بعض واتكلمتوا. دي أحلى حاجة حصلت."

نظرت إليه قدرية بعينين ممتلئتين بالندم، و بصوت مكسور:

"إيهاب، أنا مش عارفة أقولك قد إيه أنا آسفة. يمكن عمري ما أقدر أعوضك على اللي عملته."

إيهاب جلس بجانبها وأمسك بيدها بحنان:

"كفاية إنك هنا دلوقتي، وإننا نبدأ صفحة جديدة."

حنين أضافت بحب:

"إحنا عيلة واحدة، ومش هنسيبك لوحدك. ليه ما تجيش تعيشي معانا؟ البيت كبير، وإيهاب وأنا هنبقى مبسوطين بوجودك."

قدرية رفعت رأسها بدهشة، ثم هزتها نافية،و بصوت خافت:

"لا... لا يا حنين. أنا ما أستاهلش حبكم وعطفكم. أنا غلطت في حقكم كتير، وكنت السبب في تعبكم. مش هقدر أعيش معاكم وأنا مش هقبل أكون عبء عليكم."

إيهاب حاول أن يقنعها:

"أمي، محدش قال إنك عبء. إحنا عايزينك معانا، المكان مش هيكمل من غيرك."

لكنها نظرت إليه بحزم ودموعها تسقط:

"إيهاب... أنا لازم أدفع تمن أخطائي. لازم أتعلم أتحمل مسؤولية اللي عملته. وجودي معاكم هيخليني أهرب من إحساسي بالندم، وأنا مش هقدر أعمل كده."

حنين أمسكت بيدها وحاولت إقناعها:

"طنط، إحنا مش بنلومك، ولا عايزينك تعيشي في أي ندم. وجودك معانا هيساعدنا كلنا نكمل حياتنا مع بعض."

لكن قدرية ابتسمت بحزن وهي تنهض:

"إنتوا اتنين قلوبكم كبيرة، وأنا فعلًا محظوظة إنكم سمحتولي أكون جزء من حياتكم. بس... خلوني أرجع بيتي. ده المكان الوحيد اللي هعرف أواجه فيه نفسي."

عادت قدرية إلى بيتها، لكنها لم تعد وحيدة. إيهاب وحنين حرصا على زيارتها باستمرار، ملأوا حياتها بالحب الذي لم تتوقع أن تحصل عليه مرة أخرى. وبالرغم من رفضها العيش معهم، شعرت أن قلبها وجد مكانًا جديدًا بينهما.

كانت الزيارات المتكررة تعيد الدفء لعلاقتهم، وتجعلها تدرك أن الحب والتسامح هما أقوى علاج لأي ألم.

كان مازن يجلس في مكتب سليمان العشري، وجهه شاحب وعيناه مليئتان بالندم والقلق.

صرخ سليمان، بصوت حاد: "غلطة زي دي في مستشفى زي بتاعتي؟! إنت عارف إن ده كان ممكن يكلّفنا سمعتنا كلها؟"

حاول مازن أن يدافع عن نفسه، بصوت مرتعش:

"أنا غلطت... بس ما كانش قصدي. أرجوك، اديني فرصة أصلح اللي حصل."

لكن الرجل لم يظهر أي تعاطف:

"فرصة؟ أنا أعطيتك أكتر من فرصة.أنا جوزتك بنتي، عايز أكتر من دي فرصة إيه؟ دلوقتي لازم تدفع تعويض لعيلة المريض، بعدها مش

عايز أشوفك تاني في المستشفى. إنت مطرود."

غادر مازن المكتب بخطوات ثقيلة، وكأنه يحمل العالم فوق كتفيه. اضطر لدفع التعويض بالكامل من كل ما ادخره. لم يتبقَّ معه شيء، الأموال التي كان يفتخر بها ويستعرضها أمام الجميع تلاشت في لحظة واحدة.

جلس على الكرسي في مكتبه قبل أن يفرغه، يدفن وجهه بين يديه، وهو يهمس لنفسه:

"زي ما كل حاجة جت، كل حاجة راحت... أنا السبب."

بحقيبة صغيرة تحتوي على بقايا ممتلكاته، وقف مازن أمام باب منزل والدته. طرق الباب بخجل، وعندما فتحته، وقفت قدرية تنظر إليه دون أن تتفاجأ. كانت تعرف أن هذا اليوم سيأتي، وأن ابنها سيعود لها كما تركها، نادمًا، صِفر اليدين.

قدرية، بنبرة هادئة لكن حزينة: "زي ما قلتلك... اللي بيبعد عن عيلته وبيغلط، بيرجع دايمًا زي ما راح."

مازن لم يستطع الرد، عيناه ملأتهما الدموع. دخل إلى المنزل، ووضع حقيبته جانبًا قبل أن يجلس على الأريكة.

مازن، بصوت مكسور: "غلطت في كل حاجة... خسرت كل حاجة."

اقتربت منه قدرية وجلست بجانبه، نظرت إليه بحنان وألم:

"أنا عارفة، وكنت مستنياك. البيت ده بيتك، بس المرة دي لازم تفكر كويس في كل خطوة. متكررهاش تاني لازم تصالح إيهاب يا

مازن."

مازن أومأ برأسه، لكنه كان يعلم أن طريق استعادة حياته سيكون طويلًا ومليئًا بالتحديات.

عاد مازن إلى البداية، صِفر اليدين، لكن بفرصة جديدة للتفكير في أخطائه ومحاولة تصحيحها. قدرية، رغم حزنها، قررت أن تعطيه فرصة أخرى لتعيد بناء علاقتها به وبإيهاب أخيه. مازن كان درسه الأكبر أن الكبرياء وحده لا يصنع النجاح، بل الأخلاق والصدق والكفاح هما الأساس الحقيقي للحياة.

خرج عبد القادر من البنك بخطوات هادئة، عيناه تبحثان عن شيء يخرجه من الروتين الذي أصبح يملأ حياته. فجأة، لفت انتباهه كشك صغير مزين بالورود لأول مرة يراه، ألوان الورود المبهجة تملأ المكان. توقف للحظة، ثم اقترب بخطوات مترددة.

بينما كان ينظر إلى الورود، سمع صوتًا عذبًا يغني بصوت خافت أغنية "أمل حياتي" لأم كلثوم. رفع رأسه ليرى امرأة جميلة، ربما في سنه أو أصغر بقليل، تقف وسط الورود، بيديها ترتب الورود في فازة بحنان وكأنها جزء من هذا الجمال.

كانت رقتها وجمالها وسط الورود يخطف الأنفاس. شعر عبد القادر وكأن شيئًا ما داخله استيقظ لأول مرة منذ سنوات. تقدم نحوها بخجل، صوته كان يحمل مزيجًا من الحذر والدفء:

"مساء الخير."

التفتت إليه بابتسامة هادئة:

"مساء النور. تحب تشوف حاجة معينة؟"

شعر أن الحديث معها سهل وبسيط، كأنها تعرفه منذ سنوات. نظر إلى الورود ثم قال بلطف:

"عايز أجمل ورد عندك... لبنتي. هي بتعشق الورد."

ابتسمت وهي تشير إلى مجموعة من الورود الحمراء والبيضاء:

"دول من أجمل الورود عندي، وفيه ورد جوري كمان لو بتحب."

بينما كانت تعد الباقة، سألها عبد القادر:

"إنتِ صاحبة الكشك ده؟"

ردت بابتسامة:

"أيوة، أنا بحب الورد جدًا، فقررت أفتح الكشك ده بعد ما طلعت معاش مبكر."

ضحك وعلق:

"معاش مبكر؟ شكلك صغير على كلمة معاش."

ابتسمت بخجل:

"شكرًا على المجاملة. بس أنا عيالي اتجوزوا وسافروا ولقيت نفسي لوحدي

سألها بفضول:

"وجوزك؟"

ابتسمت بأسف:

"أنا ارملة من سنين كتير، ممكن تعرفني باسمك؟"

رد بابتسامة عريضة:

"أنا عبد القادر. ودي أول مرة أشتري ورد من هنا، لكن أكيد مش هتكون الأخيرة."

شعرت أنه صادق في كلامه، وسألته:

"وأنا زهرة، المهم،إيه المناسبة اللي تخليك تشتري ورد لبنتك؟"

أجاب وهو ينظر إلى الورود:

"هي بتحب الورد جدًا، وقلت أفرحها بحاجة صغيرة. لكن يبدو إن الورد هنا بيجيب الفرحة للي يشتريه كمان."

ابتسمت وهي تسلمه الباقة، لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير في العودة مجددًا. لأول مرة منذ سنوات، شعر أن قلبه ينبض بحياة جديدة.

منذ ذلك اليوم، أصبح عبد القادر يمر بالكشك يوميًا، يشتري وردًا لحنين، أو هكذا يخبر نفسه. لكن في الحقيقة، كان يذهب ليراها، ويتحدث معها، وكأنها أصبحت نافذته إلى عالم جديد مليء بالألوان.

كل يوم، كان يشعر أن الحديث معها يزداد بساطة، وأن قلبه يزداد تعلقًا بهذا المكان الصغير الذي أعاد له نبض الحياة.

أخيرًا، تخرجت حور من الجامعة بعد سنوات من الاجتهاد والمثابرة. وسط فرحة العائلة والأصدقاء، تم تحديد ميعاد الزواج

الذي طالما انتظرته مع حمزة، ليبدأ فصل جديد في حياتهما.

الفرح كان بسيطًا ومليئًا بالأناقة، أضواء دافئة وزينة تعكس الحب الذي يحيط بالجميع. حور بفستانها الأبيض، بدت كالأميرة بجانب حمزة الذي كان يشاركها كل لحظة فرحة.

الجميع كان حاضرًا لدعم حور وحمزة في هذا اليوم المميز. عبد القادر وصابرين يجلسان معًا، لكن معاملته معها كانت فاترة، وكأنه يتعمد الحفاظ على مسافة واضحة بينهما.

وسط أجواء الفرح، دخلت زهرة، صاحبة كشك الورد، بابتسامتها الرقيقة وفستان بسيط أنيق. اقترب منها عبد القادر، ووجهه يشع بالسعادة وهو يقدمها لعائلته.

عبد القادر، بابتسامة: "دي زهرة... صاحبة كشك الورد اللي بحكي لكم عنه. السبب في الورود الجميلة اللي بنجيبها دايمًا."

اقتربت حنين وحور بابتسامة:

حنين: "أهلاً وسهلاً بيكِ. بابا دايمًا بيشكر في الورد بتاعك."

حور: "شرفتي الفرح، وسعيدين إنك معانا النهارده."

زهرة ردت بابتسامة خجولة:

"الشرف ليّا... عيلتكم جميلة جدًا."

همس إيهاب يمازح حنين:

" أبوكِ هيتجوز المزة دي امتى يا حنون؟"

نظرت إليه بصدمة:

"تفتكر بجد ممكن يتجوزها؟"

ابتسم وهو ينظر لابتسامته لزهرة:

"شايفة الابتسامة دي؟ بتقولك آه هيتجوزها وقريب كمان."

ابتسمت حنين ثم عبست ونظرت لوالدتها:

"طيب وماما يا إيهاب؟"

نظر هو الآخر تجاهها:

" كل واحد بيجني ثمار تعبه يا حنون، اللي بيزرع حب بيحصد حب، واللي بيزرع شوك بيحصد شوك، والدتك للأسف معرفتش تزرع أي حب "

من بعيد، كانت صابرين تراقب المشهد. لم تستطع أن تخفي شعور الغيرة الذي بدأ يتصاعد بداخلها وهي ترى عبد القادر يتحدث مع زهرة بلطف وود لم تعد تراه معها منذ فترة طويلة.

همست لنفسها، والدموع تغمر عينيها:

"أول مرة أحس إنه فعلاً بعيد... بعيد عني بجد.معقولة أكون خسرته؟"

حاولت أن تقترب وتشارك في الحديث، لكنها شعرت بعدم الراحة وهي ترى عبد القادر مرتاحًا جدًا في وجود زهرة.

الفرح استمر وسط أجواء مليئة بالبهجة، لكن بالنسبة لصابرين،

كانت تلك الليلة تحمل مشاعر مختلطة. أدركت أنها ربما بحاجة لإعادة النظر في علاقتها بعبد القادر، الذي يبدو أنه وجد من يعيد لروحه البهجة أو ربما هي خسرته حقًا.

كان مازن يجلس مع والدته قدرية في بيتها، يتحدث معها بصوت منخفض مليء بالندم:

"ماما، تعبت من كل اللي عملته. عايز أبدأ من جديد... بس مش هيحصل غير لما أصالح إيهاب."

قدرية نظرت إليه بابتسامة صغيرة تحمل الأمل:

"وأنا كمان نفسي ده يحصل. تعالى معايا، هنروح له دلوقتي."

عندما وصل مازن مع قدرية إلى بيت إيهاب الجديد، لم يستطع إخفاء دهشته. البيت كان فخمًا، يفيض بالرقي والبساطة في نفس الوقت. كل ركن فيه يعكس نجاح إيهاب وصبره.

مازن، بدهشة وهو ينظر حوله: "ده بيت إيهاب؟ ما شاء الله... إزاي؟"

قدرية نظرت إليه وقالت بهدوء:

"ده نتيجة صبره وتعبه. ربنا بيعوض اللي بيصبر ويشتغل بشرف."

فتح إيهاب الباب، وعندما رأى أمه ومازن، ظهرت على وجهه ملامح الاستغراب. لكنه دعاهما للدخول بلطف.

جلس مازن أمام إيهاب، تردد للحظة، ثم بصوت منخفض:

"إيهاب... أنا جاي أقولك إني غلطت. غلطت في حقك كتير...

ظلمتك، وأذيتك، وكنت فاكر إن الطرق الملتوية هتوصلني أسرع. بس ربنا عاقبني، وخسرت كل حاجة. لما شوفت بيتك الجديد، فهمت إن صبرك وتعبك هما اللي خلوك توصل للي إنت فيه. أنا ندمان... سامحني يا أخويا."

إيهاب نظر إليه بصمت للحظة، ثم اقترب منه ووضع يده على كتفه بابتسامة دافئة:

"مازن، إنت أخويا الصغير، ومهما حصل بينا، عمري ما كنت هقدر أشيل منك. اللي فات مات... إحنا نبدأ من جديد."

مازن تابع بصوت متردد:

"إيهاب، كنت بفكر أبدأ من جديد، وأفتح عيادة صغيرة في شقتك اللي أخدتها من الأسطى طلعت ممكن افتحها؟"

ابتسم إيهاب و بلطف:

"الشقة؟ دي أنا من زمان اتنازلت عنها ليكم. ربنا عوضني بحاجات كتير أحسن منها."

مازن شعر بمزيد من الندم، و بإخلاص:

"شكرًا يا إيهاب... على كل حاجة. أنا بجد مش عارف إزاي أقدر أعوضك."

مازن التفت إلى حنين، التي كانت تراقب بصمت، و بخجل:

"وإنتِ كمان يا حنين... أنا آسف على كل كلمة قلتها أو حاجة عملتها كنت بتقصد أضايقك بيها. ما كنتش فاهم... بس دلوقتي

عرفت إنك كنتِ السند الحقيقي لإيهاب."

حنين ابتسمت برقة:

"المهم إنك عرفت غلطك، وقررت تصلح حياتك. إحنا كلنا عيلة، وهنفضل كده."

عاد مازن مع والدته قدرية إلى بيتها، وبدأ العمل على تجهيز شقة إيهاب القديمة لتحويلها إلى عيادة بمساعدة إيهاب، الذي وقف بجانبه ودعمه ليبدأ حياة جديدة نظيفة.

مازن أدرك أن النجاح الحقيقي يأتي بالصبر والعمل الشريف، وليس بالطرق الملتوية. ومنذ ذلك اليوم، قرر أن يفتح صفحة جديدة، مليئة بالأمل والنية الصادقة لإصلاح ما أفسده في الماضي.

في صباح مشرق، اجتمع الجميع في المستشفى. كانت حنين قد دخلت غرفة الولادة، وإيهاب يقف خارجها، يسير ذهابًا وإيابًا، قلبه ينبض بالخوف والفرح.

قدرية جلست بجانبه على الكرسي، تمسك بيده بحنان، وقالت بصوت مليء بالأمل:

"ماتقلقش يا إيهاب، حنين قوية... وكل حاجة هتعدي على خير إن شاء الله."

عبد القادر بجانبه زهرة التي لم تعد تفارقه، صابرين تراقبهما بحسرة، وحور وحمزة، وهايدي وعلاء كانوا موجودين جميعًا، ينتظرون بفارغ الصبر.

مازن كان يقف بجانب قدرية، يضع يده على كتف إيهاب:

"إنت كنت دايمًا السند لينا كلنا. النهارده دورنا نكون جنبك."

بعد دقائق ثقيلة مرت كأنها ساعات، خرج الطبيب بابتسامة واسعة:

"مبروك يا أستاذ إيهاب، ربنا رزقكوا ببنوتة زي القمر."

فرحة الجميع لم تكن توصف. إيهاب شعر وكأنه يحلق في السماء. دخل إلى الغرفة ليجد حنين مستلقية على السرير، تعابير وجهها تعكس مزيجًا من الإرهاق والسعادة. بجانبها، كانت الممرضة تحمل الطفلة الصغيرة.

اقترب إيهاب من حنين وأمسك بيدها بلطف، وصوته مختنق بالدموع:

"إنتِ كويسة يا حنين؟ طمنيني."

حنين نظرت إليه بابتسامة ضعيفة:

"أنا بخير يا إيهاب... تعبت شوية، لكن أنا كويسة."

إيهاب أمسك يدها بقوة أكبر، قبلها بحب:

"الحمد لله... كنت خايف عليكِ جدًا."

بعد لحظة، اقتربت الممرضة تحمل الطفلة الصغيرة بين ذراعيها، وابتسامة دافئة تعلو وجهها:

"مبروك يا أستاذ إيهاب، بنتك زي القمر."

إيهاب نظر إلى الممرضة بذهول، ثم إلى الطفلة التي وضعتها بين يديه. عينيه امتلأتا بالدموع وهو يهمس:

"دي بنتي... دي فعلًا بنتي.دي أجمل حاجة في حياتي"

نظر إلى حنين التي كانت تراقبه بابتسامة ممتلئة بالسعادة، و بصوت مرتجف:

"حنين... دي فرحتنا. ربنا رزقنا بفرحة حقيقية."

حنين ردت بصوت خافت:

"وإنت أول حاجة بنتنا هتشوفها...كنت عارفة إنك هتكون أسعد أب في الدنيا."

جلس بجانبها، والطفلة بينهما.

إيهاب: "نسميها إيه؟"

حنين، بابتسامة: "فرحة. عشان هي فعلًا فرحة لينا كلنا."

فتح إيهاب الباب للعائلة وهو يحمل فرحة بين ذراعيه، والابتسامة لا تفارقه. الجميع تجمعوا حوله، والدموع تملأ عيونهم من السعادة:

"تعالوا اتعرفوا على فرحة"

عبد القادر: "ربنا يجعلها وش السعد عليكم."

قدرية، وهي تنظر إلى الطفلة بحب: "أول حفيدة ليا... واسمها فرحة. اسم على مسمى."

مازن: "دي مش فرحة ليكم بس... دي فرحة لينا كلنا."

حنين ورغم تعبها، كانت الابتسامة لا تفارق وجهها. احتضنها إيهاب:

"ربنا عوضني بيكِ وبفرحة. إنتِ مش بس مراتي... إنتِ كل حاجة حلوة في حياتي."

حنين ابتسمت وهمست له:

"وإنت اللي خليتني أصدق إن الحب والتعب بيرجعوا بأجمل حاجة."

اجتمعت العائلة في بيت إيهاب وحنين للاحتفال بالمولودة الجديدة. كان البيت مليئًا بالضحك والفرح، والطفلة الصغيرة أصبحت رمزًا لبداية جديدة، مليئة بالأمل والحب.

الحكاية انتهت بفرحة كبيرة، تمامًا كما بدأ الحب بين إيهاب وحنين، بقوة وصبر ودفء عائلي.

الخاتمة

رغم التحديات، الحياة لم تتوقف عن الدوران. لكل فرد في العائلة والأصدقاء قصة جديدة، بعضهم وجد السعادة والنجاح، والبعض الآخر لا يزال يبحث عن طريق يعيد له ما فقده. لكنهم جميعًا تعلموا أن الألم يمكن أن يكون بداية جديدة، وأن القوة الحقيقية تكمن في القدرة على الوقوف مجددًا.